النفائس الكتانية

20-21

# غنية الكون

## شرح الصلاة الأنموذجية في المعارف الإلهية والأحمدية

وفي ضمنه

## عنوان البيان والعيان

الشاهد: ليس في الإمكان أبدع مما كان

تأليف

الختم الأكبر حجة الإسلام

أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني الحسني

١٢٩٠هـ - ١٣٢٧هـ

حققه مع مقدمة ضافية في التعريف بالطريقة الكتانية

الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني

المجلد الأول




سيدي الشيخ
محمد بن عبد الكبير الكتاني
رضي الله عنه

## الجزء الأول

من خبيئة الكون شرح الصلاة الأنموذجية المعدودة من جملة أوراد الطريقة الكتانية، للبحر الزخار، والمدد الفياض، ولجة المعارف الكبرى، ومِن مْن كل بحور المعارف غارف، وقد انتمى إليه على عوالي المقامات شارف، ذي النسبتين الطاهرتين الجسدية والروحية، البالغ مجمع الإمام الرباني أبي عبد الله الشيخ أبي الفيض، مولانا محمد بن المربى القدوة الآخذ من الأخلاق المحمدية الحظ الأوفر العارف الأشهر مولانا عبد الكبير بن المولى الأزهر والبركة الأنور، ذي المناقب والكشوفات والكثير من خوارق العادات، الشيخ سيدي محمد بن سيدي عبد الواحد المدعو الكبير الكتاني الحسيني، أفاض الله سبحانه على البرايا من وابل بركتهم... آمين.

**قال مؤلفه** τ: ولمن شاء أن يسميه النواشيء الاختصاصية شرح الصلاة الأنموذجية، أو «السوانح الافتضاضية شرح الصلاة الأنموذجية».

**بسم الله الرحمن الرحيم**

اللهم صلِّ على سيدنا محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم إنك حميد مجيد.

الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته، والحمد لله الذي ذلَّ كل شيء لعزّته، والحمد لله الذي خضع كل شيءٍ لملكه، والحمد لله الذي استسلم كل شيءٍ لقدرته.

اللهم لك الحمد كثيرًا خالدًا مع خلودك، ولك الحمد حمدًا لا منتهى له دون علمك، ولك الحمد حمدًا لا منتهى له دون مشيئتك، ولك الحمد حمدًا لا أجر لقائله إلا رضاك.

سبحان الله عدد ما خلق، سبحان الله ملء ما خلق، سبحان الله عدد ما في الأرض والسماء، سبحان الله ملء ما في الأرض والسماء، سبحان الله عدد ما أحصاه كتابه، سبحان الله ملء ما أحصى كتابه، سبحان الله عدد كل شيء، سبحان الله ملء كل شيء.

الحمد لله عدد ما خلق، والحمد لله عدد ما في الأرض والسماء، والحمد لله ملء

ما في الأرض والسماء، والحمد لله عدد ما أحصى كتابه، والحمد لله ملء ما أحصى كتابه، والحمد لله عدد كل شيء، والحمد لله ملء كل شيء.

والصلاة والسلام على مركز دائرة الأنوار، وصاحب فلك قطبية الأسرار، الأول في النشئات الروحية، السَّابح بأبحر المشاهدات والمعاينات والمكاشفات، الخائض بتيار قواميس لجج العنايات والرعايات، ما صلح لأن يمد بجداوله الفياضة أهل الدوائر والمراتب من أهل الأراضي والسماوات، والحال لآزال حقيقة روحية أولى بين يدي ربّه جلَّ سلطانه يزلفه بتحف القرب والمكانات، التي لم يشم لها رائحة أولي العزم من أصحاب الرسالات، واستمر في مشاهدته جمال كمال ربه العظيم جلَّ سلطانه مختليًا في الميادين العظموتية سنوات قبل توجه الإرادة لانشقاق صبح الوجود في عالم الذرّيات، المأخوذ فيه العهد على النسمات وطبقات الكائنات:

ولقدْ خلوتُ معَ الحبيبِ وبيننَا ... سرٌّ أرقُّ منْ النّسيمِ إذَا سرَى
وأباحَ طرفِي نظرةً أمّلْتُهَا ... فغدوتُ معروفًا وكنتُ مُنكرَا
قدستُ سرَّ جمالهِ وجلالهِ ... وغدَا لِسَانُ الشوقِ عَنّي مُخبرَا
هُوَ كَنزُ الكنوزِ مطلعُ سِرّ الـ ... ـغيبِ عينُ الهُدَى طِرازُ الوُجوُدِ
وَقَفَ الكلُّ عندَ بَابِ حِمَاهُ ... يَغرفونَ منْ بابِ طهَ المَدِيْدِ
كُلّمَا غَرَفَ ٱلعُفَاتِ يُنَادِي ... جُودِكَ الأحْمدَيِ هلْ مِنْ مُرْيدِ
كُلّمَا مَنَحَ النّبِيينَ نُورًا ... قَالَتْ الأنبياءُ هلْ مِنْ مَزَيْدِ
فالحبيبُ الوسيطُ فِي كلّ شيءٍ ... مِنْ وصالٍ أو رؤيةٍ أو شُهودِ
هوَ عينُ عيونِ جودٍ ولولَا ... مددٌ منهُ غَارَ بحرُ الوجودِ
غَصَّ ببحْرُ الثّنَا عليَّ مِثْلَ هذَا ... وَأجْعلنّهُ سرجي فَوْقَ الجِيدِ

والآخر في الدوائر الجسمية من ختام لبنته الجامعة المحيطة بدار النبوة والرسالة، وكما به بدأت دار النبوات، وعنه تنشأت كذلك به خُتمت دار الرسالات، وعنه انبثت، وبه انفقهت.

**الظاهر:** لأهل المشاهدات في كل مرئى من المرئيات بشكل صورة اسمه الجامع، والأمج[1] في المشهودات بجمال كمال سر تعيينه المجلو على صفحات

(1) أي البادي والظاهر.

الكائنات بالغيث الهامع.

**عَلَى حُسْنِ شَكْلٍ اسمهُ ... وهيْئَتهُ شكلُ كلُّ البَشَرِ**
**ففَي كلِّ لحَظَةٍ طَرْفُ يُرَى ... جمالُ الحبيبِ بتلكَ الصوَرِ**
**وحلَّ جُسُوْمَهُمْ نُوْره ... وخَللَ أعضاْءَهُمْ وانْتَشَرِ**
**فمَا يقعُ اللحظُ إلاّ علَى ... حروفِ محمَّدٍ المُعْتبرِ**
**فَلَا تُرسِلَ اللحظَ يَومًا إلىَّ ... سِوَى صُورةٍ للحبيبِ الأغرِ**
**إذَا مَا نَظرتَ إلى غَيِره ... أَما تَستحِي مِنهُ عِند النّظرِ**
**فَمنظورك اسمُ الحبيبِ عَلَى ... مَليحِ نَظرتَ ففقِّ النّظرِ**

**الباطن:** بعظيم أنواره عن درك الإدراك, ويكفي أن هويته دولاب تفاض منه الفيوضات على سكان الغبراء، وما تحتها إلى تحت التحت, وما فوقها إلى فوق الفوق، وبرشاشات تدفقات أمزان هواطله الفياضة امتسك سكان الأفلاك.

سبحانك, سبحانك من إله أبرزت هاتين الحقيقتين الأحمدية والمحمدية، وجعلت الأولى ممدة لعوالم اللطافات مما دون عالم الأمر، وجعلت الثانية قابلة لكل الأمداد الصادرة من الحضرة القيومية وفائضة منها على رتب الكائنات والعنصريات والماديات، وأعجزت الخلائق عن درك حقائق عبدك سيدنا ونبينا ومحمدنا وقبلة مشاهدة أرواحنا وأسرارنا مولانا محمد ρ وجعلت عجزهم عن درك ماهيته عنوانًا على عجزهم عن درك حقيقتك.

فلك الحمد بكل لسان الأنبياء والرسل والملائكة، ولسان الأقطاب والأفراد والأجراس والأغواث والنجباء والبدلاء والعمد والسَّواحين حتى لا يبقى لسان حمد إلا وأحمدك به في كل نفس ولمحة وطرفة وخطرة عدد منتهى العلم، ومبلغ الرضا، ومنتهى الرحمة، وعدد كلمات ربنا التامات المباركات، وزنة عرشك.

**أما بعد.. فيقول محمد بن الشيخ عبد الكبير الكتاني:** هذه نَفَثات روحية، وسانحات امتنانية اسمه «خبيئة الكون أو النواشيء الاختصاصية شرح الصلاة الأنموذجية أو السوانح الافتضاضية»، شرح الصلاة الأنموذجية في فكِّ غوامض هذه الصلاة المحمدية البارزة من لوح الغيوبات التعينية المستوجب قارئها رضوان الله تعالى الأكبر الذي هو أعظم من الجِنان، ويلزم منه أنه أعظم مما في الجَنان، ويلزم

منه أنه أعظم من الدنيا وما فيها ومن الدنيا العالم كله وتسبيحه، فإن تسبيح أهل السماوات والأرضيين لم يخرج عن كونه من فعل الحوادث بخلاف رضا الله سبحانه على عبده؛ فإنه من صفاته، ولذلك قال تعالى حين يذكر الجنان وما فيها يقول: ﴿**وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ**﴾ [التوبة:72] أي: أكبر من الجنان وما فيها, أي: العوالم وما فيها[1].

وطالما لوح الأعمال التي تستجلب رضوان الله الأكبر ولم يصرح بها، وطالما كنى عنها وطالما أشير إليها، وطالما رمز إليها بعدة قربات حتى لا يساكن العبد ذلك الباب فربما تؤديه للفتور في الطاعات، كما طلسم الاسم الأعظم، والصلاة الوسطى، وساعة الجمعة، وليلة القدر، وعلامة قبول العمل، والفرد من الرجال، ووقت قيام الساعة، ولو شئت أن أقول: إن هذه كلها شرح أمرها في القرآن الكريم، والسنة الغراء لأصبت المرمى، ولكن لا نفقه، «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»[2]، ويلهمه رشده.

ومراد الله تعالى من العبيد دوام المثول بالعتبات والسجود تحت وصيد اصطبل مراسم المناخات، ولأن المخاطب بالتكاليف جمهور الأناسي لا خصوص الخلق من العبيد، ولو خوطب المخلصون على حدتهم لروعي حال المخاطبة ما تقتضيه معاملاتهم مع ربهم جلَّ مجده، وأنت إذا التفت لأوجه القرآن الكريم، ومواقع خطابات الدلالات المحمدية، ومواطن تشعباتها ألفيت دعوة القرآن الكريم إلى الله جلَّ جلاله، ودعوة حضرة الرسالة أيضًا أونة بلسان الحكمة، وأخرى بلسان الموعظة الحسنة، وفي هذا قال الله جلَّ ثناؤه: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ**﴾ [النحل:125].

فالمدَّعون بالحكمة إلى الله تعالى لا يستفزهم ذكر الأعمال المستوجبة لرضوان

---

(1) أي : أكبر من الجزاء الحسيّ الذي هو القصور والحور, لأنه المَبدأ لكل سعادة وكرامة ، والمؤدي إلى نيل الوصول والفوز باللقاء.

(2) رواه البخاري (39/1)، ومسلم (718/2).

الله تعالى الأكبر مثلاً، أو الأعمال المقبولة قطعًا؛ لأنهم عالمون أن الناس على مراتب ثلاث:

**قوم عملوا على السَّوابق؛ فقالوا:** إن كتبنا في لوح العلم سعداء، فلا يكدر صفونا التخليط فضعفوا عن الجادة البيضاء.

**وقوم عملوا على اللواحق؛ فقالوا:** «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ**»[(1)]؛ فلا نسكن في الحالة الراهنة لا لوعد ولا لوعيد؛ لأن الخاتمة غيب، وما أصعب وطء هذا البساط لمن عمل على اللواحق؛ فلو وطئ أشواك السعدان أهون من الوقوف به زمنًا ما فضلاً عن كونه لا يزايلهم.

**وارَحمْـــــةً للعَاشِـــــقينَ تحمَّلُـــــوا ثقـــلَ المحبَّـــةِ والهَـــوَى فضَـــاحَ**[(2)]

لأنهم قوم لا يستقربهم قرار، ولا يسكن لهم بلبال[(3)]، ولا يأسوا على ما فاتهم من الحظوظ والمناصب والمراتب؛ لأنهم دهمهم ما دهمهم، وهالهم ما هالهم، ولا يفرحوا بما أتاهم لتنغص عيشهم بما هم فيه، وأفئدتهم كأجنحة الطير.

**وقوم عملوا على الوقت الحاضر**: فلم يلتفتوا للسوابق حتى [لا] يضعفوا عن السير، ولم يعملوا على الخواتيم حتى [لا][(4)] يفوتهم مقام الشكر لكل ما أقيموا فيه، وحتى لا يتحدثوا بأنعم الله عليهم، بل قالوا: نحن أبناء الوقت، وظائفهم الحقوق اللازمة لهم بحسب كل نفس من الأنفاس فضلاً عن اللحظات والأوقات؛ فهم قوم بحسب باطن الأمر، عجلت لهم مشاهدهم الأخروية من وجه في الدنيا حتى يتجرعوا بها الغصص الدهرية والحوادث الزمانية، فكانوا مع العالم بالتبع، ومع ربهم جلَّ أمره بالذات، فكانوا من الذين: ﴿**لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾ [يونس:64]، فزادوا في التمكين والمكنة إن زادوا على غيرهم بالبشرى في الحياة الدنيا، ثم يشاركون أهل

(1) رواه البخاري (6117)، وأحمد (12786).

(2) البيت من الكامل، وهو للسهروردي المقتول في ديوانه ص (32).

(3) البِلْبالُ، بالكسرِ: المَصْدرُ، وبَلْبَلَهُم بَلْبَلَةً وبِلْبالاً بالكسر: إذا هَيَّجَهُم وحَرَّكَهُم، والاسمُ: البَلْبالُ، بالفتح، والبَلْبَلَةُ بزِيادة الهاء [تاج العروس (بلل)].

(4) ما بين المعكوفتين زيادة ليست في الأصل، وأثبتناها لاقتضاء السياق.

الأخرى في بشاراتهم، وهؤلاء أهل مراعاة التجلي الحاضر.

**لو شئت أن أقول لقلت:** إن من الأسرار في استخلاف النوع الإنساني في الأرض دون غيره إقامة الحجة على الملائكة-عليهم السلام- في قولهم: ﴿**قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:30], فأخرج من ضآضئ هذا من هذه صفتهم، فكانوا في مقام عبودية الاضطرار دائمًا؛ لأن العبودية على قسمين: عبودية اضطرار، وعبودية اختيار.

**أما عبودية الاختيار؛ فهي:** حالة الإنسان في النوافل الغير محتمة، فإن الإنسان فيها بحسب التخيير.

**وأما عبودية الاضطرار؛ فهي**: حالة العبد في الفرائض؛ لأنه ليس له ألا يفعل، والمراد عبد كوشف بأسرار الشريعة، فكان يعبد الله تعالى على المكاشفة كسيدنا وابصة بن معبد الأزدي الذي قال له المعصوم ρ: «**استفت قلبك، وإن أفتوك وأفتوك وأفتوك**»[1], فردَّه إلى فقه القلب الذي هو أفقه من فقه الظاهر، وهؤلاء من: ﴿**الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ**﴾ [المعارج:23].

فاختار هذا الصنف من فروع هذا الخليفة الإقامة في فلك عبودية الاضطرار دائمًا حتى لا يذوق لمحة طرفة من حلاوة الاستراحة في ظلال أفناء الدعة والسكون؛ لأن العالم معلول؛ فلا يسكن فهو دائمًا متحرك!

[قال الشيخ ابن الفارض] [2]:

**هوَ الحبُّ فاسلمْ بالحشَى مَا الهوَى سهلاً ... فمَا اختارهُ مضنِي بهِ ولهُ عقلُ**

ثم قال[3]:

**فالحبُّ راحتهُ عنِّي ... فأولهُ سقمٌ وآخرهُ قتلُ**

**وقلْ لقتيلِ الحبِّ وفيتُ حقهُ ... وللمدعِي هيهاتَ مَا انكحلَ الكحلُ**

(1) رواه أحمد في «المسند» (228/4)، والدارمي (320/2).

(2) في ديوانه من قصيدته اللامية, من بحر الطويل (1).

(3) في القصيدة المتقدمة (2).

هـوَى طـلَّ مَـا بـينَ الطلـولِ بمـنْ جفونِي جرَى بالدمع منْ سبحهِ وبلُ
وفزعتْ قلبِي منْ وجودِي مخلصًا لعلِّـي فِـي شـغلِي بهَـا معهَـا أخـلُ
ولِــي همــةٌ تعلُــو إذَا مَــا ذكرتهَــا وروحٌ بــذكراهَا إذَا رخصــتْ تغلُــو

وقال(1):

لــكَ فِــي الحــيِّ هالــكٌ بــكَ حــيٌّ فِـي سـبيلِ الهـوَى اسـتلذَ الهـلاكَ
عبــدٌ رقَّ مَــا رقَّ يومًــا لعتــقٍ لــوْ تخليــتَ عنــهُ مَــا خــلاكَ
وتلافِــي إنْ كــانَ فيــهِ ائتلافِــي بــكَ عجــلْ بــهِ جعلــتُ فــداكَ
ويشــيرُ لــوْ جــاءَ منــكَ بوصــلٍ ووجـودِي فِـي قبضـتِي قلـتُ هـاكَ
ابــقَ لِــي مقلــةً لعلِّــي يومًــا قبــلُ مــوتِي أرَى بهَــا مــنْ رآكَ

وقال أيضًا(2):

وخـذْ بقيـةَ مَـا أبقيـتَ مـنْ رمقِـي لَا خيرُ فِي الحبِّ إنْ أبقَى علَى المهجِ
لَا كـانَ وجـدَ بـهِ الآمـاقُ جامـدةً ولِا غـرامُ بـهِ الأشـواقُ لـمْ تهـجِ
واعطفْ علَى ذلِّ أطماعِي بهلْ وعسَى وامننْ عليَّ بشرحِ الصَّدرِ منْ حرجِ
انظرْ إلَى كبدِي ذابتْ عليكَ جوَى ومقلتِي منْ نجيعِ الدَّمعِ فِي لججِ

وبعد هذا كله لا ضير: ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾ [الأعراف: 125].

لـيهنْ ركـبُ سـرُوا وأنـتَ بهـمْ فسـيرهمْ فِـي صـباحٍ منـكَ مُنْـبَلجِ
فليصنعْ الركبُ مَا شاءَوا بأنفسهمْ همْ أهلُ بدرٍ فمَا يخشونَ منْ حرجِ

وقال أيضًا(3):

إنْ قلـتَ عنـدِي فيـكَ كـلُّ صَـبابةٍ قـالَ الملاحـةَ لِـي وكـلُّ الْحسنِ فِيَّ

وبالجملة:

لَا تحسـبونِي فِـي الهـوَى مُتصـنعًا كَلَفِــي بكــمْ خُلُــقٌ بغيــرِ تكلّــفِ
أخفيــتُ حــبكمْ بأجفــانِي أســىً حتَّـى لعمـرِي كـدتُ عنِّـي أختفِـي
وكتمتــهُ عنِّــي فلــوْ أبديتــهُ لوجدتـهُ أخفَـى مـنْ اللّطـفِ الخفِـي
يــا أهــلَ ودِّي أنــتمْ أملِــي ومــنْ نــاداكمْ يــا أهــلَ ودِّي قــدْ كُفِــي(4)

وصدق من قال: لو صحت الصلاة بغير الفاتحة لصحت بهذين البيتين(5):

بانكســارِي بــذلتِي بخضــوعِي بافتقــارِي بفــاقتِي بغنــاكَ
لَا تكلنِــي إلَــى قــويٍّ جلــدٍ خــا نٍ فــإنِّي أصــبحتُ مــنْ ضــعفاكَ

---

(1) ابن الفارض في ديوانه (9).

(2) في قصيدة له من بحر البسيط (12).

(3) في قصيدة من بحر الكامل (ص41).

(4) في قصيدته الفائية من بحر الكامل (20).

(5) في قصيدة له من بحر الخفيف (ص21).

فكانوا يقتصرون على الفرائض لأجل ألا يخرجوا عن هذا الوظيف، ولعله أيضًا وظيف من قيل فيه:

«**ما فضلكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا بصيام، وإنما فضلكم بشيء وقر في صدره**»[1], ولا يمتري في أن لحظة من لحظات هؤلاء تقوم بكيفيتها كميات تنوء عن الإحصاء؛ لأنهم في أبحر مشاهدات التجلي الأعظم غرقى، وفي أودية الحيرة ومهابة العظمة أرواحهم تنتقل، وعليها مواهب التجلي تترى.

ولعلك حيث ربيتك على الطريق فلعلك تخرج على هذا الأصل تخاريج، ومنها قضية سيدنا الصحابي الجليل الذي استوصف حضرة الرسالة عن شعائر الدين، وقواعد الإسلام فدله عليها، فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، فقال المعصوم ρ: «**أفلح الرجل إن صدق**»[1], فلم يكن ليدع النوافل جزافًا أو لتقره حضرة النبوة والوحي على هذه المجازفة، فلعله من أهل هذا الميدان اختار القيام بموقف عبودية الاضطرار بمجرد إمارة الكمال المحمدي.

**حتَّى رأيتكَ تمشِي وتحظَى منْ تختارهُ بلطائفِ الأمناحِ**
**فعلمتُ أنكَ لَا تنالَ بحيلةٍ فطويتُ رأسِي تحتَ طيِّ جناحِ**
**وجعلتُ فِي عشرِ المرامِ إقامتِي فيهِ غدوِّي دائمًا ورواحِي**

ومن لم يلحظ هذا اللحظ، قال: إنما أخبره بالقدر المشروع إذ ذاك:

**غنِّ لِي باسمٍ منْ أحبّ ودعْ كلَّ منْ فِي الوجودِ يرمِي بسهمهِ**
**لَا أبالِي وإنْ أصابَ فؤادِي أنهُ لَا يضرُّ شيئًا معْ اسمهِ**

فهؤلاء على الحقيقة هم الحاملون للأمانة التي عرضت ﴿**عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ**﴾ [الأحزاب:72], وحيث وصلنا إلى هنا اقتضى الحال ذكر استطرادات وفذلكات انجرّ إليها تحقيق البساط؛ فاستبعده تكن من الفائزين.

**إن قلت:** كل من دخل حضرة من الحضرات, فإنه يكتسب بحلوله فيها حُللاً وخلعًا وملابس فبما يعبر عن هذه الخلعة التي أعطيها هؤلاء؟

**قلت:** بالتجلي الأعظم؛ لأن من عادة التجليات الصغرى ألا تستحوذ على جميع

---

(1) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (30/1), والمناوي في فيض القدير (144/4).

(2) رواه مالك في الموطأ (175/1), والبيهقي في الشعب (496/2).

شئون المكلف، بل تمحق منه ما شاء الله تعالى أن تمحوا بمقتضى حال ذلك التجلي بخلاف التجليات العظمى، فإن من علامتها أن تستولي على جميع الشئون الحائطة بالعالم، وكذلك هذا التجلي فإنك سمعت ما أنتجه لأربابه، حيث أوقفهم المواقف التي طمحت عناية الرب جلّ أمره بعبده أن يكونها.

**نكتة:** وهذا من علامات الوُرَّاث المحمديين؛ فإن تجلياتهم تكون عمومية شاملة بحسب ما أفاضه عليهم موروثهم محمد أهل السماوات والأرضين المرسل رحمة للعالمين.

**نكتة:** وهذا من شأن المسقون من الشرع المحمدي، وهو من الفروق بين هذه الشريعة المحمدية، وبين غيرها من الشرائع ممن كانوا على القدم الموسوي، أو العيسوي، أو اليوسفي مثلاً، فإن كل واحد من الأولياء على قدم نبي, فافهم.

**فإن قلت:** وما الاسم المتحكم في أهل هذا التجلي الذي دندنت عليه حتى أورثهم هذا المشهد؟

**قلت:** أما بحسب الإجمال فاسمان الأول: الاسم القهار.

الثاني: الاسم الأعظم، أعني الاسم المنفعل عنه التجليات الكبرى؛ وذلك لأن الحضرات الأسمائية على أنحاء منها حضرات الأسماء الجمالية.

ومنها حضرات الأسماء الجلالية.

ومنها قسم مشترك بين الجمال والجلال.

ومنها حضرات الأسماء الكمالية.

ومنها قسم ذاتي، ولنرسم لك جدولاً تعرف منه خبيئة ذلك وصورته هكذا.

| الأسماء والصفات الذاتية | | الأسماء والصفات الجلالية | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| الله | الأحد | الكبير | المتعال | العزيز | العظيم | الجليل | القهار |
| الواحد | الفرد | القادر | المقتدر | الماجد | الولي | الجبار | المتكبر |
| الوتر | الصمد | القابض | الخافض | المذل | الرقيب | الواسع | الشهيد |

**القدوس الحي القوي المتين المميت المعيد المنتقم ذو الجلال والإكرام**

**النور الحق المانع الضار الوارث الصبور ذو البطش البصير**

**الميهمن هو البصير الديان المعذب المعطي المجيد الذي لم يكن له كفوًا أحد**

**ذو الحول الشديد القاهر الغيور شديد العقاب**

**الأسـماء والصـفات المشتركة هي الكمالية** | **الأسماء والصفات الجمالية**

| | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| **الرحمن** | **الملك** | **العليم** | **الرحيم** | **السلام** | **المؤمن** | **البارئ** |
| **الرب** | **المهيمن** | **المصور** | **الغفار** | **الوهاب** | **الرزاق** | **الفتاح** |
| **الخالق** | **السميع** | **الباسط** | **الرافع** | **اللطيف** | **الخبير** | **المعز** |
| **البصير** | **الحكم** | **الحفيظ** | **المغيث** | **الحسيب** | **الجميل** | **الحليم** |
| **الولي** | **القيوم** | **الكريم** | **الوكيل** | **الحميد** | **المبدئ** | **المحي** |
| **المقدم** | **المؤخر** | **المصور** | **الواجد** | **الدايم** | **الباقي** | **البر** |
| **الأول** | **الآخر** | **المنعم** | **العفو** | **الغفور** | **الرءوف** | **المغني** |
| **الظاهر** | **الباطن** | **المعطي** | **النافع** | **الهادي** | **البديع** | **الرشيد** |
| **الوال** | **المتعال** | **المجل** | **الرقيب** | **المجيب** | **الكفيل** | **الحنان** |
| **مالك الملك** | **المقسط** | **المنان** | **الكامل** | **لم يلد ولم يولد** | | **الكافي** |

**الجامع الغني الجواد ذو الطول الشافي المعافي**

**الذي ليس كمثله شيء**

**المحيط السلطان**

**المريد المتكلم**

وهذه حضرات الأسماء أيضًا فيها الحضرات الخاصة، والحضرات العامة، والحضرات العامة يعبر عنها بالصغرى، والخاصة يعبر عنها بالكبرى.

فلكل حضرة كبرى إذا دخلها الداخل، واستوفى ما فيها من الأسماء باعتبار التخلق والتعلق إذا أشرف على الخروج منها والداخل لما فوقها تواجهه حضرة كبرى، والمتجلي عليها اسم أعظم لتلك الأسماء المكثفة أنوارها تلك الحضرة التي اكشفت حضرات، فانكشف لك على التحقيق إن لم تصل لذلك الحي أن لكل حضرة من الحضرات الأسمائية اسمًا أعظم هو الحاكم للأسماء التي فيها.

والقصد من هذه الفذلكة والفائدة، وما أراك سمعتها، ولا عرفتها أن الاسم الأعظم الذي تجلى على هؤلاء أهل هذا المشهد الذي وصفنا أهله قبل هذا الموطن هو اسم أعظم بالنسبة لما في تلك الحضرة من حضرات الأسماء، وبالنسبة للتجليات التي تجلى بها على الداخل لتلك الحضرة، وبهذا ينقدح لك الجواب عن التشعبات الحديثية الواردة في السنن المحمدية في تعيين الاسم الأعظم ما هو، وما أراك إن لم تفقه هذا السر الصمداني إلا بقيت في حيرة إن كانت لك همة عُليا.

**فإنْ شئتَ أنْ تحيَا سعيدًا فمتْ بهِ شهيدًا وإلّا فالغرامُ لهُ أهلُ**

**فإن قلت:** وما الاسم الأعظم الذي استهولت أمره واستصعبت شأنه؟

**قلت:** ذلك الاسم الأكبر الأعظم الأسمى، وهو اسم لو دعا به الفرد المحمدي في أن يصير الجنوب شمالاً أو العكس، أو المشرق مغربًا أو العكس، أو صيرورة الكعبة الشريفة بفأس، وصيرورة الضريح الإدريسي بمكة المكرمة مثلاً لكان له ذلك قبل أن يرتد إليه طرفه، ولو دعا به في أن يفنى أهل الأرض أجمع لصاروا، أو أن يصيروا من ذوي المترفات لسبق ذلك نفسه، ولو دعا به في أن يصير أهل الحجاب كلهم من

أهل القطبية الكبرى لصاروا، أو سلب أهل القطبية الكبرى منها لأجيب، ولو دعا به في أن تقام الساعة الآن لقامت، ولو دعا في أن ينعكس سير الأفلاك في مجاريها لكان.

ألا وإن الذاكر به كأنه ذاكر ربه جلَّ سلطانه بجميع ألسن أهل السماوات والأرضين والأولين والآخرين على اختلاف طبقات الموجودات، ولو فرضنا أن العالم كله غفل عن الله تعالى، وقام هذا الفرد المحمدي، وذكر ربه جلَّ ثناؤه به في ذلك الوقت، وصدرت منه فتوة على أهل الأرض بأن تصدق عليها بثوابه لما عدوا من الغافلين، ولعدوا من أهل الخصوصية الكبرى أجمع لتعلموا أن الله على كل شيء قدير.

**فإن قلت:** وما قوة هذا الاسم؟

**قلت:** لك في ذلك اعتبارات:

**الاعتبار الأول:** إنه في قوة التسعة والتسعين اسمًا وهو تمام الوتر وهو غاية ما يعرفه الناس.

**الاعتبار الثاني:** إنه في هذه التسعة والتسعين اسمًا وتمام المائة، وفي قوة الأسماء المذكورة في التوراة الثلاثمائة، والأسماء المذكورة في الإنجيل الثلاثمائة، والأسماء المذكورة في الزبور الثلاثمائة، وبه تعلم أن الذاكر به هو محل نظره تعالى من الأرض, وهو في مقام الخلافة, وهو كل العالم.

**الاعتبار الثالث:** إنه في قوة تلك الأسماء المذكورة، وفي قوة جميع الأسماء التي عليها الخلق، والأسماء التي تسمى الله سبحانه بها غير ما تقدم، وفي قوة الأسماء التي استأثر بها في علم الغيب عنده.

وكل هذه الاعتبارات قد لا تعطي للذّاكر به اللهم إلا لذلك الخليفة الأكبر، ومن هاهنا تعلم معنى قول الشيخ الأكبر أن للاسم الأعظم حُللاً.

والمعنى أن الاعتبارات التي تعطي للذاكر به حالة الذكر عن كانت قوة التسعة والتسعين اسمًا فهي حلله التي يقال: أعطيت لفلان منه.

وإن كانت الاعتبارات الأسماء الموجودة في التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان؛ فهي حلله أيضًا.

وعلى هذا يكون المراد بكون «الحلاج» أعطى من حلة الاسم خمسة أصابع أنها قوة أسماء لكن يتعين أنها عظمى على حسب ما ذكرناه قبل؛ فافهم.

وقد أعطى الحلاج منها خمسة أصابع، ولذلك لما لم يكمل له التجلي صدر منه ما صدر كما أنه لما لم يؤت التفصيل في التجلي وقع منه ذلك الأمر المعلوم، والله رءوف بالعباد.

ولأجل ذلك لا يقدر العالم به أن يذكره فوق مرة ثم يمكث بعد ذكره له تلك المرة سابحًا في بحار أنواره ونواميس لجج أسراره عدد الاعتبارات التي شاهدها حالة ذكره به إن كانت الاعتبارات الأول فلا يقدر أن يذكره في التسعة والتسعين يومًا إلا مرة، ولو ذكره داخلها لمات حتف أفقه لقوة تجليه، والقوة البشرية لا تطيق استرسال التجلي خصوصًا أمثال هذا التجلي، وانظر كيف كان حال الروح الأمين مع الرسل-عليهم السلام- أن يتمثل لهم حالة الوحي، ولم يكن يظهر لهم في الحلة الجبرائيلية الكبرى.

وإن كانت الاعتبارات الثانية المتقدمة من الألف اسم من الأسماء الإلهية, فكذلك يختلف اعتبار الأيام باعتبار حكم التجلي.

وإن كانت الاعتبارات الثلاثة, فكذلك أيضًا:

وهذا بحر طافس، وليل دامس كما غرقت فيه من سفن، وكم ادعى السبح فيه أقوام والشواهد لا تقر لهم بذلك، ولو دخلوا تحت حضانة أهل التجليات الكبرى لأوصلوهم لما وصلوا إليه ولرشت عليهم رشاشات من فيضان أبحرهم الدفاقة ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة: 119].

ومن هذا كله تعلم أنه لا يعطاه إلا من عرف العلوم والمعارف والحقائق التي عليها انتظم أمر العالم وعرف آداب الملائكة مع ربهم.

ولما كانت العلوم المشترطة هنا في الذي يؤتى الاسم الأعظم تحتاج إلى طول

ويخرجنا ذلك عن المقصود آن لي أن اقتصر على حكاية حدثني بها بعض الإخوان وفيها المقنع.

حدثني بعض الإخوان: بعض الإخوان أخبر أن أبا العباس الخضر υ مريض بالحمى فذهب بعض العارفين لزيارته فلما دخلوا عليه وجدوا الحمى ترعده كأنه النخلة السحوق، فقال لهم: انظروا إلى عظمة هذا الرب الكريم كيف لم تزل أثرات القهر تعاهدني وقد عمرت من الدنيا سبعة آلاف سنة؟ ثم إنه راجت بينهم وبينه مقاولات، ومنها أنهم رأوه يدمن النظر لبعض التلاميذ أكثر من غيره فسأله عن ذلك بعض أهل الإدلال من زواريه بعد أن استصعبت جماعة سؤاله فقال لهم: سلوه يخبركم فاستخبروه، فقال: إني رجل أوتيت الاسم الأعظم، وكانت لي زوج من أجل ذوات الخدود فراودني عن تزويجها بعض الظلمة المرة بعد المرة على أن طلاق المكره يلزمني, فأبيت واستعملت مع سكاسة الأخلاق فلم يرعني ليلة من الليالي، وأنا معها في الفراش إلا وهو عند رأسي مع غلمان متسلحين, فأقاموني واضطجع معها وأنا انظر، والاسم الأعظم يختلج في صدري للدعاء عليه منعني الأدب مع الله تعالى أن ادعو عليه كأن فيه تسخط للمقدور، فسكنت تحت مجاري الأقدار، وكنت من الساجدين، ولما أومأت إليه بيدي قطعوها مني، وهاهي مقطوعة وأخرجها لهم، فعلمت أن ذلك أدبًا مع الله جلَّ سلطانه حتى لا استعمل اسمًا به قوام السماوات والأرضين في الأمور التافهة، هذا محصول الشاهد من القضية.

**قال أبو العباس الخضر:** ولهذا أدمن النظر إليه أكثر من غيره لما له من السبح في فلك الآداب مع الله تعالى في التجليات، فهذا بعض آداب من يتعلمه، ونحن لو كان لنا به أدنى علم لاستجلبنا به الخطوط الدنيوية أو نيل الشهوات أو الظفر بالمناصب التي محصولها.

**نُرقِّــعُ دنيانَــا بتمزيـــقِ ديننَـــا فــلَا دِينَنَـــا يَبقَـــى ولَا مَـــا نرقِّـــعُ**

وأما أهله فليس لهم من المطامح إلا الثناء به على الله تعالى بما هو أهله، وليس ثم قوة تقوم مقامه في القوة ولا اسم، ويكفي هذا القدر من نبأ الاسم الأعظم, فإن له أنباء لا يسعنا ذكرها لمصالح، والله رءوف بالعباد.

**ولـــولَا اللهُ يحفـــظُ عارفيـــهِ لهـــامَ العـــارفونَ بكـــلِّ وادٍ**

وأما الأسماء التفصيلية:

**فالاسم الأول:** الولي فتولاه بالعناية والرعاية، والكلاءات؛ فلم يكله إلى نفسه فأنتج له ذلك الدخول بفلك الولاية، وهي مجران:

**المجرى الأول:** الولاية الكبرى.

**والمجرى الثاني:** الولاية الصغرى.

**فالمجرى الأول:** أن يتولى الله سبحانه عبده بالعكوف على طاعته، ومنابذة أسباب سخطه، وامتثال المأمورات، واجتناب المنهيات, ومجاهدة ضبط الحواس, ومحاولة مراعاة الأنفاس.

**المجرى الثاني:** من فلك الولاية الكبرى, وهي أن يتولاه الله جلَّ أمره بأن يمحو من قلبه كل ما سواه، ويجمعه عليه بحيث لا يرى إلا إياه، فلو حاول الالتفات لغيره لم يجد إلى ذلك سبيلاً، بل لا يتصور ذلك في حقه؛ لأن الالتفات لشيء فرع الشعور به، ولا شعور له بغير مطلوبه ومرغوبه، فأهل الولاية الكبرى قد يحصل هذا لجميعهم، وأهل الولاية الصغرى قد يحصل ذلك لبعضهم لا لجميعهم.

**الاسم الثاني:** وهو من تتمة الأزل الوهاب محل حكم الأزل أن ينضاف إلى العلل عنايته فيك لا لشيء منك، وأين كنت حين واجهتك عنايته وقابلتك رعايته لم يكن في أوله إخلاص أعمال، ولا وجود أحوال، بلى لم يكن هناك إلا محض الإفضال، وعظيم النوال، ولكن لما علم أن العباد يتشوقون إلى ظهور سر العناية قال: ﴿**يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ**﴾ [البقرة:105]، وعلم أنهم لو خلاهم، وذلك لتركوا العمل، فقال: ﴿**إِنَّ رَحْمةَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ المُحْسِنِينَ**﴾ [الأعراف:56]، فقوم أقامهم الحق لخدمته، وقوم اختصهم بمحبته ﴿**كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً**﴾ [الإسراء:20].

**قلت**: وبقى عليه أن قول: وقوم أقامهم الحق لمحبوبيته.

**قلت**: وكل من هؤلاء يقتدرون بما معهم من قوة التجلي على التربية ويختصرون الطريق لمريدهم فلا يطول عليهم الأمد، ومن بورك له في عمره أدرك

في يسير من الزمان من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الإشارة.

**وقال أرباب الحكم أيضًا:** قوم تسبق أنوار الحكماء أقوالهم فحيث صار التنوير صار التعبير، وقالوا: قوم تسبق أنوارهم أذكارهم وهؤلاء أهل الاجتباء كأهل هذه الطائفة الكتانية خلد الله جلَّ أمره مآثرها في الاسم الأعظم، والذاكرين به إلى يوم القيامة، وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم، وهؤلاء أهل الإنابة، وقوم لا أذكار لهم، ولا أنوار وهم أهل الحجاب، وما أرشق قولي ابن عطاء الله في المناجاة: إلهي أنت الغني بذاتك عن أن يصل إليك النفع منك؛ فكيف لا تكون غنيًّا عني؟!

ويلزم من قال: إن المجتبى لا يُربى أن الشاذلية لا يقدرون على التربية مع أن جُل الطرق إليهم تنتهي لأن طريقتهم مبنية على الشكر لا على الصبر، وهي من فروع الاجتباء المذكور في القرآن في قوله تعالى: ﴿**اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ**﴾ [الشورى:13], فذكر الطريقتين وصدر أهل الاجتباء فمنكرها منكر للقرآن، ولكن لم يتصوروا الفرق بين الطريقتين فلذلك أنكروا وجعلوا الطريقتين طريقة واحدة وإلا لو تصوروا الفرق لما وسعهم الإنكار والقرآن يثبتها، ولو تفحصت أحوالهم لما وجدتها دائرة إلا على فروع الاجتباء لا على طريق الإنابة، وهي تنكر وهي حال الإنسان, ولقد صدق من قال:

**قَدْ كنتُ أحسبُ أنَّ وصلكَ يشترَى بنفائسِ الأموالِ والأرباحِ**

**وظننتُ جهلاً أن حبكَ هينٌ تفنَى عليهِ كرائمُ الأرواحِ**
**حتَّى رأيتكَ تجتبِي وتخصُّ منْ تختارهُ بلطائفِ الأمناحِ**
**فعلمتُ أنكَ لاْ تنْالُ بحيلةٍ فلويتُ رأسِي تحتَ طيِّ جناحِ**

وإنما استطردت هذه الكلمات؛ لأن كثيرًا ممن لا يفرق بين الطريقتين، وسمع أهل طريقتنا يقول: إن طريقتهم اجتباء ينكر ذلك، وما درى أنه منكر للقرآن، ومنكر لما ذكره أئمة الطريق من بيان الفرق بينهما، والبيان الشافي الذي أوضحه صاحب الحكم العطائية بينهما يكفي، فإنكارها إنكار لثلثي الحكم العطائية، بل التوصيف الذي وصف ابن عطاء الله طريقة الاجتباء لم يوغل به في طريقة الإنابة؛ لأنه لم يمر عليها

كما تلقاها عن مشيخة طرفة وتنبيه وفائدة وتذكرة وتعليم تبصير.

قال أبو العباس زروق في «القواعد» ما لفظه: تعدد وجوه الحسن يقضي بتعدد وجوه الأحسن، فمن ثم كان لكل فريق طريق فللعامي تصوف حَوته كتب المحاسبي, ومن نحا نحوه، وللفقيه تصوف رامه ابن الحاج في مدخله، وللمحدث تصوف حام حوله ابن العربي في سِراجه[1]، وللعابد تصوف دار عليه الغزالي في مناهجه، وللمتريض تصوف نبَّه عليه القشيري في رسالته، وللناسك تصوف حواه «القوت» و«الإحياء»، وللحكيم تصوف أدخله الحاتمي في كتبه، وللمنطقي تصوف نحا إليه ابن سبعين في تواليفه، وللطبائعي تصوف جاء به البوني في أسراره، وللأصولي تصوف قام به الشاذلي بتحقيقه, فلتعتبر كل بأصله في محله، انتهى.

وهو من الطرق بمكان فيا ليت شعري أمن الأدب ألا يحيط المتكلم بهذه مراتب التصوف، ثم يزن على الناس بما ليس من طريقتهم, فلعل شخصًا تصوفه تصوف الحكماء مثلاً، وصاحب الميزان يزن عليه بتصوف الناسك إن أتقفن لو بابًا منه، أو لعله أصولي وهذا يزن عليه بتصوف العوام، أو لعله تصوف محدث، وهذا يزن عليه بتصوف الفقهاء فاعتبر كلاً بمحله ثم زن.

**فَـاللومُ لـوْمٌ ولـمْ يمـدحْ بـهِ أحـدْ ... وَهـلْ رأيـتَ محبًّـا بـالْغَرَامِ هـجّ**
**قُـلْ للعـدولِ أطلـتَ لـوْمي طامِعًـا ... إنَّ المَـلاَمَ عـن الهـوَى مسـتوقفيِ**
**دَعْ عَنْـك تعنيفِـي وذقْ طعـمَ الهـوَى ... فـإذَا عشـقتَ فبعـدَ ذلـكَ عنفِـي**

ولقد أوضحت الفرق بين الطريقتين في عدة كتب مستقلة فمنها مدارج الإسعاد الروحاني في ثمانية كراريس أو أزيد، وآخر في أربعة كراريس فيه ما يذهل الألباب وغيرها، وإنما أثرت النقل عن الحكم لبيان أن المعترض غفل حتى عن ما بين يديه ولم يحط به خبرًا، أو حقر الناس فرأى أنهم ليسوا أهلاً لذلك المنصب ﴿**إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ**﴾ [البقرة:243]، ﴿**مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ**﴾ [فاطر:2].

---

(1) أي: سراج المريدين لأبي بكر بن العربي المعافري.

**الاسم الثالث:** الرقيب فأورثهم طرفًا من مقام الإحسان، وهو: فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

**الاسم الرابع:** الشهيد.

**الاسم الخامس:** العليم.

**الاسم السادس:** القدوس.

**الاسم السابع:** المؤمن.

**الاسم الثامن:** البارئ.

**الاسم التاسع:** الحكيم.

وذكر ما ينتج كل واحد منها خرجنا عن المقصود, وإن كان المراد من الكتب كلها أن تكون كتب علم ودواوين سر، ومجمع الفرائد، ولقد صدق النقادة ابن عرفة فيما نقله عنه الأبي في شرح الإمام مسلم على حديث: «**إذا مات المرء انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[1].

ومنه حديث ابن عساكر عن أبي سعيد: «**من علم آية من كتاب الله تعالى أو بابًا من العلم أنمى الله سبحانه له أجره إلى يوم القيامة**»[2].

إن التأليف إنما يدخل في الحديث، إذا كانت فيه فائدة، وإلا فهو تخسير للكاغد، قال الأبي: ويعني بالفائدة الزيادة على ما في الكتب السالفة، وإذا لم يشتمل إلا على ما في نقل الكتب؛ فهو تخسير للكاغد، انتهى.

وإن كان أبو العباس أحمد ذكر بابًا في «تحفة الفضلاء» لما نقله قال: وفيه بحث بل قال ابن حزم وغيره: أقسام التأليف سبعة لا يؤلف العاقل إلا في إحداها، إما شيء لم يسبق إليه يخترعه، أو ناقص يضمُه، أو مستغلق يبينه، أو طويل يختصره دون إخلال بمعانيه، أو مفترق يجمعه، أو مختلط يرتبه، أو خطأ يصلحه، انتهى، نقله أبو عبد الله الحضرمي في فهرسته وغيره.

---

(**1**) رواه مسلم (1255/3), وأبو داود (117/3).

(2) ذكره السيوطي في الديباج (228/4).

**قلت:** ورب تأليف يجمع من غرائب النقول التي لا يكاد يطلع عليها في غيره، انتهى كلام السوداني.

وقد يقال**:** لا بحث لن جميع ما ذكروا فوائد زوائد على ما في الكتب السالفة, فلا تخرج عما ذكره الأبي، وقد ذكر المقري في «أزهار الرياض» الأقسام المذكورة منظومة لبعضهم، ولم يحضرني، وقد نظمها الهلالي؛ فقال:

**فِـي سـبعةٍ حصـرُوا مقاصـدَ العقـلا مِـن التـأليفِ فاحفظهَـا تَنَـلْ أمـلَا**
**بـدعُ تمـامُ بيـانٍ لاختصـارِ كفَـى جمّـعْ ورتِّـبْ وأصَلِح يـا أخِـي العمـلَا**

ولعل هذا الكتاب إن شاء الله تعالى يجمع هذه الأسباب وغيرها، ثمَّ إن ما أملاه روح الإملاء في أول الخبيئة إلى هنا لم يكن ذكره بخلدي، وإنما نفث الروح فها هو مجلو لك فانتفع به، واجعله في حماطه جلجانك، وهو في معنى مقدمات لا مقدمة واحدة، لننقلب ولنقول تبصرة: لا يختلج في وهم أن الصلاة الإبراهيمية التي خرجت من بين الشفتين الكريمتين المحمدية لا أفضل منها في الكلام بعد القرآن الحكيم، ولا يمكن أن توازيها صلاة من الصلوات، ولو تفضلها ولا تساويها فيما لها من الخصائص والمزايا والبشائر، وإن كان أغفل مشايخ الطريق ذكر بشائر خاصة لها، وما كان ينبغي ذلك وآثروا عليها غيرها من الصلوات، ولذلك لو أقسم مقسم في أن يصلي بأفضل الصلوات، وصلى بالإبراهيمية النبوية لبر.

وبعد هذا لا يمكن لعالم بالشريعة أن يتفوه في أن فضائل الصلاة على مركز دائرة الأنوار الواردة مقصورة على تلك الصلوات النبوية المتلقاة عنه في عالم الشهادة كما شذَّ، فقال بذلك الإمام ابن العربي المعافري، وخالفه الناس، بل كادت أن تجمع الناس على خلافه، كما يأتيك بل ذلك الفضل عام في الصيغ التي صلى بها قطب الأنبياء والمرسلين والملائكة والمقربين، وإن كانت صادرة من العلماء العاملين ﴿**إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ**﴾ [المؤمنون: 57-59] أي حتى الشرك الخفي الذي هو الرياء بأنواعه والذين يؤتون ما أتوا ﴿**وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ**﴾ [المؤمنون:60, 61] فتقبل وينسحب عليها

ما ورد في ذلك، وكل ذلك ما لم يصرح أربابها أنهم تلقوها عن الحضرة المحمدية شفاها، وإلا انتفى النزاع، وانزاح الترداد، وانقشع غبار الوهم.

هذا عند أهل المشاهدات، بل وعند ابن العربي؛ لأنها نبوية بهذا الاعتبار، والرؤية المحمدية لا افتراء فيه، ومن لم يصل لتلك الرتبة, فينبغي التنزل له، وإقامة الحجة له حتى يفهم بعض فهم ما يشير إليه أهل الله تعالى من الاجتماعات المحمدية، والمشافهات النبوية، والتلقيات الأحمدية.

فليعلم أن من حصل له كمال المحبة الذاتية في الجمال المحمدي، واستهتر بحبه، واستغرق في مشاهدة حسنة، تبتل وانقطع بكليته إليه، فأكثر من استحضاره دائمًا في كل آناته إلى أن تنبسط منه أنوار رحمانية، ومنازلات سبحانية، وصدمات قهرية، وأخذات اجتبائية تأخذه عنه وتستفزه عن عالم المحسوسات، وتبسط له نورًا يمشي له في الناس، فيتغير عليه الحال لا في نفسه، ولا في إدركاته الحسية ولا المعنوية، فتنفتح له كوات إلى ميادين القدس وأبواب إلى حضائر القرب، فإذا استشرف على الوصول لذلك الحي، وأنس من جانب الطور نار الجذابات والخطفات، ورام الدخول، وجد مكتوبًا على ركن صفحات الحضرات لا يمكن دخول مغنانًا إلا من واسطة حبيبنا وخليلنا، ولا يصح شهود جمالنا إلا في محراب محل نظرنا ومحمدنا، كما أن المصلين الصلاة الشرعية لما استفتحوا باب الملكوت بالتحتيات أذن لهم بالدخول في حريم الحي الذي لا يموت فقرت أعينهم بالمناجاة فنبهوا على أن ذلك بواسطة نبي الرحمة وبركة تابعته فالتفتوا فإذا الحبيب في حريم الحبيب حاضر, فأقبلوا عليه قائلين: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله تعالى وبركاته، فلما علم هذا المأخوذ عنه أن الدخول للحضرة لا يمكن ما لم يدخل تحت القباب المحمدية خيم عندها، وأوقف مطمح همته عليها إلى أن قربت روحه من روحه ρ وحصل بينهما التعارف والائتلاف والارتباط والمناسبة، فكان من أولى الناس به ρ كما في حديث: «**إن أولى الناس بي أكثرهم عليَّ صلاة**»[1] أخرجه الترمذي، وابن حبان بلفظ واحد، من حديث سيدنا عبد

(1) رواه الترمذي (354/2), والطبراني في الكبير (17/10).

الله بن مسعود τ، وقال الترمذي: حسن غريب.

وقال ابن حبان: صحيح، وأخرجه أيضًا الإمام أحمد لا سيما ونور هذا الفاني في سيدنا محمد ρ من نوره وطابعه فيه.

**قال أبو عبد الله الساحلي في «بغية السالك»:** إن من أعظم الثمرات، وأجل الفوائد المكتسبات بالصلاة عليه ρ انطباع صورته الكريمة في النفس انطباعًا ثابتًا متأصلاً متصلاً، وذلك بالمداومة على الصلاة على النبي ρ وعلى آله بإخلاص القصد، وتحصيل الشروط والآداب، وتدبر المعاني حتى يتمكن حبه من الباطن تمكنًا صادقًا خالصًا يصل بين نفس الذاكر ونفس النبي ρ، ويؤلف بينهما في محل القرب والصفاء تأليفًا بحسب تمكن حبه من النفس، فالمرء مع من أحب، والحب يوجب الاتباع للمحبوب، والاتباع يؤذن بالوصال، قال الله Y: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقا**﴾ [النساء: 69].

«**والأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**»[1].

ثم قال الشيخ أبو عبد الله الساحلي: فإذا تمكن حب النبي ρ وعلى آله في النفس لم تغب صورته الكريمة عن عين البصيرة لمحة، وهي الرؤية الحقيقية؛ لأن رؤية البصر إنما هي لتأدية حقيقة المبصر إلى عين البصيرة، فيحصل عند البصير الاطلاع على حقيقة ما أداه إليها البصر من المبصرات.

ولا شكَّ أن الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه، وعلى آله وسلم إذا خلص شربها سطعت أنوارها في الباطن فصارت النفس مرآة لصورته صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم, ولا يتغيب عنها، وهو العلم الحقيقي الذي لا شكَّ فيه، وما قرب الذي بعد عن العلم تطرق الظنون، وفرق بين من يرى عن بصره وبين من يرى عن بصيرته، ومع ذلك فرؤية البصر ربما اختلتها الأوهام، ورؤية البصيرة الصائبة لا

(1) رواه البخاري (1213/3), ومسلم (2031/4).

وهم فيها ولا خيال؛ فافهم هذه الإشارة، انتهى.

**قلت:** ولعله يأتيك ما هو أرفع من هذا النفس فارتقبه.

تفرقة بين مراتب الناس في رؤيته ρ حتى تعلم رتبتك بينهم.

**قال الإمام الساحلي:** الناس في انطباع صورته صلى الله تعالى عليه، وعلى آله وسلم الكريمة على طبقات بحسب مشاربهم وأذواقهم في الصدق والحضور.

قال: فمنهم من لا تثبت صورته ρ الكريمة في نفسه إلا بعد تأمل, وتثبت وإعمال فكر، وهذا أضعف القوم لتعلق بعض البقايا الخاصة بهذا المنزل بالنفس، وهذا قليل لرؤيته إياه في النوم، وإن رآه فإنما يراه على غير كمال الرؤية.

ومنهم من تثبت الرؤية للصورة الكريمة في نفسه أحيان ذكره إياه لا سيما في الخلوات عندما يتمحص الفكر في معنى التصفية؛ فإذا أفتر غابت عنه، وهذا أنهض من الأول لكن مع بقية فيه بما تقتضيه منزلته، وهذا يراه في النوم على صورته الكاملة.

ومنهم: من إذا سدَّ عينيه يقظة أو منامًا رآه بعين بصيرته على كل حال وهم أهل النهايات الذين اطمأنت قلوبهم بذكر الله حتى رقت نفوسهم إلى فراديس التقريب فظفروا بمجاورة الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

ومنهم: من هو أعلى درجة منها وهو أن يرى بعين رأسه عيانًا, ومباشرة صورته الكريمة في عالم الحس لا سيما في أوقات الذكر، وذلك أن الأرواح إذا ائتلفت ائتلافًا بليغًا بكثرة الصلاة عليه؛ فإن روحه الكريمة تتشكل بجسده الطاهر حتى ينظره المصلي عليه تارة عيانًا ومباشرة، وتارة إدراكًا بالباطن بحسب قوة ائتلاف الروحين أو ضعفه مع أن رؤية البصيرة أقوى من رؤية البصر؛ انتهى.

قال في «مطالع المسرات»**:** وقف على قوله، فإن روحه الكريمة تتشكل بجسده الطاهر حتى ينظره المصلي عليه, فهو مجمل ما ثبت عن غير واحد من الأولياء من رؤيته ρ يقظة، انتهى.

**قلت**: ولكن لتكن منك وقفة فإن ظاهر كلامه الآخر ينحو لما نقل عن حجة

الإسلام الغزالي وغيره من أن ما يقع من ذلك إنما هو أمر روحاني ومشاهدة قلبية ولا مدخل لعين الرأس في شيء من ذلك، قال: ومن ظن أنه رآه يقظة ببصره, فإنما رآه ببصيرته؛ ولكن خرق نوره من بصيرته إلى بصره فليس عليه، فظن أنه رآه ببصره على قياس ما قاله لسان الوقت وحجة الصوفية الشيخ أبو محمد عبد القادر في مريد ادعى أنه يرى الله جلَّ جلاله بعين رأسه بعد أن استخبره.

**قلت:** وهذا مذهب شرذمة من الصوفية ψ.

ومنهم: أبو المواهب التونسي حسبما في «المنن واليواقيت»، ويأتي الجواب عما استشكله من كونها يقظة بعين الرأس، وهو الذي رجحه ابن زكرى في شرح «همزيته»، ونصه: ثم المرئي في جميع الأحوال، كما قاله بعض المحققين: إنما هو مثال روحه لا حقيقة شخصه أو روحه لأن روحه لا صورة له ولا لون ولا شكل, ورؤيا شخصه باطلة بديهة العقل؛ لأنه قد يراه ألف راء في ليلة واحدة, وفي ألف موضع في صور مختلفة من الطول, والقصر، والشباب، والشيخوخة، والصحة، والسقم، وغير ذلك.

فكيف يتصور شخص واحد في حالة واحدة في هذه الصور المختلفة كلها، وكيف يعتقد أنه خرج من قبره مرتحلاً إلى هذه المواضع كلها في آنٍ واحدٍ، فلم يبق إلا أن رائيه إنما رأى مثال روحه المقدسة وروحه تتشكل بصورة جسده الطاهر وإطلاق رؤيته على رؤية مثاله صحيح لا إشكال فيه، انتهى.

**قلت:** وهو عين آخر كلام الساحلي وكلام الغزالي، وما نقل عن الغزالي في هذا المعنى رأيته مبسوطًا في الخصائص أظنها الوسطى في قوله: المسألة الحادية والأربعون؛ ولكن هذه طريقة وإلا فالذي عليه معظم أهل الكشف، وكذا المحققون من أهل الفروع أنها روح عينية حسية في عالم الشهادة.

ولعل ما نُقل عن أبي حامد الغزالي قاله في «بدايته»: وإلا فالمنقول عنه في كتابه المستفيد أيضًا والمنقذ من الضلال طيف ما عليه المعظم.

وقد ذكره المناوي في «شرح الشمائل» في حزب القائلين باليقظة العيانية، وكذا

العلقمي وأبو زيد في «حواشي الصغرى» تكميل وتعضيد في ذكر من شرفوا بهذه المحاضرات والمشاهدات والمكافحات المحمدية من أهل الاصطفاء الذين أراد الله سبحانه زوال الشقاء عنهم برؤية عروسة المملكة صلى الله عليه، وعلى آله وسلم.

قال العلقمي في «الكوكب المنير في شرح الجامع الصغير» على حديث: «**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة**»[1] ما نصه:

وأما أهل رؤيته ρ في اليقظة؛ فقد نص على إمكانها ووقوعها جماعة من الأئمة منهم: حجة الإسلام الغزالي، والقاضي أبو بكر بن العربي، والشيخ عز الدين بن عبد السلام، وابن أبي جمرة، وابن الحاج، واليافعي عن آخرين، انتهى لفظه.

وقد جلب نصوصهم وغيرهم أعجوبة الدهر الحافظ الأسيوطي في كتابه «تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك» ردًّ به على عصرية السخاوي لما أنكرها.

وقال عبد الرءوف في «شرح الشمائل» ما نصه:

وحُكي عن البارزي واليافعي والجيلي والشاذلي والمرسي وعن ابن وفا والقطب القسطلاني وغيرهم أنهم رأوه يقظة، انتهى.

وقال ابن الملقن في «طبقات الأولياء»[2] في ترجمة الشيخ سيدي علي بن حميد المعروف بابن الصباغ: كان من أكابر صلحاء مصر، وكان له القدم الراسخ في التمكين، وكان يقول: لا منة عليّ لأحد من خلق الله في هذه الطريقة إلا من رسول الله ρ, فكان الأكابر يقولون: أودع ابن الصباغ سرًّا ما أودعناه.

قال في «تعليق الخمائل فيما أغفله شروح الشمائل»، ومثله قال الشيخ مكين الدين الأسمر**:** لا منَّة لأحد علي من فضل الله إلا ما كان من رسول الله ε حكاه في «لطائف المنن»، وقال: قال الكمال الأدفوي في «الطوالع السعيدة»: في ترجمة أبي عبد الله محمد بن يحيى الأسواني نزيل إخميم من أصحاب أبي يحيى بن شافع كان مشهورًا بالصلاح له مكاشفات وأحوال وكرامات كتب عنه ابن دقيق العيد وابن النعمان والقطب القسطلاني، وكان يذكر أنه يرى النبي ε ويجتمع معه.

(1) رواه البخاري (2567/6), ومسلم (1775/4).

(2) في (ص74).

**قال في «تعليق الخمائل»:** وكذلك أخبر الشيخ عبد الغفار بن نوح القوصي في كتاب الوحيد من أصحاب أبي يحيى أبي عبد الله الأسواني نزيل «إخميم»، كان يرى النبي ε في كل ساعة من الساعات حتى لا تكاد ساعة إلا ويخبر بذلك.

**قال في «الوحيد في علم التوحيد»:** وكان الشيخ أبو العباس المرسي له وصلة بالنبي ε, فكان لا يسلم عليه إلا وردَّ عليه السلام حتى كأنه معه ملازم له، وإذا تحدَّث تحدث معه، قال له بعض الأصحاب: صافحني بكفك؛ فإنك صافحت بها الكُبراء، فقال: والله ما صافحت إلا كفّ رسول الله ε.

وصاحب «الوحيد» هذا طالما رأيته ينقل عنه السبكي في «الطبقات الكبرى»، وكذا الحافظ[1] في «الحاوي».

وقال الشيخ صفي الدين ابن أبي منصور في «**رسالته**»، وكذا الشيخ عبد الغفار في «الوحيد» عن الشيخ أبي الحسن الرفاعي[2] قال: أخبرني الشيخ أبو العباس الطنجي, قال: قدمت على الشيخ عبد الرحيم بقنا بإذن الشيخ سيدي أحمد الرفاعي, فلما قدمت عليه، قال: أعرفت رسول الله ε؟ فقلت: لا، فقال لي: اذهب إلى بيت المقدس, فلما وضعت رجلي على عتبة الباب، وإذا بالسماء والأرض والعرش والكرسي مملوءة من رسول الله ε، فرجعت إلى الشيخ، فقال لي: عرفت رسول الله ε؟ قلت: نعم، قال: الآن كملت طريقتك لم تكن الأقطاب أقطابًا والأوتاد أوتادًا إلا بمعرفته ε.

ونقل هذا أيضًا الحافظ الأسيوطي في «تنوير الحلك»: وإنما آثرت النقل عن تعليق الخمائل لغرابته ونحوه في روح المعاني، وليس هو من ينكرها.

**قال في «تعليق الخمائل»:** قال الشيخ صفي الدين في «رسالته»: قال الشيخ أبو العباس الخراز: دخلت على النبي ε فوجدته يكتب مناشير الأولياء بالولاية، وكتب

---

(1) أي الجلال السيوطي.

(2) الذي في رسالة ابن أبي منصور (ابن الصباغ), وفي الوحيد (الونائي), وكلاهما تحت قيد الطبع بتحقيقنا.

لأخي محمد منهم منشورًا، قال: وكانت أحوال الشيخ كبيرة في الولاية، فكان على وجهه نورًا لا يخفى على أحد أنه ولي الله تعالى، فسألت الشيخ عن ذلك؟ فقال لي: نفخ رسول الله ε في وجهه, فأثرت فيه هذا النور.

**قال في العهود:** وقد شاورته ε في اليقظة عن قول بعضهم: إذا سهى الإمام أن يقول في سجوده: سبحان من لا يسهى ولا ينام، فقال رسول الله ε: حسن.

**وذكر في الميزان, والأخلاق المتبولية:** أن أهل الكمال يستمدون منه ε بلا واسطة حتى أنهم يخرجون من حكم التقليد لما يأخذون منه ε نقله في تعليق الخمائل أيضًا، وتعليل هذا وسره ما قاله الشيخ كمال الدين البابرتي الحنفي في شرح المشارق من حديث **«من رآني»:** الاجتماع بالشخصين يقظةً ومنامًا لحصول ما به الاتحاد خمسة أصول كلية الاشتراك في الذات أو في وصفة فصاعدًا، أو في الأفعال، أو في المراتب، وكل ما يتعلق من المناسبة بين الشيئين والأشياء لا تخرج عن هذه الخمسة، وبحسب قوته على ما به الاختلاف وضعفه يكثر الاجتماع به، ويقل وقد يقوى على هذه فتفوق المحبة بحيث يكاد الشخصان لا يفترقان وقد يكون بالعكس، ومن حصل الأصول الخمسة، وثبتت المناسبة بينه وبين أرواح الكمل الماضين اجتمع معهم متى شاء، انتهى, ونقله في «المطالع».

ولما ترجم في «الشقائق النعمانية» في علماء الدولة العثمانية أبا الخير الجزري صاحب «عدة الحصين» قال في ترجمته: إن الشيخ الجزري-رحمة الله تعالى عليه- لما ذهب به الأمير تيمور إلى ما وراء النهر اتخذ الأمير تيمور هناك وليمة عظيمة، وكان السيد الشريف الجرجاني مدرسًا في ذلك الوقت بسمرقند فعين الأمير تيمور جانب يساره للأمراء، وجانب يمينه للعلماء، وقدم في ذلك المجلس الشيخ الجزري على السيد الشريف فقالوا له في ذلك, فقال: كيف لا أقدم رجلاً عارفًا بالكتاب والسنة، ويشاور ما أشكل عليه منهما النبي ε بالذات فيحل له؟ انتهى.

**قال في صدر المنن:** وكان سيدي أبي العباس المرسي-رحمه الله تعالى- يقول: لا يكمل مقام فقير إلا أن صار يجتمع برسول الله ε ويراجعه في أموره، كما يراجع التلميذ شيخه، ولو انبسطنا فيمن نقل عنهم هذا لطال بنا المجال وانفسح المقال, ولكن

الحال كما قال من أجاد:

**توهمــتُ قــدمًا أنَّ ليلَــى تبرقَعــتْ وإنَّ حجابًــا دُونهَــا يَمنــعُ اللثَمــا**
**فلاحــتْ فــلَا واللهِ مَــا ثَــمَّ حاجِــبٌ سِوَى أنَّ طرفِي كانَ عنْ حُسنهَا أعْمَى**

بيد أن يرد في هذا البساط أسئلة تشكل على ما تقدم من قِبل من أنكرها كالحافظ ابن حجر في «الفتح»، والقرطبي, والأموي اليماني أحد فقهاء الشافعية في كتاب «الرؤيا»، وقد نقل ابن حجر في «شرح الشمائل» كلامهم وتعقبه، وبَطل ما ذكروه من الإلزامات, وبيَّن أنه لا يلزم شيء من ذلك.

وكذا أبو الفضل عبد القادر بن مغيزل في «الكواكب الزاهرة في اجتماع الأولياء قاطبة بسيد الدنيا والآخرة»، ولقد أجاد في ذلك كل الإجادة وتطلبها، ونحن نجيب عما أورد هنا من غير ذلك الوادي؛ فَعِهِ.

**السؤال الأول:** أنه يلزم على الرؤية اليقظة خلو القبر الشريف منه مع خروجه منه ومروره في الأسواق ومخالطة العصاة، وهذا التشكيك وردَ من قبل أبي المواهب التونسي حسبما نقله عنه في «اليواقيت» وغيرها، وكذا غيره، وتقدم لك نقله أيضًا عن العلامة ابن زكرى في شرح همزيته.

**وجوابه:** إنه ذهول عن الواقع وخوض فيما لا ذوق فيه للإنسان، وليس من دأب أهل الورع أن يصفوا مسلكًا لم يسلكوه، وغاب عنهم أن الحقيقة المحمدية مالئة للكون كله فلا بُعد في أن يراها المهيأ لهذه الذخيرة ويكشف له عنها بحسب ما يفيضه ε من الحلل فكيفما واجهه وانكشف له وقعت له الرؤيا، وقد قرب المعنى من قال:

**كالشمسِ فِي وسطِ السَّماء ونورَهَا يُغشِــي الــبلادَ مشَــارقًا ومغَاربَــا**

وغاية ما أجاب الهيتمي في «شرح الشمائل»: أنه تقرر أن من كرامات الأولياء خرق الحجب, فلا مانع عقلاً ولا شرعًا, ولا عادة أن الولي البعيد عنه يكرمه الله سبحانه وتعالى بأن لا يجعل بينه وبين الذات الشريفة ساترًا ولا حجابًا، فالزجاج يحكي ما رآه، وهو حي في قبره فلا مانع أن يكرم الله سبحانه الولي بمحادثته, ورؤيته بعين البصيرة، فلا أثر للقرب والبعد في مكانه، انتهى.

**وأما الجواب** عن هذا بإثبات عالم المثال[1], فلا يصح عند من يجعل الرؤية يقظة حسًّا، وإنما يتمشى على مذهب أبي حامد, ومن تبعه وهو مذهب ليس بالواصل

(1) مرتبة عالم المثال، وهي مرتبة وجود الأشياء الكونية المركبة اللطيفة التي لا تقبل التجزئة والتبعيض والخرق والالتئام.

للحي أربابه، وعالم المثال هو عالم متوسط بين عالم الأجساد، وأكشف من عالم الأرواح, وبنوا عليه تجسد الأرواح وظهورها في صور مختلفة من عالم المثال, واستؤنس له بقوله تعالى: ﴿**فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا**﴾ [مريم:17], فتكون الروح الواحدة كروح جبريل υ مثلاً في وقت عن جسم جبريل وظهوره في صورة سيدنا دحية الكلبي, وهو أين كان يذهب جسمه الأول الذي سدَّ الأفق بأجنحته لما تراءى للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في صورته الأصلية عند إتيانه إليه في صورة دحية؟ وقد تكلف بعضهم الجواب عنه بأنه يجوز أن يقال: كان يندمج بعضه في بعض إلى أن يصغر حجمه فيصير بحجم دحية وعلى صورته، ثم يعود ينبسط إلى أن يصير كهيئته الأولى.

وما ذكره الصوفية أوثق وأملح وهو أن يكون جسمه الأول فحاله لم يتغير, وقد أقام له شبحًا آخر وروحه تتصرف فيهما جميعًا في وقت واحد.

وكذلك الأنبياء ولا بعد في ذلك لأنه إذا جاز إحياء الموتى لهم وقلب العصا ثعبانًا وأن يقدرهم الله على خلاف المعتاد في قطع المسافة البعيدة كما بين السماء والأرض في لحظة واحدة فلا يمتنع أن يخصهم بالتصرف في بدنين وأكثر من ذلك، وبه تنحل إشكالات، وتخرج عليه مسائل كثيرة كوصف الجنة بأن عرضها السماوات والأرض، وهي سقف السماوات والأرض وسقفها عرش الرحمن، كيف أريها النبي ε في عرض الحائط حتى تقدم إليها في صلاته ليقتطف منها عنقودًا على ما ورد في الحديث؟

**وجوابه:** أنه ظهور في عالم المثال، وعلى هذا أيضًا خرجت قضية الشيخ عبد القادر الطشطوطي في مبيته عند عدة أناس وحلف كلهم بالطلاق أنه بات عندهم، واستفتى الحافظ في جملة مؤلفات الحاوي وسماه المتجلي في تطور الولي وخرجها على تخاريج ثلاثة، وقال: لا يحنث واحد منهم: وقال: إنها مسألة وقت قديمًا ونص على إمكان ذلك أئمة منهم العلاء القونوي شارح الحاوي, والشيخ تاج الدين السبكي, وكريم الدين الآملي شيخ الحافظ بالصالحية سعيد السعداء، وصفي الدين ابن أبي

منصور، وعبد الغفار بن نوح القوصي صاحب الوحيد والعفيف الشافعي, والشيخ التاج ابن عطاء الله، والسراج بن الملقن، والبرهان الأنباسي، والشيخ عبد الله المنوفي شيخ الشيخ خليل وتلميذه المذكور أيضًا أجاب عنها, وأبو الفضل محمد بن إبراهيم التلمساني المالكي، وقد استقصى نصوصهم الأسيوطي في تطور الولي، وأظن أني رأيت الحلبي في السيرة نبه على هذا التأليف.

**السؤال الثاني:** إنه يلزم على من يدعي الرؤية اليقظة المحمدية رؤية اثنين معًا له في وقت واحد في مكانين؟

**وجوابه:** تعلمه بما تقدم من أنه مالئ للكون أجمع, فلا ورود لهذا التشكيك المدنس بالبعد هذا المرمى، وإن كان غاية ما يدركه العقل ما ذكره الرحالة في رحلته أبو سالم لما تكلم على حضوره ε في مواسم الأولياء ψ مع ما تشتمل عليه من المناكر والبدع ولفظه: «**ولا بدع**»؛ فإن للنبي ε تعلقًا معنويًا ومرافقة روحانية لأمته في سائر شئونهم وتقلباتهم فيهم بما يهتمون به ويفرح بما يفرحون به، ويسوئه ما ساءهم، وكل ذلك رحمة منه لهم وألفة بهم وحنانًا ولا يمنعه ذلك كون بعض شئونهم قد يبسها ويخالطها خلاف المشروع.

فقد كان ε في حياته معهم على هذا الحال وفيهم المسيئ والحسن، والطائع والعاصي، بل المؤمن والمنافق، فيعلم جاهلهم، ويرشد ضالهم، ويرفق بالشرس الأخلاق منهم حتى ينقاد، ولم تحمله إساءتهم ولا عصيان بعضهم، بل نافقه على مفارقتهم والتخلي عنهم إذ لو تخلى عنهم لعوجل المسيئ بالهلاك، وخذل المطيع في طاعته، ولم يبال الله بهم باله.

وكذلك حاله ε مع أمته بعد موته, وقد قال: «**حياتي خيرًا لكم، ومماتي خير لكم...**الحديث»[1], فهو معهم ε في كل أطوارهم، وتقلباتهم بمدده الرباني، وسره الحقاني، يستغفر لمسيئهم ويشفع له، ويشهد لمحسنهم، ويستوهب من الله سبحانه الزيادة، لا يخفى عليه شيء من أحوالهم، ولا يغفل عنهم طرفة عين في كل شئونهم،

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (400/3), والزرقاني في شرحه (97/1).

فلا تستبعد حضوره ε بروحانيته في محافل المسلمين ومواسمهم وحمد اجتماعهم على أي حال كانوا, فلو فارقتهم روحانية الشريفة طرفة عين لضلوا عن سواء الطريق وهوت بهم الضلالة في مكان سحيق، فسبحان من قربه على عباده وجعله برزخًا بينه وبين أهل وداده فما أرأفه بنا من إله إذ جعله رسولاً إلينا ورحمة علينا، نسأله سبحانه ألَّا يخلينا من مدده طرفة عين آمين.

وتفهم من هذا ما يحصل من الاجتماع العظيم في محافل بعض الصالحين واشتماله على بعض المناكر، مع ذلك يحضره الأولياء وأرباب القلوب من الصالحين, فيشاهدوا حصول مدده لكل زائر وسريان سره في سر كل حاضر، وذلك كمولد سيدي أحمد البدوي بمصر، ومولد الإمام الشافعي، وعند سيدي أبي مدين وسيدي أبي يعزي، وسيدي أبي العباس السبتي بأرض المغرب، وعند مولاي عبد السلام بن مشيش يوم المولد النبوي وغير ذلك من الأماكن الشهيرة المنسوبة لكثير من الأولياء شرقًا وغربًا، انتهى المقصود منه.

وآخال أن صاحب نشر المثاني نقله برمته وهو حسن في بابه، وبه تعلم الجواب عن كونه ε يحضر عندنا من الجامعة حضورًا خاصًا في الورد الكريم الكتاني المحمدي حضورًا أرقى مما أشار إليه أبو سالم، قال الله جلَّ جلاله: ﴿**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِياً وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ [الزخرف: 32], واعمل على صقل قلبك تشهد كما شهد أهل البصائر.

**لامُوا علَيَّ صبَّ الدموعِ كأنهمْ — لَا يعرفونَ صبابتِي وولوعِي**
**فأجبتُهمْ وعدُ الخيالِ بزورةٍ — أفلَا أرشُّ طريقَهُ بدموعِي**
**لوْ أنَّ روحِي فِي يدِي ووهبتُهَا — لمبشرٍ بقدومكمْ لمْ أنصفِ**

**السؤال الثالث:** وهو من قبل الحافظ في «الفتح» في كتاب المناقب أنه يلزم لمن يدعي الرؤيا اليقظية أن يكون صحابيًّا، ويلزم منه إلى يوم القيامة.

**وجوابه:** كما في «شرح الشمائل» للمناوي: أن شرط الصحبة الرؤية في الحياة، وهذه خوارق والخوارق لا تنقض لأجلها القواعد الكلية، وأصله للعلقمي في «الكوكب المنير»؛ فإنه قال: أثر كلام الحافظ ما نصه، وأقول: الجواب أن شرط

الصحبة أن يراه وهو في عالم الدنيا وذلك قبل موته، وأما رؤيته بعد الموت وهو في عالم البرزخ فلا تثبت فيها الصحبة، انتهى منه.

**وقال المكي في «المنح»** بعد نحو ما تقدم**:** وإذا كان من رآه بعد موته وقبل دفنه غير صحابي فهؤلاء كذلك بالأولى.

فاندفع قول فتح الباري هذا مشكل جدًا، ولو حمل على ظاهرة كانوا صحابة، انتهى.

**قال في «تنوير الحلك»:** يؤيد ذلك أن الأحاديث وردت بأن جميع أمته عرضوا عليه فرآهم ورأوه ولم تثبت الصحبة للجميع؛ لأنها رؤية في عالم الملكوت فلا تفيد صحبة، انتهى.

**قلت:** ويقول الأسيوطي في «تنوير الحلك»: إن الأحاديث وردت بأن جميع أمته عرضوا عليه يعلم أن عرض الخلق عليه من لدن آدم إلى من بعده صحيح.

**ورأيت في «الخصائص الوسطى» للسيوطي ما نصه:** المسألة الرابعة والأربعون: قال العراقي من أصحابنا في «شرح المهذب»: عرض على رسول الله ε وعلى آله الخلق كلهم من لدن آدم إلى من بعده، كما علّم آدم أسماء كل شيء، هكذا نقله عنه ابن الملقن في خصائصه، ونقله الزركشي عن أبي إسحاق الإسفرائيني في تعلقه وأقره، وذلك يحتاج إلى دليل، انتهى.

والدليل ما ذكره هو في «التنوير» وتقدم لفظه، وأما أهل الكشف فالدليل عندهم على هذه المشاهدات التي تخبر بالأمر على ما هو عليه؛ لأنهم يشاهدون ابتناء الدوائر الوجودية ليس إلا على الأسرار المحمدية، وشرح ذلك يطول، ولعلك يوافيك بعض نبأ عنه إن شاء الله Y، بل قالوا: إن الصلاة المكتوبة في الشباك النبوي ممزوجة به، وهي اللهم صلِّ على سيدنا محمد السر الذاتي الساري سره في جميع الأسماء والصفات وعلى آله وصحبه وسلم تعدل مائة ألف صلاة من غيرها.

وما أنسب كتابة هذه الصلاة بذلك الموطن المعظم، وفيها الإيحاء إلى أن السر المحمدي سارٍ حتى في العوالم الأمرية فضلاً عن العوالم الخلقية.

**السؤال الرابع:** أن ما يراه الأولياء من ذلك إنما هو حال غيبية يظنونه يقظه.

**وجوابه:** ما أشار إليه الشهاب في شرح الشمائل بأن فيه إساءة ظن حيث تشتبه عليهم الرؤية العينية بالرؤية اليقظية، قال: وهذا لا يظن بأرون العقلاء فأحرى بالأكابر، انتهى.

**وليت شعري:** إذا لم يسلم وقوع التلبس لأمثال أهل هذه المقامات فكيف بمن تجاوز عنهم ووصل للمحال المجهولة كيف ينسب إليه التلبس، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقد قال الإمام أبو حامد: إذا وصل سر الولي إلى الفلك الأول أمن عليه من التلبيس والسلب، بل ذكروا أن جميع من حصلت له الاجتماعات اليقظية بالجمال المحمدي أمن عليه من السلب ولا بدع في ذلك زال عن كل مَنْ رأى الشقاء، وأما من أعرضوا واستنكفوا عن متابعته ومأزرته فلم يبصروه، وإنما نظروا إلى يتميته وبشريته فانحجبوا فتكثفوا فبعدوا فتقاعدوا عن اللحوق بالصالحين، كما قال تعالى: ﴿**فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ القَاعِدِينَ**﴾ [التوبة: 46] الآيات البينات.

**السؤال الخامس:** وهو أن عين الرائي فانية وسيدنا ومولانا محمد ε في عالم البقاء فكيف يرى الفاني الباقي؟

**والجواب:** عنه ما نقله في «تنوير الحلك» عن الإمام أبي عبد الله بن الحاج صاحب «المدخل» عن الإمام الجامع بين الظاهر والباطن أبي محمد بن أبي جمرة أن المؤمن إذا مات يرى الله جل سلطانه وهو لا يموت، والواحد منهم يموت في اليوم سبعين مرة، انتهى كلام ابن أبي جمرة، انتهى كلام ابن الحاج، انتهى كلام الأسيوطي.

**غريبة:** استعجم شارح المواهب معنى موت الإنسان سبعين مرة في كل يوم كما قاله صاحب المدخل ولم يقلده في ذلك مع ما علم من وقوف صاحب «المدخل» مع الأمور وكونه يظن أن كل جزئية لم ترج على عهد النبوة فهي رد، ومن هاهنا قيل أن علمه لم ينحصر كيف وقد سلم ذلك المرجاني والأسيوطي وصاحب تعليق الخمائل.

**قلت:** وقد رأيت في «الحاوي»[1] أنه سئل عن معنى كلام ابن الفارض.

(1) أي الحاوي في الفتاوي للسيوطي.

فأجاب: من أراد أن يفهم كلامه فليسهر كسهره وليجع كجوعه يفهم كلامه، ولم يرد على هذا وهو القائل:

عَلّمَ الشوقُ مقلتِي سهرَ الليالِي فصارتْ فِي غيرِ نومٍ تراكَ

وهو القائل:

واسألْ نجومَ الليلِ هلْ زادَ الكرَى جفنِي وكيفَ يزورُ منْ لمْ يعرفِ

وهو القائل:

يامانعِي طيفُ المنامِ ومَانحِى ثوبُ السقامِ بهِ وَوَجْدِىْ الْمتْلِفِ
عطفًا علَى رفقِي ومَا أبقيتَ لِي منْ جِسْمِي المضنِي وقلبِي المدلفِ
ما لي سِوَى رُوحِي وباذلُ نفسهُ فِي حبِّ منْ يهواهُ ليسَ بمسرفِ
فَلَئِنْ رضيتَ بهَا فقدْ اسْعفتنِي يا خيبةَ المسعىْ إذَا لم تسعفِ

**والحاصل** أنه ρ حتى بجسده وروحه وأنه يتصرف ويسير حيث شاء الله تعالى في أقطار الأرض وفي الملكوت وهو بهيئته التي كان عليها لم يتغير منه شيء، وأنه مغيب عن الأبصار كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم، فإذا أراد الله تعالى رفع الحجاب عمن أراد إكرامه برؤيته رآه على هيئته التي هو عليها أي التي كان يراه علينا الصحابة لا مانع من ذلك، ولا داعي إلى التحصيل برؤية المثال، والله شكور حليم، عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم.

فبان لك من التحقيق الذي اطلعنا الله I عليه في هذا الباب أن ما يقع للأكابر- رضوان الله تعالى عليهم- من الرؤية المحمدية رؤية يقظية عيانية جسمانية, وهي أرقى من رؤية الروح، وهو الموعود به عند كلام الساحلي المتقدم، وليست الرؤية روحية، كما قال به قوم ولا في عالم المثال، كما قيل به ولا أن الروح تجسدت بصورة الجسم الكريم, فتوهم الرائي أنها جسمية، والحال أنها روحيه كما قيل به، ولا أن الرؤية عبارة عن يقظة القلب فقط، وهو الذي رأيته في اليواقيت الشعرانية رشحه نقلاً عن مشايخه.

كما قال بهذه المنفيات جمع, وإن كان ما تكلم كل من أهل هذه الأقاويل إلا بما حصل له، أو أخبر به مخبر صدوق وأقدره مولانا سبحانه على التمتع به، وبه لا تبقى لك معارضة في هذه الأقوال.

وأيضًا إذا علمت أن الفتح والكشف من قبيل المشكك يقبل الزيادة والنقصان، والضعف والقوة، وكمال الانكشاف وعدمه لا تستعظم شيئًا من تشعبات إخبارات أهل الكشف أيضًا, فإنك ربما تجدها بعض الأحايين متشعبة أيضًا فتقول: إن الاختلاف إنما ينشأ عن الفكر والتخمين والظنون, أو تعارض الأدلة، أو عدم العثور عليها أولاً، أو عسر الإدراك، أو غموض وجه الدلالة، وأهل الكشف منيف عنهم كل هذا، فإن علومهم باعتبار كلها ضرورية فليست منقسمة عندهم إلى الضروري والنظري, فأعقل هذه الفائدة فإنك تحتاج إليها كثيرًا.

وينبني على ما ذكرناه تفاريع ومنها ما قاله الأصوليون وأهل المصطلح والمحدثون: إن زيادة الثقة مقبولة فلكل عارف فتح جديد ولكل ولي كشف جديد ولا بدع في أن يزيد المتأخر على المتقدم أمرًا لم يعثر عليها لا بالنسبة للعلوم الكشفية ولا بالنسبة للعلوم الضرورية.

ومنها ما قاله الحافظ في «الفتح»، والعيني في «عمدة القارئ» تبعًا للأقدمين: إن مجموع أفعال الصلاة مثلاً لا تؤخذ من حديث المسيئ صلاته مثلاً، بل لا تؤخذ إلا من مجموع ما ورد في الباب وبه تعلم ما في الاستدلال على عدم مشروعية القبض في الصلاة المفروضة بعد ذكره في حديث المسيئ صلاته.

وقد رأيت في «شرح التقريب» و«الحاوي» كلاهما للأسيوطي وغيرهما نقلاً عن ابن معين أنه قال: لو لم يرو لنا الحديث من سبعين وجهًا ما عرفنا له معنى, وهو كلام محقق عارف بالمواطين، هذا ما إن أغفله المتقدمون، وأما إن ذكروه, فلا استدراك ﴿**وَاللهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**﴾ [الأحزاب:4].

هذا وإن ما قدمناه من أن الفضل الوارد في الصلاة النبوية ينسحب على الصيغ غير المحمدية؛ لأنها صلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتعم الصلاة بها ما عم المصلي بالصلوات، وقدمنا أنها إن لم تُسر مني، وهذا أمر كادت الأمة أن تجمع عليه، كما قاله في «مطالع المسرات» بجلاء «دلائل الخيرات»، وقال: قد شذَّ الإمام ابن العربي على عادته فزعم أن مقادير الثواب لا تتلقى إلا عن الشارع ε ولفظه: لا نجزئ بغير لفظ مروي عنه ρ وإلى قوله هذا قال التقي السبكي والجلال السيوطي؛

ولكن انتقد كلامهم جماعة من النقاد، ونص الطالع ووسع غيرهم في ذلك لاختلاف الروايات في الكيفيات المأمور بها وتنويعها واختلاف طرقها بالزيادة والنقص، في ذكر النبوة، والأمية، والعبودية، والرسالة في أوصافه ε وفي ذكر من يصلي عليه من الآل والذرية، والأولاد، ومخالفة ما ورد عن الصحابة والسلف الصالح من ألفاظ الصلاة للكيفيات الواردة عنه وتواطأ المؤلفين المحدثين، والفقهاء وغيرهم على الصلاة عليه في كتبهم بلفظ ε وبلفظ υ ونحو ذلك من الكيفيات المختصة حتى يكاد ذلك أن كون من قبيل الإجماع والتواتر على سعة القول فيها, انتهى لفظه.

وانظر المناوي صدر «شرح الأربعين النووية» لدى قوله: وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف.

وقد رشح هذا المحشي الداهية العلامة الألوسي في «روح المعاني» فقال: ونقل عن جمعٌ من الصحابة ومن بعدهم أن كيفية الصلاة عليه ε لا يوقف فيها مع المنصوص وأن مَن رزقه الله بيانًا فأبان عن المعاني بالألفاظ الفصيحة المباني الصريحة المعاني مما يعرب عن كمال شرفه ε وعظيم حرمته فله ذلك.

واحتج له بما أخرجه عبد الرزاق وعبد ابن حميد وابن ماجه وابن مردويه عن ابن مسعود τ قال: إذا صليتم على النبي ε فأحسنوا الصلاة عليه, فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه، قالوا: فعلمنا، قال: قولوا: اللهم اجعل صلواتك، ورحمتك، وبركاتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين سيدنا محمد عبدك ورسولك، إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة، اللهم ابعثه مقامًا محمودًا يغبطه به الأولون والآخرون، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

وفي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ [الأحزاب:56] فيما أرى إلى مطلوبية تحسين الصلاة عليه ε حيث أتى به كلامًا يصلح أن يكون شطرًا من البحر الكامل فتدبره فإني أظنه نفيس والله ذو الفضل العظيم.

**المقصد في ذكر خواص الصلاة الأنموذجية**

**وما امتازت به عن غيرها من الصلوات**

**منها:** أنها توجب رضوان الله تعالى الأكبر الذي هو أعظم من السماوات والأرضين والجنان، وسائر ما في الكون، والأمن من سخطه الذي هو أفظع من دركات النيران، وسائر أنواع العذاب الدنيوي، والبرزخي، والأخروي؛ ولكن هذه خصيصة خاصة بالخواص من أهل الطريق، أهل الثبات والتمكين وللحجاب الأعظم أن يخص من شاء بما شاء في باب الأحكام فضلاً عن باب الخصائص والفضائل.

**ومنها:** أنها تحث الخطايا حثًّا فلا تبقي منها سرًّا ولا علانية.

**ومنها:** أنها في قوة جميع الصلوات الموجودة, فهي في هذه القوة في مقابلة قوة الاسم الأعظم الذي في قوة جميع الأسماء الإلهية والذاكر به ذاكر بجميعها وليس الذاكر بجميعها كالذاكر به، كذلك المثني بها على الحضرة المحمدية كالمثنى بجميع الصلوات الموجودة والتي لا زالت مكتتمة مدخرة لأهاليها عليه، فالاسم الأعظم في جانب الثناء على الله جلَّ جلاله، وتقدَّس مجده، وتعاظم كبرياؤه، وهذه الصلاة في جانب الثناء على عروسة الأفراح، وممد الأولين والآخرين، الرحمة المهداة، المرسل رحمة للعالمين كذلك.

**وليت شعري:** لم ينص على الصلاة التازية مثلاً، أو الكاملة، أو غيرها من الصلوات في السنن للنسائي، ولا ابن ماجه، ولا لأبي داود، ولا للترمذي، فضلاً عن البخاري، ومسلم ولا في المسانيد الحديثية، فضلاً عن وجدانها في القرآن الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولكن الأمر كما قال بعض الأكابر: قلت: يا رسول الله! إن الناس لا يصدقونني في رؤيتك، فقال: إن من لم يصدقك فيها سلب حلاوة الإيمان.

**ومنها:** أن دورة نوارنيتها تعطي أنها إذا خرجت تتجسم إلى أن تصل لعالم الملكوت فيخلق الله سبحانه من نورانية حروفها ملائكة يستغفرون لصاحبها فيما قصر من أوامر ربه سبحانه إلى يوم التناد، ويخلق من نورانية نقطها ملائكة يستغفرون

لصاحبها فيما قصر من نواهي ربه جل ثناؤه، ويخلق من قوة نورانية أشكالها ملائكة يستغفرون لصاحبها فيما قصر من المشبهات التي بين الحلال والحرام التي لا يعلمها كثير من الناس.

**ومنها:** أن فلكها المحيط القوي يملأ بقوة عنايته ε وعناية ربه جل سلطانه بأمر الصلاة والسلام عليه أدوار أنفاس اليوم، والليلة وهي أربعة وعشرون ألف نفس، فعددها المذكور في الورد يقوم مقام ملأ أدوار أنفاس اليوم والليلة الأربعة والعشرين ألفًا فكان صاحبها لم يغفل الله تعالى في كل نفس وكأنه ممن لا يسأم، ولا يفتر عن عبادة ربه سبحانه يوم يحشر الرحمن تعالى المتقين إليه، وبهذا يكونوا في صف قوم لم يغفلوا عن ربهم سبحانه لحظة إلا أنهم ينبغي لهم إذا أكثروا منها أن ينووا بها عمارة الأيام المتقدمة قبل الدخول للنسبة.

وقد ذكر القوم ψ أن المكلف ينبغي له أن يكثر من الأذكار الجوامع التي تقوم له مقام عبادة الأزمان المتطاولة كالتسبيخ والصلاة على النبي ε وآله والهيللة.

ويا قارئ الأنموذجية أبشر، فقد ذكرت ثم على ما فيك من عوج:

**أصبحتُ في كنفِ الحبيبِ ومَنْ يَكُنْ ... جَارُ الحبيبِ فعيشهُ العيشُ الرغدِ**
**عِشْ في أمانِ اللهِ تحتَ لوائِه ... لاْ خوفَ في هذاْ الجنابِ ولا نكدِ**
**لا تخشى فقدًا فعندكَ بيت مُنَّ ... كلَّ المنَى لكَ مِنْ أياديهِ مددِ**

وبعد هذا كله عثرت على نص شارح الدليل, فأردت أن أثبته ولفظه: قال الحطاب: أغرب القاضي أبو بكر بن العربي في العارضة؛ فقال: الذي اعتقده أن قول النبي ρ: «**من صلى عليَّ صلاة، صلى الله تعالى عليه بها عشرًا**»[(1)] ليست لمن قال: كان رسول الله ε، وإنما هي لمن صلى عليه وسلم عليه كما علم مما نصصناه, انتهى.

وقد ذكر السخاوي في الخاتمة منامات كثيرة تدل على حصول الثواب الكثير في اللفظ المذكور، والله تعالى أعلم انتهى.

**وفي «شرح الوغليسية»** للشيخ زروق قال ابن العربي: ولا تجزئ بغير لفظ

---

**(1)** رواه مسلم (288/1)، وابن حبان (183/3).

مروي عنه υ, انتهى.

ونحو ما لابن العربي نحا الشيخ التقي السبكي, فقال: إن أحسن ما يُصلي به على النبي ε هي الكيفية الواردة في التشهد عنه ε فمن أتى بها فقد صلى عليه ε وكان له من الجزاء الوارد في أحاديث الصلاة عليه بيقين وكل من جاء بلفظ غيرها, فهو في شكٍّ من إتيانه بالصلاة المطلوبة لأنهم قالوا: كيف نصلي عليك؟ فقال: قولوا اللهم صلى فجعل الصلاة عليه منهم هي قول ذا, انتهى.

وقد استحب النووي وغيره أن يلتزم في الدعوات والأذكار ما ورد عنه ε، قال النووي: وكذلك الصلاة على النبي ε على طريق الأولى والأفضل انتهى.

**قال شارح الدليل:** ووسع غيرهم في ذلك لاختلاف الروايات في الكيفية المأمور بها وتنويعها، واختلاف طرقها بالزيادة والنقص في ذكر النبوة، والأمية، والعبودية، والرسالة في أوصافه ε وفي ذكر من يصلي عليه من الآل، والذرية، والأولاد، ومخالفة ما ورد عن الصحابة، والسلف الصالح من ألفاظ الصلاة للكيفيات الواردة عنه ε, وتواطؤ المؤلفين من المحدثين، والفقهاء، وغيرهم على الصلاة عليه في كتبهم بلفظ صلى الله تعالى عليه وسلم، ولفظ عليه السلام، ونحو ذلك من الكيفيات المختصرة، حتى يكاد ذلك أن يكون من قبيل الإجماع والتواتر على سعة القول فيها انتهى لفظه.

فانظر كيف عبر الحطاب عن ما ذهب إليه ابن العربي، والسبكي، والنووي بقوله: (أغرب) فكان المتداول الملحق بالضروريات هو عدم هذا الحصر بدليل الدلائل الثلاث التي ذكرها شارح الدليل من اختلاف الروايات عن الشارع في الكيفيات ولا يمكن في الجملة الإتيان بجميع تلك الكيفيات في كيفية واحدة حتى يكون المصلي ممتثلاً، ومن انبسط ذهنه فيما ورد في المأثور في الباب واطلع على اختلاف الروايات علم أنه لا يمكن ذلك، بل كان الشارع يدل كل سائل على ما هو الأوفق لقابليته والأسرع له فتحًا لا غير, فهذا من أسباب اختلاف الكيفيات.

ومن مخالفة ما ورد عن الصحابة والتابعين من عدم التقيد باللفظ الوارد، ومن مخالفة ما تواطأ عليه المؤلفون من المحدثين، والفقهاء حتى كاد أن يلتحق بالإجماعيات من كونهم لا يلتزمون ذلك اللفظ بعينه، ولو التزمنا مقالة ابن العربي,

ومن تبعه لما كان المصلي بالأربعة آلاف صيغة من الصيغ الموجودة في الدنيا على ما قال صاحب «روح البيان» وإلا فهي أكثر مصليًّا على سيدنا محمد ρ، ولكان محرومًا من هذا الفضل الكبير، ولكان من شرحها من الأقدمين إنما أقدمَ على العبث، وأيضًا كيف يقول أهل الصدق أنه ε لقنهم هذه الصلاة الفلانية لا بعينها مثلاً.

ونحن لما لم نجد في الكتب الستة مثلاً تنكرها، فيلزم من يقول بذلك ألا يصلي بالصلوات الموجودة ولا يقدر أحد أن يلتزمه على ما فيه من خرق إجماع الفضلاء، وأهل الخشية، بل ظاهر كلام الحافظ السخاوي فيما نقله الحطاب, وأقره أن ذلك يؤخذ من المنامات وإن ترتب عليه الثواب فهو تصريح منهما في أن الأحكام تتلفق من المنامات، فضلاً عن غيرها، وقد رشح هذا المعنى الشاطبي في «الموافقات», فاطلبه ونبه عليه الإمام في سنن المهتدين.

ولما اختلفوا في أفضل الكيفيات التي يُصلى بها على النبي ε على أقوال كثيرة:

**قال الشيخ مجد الدين الشيرازي:** ذلك كله دليل على أن الأمر فيه سعة من الزيادة، والنقص، والأفضل، والأكمل ما علمناه صلى الله عليه وعلى آله وسلم, ولا حول ولا قوة إلا بالله وهو المستعان وصلي الله على سيدنا محمد في الأولين، وصلي على سيدنا محمد في الآخرين، وصلي على سيدنا محمد إلى ما لا يتناهى آمين.

**أما بعد..** فلننقلب ولنذكر جملة من فوائد الصلاة على أبي الأنوار، كهف الإيواء الذي من أوى إليه ينشر له ربه من رحماته وبدر عليه بركاته، فإذا أراد القبول منه قيل له: ﴿**اهْبِطْ بِسَلامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ**﴾ [هود:48] ويهيئ له من أمره مرفقًا، وإنما أعدنا ذكر ثمراتها وفوائدها عمومًا بعد ذكرنا لها خصوصًا زيادة تشويق علّ الله جل أمره أن يرزقك محبته الخالصة، ويصير ديدنك، وفي أكثر أوقاتك الاشتغال بالصلاة على مركز دائرة الأنوار ε، وتصير تهدي كل ثواب عملته في صحيفة حضرة رسول الله، كما أشار إليه خبر كعب بن عجرة: «**إني أجعل لك صلاتي كلها**- أي: أجعل لك ثواب جميع أعمالي- فقال له النبي ε: **إذن يكفيك الله تعالى همَّ**

**دنياك وآخرتك»**[1].

فإن النبي ε سترق جميع أمته بما أسدى على يديه من النعماء والآلاء، بل استرق الأمم المتقدمة لأنه الرسول الاستقلالي ونبي الأنبياء، وما من نبي ولا رسول منهم إلا وكان يُبعث بجزئيات، وكليات من شرعته العامة، ثم تبطن تلك الورقات التي هي من ألواح المحو وتظهر ورقات أخرى هي من ألواح الإثبات إذا أمر رسول آخر بالدعوة ولم تزل الورقات والألواح تبدوا وتبطن إلى أن استدار فلك البطون واستدار الزمان فرجعت جهة الزمان التي كانت غيبية جهة شهادية، فكان لهذا الخليفة عن الله سبحانه الحظ الأوفر من التخلق بالاسم الباطن، والظاهر، فتشرفت بأثرات بركات سيدنا محمد إمكنات الدهر وأزمنته، وعوالي الكون وسفليته وهو من أثرات صلاة الله جل مجده وتعالى أمره عليه صلى الله عليه وآله وسلم، وأثرات صلاة ملائكته -عليهم السلام- عليه, فلازالوا يصلون عليه.

وهو قد وصل الله جل ثناؤه حبله بحبال أهل المملكة العليا والسفلى، وجعل ألوية مجادته تخفق على من له في الرئاسة العراقة، وأغرق كل كبار أهل حضرته ما بأبحره الفياضة في الأزمان على حسب الشواكل والقابليات، إلى أن كان أقرب الأنبياء والرسل من ربهم جل جلاله أمسهم بالقرب من حبيبه وخليله وصفيه.

وانظر كيف لما أراد الله جل سلطانه إعلاء كعب سيدنا إبراهيم الخليل υ بأن يوصله إلى مقام الخلة التي هي فوق مقام المحبة بمراحل أنطقه أن قال: ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ**﴾ [البقرة: 129] فتسبب في إدرات رحمات خاصة على دوائر الموجودات، فبعث هذا النبي الكريم العظيم الذي هو قلب الأكوان، والأكوان له [......][2] لجلالته مشتملة على سعادته وكلاءته.

والحال أن الخليل يعلم أن هذه الحقيقة المحمدية هي في أبحر العنايات تسبح إذ ذاك وفي أقدسية الحضائر والمنازلات تمرح إلا أنها اكتنفت أنوارها الأفلاك، ضرورة

(1) رواه الترمذي (636/4), وعبد بن حميد في مسنده (89/1) بنحوه.

(2) بياض في الأصل.

أنها أول صادر من الحضرة العظموتية، وأول موجد وحد ربه بالألسن الشهادية، والألسن الغيبية، وإنما أدلى سيدنا إبراهيم هذا الإدلاء وهو يعلم ما قلناه لما كوشف به من حبة الرب العظيم تعالى جده لمن يسعد في استدار البركات الإلهية لهذا الجمال المكنوز، واستنزال الرحمات الوسعية لهذا اعلم المفرد المبروز، فأدلى بهذا الدلو، وتقرب هذا القرب بهذا الخطاب الحلو، ويدلك لهذا ما في الصحيحين من حديث الشفاعة إذ تعرض عليه فيقول: «**إنما كنت خليلاً من وراء، وراء**»[1].

وانظر أيضًا كيف كافأه سيدنا ε على هذه الدعوة إذ أبقى له لسان صدق في الآخرين فتسبب في إحياء ذكره من بعده فاستجاب الله سبحانه دعوته في قوله: ﴿**وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ**﴾ [الشعراء: 84] في صورة قول المبين عن الله I: **[اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد]** [2], فلم يكن القصد من هذا الكلام التشبيه وإنما القصد الأصيل منه ما أشرنا إليه من المكافآت والمجازات لا غير فلا ملاحظة هنا للتشبيه أصلاً، وإنما المقصود المكافآت كما في قوله υ: «**استوصوا بالقبط خيرًا فإن لهم فينا نسبًا وصهرًا**»[3].

أما الصهرية فمن جهة مارية القبطية لما أهداها المقوقس مع بغلته الشهباء وحاريتين في عام مراسلته υ للملوك.

وقد أولدها مولانا رسول الله ε سيدنا إبراهيم فراعى لها ولهم حكم الصهرية، وأما النسب فمن جهة الجارية [..... ذلك ...][4] هاجر زوج سيدنا إبراهيم وهي سارة فأمكنت منها سيدنا إبراهيم فأولدها سيدنا إسماعيل وهو جد سيدنا ومولانا رسول الله فهذا معنى «**فإن لهم فينا نسبًا وصهرًا**».

فانظر هذا العقل المحمدي، وما فيه من مقابلة الأحسن بالأحسن، والحسن

---

(1) رواه مسلم (187/1), والحاكم في المستدرك (631/4).

(2) رواه مسلم (305/1).

(3) رواه البخاري في التاريخ الكبير (309/5), والطبراني في الكبير (61/19) بنحوه.

(4) بياض في الأصل.

والأحسن بالمكافأة، قوله: «**كما صليت على سيدنا إبراهيم**»[1], فما هو إلا في مقابلة **﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾** [البقرة:129].

فهذا الذي نرتضيه نحن في المقام في وجه التشبيه، وأما ما أطالوا به فخروج عن الملحظ النبوي فاحفظه، وأعرف للقرافي كلامًا في كاف التشبيه نقله عن شيخه ابن عبد السلام واختار هو خلافه وزاد ابن الشاط سر آخر وأطال الحافظ في الفتح كالعيني، والحافظ الشوكاني في ذلك، وأما أهل الكتب المختصرة, فكثيرون بل ما ذكرته أحسن مما ذكره في «الفتوحات المكية» وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فهذا وأمثاله كله من صلاة الله تعالى عليه، وملائكته وعلى هذا لا تختص الصلاة على سيدنا ε بهذه الأمة، بل الكل كان يصلي عليه بهذا المعنى إلا أن المخصوص بهذه الأمة لعله هذا التضعيف الوارد، ولو انبسطنا فيما تقتضيه الحقائق هنا لأبرزنا من البحر الجواهر والدرر وأسفرنا عن نكت تستعظم وتستعجم ولكن الاختصار محبوب.

**فمن فوائد** الصلاة والتسليم على سيدنا محمد ε وهو أهمها: صلاة الله وسلامه وملائكته ورسله على من صلى وسلم عليه، ولعمري أن هذا الجزاء عظيم.

**قال ابن شافع:** انبسط جاهه ε حتى بلغ المصلي عليه لهذا الأمر العظيم، وإلا فمتى يحصل لك أن يصلي الله تعالى عليك، فلو عملت في عمرك كل طاعة، ثم صلى الله تعالى عليك صلاة واحدة رجحت تلك الصلاة الواحدة على ما عملت في عمرك كله على جميع الطاعات لأنك تصلي على حسب وسعك وهو يصلي على حسب ربوبيته هذا إذا كانت صلاة واحدة فكيف إذا صلى عليك عشرة بكل صلاة؟

**وهاهنا سؤال:** وهو أن كثيرًا من المصلين يكثرون الصلاة, وقد تكون لهم أعداد في اليوم والليلة ومع ذلك تعترضهم هموم دنيوية، ودينية وتطرقهم غموم يعثر عليهم المخرج منها، وقد لا يحصل لهم الصبر والرضا ما تحصل به الحياة الطيبة، والزوج

---

(1) تقدم تخريجه بنحوه.

والراحة، بحيث أنهم يتضررون بالفاقة، ويشتكون من قلة ذات اليد وتضيق صدورهم من آلام الأمراض، ويتلصص عليهم الظلمة، ويحارون من ذلكم، ولا يجدون عنه مناصًا.

**وجوابه:** أن الناس معادن فهم مختلفون في الاستعدادات والقلوب والألسن.

فمنهم كثير التخليط ببعض الصغائر والكبائر, وتضييع شيء من الواجبات كقلة أعداد صلاته وعدم حضور قلبه فيها فيكثر استحقاقه للمصائب؛ لكثرة ما تكسب يداه فتنفعه الصلاة على سيدنا محمد ε في التخفيف والتسهيل، وانصباب الألطاف بحيث لو لم يكن من المصلين لأصابه ما لا طاقة له به، ولهذا لا تجد الدءوب على الصلاة على أبي الأنوار إلا ملطوفًا به أكثر من غيره، وإذا فحصت أفراد المصلين وقستهم بغيرهم وجدت ذلك عيانًا فبعد أن تحل بهم النكبات تتلاشى وتنحل، والمصلون أنفسهم إذا نظروا لما يرتكبوه من الجرائم وما يكسبونه منا لعظائم تيقنوا أن ما يدفع عنهم أكثر مما يصيبهم، وأن ما يحصل لهم من المنن والمنح والألطاف أكثر مما يحصل لغيرهم.

**قال القاضي أبو عبد الله الدكالي:** اعلم أن الصلاة من الله سبحانه رحمة، ومن رحمه الله تعالى رحمة واحدة فهو خير له من الدنيا بما فيها، فما ظنك بعشر رحمات كم يدفع الله بها من البلايا وضغطات الدهر وكيد أهل الكيد ويستجلب ببره من لطائف المنن، وأيضًا فالمصلون عليه ε عند نزول البلايا وحلول المثلات بهم، وإن ضاقت صدورهم، وبلغ السيل الزُّبى لا يعدمون من الرجوع إلى الله تعالى والتعلق به والهروع إليه، والتوكل عليه، والالتجاء إليه، والاستعانة به مما يخفف عنهم ذلك الألم، ويقلب لهم المحن منحًا، أو يلهمهم صحبة عارف كامل واصل عارف بالمواطن وأسرار التشريع، وإلهامهم صحبته هو أكسير السعادات ونيل الأماني والمراغب؛ لأنه يطلعهم على أسرار الشريعة بما أتاه الله سبحانه من البيان والكشف، حتى كأنهم عاينوا وشاهدوا الوحي وقت نزوله، ولذلك ما تبغ عالم ولا رئيس، بل ولا صاحب صناعة في صناعته إلا فالركون لأحد من أهل الله تعالى, ومن غدا مضافًا لأرباب الصدور تصدر.

قال ابن زكرى في شرح همزيته: فقول ابن عطاء الله من صلى عليه الله صلاة

واحدة كفاه الله تعالى هم الدنيا والآخرة لابدَّ فيه من التأويل, بمعنى خفف عنه ذلك إذ هو الشامل المطرد.

**فإن قلت:** هل لا تقصيت عن هذا الإشكال بتخصيص صلاة الله تعالى على المصلي عليه ε بأهل الحضور المرتقين عن مقام التخليط، وهم المخلصون الذين تقبل أعمالهم.

**قلنا**: لا سبيل لذلك لما فيه من تحجير الواسع، ومخالفة إطلاق الروايات، وعدم مناسبة سعة الفضل وعظمة الجناب، وقد رأى أبو المواهب التونسي مولانا رسول الله ε فقال: يا رسول الله ما تقول في صلاة الله سبحانه عشرًا على من صلى عليه مرة واحدة، هل يشترط فيه حضور القلب؟ فقال ε: «**هو لكل من صلى عليَّ ولو غافلاً، ويعطيه الله تعالى ثقل أمثال الجبال من الملائكة بعدد حروف تلك الصلاة كل ملك يصلي عليه ويستغفر له، وأما إذا كان حاضر القلب, فلا يعلم ذلك إلا الله تعالى**».

وطالما يختلج بوهمي أن من الأسباب القوية الفعالة في العالم التي أوجبت هذه الألطاف الخفية المتجلية في الوجود مع أن جلَّ أشراط الساعة الصغرى قد ظهرت منذ أزمان، وقد ملأت دخاخين المعاصي أبراج الوجود والجو، حتى أن النجوم الثواقب لم تبق على ثاقبيتها لما أن دخاخين المعاصي قد سدت الأفق كثرة الصلاة على النبي ε في الوجود فلا تجد حومة إلا أكثرها من أهل الدءوب على الصلاة على محل نظره تعالى من الخلق، فكان ذلك من أسباب عموم الرحمات وشمولها وانبساطها وأدرارها وحلولها, فافهم وإلا إذا انبسط ذهني في قوله تعالى: ﴿**ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [الروم:41] لاستغرب.

كذلك جلَّ الفواكه تأتي شيصًا أي: غير صالحة، وخصوصًا الخزبز بنوعيه، ولكن إن أفلاك الرحمات المدرارة على طبقات الوجود ممسوكة به ε وعلى آله وما والاه، وما قرب منه، ومن ذلك الصلاة والسلام عليه وتأمل قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً**﴾ [الأحزاب:43], فكاد أن يمحي الفساد الظاهر في البر، والبحر بأنوار الصلاة على نور الحق وسراج العوالم مولانا محمد، ويلوح لي أيضًا أن العالم بهذا الاعتبار وغيره

مبني بتسعة وتسعين لبنة من لبنات الرحمة والموفي مائة لبنة الغضب، ولو انبسطت في هذا الموضوع ما استعظمت ذلك.

ومن البديهات أن دعوة الولي الكامل تصل للألف من ذرية المدعو له أو عليه, فكيف بدعوة الأكابر، فكيف بدعوة الصحابة الكرام، فكيف بدعوة الأنبياء-عليهم السلام-,فكيف بعناية الرسل-عليهم الصلاة والسلام- فكيف بعناية أولي العزم من الرسل بشخص، فكيف بدعوة سيدهم وممدهم ومحراب مشاهدتم مولانا محمد ε، فكيف بعنايته رب الأرباب وإله العالمين بشخص، فاعرفوا إخواني مقدار الصلاة على حبيب الله وصفيه ومصطفاه، واذكروها بقلوب سالمة، وألسنة ظاهرة، واصغوا إليها بأذن واعية، واستنشقوا روايحها بأنف سامية واستحضروا عظمة المصلي عليه حالة الصلاة، فإن ذلك الاستحضار هو روح سائر الأعمال لما أن المقصود من المؤمن كله تعظيم الله تعالى، وتعظيم رسوله ε.

**ومن فوائد الصلاة على مراكز دائرة الأنوار**: تكفير الخطايا ورفع درجات وتزكية الأعمال ومنها: مغفرة الذنوب واستغفار الصلاة عليه لقائلها.

أخرج ابن أبي حاتم في كتاب الصلاة عن أبي منصور عن أبي معاذ عن أبي كاهل قال: قال لي رسول الله ε: «**من صلى عليَّ كل يوم ثلاث مرات حبًّا، أو تقربًّا إليَّ كان حقًّا على الله أن يغفر له ذنوبه تلك الليلة، أو ذلك اليوم**»[1].

وانظر قوله: «**حبًّا أو تقربًّا إليَّ**», فإنه لا يجامع المخلط في أموره نظير ما في حديث: «**التائب من الذنب وهو مُصر عليه كالمستهزئ بربه**»[2] وهو بعض حديث أخرجه البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس-رضي الله تعالى عنهما- وأخرج أحمد وأبو داود: «**إن الله Y لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم**»[3].

وأخرج البيهقي عن ابن عمر –رضي الله عنهما-: «**الطائع معلق بقائمة العرش, فإذا انتهكت الحرمة وعمل بالمعاصي واجترئ على الله تعالى بعث الله**

---

(1) ذكره المنذري في الترغيب (132/4).

(2) رواه الديلمي في الفردوس (77/2) بنحوه.

(3) رواه أبو داود (125/4), وأحمد (260/4).

**سبحانه الطابع فيطبع على قلبه فلا يعقل بعد ذلك شيئًا»**[1], وأخرجه البزار أيضًا.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» عن محمد بن نصر الحارثي مرسلاً: **«وليخش أحدكم أن يؤخذ عند أدنى ذنوبه في نفسه»**[2].

وأخرج أبو نعيم عن مولاتنا عائشة- رضي الله تعالى عنها وعن أهل بيتها: **«من أحب أن يسبق الدائب المجتهد فليكف عن الذنوب»**[3].

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس-رضي الله تعالى عنهما-: **«من أذنب ذنبًا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي»**[4].

وأخرج الحاكم عن سيدنا جابر τ: **«من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله سبحانه الإنابة»**[5].

وأخرج الإمام أحمد والطبراني والبيهقي والضياء عن سهل بن سعد: **«إياكم ومحقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد، فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه»**[6].

وأخرج الحاكم والبيهقي عن سيدنا أبي الدرداء: **«إن أمامكم عقبة كئود لا يجوزها المثقلون»**[7].

وأخرج الضياء عن سيدنا أنس τ: **«إياك وما يعتذر منه»**[8].

وأخرج البيهقي عن مسروق مرسلاً: **«حقيق بالمرء أن يكون له مجالس يخلو**

(1) رواه البيهقي في الشعب (443/5), والديلمي في الفردوس (463/2).

(2) رواه أبو نعيم في الحلية (224/8), وذكره المناوي في فيض القدير (351/5).

(3) روه الديلمي في الفردوس (537/3), والبيهقي في الشعب (267/5).

(4) رواه البيهقي في الشعب (429/5), وأبو نعيم في الحلية (96/4).

(5) رواه أحمد في الزهد (120/1), وابن أبي شيبة في المصنف (90/7).

(6) رواه أحمد (331/5).

(7) رواه الحاكم في المستدرك (226/1), وابن عدي في الكامل (276/6) .

(8) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (232/7), والطبراني في الكبير (142/1).

**فيها ويذكر ذنوبه فيستغفر الله سبحانه منها»**[1].

وأخرج الديلمي في «مسند الفردوس» عن سيدنا علي- كرم الله وجهه: «**كفى بالمرء نصرًا أن ينظر إلى عدوه في معاصي الله Y»**[2].

سبحانك لا إله إلا أنت يا ذا الجلال والإكرام، اللهم إنك رب عظيم لا يسعك شيء مما خلقت وأنت ترى ولا تُرى، وأنت بالمنظر الأعلى، وإن لك الآخرة والأولى، ولك الممات والمحيا، وإن إليك المنتهى والرجعى، نعوذ بك أن نذل ونخزى، اللهم إنك سألتنا من أنفسنا ما لا نملكه، إلا بك فأعطنا منها ما يرضيك عنا يا حي يا قيوم برحمتك نستغيث، فلا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين وأصلح لنا شأننا كله، يا من أظهر الجميل وستر القبيح، يا من لا يؤاخذ بالجريرة ولا يهتك الستر يا عظيم العفو، يا حسن التجاوز، يا واسع المغفرة، يا باسط اليدين بالرحمة، يا صاحب كل نجوى، ويا منتهى كل شكوى، يا كريم الصفح، يا عظيم المنَّ، يا مبدئ بالنعم قبل استحقاقها، يا ربنا ويا سيدنا ويا مولانا ويا غاية رغبتنا، أسألك يا الله أن لا تخرجنا عن دوائر الألطاف، وأن تقيني شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته يا أرحم الراحمين.

**ومنها:** كتابة قيراط من الأجر مثل جبل أحد، والكيل بالمكيال الأوفى.

**ومنها:** كفاية أمر الدنيا والآخرة لمن جعل صلاته كلها عليه.

**ومنها:** محو الخطايا وفضَّلها على عتق الرقاب.

**ومنها**: النجاة من سائر الأهوال وشهادة رسول الله ε بها يوم القيامة ووجوب الشفاعة.

وروى الطبراني مرفوعًا: «**من قال: اللَّهُمَّ صلِّ على سيدنا محمد, وأنزلْه المقعدَ المقرَّبَ عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي»**[3].

---

(1) رواه الدارمي في السنن (104/1), وهناد في الزهد (580/2).

(2) ذكره المناوي في فيض القدير (5/5), والعجلوني في كشف الخفا (148/2).

(3) رواه أحمد (108/4), والبزار في مسنده (299/6).

**ومنها:** الدخول تحت ظل العرش.

**ومنها**: رجحان الميزان في الآخرة وورود الحوض والأمان من العطش، بل تغني عن الماء في هذا العالم، كما جرب ذلك ولكن بشرط أن لا يكون في الصلاة الاسم المفرد فإن له حرارة معنوية تكافئ نور الصلاة، بل تبطنها كأن تقول: الصلاة على سيدنا محمد وعلى آله.

**ومنها:** العتق من النار والجواز على الصراط كالبرق الخاطف، ورؤية المقعد المقرب من الجنة قبل الموت.

**ومنها:** رجحانها على أكثر من عشرين غزوة بل من أكثر.

**ومنها**: أن المال ينمو ببركتها.

**ومنها:** أنها عبادة وأحب الأعمال إلى الله تعالى ولذلك لم يرد في شيء من التكاليف أن جزاءها صلاة الله تعالى وملائكته على فاعلها، بل غاية ما يعد به عشر حسنات أو سبعمائة، والله يضاعف لمن يشاء.

وأما هذا الجزاء العظيم الوارد في فضل الصلاة على روح الأرواح وسر الأسرار، فلم يرد إلا في هذه العبادة العظيمة، ولهذا كان هذا التشريف المحمدي في قوله: ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ [الأحزاب: 56] أتم وأعم من تشريف آدم υ بأمر الملائكة بالسجود له؛ لأنه لا يجوز أن يكون الله تعالى من الملائكة في ذلك التشريف فتشريف يصدر عنه أبلغ من تشريف تختص به الملائكة.

**قلت:** وبه تعلم الجواب عما يقال إن كل كرامة ومعجزة أعطيت لرئيس في العالم فلابد أن تعطي ظاهرًا للحقيقة المحمدية، وأين مثل سجود الملائكة-عليهم السلام- للحضرة المحمدية وثبوته في المتواتر كما يثبت لأصل الشجرة الإنسانية؟

**والجواب:** إن صلاة الله تعالى عليه وسلم أعظم من ذلك التخصيص؛ لأنه لا يجوز أن يكون الله جل أمره مع الملائكة في ذلك التخصيص بخلاف هذا، على أن سجود الملائكة اقتضاه الحال إذ ذاك ولم يدم، وهذه الصلاة المأمورون بها عليه منوطة بالدوام فلا تنقطع، وأين ذا من ذاك، واعتبر بإيثار الحق جل ثناؤه التعبير

بالفعل المضارع المؤذن بإفادة الاستمرار التجدد في قوله ﴿**يُصَلُّونَ**﴾.

**قلت:** ويؤخذ بطريق أخفى من نسيم الأسحار أن الملائكة المرادون للحق سبحانه هنا المرشحون لهذه الخصيصة العظمى ربما ينسحب عليهم ذيل الاستثناء في قوله: ﴿**فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إلاَّ مَن شَاءَ اللهُ**﴾ [النمل: 87] وإنما أفهمنا هذا جمعهم مع الله جلّ سلطانه في الواو في قوله: ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾ [الأحزاب:56], فافهم فيؤيدون بتأييد من جمعوا معه في الواو ولا بدع في أبديتهم فهذه الأمور المستثنيات كذلك.

**سبعٌ منْ المخلوقِ غَيرُ فَانيةٍ … العرشُ والكُرسِي ثمَّ الهاويةَ**
**وقلمٌ واللوحُ والأرواحُ … وجنةٌ في ظِلهَا ترتاحُ**

وزيد عجب الذَّنَب إلى عشرة، وقد حبب لي أن أذكر لك سر إيثار التعبير بالمضارع في الآية الكريمة، ومعناه مما لا أظنه تطلع عليه لولا هذه الحروف فاستمع لما يتلى عليه:

**فتنزَّهَ فِي ذَاتهِ ومعانيهِ … اسْتماعًا إن عَزَّ مِنهَا اجْتلاءُ**
**واملَأ السَّمعَ منْ مَحَاسِنٍ يمليـ … ـهَا عَليكَ الإنشاءُ والأَشْلاءُ**

إن المعنى في الآية الكريمة على التعبير بالمضارع أن صلاة الله ورحمته وصلاة ملائكته على هذا النبي الذي لا يشتبه ولا يلتبس بغيره لا تنقضي، بل تتجدد وقتًا بعد وقت، وآنًا بعد آنٍ، وحينًا بعد حين.

أما في عالم الأرواح الذري، فكان أول بارز من الحضرة الأحدية، ولم تكن عليه هيمنة لا للوسائط ولا للأمور الكونية، وعرف الله تعالى بتعريفه له منه إليه به, على سبيل المكاشفة والمعاينة التي لا يقدر عليها الأنبياء والرسل وعرفه قبل كل عارف به، فكان أول من افتتح أبواب التوحيد بأنواعه، ولهذا كان العالم كله في صحيفته بأنبيائه ورسله وملائكته ومن عداهم، وعرفه قبل وجود المواد والأشرات التي يستدل بها على صانعها ضرورة أنه كان نبيًّا وآدم بين الروح والجسد، والنبي إن أخذناه من النبأ، وهو الخبر كان المعنى كنت مخبرًا عن الله تعالى منه بدون الوسائط والبرزخ والحال أن آدم أصل الشجرة الجسمية الإنسانية لا زال بين الروح والجسد، والخبر الذي يتعلق إذ ذاك في قوله: «**كنت نبيًّا**» أي: مخبرًا من قبل الله تعالى، إما خبر يرجع للذات الأقدس، وحضرات الأسماء والصفات، وإما خبر يرجع لنفسه

المحمدية، وإما خبر يرجع للعالم، وإما خبر يرجع للكتب السماوية ومنها القرآن الكريم، وهذه الاحتمالات قد أشبعنا الكلام عليها في كتابنا المسمى بـ «**الكشف والتبيان عما خفي على العيان من أسرار ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان**».

والاحتمال الأول في قوله: «**كنت نبيًّا**» أي: مخبرًا عن الله تعالى فيما يرجع لذاته وصفاته وأسمائه، والحال أن آدم بين الروح والجسد فعرف الله تعالى هذه المعرفة الحقيقة الكاملة، وهو لا زال في عالم الغيب والرسل- عليهم السلام- بعد أن برزوا العالم المراد وتعرف سبحانه لهم بواسطتها لم يطيقوا، وانظر قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً**﴾ [الأعراف: 143].

ومن جملة أثرات الله سبحانه عليه وهو لا زال في عالم الأرواح أن صيره بحرًا طامنًا مملوءًا بالجواهر واليواقيت التي عليها صلاح المملكة الإلهية، فما من ذخيرة ولا تميمية ولا نفيسة ولا درة ولا جوهرة تطلبها الأكوان إلا وهي حشو بحره المحمدي, فكان يستفيض من الحضرة ويفيض على الأكوان، بإذن ربه جل سلطانه.

ولا شك أن صلاته تعالى عليه قديمة بقدم الذات باقية ببقائها نظير ما اشتهر من أن في الحمد عهدية أي الحمد القديم، قال المحقق الأمير في «حواشي اللقاني»: ومما ينبغي التنبيه له أنه نفس الكلام القديم باعتبار دلالته على الكمالات؛ لأن الصفة القديمة لا تتبعض، وإن لم يذكروا حمدًا في أقسام الكلام الاعتبارية أعني من: نهى، خبر، استخبار.. إلخ.

فإن هذا غير خاص، كيف والكلام يتعلق بجميع أقسام الحكم العقلي كلياتها وجزئياتها، ثم قال عن قوله: **ثم سلام الله أي تحيته اللائقة به.**

قال السنوسي في «شرح الجزائرية» ما نصه:

فكأنه سأل أن يسمع الله تعالى سيدنا ومولانا محمدًا ε بكلامه القديم ويسمع

الملائكة ذلك قال: [....] [1] هنا لنظير ما أسلفناه في الحمد القديم من تنزيه القديم عن التبعيض والكيفية، والأسلم التفويض انتهى.

وأما في عالم الأشباح: فقد شاهدتم ما صنع به ربكم الكريم بأن جعل كتابه النسخة الأصلية للعلم المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يأتيه كتاب بعده ينسخه، وجعله مصدقًا لما بين يديه من الكتب ومهيمنًا عليها، وجعل ما في تلك الكتب الإلهية المتقدمة من الأصول الكلية والاعتقادية نسخة من كليات قرآنه، وما فيها مما يتعلق بكيفية العمل وتسمى بالفرعية والعملية نسخة مما في كتابه من الجزئيات، وجعل كل تلك الشرائع المتقدمة في الحقيقة شرعه المحمدي إنما كان يبعث بطائفة منها كل رسول في الوقت الذي اقتضاه التدبير الإلهي ضرورة أنه ε النبي المطلق، والرسول الاستقلالي.

وشاهدتم ما صنع به ربكم الكريم من تمام خلقته وبديع صورته وتلألأ وجهه بالأنوار الصمدية كأن الشمس تجري في وجهه الكريم، وطلاقة بشره، واعتدال قامته وكمال شناشنه في العدل والصفح والعفو، واحتمال جفاء الخلق، وتحمل أعبائهم الثقيلة، وكرمه حتى أنه كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وشهامته ووفور عقله الكامل، ويكفيك من كمال عقله الكريم ما قدمناه من قوله: **«إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرًا فإن لهم فينا نسبًا وصهرًا»**[2] مع أن قضية النسب كانت زمن سيدنا إبراهيم, فانظر كم بينها وبينه ولا عجب وغزارة حلمه!

ويا للعجب كما فعل أبو سفيان من فعلات في الجاهلية، وكم من مواقحات قضاها عليه القضاء مما هو معلوم، ومع ذلك نادى مناديه يوم الفتح: **«من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق داره فهو آمن، ومن أغمد سيفه فهو آمن، ومن دخل مكة فهو آمن»**[3].

(1) بياض في الأصل.

(2) تقدم تخريجه.

(3) رواه مسلم (1407/3), وأبو داود (162/3) بنحوه.

مَلَكنـــا فَكـــانَ الْعَفــو منّـــا سَــجِيةً وَلمــا مَلكْــتُم سَـــال بالـــدَّم أبطـــحُ
وحَلَلْــتم قَتَـــل الأَســـارَى وَطَالمـــا غَـدَونا على الأَسْرى نَعفُ ونسمحُ
ويكْفِـــيكُم هَـــذَا التَّفَـــاوتُ بَيننَـــا وَكُـــلُّ إنـــاءٍ بِالـــذي فِيـــه يَنضَـــحُ

واتساع علمه بربه الكريم إلا في الذات، ولا في الأسماء والصفات، ولا في الشئون ودوران فلك النصر، والظفر بحواشيه المعظمة والكرامات، والمعجزات الآخذة بالقلوب والأسماع الموجبة، لكمال الانقياد والتضاؤل تحت عتبات عتباته، وكمال العناية تتقدم الإرهاصات قبل المبعث الكريم, أي: الجسمي، وشرح صدره الكريم لتحمل ما عجزت عن حمله السماوات والأرض والجبال وشق قلبه العظيم، ورفع ذكره في السماوات والأراضين، وانطراح الخلائق لقدره العظيم، وإظهار دينه على الدين كله ولو كره المشركون وتشريف أمته بأن كانت لها خصائص، ولعلها تأتي وإيجاب الصلاة عليه وتعظيمه بأحسن خطاب واتباع أحكامه؛ لأنها كلها صواب وحق، ومع ما يحدق بهذا من إتيانه أنواع الفتوح الأربعة التي لم تجتمع لبشري ولا لملكي، فانقطعت هنالك للأطماع، يقدر بأقدار الله تعالى له أن يتلقى الأمداد من الحضرة ويقدر على تأديتها للخلق بجوامع ونوابع الحكم الآخاذة للألباب الجالبة للسحرة المفلقين الموجبة سجودهم لفصاحة ذلك الخطاب، ويقتدر على إمداد الخلائق «**إنما أنا قاسم والله يعطي**»[1], ولا يشغله هذا كله عن إقامة شعائر الوظائف الوقتية التي لا يعذر فيها أعبد الرب العظيم مع شهادة الحق سبحانه بطهارته وأمانته على عبده, بقوله: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ**﴾ [النساء:105], وشهادته بعصمته بقوله: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى**﴾ [النجم:3], ووضع به الأغلال والأصار التي كانت عليهم، فقال: ﴿**وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾ [الأعراف:157], وجعله رحمة للعالمين والأمان من المسخ والقوارع والعذاب، وخاطب الأنبياء بأسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ**﴾ [الأنفال:64]، ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ**﴾ [المائدة:41].

**أما في البرزخ:** فبأن جعل قبته فيه كالمغناطيس، جميع قباب البرزخ تنجذب إليها وتتوجه إليها بالطبع حتى لو وضعت محوله عنه لما أمكنها ذلك.

---

(1) رواه البخاري (39/1).

**كـــانَ وجْهُـــكَ مَغنـــاطِيس أنفُسِـــنَا فِحينمـــا دَرتَ دَارتْ نَحـــوكَ الصُّـــورُ**

على أن البرزخ نفسه به امتسك وبه ثبت.

حُكي أن بعض السواح عثروا على قبة عجيبة في بعض الأراضي ولم يجدوا فيها أدنى ميلان ولا انحراف ما، وليس هناك ممسك يمسكها ولا آلات في الخارج، بل مأخوذة بشيء منها فأبرز كل منهم ما أعطته فراسته إلى أن تفرس بعض الألباء، فقال: عن هذه القبة لبناتها كلها من المغناطيس، فامتسك جوانب بعضها بقوة البعض بقوة هذا يمسك من هنا، وقوة ذاك تمسك من هناك، والجوانب الأخرى كذلك، فلم يسلموا له هذا التفرس فأخذ لبنة من لبناتها، فتداعت لبعض الميلان، فأقروا له بصدق التفرس والتوسم.

والشاهد أن قباب البرزخ كلها ممسوكة بأنوار القبة المحمدية، بل متوجهة إليها، وطامحة إليها طموح الممسوك بماسكه ﴿**وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إلاَّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [الحج:65].

وأما في الآخرة: فيلهمه ربه محامد يحمده بها يغبطه بها النبيون والمرسلون ويعطيه ربه فيرضى ويمكنه من المقام المحمود.

**فإن قلت:** وما أولية الحمد التي عظم شأنها وشاع أمرها، وكم عددها الذي يعطي للحقيقة الأحمدية يوم يقوم الناس لرب العالمين؟

**قلت:** سبعة ألوية.

**فإن قلت:** وما المحامد التي يلهمها ذلك اليوم يثني بها فتفح له باب الشفاعات؟

**قلت:** الأسماء التي يؤتاها فيثنى بها على ربه جل أمره ألف اسم وستمائة اسم وأربعة وستون اسمًا كل لواء منها مرقوم فيه تسعة وتسعون اسمًا من أحصاها دخل الجنة غير لواء، وإحدى هذه الأولية, فإن فيه مرقومًا من هذه الأسماء سبعمائة وسبعون اسمًا يحمده ع بهذه المحامدكلها، وهذه المحامد كلها تتضمن طلب الشفاعة من الله جل سلطانه ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مُّحْمُوداً**﴾ [الإسراء:79] فأعظم بهذه المعجزة ﴿**يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفاً لاَّ يَتَكَلَّمُونَ**﴾

[النبأ:38], ويؤذن له في الخطاب فيقوم خطيبًا والملائكة صفوفًا، والخلائق وقوفًا, فيفتتح خطبته بالشفاعة لأمته ينادي: «**أمتي، أمتي فيجيبه رحمتي، رحمتي**»[1].

فإذا أقررت أيها المحب لهذا النبي الكريم هذه الآية العظيمة فاستحضر ما قلناه، واعلم معنى صلاة الله سبحانه له تزدد فيه محبة، وتهتكًا، وعشقًا، وشغلاً، وتستحضر عظمته ومكنته عند ربه دائمًا حتى لا تخرج من حضرته، ولا تعرج على غير عتباته فتكون مع المنعم عليهم:

﴿**وَمَن يُطِعِ الله وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقاً**﴾ [سورة النساء:69].

وأما معنى صلاة الملائكة عليه: فلا عليك بعدما علمت معنى صلاة الله تعالى عليه، ويكفي من القلادة ما أحاط بالمعنى، وهذا تفضيل ما أجملوه في قولهم: إن الصلاة من الله تعالى رحمة، ثم ما أبديناه هنا في سر إيثار التعبير بالمضارع في قوله جل أمره: ﴿**إِنَّ الله وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾ [الأحزاب:56], وشرحناه وفصلناه آيل لما ارتضاه الغزالي، واستحسنه الزركشي في شرح جمع الجوامع من أن المراد بالصلاة الاعتناء بشأن المصلي عليه وإزادة الخير له بعد اختلاف كثير في معنى الصلاة.

ويؤخذ مما قدمناه أن في الآية الكريمة إيذانًا بأن الصلاة عليه ε أعظم الشغل بالله Y وأتم الإقبال عليه، فليس المشتغلون بمجرد الذكر بأقرب من أهل الصلاة على النبي ε إلى الله جل جلاله.

**أما أولاً:** فلأن الله تعالى أفرد الصلاة على الحبيب عن سائر الأعمال بأن عملها هو وملائكته أولاً، بعد ذلك أقر عباده بها ولم يشاركها في ذلك فرض ولا نفل، فأمرنا أولاً أمرًا ضمنيًّا بقوله: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾ [الأحزاب:56] إذ رغبنا بفعله وفعله ملائكته في تعظيم من عظمه هو وملائكته، ثم بعد ذلك أمرنا أمرًا صريحًا

(1) رواه البخاري (2727/6), ومسلم (191/1) بنحوه.

ليتحقق التكليف، وتقوم بالمأمور على وجه التعظيم والمحبة من غير مشقة، ولا تعمل لأن ذلك حذفه لمن أحبه وعظمه.

وبهذا تعلم أن قول رابعة العَدوية لما قيل لها: كيف حبك لرسول الله ε؟ قالت: حبي للخالق أغناني عن حب المخلوق، كان قبل توغلها في المعارف وإلا بعد التوغل تجد أن لا وصول إلا من بابه، ولا ترقي إلا في محرابه، وإن كان لا سبيل لإزاحة نقابه.

**وأما ثانيًا:** فلأن أهل الصلاة ذاكرون الله -جل ثناؤه- ومصلون على حبيبه الأعظم فقولهم ذكر ودعاء وطلب وصلاة، ومن هنا كانت الصلاة على الحبيب من أفضل الأعمال، فأهل الصلاة فقط أشمل من أهل مجرد الذكر وثوابهم أكمل وأعم وجزاؤهم أفضل وأجمل؛ لأنهم تعرضوا لذكر الله تعالى لهم بذكرهم له سبحانه ولصلاته سبحانه عليهم عشر مرات بصلاتهم على نبيه صلاة واحدة في صيغة واحدة.

**وإما ثالثًا:** فالذاكرون فقط جليسون للحق جل أمره، والمصلون على الحبب جليسون للحق على قدر الحبيب الأعظم لا على قدرهم، وشتان بين المرتبتين, فافهم.

ومن اللطائف: قول الإمام الخروبي: كنت إذا تلوت هذه الآية الكريمة أو سمعت من يتلوها أصلي على النبي ε ثلاث مرات:

**الأولى:** عند قوله: **يصلون** أصلي وأنوي بصلاتي عليه موافقة الله تعالى وملائكته.

**الثانية:** عند قوله: **على النبي** أصلي عليه عند سماع ذكره ε, فإنه ورد: «**البخيل كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليَّ**»[1].

**الثالث:** عند قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ [الأحزاب:56] أُصلي وأنوي امتثال الأمر وأتبع هذه بالسلام وأنوي الامتثال أيضًا.

وصدق صاحب العهود إذ قال: وقد كان في زمن شيخنا الشيخ نور الدين الشوني من هو أكثر منه علمًا وعملاً؛ ولكنه لم يكن يكثر من الصلاة على رسول الله ε

(1) رواه البيهقي في الشعب (213/2).

كما كان يكثر الشيخ فلم يكن ينهض له علمه وعمله إلى التقريب الذي كان فيه الشيخ نور الدين، فكانت حوائجه مقضية وطريقه ماشية وسائر العلماء والمجاذيب تحبه، والله ليس مقصود كل صادق من جمع الناس على ذكر الله تعالى إلا لمحبة فيه ولا جمعهم على الصلاة على مولانا رسول الله ε إلا المحبة فيه.

**ومن فوائد الصلاة على مولانا رسول الله** ε: إنها تقضي له بكل صلاة مائة حاجة بل أكثر.

روى أبو موسى أحمد بن موسى الحافظ من حديث أبي سهل بن مالك عن جابر τ رفعه: «**من صلى عليَّ مائة صلاة حين يصلي الصبح قبل أن يتكلم, قضى الله سبحانه له مائة حاجة, عجَّل منها ثلاثين حاجة وأخر له سبعين وفي المغرب مثل ذلك**» ورواه ابن منده من طريق أبي بكر الهذلي عن محمد بن المنكدر عن جابر نحوه، وهو حديث حسن.

**ومنها**: أنها عبادة وأحب الأعمال إلى الله تعالى.

**قال في العهود:** واعلم يا أخي أن طريق الوصول إلى حضرة الله من طريق الصلاة على النبي ε من أقرب الطرق فمن لم يخدمه ε الخدمة الخاصة به وطلب دخول حضرة الله فقد رام المحال، ولا يمكنه حجاب الحضرة أن يدخل ذلك لجهله بالأدب مع الله تعالى، فحكمه حكم الفلاح إذا طلب الاجتماع بالسلطان بغير واسطة، فعليك يا أخي بالإكثار من الصلاة على سيدنا محمد ε، ولو كنت سالمًا من الخطايا, فإن غلام السلطان أو عبده إذا سكر لا يتعرض له الوالي أبدًا، بخلاف من لم يكن غلامًا له، ويرى نفسه على خدام السلطان وعبيده وغيرهم، ولا يدخل من دائرة الوسائط؛ فإن جماعة الوالي يضربونه ويعاقبونه فكذلك، خدام النبي ε لا يتعرض لهم الزبانية يوم القيامة إكرامًا لرسول الله ε الاستناد الخاص، قد نفعت الحماية مع التقصير ما لا تنفعه كثرة الأعمال الصالحة مع عدم الاستناد لرسول الله ε الاستناد الخاص، انتهى.

وكذلك القارئون لمحمد رسول الله ε مع الهيللة خدامه ρ الخدمة الخاصة,

فيحصل لهم من القرب منه في الدنيا، والبرزخ، والآخرة ما لا يحصل للمكثرين من صيام النهار، وقيام الليل مع عدم هذا الاستناد الخاص، ولا تتعلل بأن العالم كله مغمور في بركاته وخيراته ε ومن خرج عنه حتى يدل على الدخول لحضرته.

نقول له: هذا من الأغاليط، ولأي شيء أمرنا بذكره عند الدخول للإسلام، وقارن الله سبحانه بين ذكره وبين الهيللة، بل في كل موطن على ما يأتيك فهلاّ لا استغنى تعالى بذلك العموم عن هذا الأمر؛ ولذلك قيدت بالاستناد الخاص.

**والحاصل:** أن قائل هذا الكلام لا خبر عنده بظواهر الشريعة فضلاً عن أسرارها التي تسجد لها القسس إذا أبرت وظهرت، ومن وجد خيرًا فليحمد الله.

**ومنها:** أن الملائكة تصلي على صاحبها ما دام يصلي على النبي ε.

**ومنها:** أنها تزين المجالس فتغشي نفحات المزيد محل ذكره ε.

قال الشيخ أبو جعفر بن وداعة-رحمه الله تعالى: روي في الحديث عن بعض الصحابة ψ أنه قال: «**ما من موضع يذكر فيه النبي ε أو يُصلى فيه عليه إلا قامت منه رائحة تخرق السماوات والسبع، حتى تنتهي إلى العرض, يجد ريحها كل ما خلق الله تعالى في الأرض إلا الإنس والجن، فإنهم لو وجدوا ريحها لشغل كل واحد منهم بلذتها عن معيشته، ولا يجد تلك الرائحة ملك ولا خلق من خلق الله تعالى إلا استغفر لأهل المجلس، ويكتب لهم بعددهم كلهم حسنات، وترفع لهم بعددهم درجات سواء كان في المجلس واحد أو مائة ألف يأخذ من الأجر هذا العدد وما عند الله خير وأجزل**»[1].

ومما يلحق بهذا ما حكاه ابن هشام يعني الأستاذ أبا محمد حيران محمد بن سعيد بن مطرف الخياط الرجل الصالح قال: كنت جعلت على نفسي كل ليلة عند النوم إذا أويت إلى مضجعي عددًا معلومًا أصليه على سيدنا محمد ε فإذا أنا في بعض الليالي قد أكملت العدد فأخذتني عيناي، وكنت ساكنًا في غرفة, فإذا بالنبي ε قد دخل علي من

(1) لم أقف عليه.

باب الغرفة فأضاءت به نورًا ثم نهض نحوي، وقال:

**«هات هذا الفم الذي يكثر عليّ أقبله، فكنت أستحي منه أن أقبله في فيه فاستدرت بوجهي، فقبل في خدي»**, فانتبهت فزعًا في الحين وأنبهت صاحبتي إلى جنبي وإذا البيت يفوح مسكًا من رائحته ε، وبقيت رائحة المسك في خدي نحو ثمانية أيام تجدها زوجتي في كل يوم وليلة في خدي, انتهى.

وكذا ذكر الحكاية الأستاذ ابن خير من غير سند، وذكر ابن منديل أن ابن بشكوال ذكرها فقال: حدثنا محمد بن سعيد الخياط الرجل الصالح .. إلخ.

ثم قال ابن وداعة: قلت وإذا أردت أن تعلم حقيقة هذا القول, فانظر إلى قوله ε:

**«ما جلس قوم مجلسًا ثم تفرقوا على غير الصلاة على النبي** ε **إلا تفرقوا على أنتن من ريح الجيفة»**[1] يظهر لك أن المجالس التي يذكر فيها النبي ε أو يصلي فيها عليه توجد فيها روائح عطرية، وتشم منها نوافح مسكية.

ولما كان هو ε أطيب الطيبين، وأطهر الطاهرين، وكان من خصائصه ε الشريفة التي عجلت له من أهل الجنة أنه كان لا يمر بموضع ولا يجلس فيه ولا يمشي بيده، أو بجارحة من جوارحه الطاهرة شيئًا إلا ويبقى فيه رائحة كرائحة المسك، حتى لقد كان أصحابه يعرفون الطريق الذي يمرون عليها، لذلك أبقى الله سبحانه له هذه الكرامة، فكان ε إذا ذكر في موضع وصلى عليه فيه طاب ذلك الموضع بذكره ونمت منه روائح طيبة فصلى الله تعالى عليه وعلى آله صلاة تطيب مجالس الذكر ويغفر بها عظيم الوزر, انتهى.

وإذا عهد نزول الرحمات عند ذكر الصالحين, فما الظن بذكر من منه تكونت الرحمات وهو عينها.

ورأيت ابن الجوزي في كتابه «صفوة الصفوة» أسند عن سفيان بن عيينة وغيره أنه قال: عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة، وعزاه له العراقي في «تخريج

---

(1) رواه النسائي في الكبرى (20/6), وفي عمل اليوم والليلة (314/1).

أحاديث الإحياء» ورجح أنه ليس بمرفوع، وكذا قال الحافظ كما في «الغمَّاز»، وتلميذه السخاوي.

وقال في «اختصار المقاصد»: لا أصل له أي في المرفوع كما قيده به العراقي، وإنما كانت الرحمة تنزل عند ذكر الصالحين؛ لأنهم عبيد الله تعالى القائمون بأمره ونهيه الدالون عليه.

فالمقصود من تعظيمهم تعظيم الله تعالى من الثناء عليهم الثناء على الله تعالى، ومن ذكر أحوالهم التعرف إلى الله تعالى، فالمراد من ذكرهم ذكر الله Y فألحقوا به، وحكم بهم بحكمه من نزول الرحمة والسكينة عنده، ويرحم الله تعالى القائل:

**اذكـر حَـديثَ الصَّـالحينَ وَسـمِهمْ فَبـذكْرِهمْ تَتَنـزلُ الرَّحمـاتُ**
**واذكُـرْ فَضَـائِلهمْ تنـل بَركَـاتِهمْ وَقَبـورهُم زُرْهـا إذا مَـاتُوا**

وإذا كان الأمر كذلك فما بالك بما ينزل عند ذكر سيدهم وقدوتهم ونقطة دوائرهم من الرحمات، ويحصل عند الثناء عليه وتعظيمه من الخيرات والبركات.

ومنها: أنها تنفي الفقر وضيق العيش.

**قال في العهود:** وحصل لي ولأصحابي بذلك خير الدنيا والآخرة وتيسير الرزق بحيث لو كان أهل مصر كلهم عائلتي ما حملت لهم همًّا.

**ومنها:** أنه يلتمس بها مضار الخير.

**قال الإمام أبو عبد الله الرصاع:** ذكر نبي الله ε رحمة والصلاة عليه نعمة, فإذا ذكر وصلى عليه أحاطت الرحمة بالمصلى، ومن أحاطت به الرحمة كيف لا تجاب له الدعوة, وإذا كان الدعاء مقبولاً عند كثير من الصالحين فكيف بذكر سيد العارفين الذي جعله الله رحمة للعالمين فذكره نعمة والصلاة عليه رحمة يرحم الله تعالى بها عبده ويجيب طلبه.

**ومنها:** أن فاعلها أولى الناس به يوم القيامة.

**ومنها:** أنه ينتفع هو وولده بها وبثوابها، وكذلك من أهديت في صحيفته.

**ومنها:** أنها تقرب إلى الله تعالى وإلى رسوله ε.

**ومنها:** أنها نور لصاحبها في قبره ويوم حشره وعلى الصراط.

أخرج الدار قطني وعلي بن عبد العزيز في مسنده عن عبد الرحمن بن سمرة τ قال: خرج علينا رسول الله ε فقال:

«**إني رأيت البارحة عجبًا، رأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصراط مرة ويحبو مرة ويتعلق مرة فجاءته صلاته عليَّ فأقامته على الصراط، حتى جاز**»(1), وأخرجه أيضًا الطبراني في الكبير والترمذي الحكيم والقضاعي في كتاب «الأعداد» له وابن عبد البر.

**ومنها:** أنها تنصر على الأعداء وتطهر القلب من النفاق والصدأ.

**ومنها:** أنها توجب محبة المؤمنين فلا يكره صاحبها إلا منافق ظاهر النفاق.

**ومنها:** رؤية النبي ε في المنام وإن أكثر منها ففي اليقظة.

**تنبيه:** يقيد الكثرة المذكورة تعلم أن قولهم: **أن الصلاة تقوم مقام الشيخ في الوصول** ليس على إطلاقه، والقول المذكور نقله الشيخ زروق في الباب العاشر من قواعده عن شيخه أبي العباس الحضرمي, ونقله الشيخ السنوسي عن البعض(2).

**قلت:** ولابد أن يقيد هذا الكلام الشائع بشرطين:

**الأول:** الكثرة الحقيقية لا مطلق ورد يومي أو ليلي كالمائة والمائتين،فإن هذا إنما أوجب مطلق التنوير ومجرد البعد عن المعاصي وكراهتها في القلب ببركة أنوار

---

(1) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (179/7), والمناوي في فيض القدير (25/3).

(2) قال أبو المراحم بن شيخ العيدروس: قال سيدي الأستاذ أحمد بن موسى المشرع -نفع الله بهما-: من لا شيخ له يربيه ويرقبه ويوصله إلى الله تعالى, فليلزم الصلاة على النبي ρ فهي تربيه بأحسن الآداب النبوية وتهذبه بأشرف الأخلاق المحمدية, وترقيه إلى أعلى ذروة الكمال, وتوصله إلى المحل الأسنى من حضرة الكبير المتعال، وتنعمه برؤية الله, وقربة مع النبي ρ، وكان يوصي أصحابه بقراءة: ↓ 🔔➔✍⬀ ♎➔❑◆ ✂✎✏✦ 🕮❒❍⍓⑨➘ ↑ وبكثرة الصلاة على النبي ρ, [العرف العاطر: ص292] بتحقيقنا.

الصلاة على الحبيب.

وعدد الكثرة ما أشار إليه في العهود ونصه: فكان ورد الشيخ نور الدين الشوني كل يوم عشرة آلاف، وكان ورد الشيخ أحمد الزواوي أربعين ألف صلاة.

**فإن قلت:** وهل لهذه الكثرة من علامة؟

**قلت:** نعم وهي ما أشار إليه في العهود نقلاً عن الزواوي، وقال لي مرة: طريقتنا أن نكثر من الصلاة على النبي ε حتى يصير يجالسنا يقظة، ونصحبه مثل الصحابة، ونسأله عن أمور ديننا وعن الأحاديث التي ضعفها الحفاظ عندنا ونعمل بقوله ε فيها، وما لم يقع لنا ذلك فلسنا من المكثرين للصلاة عليه ε فهذا ضابط الكثرة وثمرة الكثرة.

وليت شعري هؤلاء هم أهل الدليل هم من المكثرين في الجملة ولكن مثابرتهم على ذلك الإكثار يصيرهم من أهل الكثرة، وهل أوصلهم لما أشار إليه الشعراني ثمرة الكثرة.

**الشرط الثاني:** لا يعذر المكثر منها الإكثار المغني عن الشيخ في أن يكون متبحرًا في علم الشريعة عالمًا بما يأتي ويذر مع ضميمة التحلي بحلية الورع وإلا فالمخلط مع عدم التضلع والعلوم الشرعية لا يمكنه إلا مطلق التنوير؛ لأن المصلي جليس لله تعالى ولرسوله، ومجالسة الحق جل سلطانه لابد لها من أدب عظيم كبير، وليس إلا بالعمل بالشريعة على ما ينبغي على وفق الورع، ولو وجدنا من يتفقه بدون ورع لأوجعناه ضربًا، كما أن من تورع ولم يتفقه كذلك، وكذلك مجالسة مولانا رسول الله ε لا بدَّ لها من عمل بالآداب الشرعية وصفاء عظيم.

**قال في العهود:** إن صحبة النبي ε البرزخية تحتاج إلى صفاء عظيم حتى يصلح العبد لمجالسته ε، وإن من كانت له سريرة سيئة يستحي من ظهورها في الدنيا والآخرة لا يصلح له صحبة مع مولانا رسول الله ε ولو كان على عبادة الثقلين كما لم تنفع صحبة المنافقين، ومثل ذلك تلاوة الكفار للقرآن لا ينتفعون به لعدم إيمانهم بأحكامه, انتهى منها.

فإن وُجد في شخص هذا الشرط وهو التبحر في العلوم الشرعية، التبحر المتبوع بالعمل على وفق الورع يحتاج بعد إلى الإكثار الحقيقي والمداومة عليه، وإن وُجد في شخص الإكثار و داوم عليه وعدم الشرط الثاني فربما يغنيه ويكفيه لقوة نور الصلاة على الحبيب.

ومن علامة الإكثار ما ذكره أبو عبد الله الساحلي في البغية قال: حدثني أبي τ قال: حدثنا الشيخ أبو القاسم المريد- رحمه الله تعالى- قال: لما قدم الشيخ أبو عمران البردعي على مالقة وجد بها الشيخ أبا علي يعني الخراز, فاجتمعنا الثلاثة يومًا في داري لطعام صنعته لهما, قال أبو القاسم، وكان بالحضرة والدي وكانت علة الزكام لا تفارقه حتى أنها تحرمه حاسة الشم، فقال الشيخ أبو عمران للشيخ أبي علي: يا أبا علي لك ثمانية أعوام بما أثرت فيك التصلية؟ فقال له: يا سيدي زاد عندي كذا، وكذا، فقال له الشيخ أبو عمران: هذا الذي يظهر للأولاد ما هذا يذكر النبي ε.

ثم قال: تنفس في كف والد الشيخ أبي القاسم، قال: فتنفس أبو علي في كف والدي فهبت من نفسه رائحة المسك لكنها ضعيفة، ثم تنفس الشيخ أبو عمران في كف والدي، قال أبو القاسم: فوالله لقد شقت رائحة المسك خياشيم والدي حتى أرعفته من فوره وسال الدم من أنفه وعمت الرائحة منزلي، حتى بلغ الجيران روائح المسك، قال: ثم قال الشيخ أبو عمران: يظن أصحاب سيدنا محمد ε أنهم فازوا به دوننا، والله لنزاحمنهم فيه حتى يعلموا أنهم خلفوا بعدهم رجالاً يصلون عليه ε.

**تكميل**: قال عياض في الإكمال على حديث مسلم: «**من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشرًا**»[1].

قال: معنى صلاته عليه رحمته له وتضعيف أجره على الصلاة عليه عشرًا، كما قال الله عز وجل: ﴿**مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**﴾ [الأنعام:160],وقد تكون على وجهها وظاهرها تشريفًا له من بين ملائكته كما قال في الحديث الآخر: «**وإن ذكرني**

(1) رواه مسلم (306/1).

**في ملأٍ ذكرته في ملأٍ خير منه»**[1].

وأوضحه السنوسي في «إكمال الإكمال», فقال: ويحتمل أنها صلاة حقيقية بكلام تسمعه الملائكة, انتهى.

وذلك لأن الصلاة بمعنى الرحمة مجاز، إذا ردت إلى الكلام كانت حقيقة والحقيقة أرجح وتقدم نحو ما له في إكمال الإكمال له في شرح الجزائرية وتقدم التنبيه عليه.

**تذييل**: كون الصلاة من لله تعالى عشرًا على من صلى عليه صلاة واحدة، كما أخرجه الإمام مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وأحمد، وابن حبان، والطبراني في «الكبير» هذا في مطلق الصلوات التي لا تعدل كذا، كذا من الصلوات.

وأما هذه الأنموذجية المشروحة فلما كانت في قوة جميع الصلوات الموجودة والتي لم توجد كان عشاريات ربنا جل أمره على المصلي بها بحسب كل صلاة له تعالى في الملك يعلمها، وكل واحدة من تلك الصلوات قد تكون لها التضاعيف أيضًا، فيكون لكل صلاة في الدنيا وما انطوى في تلك الصلاة أيضًا وعليه فلا يوجد أتجر من ذاكريها في الآخرة، وصلاة واحدة من الله تعالى أفضل من جميع عبادات الأعمار، لو فرضنا أنها على حالة مرضية لا توجد إلا كذلك من أعظم شخص في العالم، فضلاً عن جميع هذه الصلوات المنطوية فيها وما انطوى في تلك الصلوات أيضًا من الرب العظيم، والله ذو الفضل العظيم.

وأما صلاة القاسم التي في ورد الطائفة الكتانية أيضًا, وهي: اللهم صلِّ على سيدنا ومولانا أحمد القاسم أمداد الخزائن الإلهية على أجناد الدوائر الملكية من لجة قاموس بحر جودك الأعظم الطامحة[2] فيضه قوابل الممكنات في عالم البطون والظهور الذي جعلت كلامه الجامع المفيض[3] رحمات العطايا الراعي برعاية الله والحامي بحرز الله، والكالئ بكلاءة الله متحدًا باسمك العظيم الذي به انتظم أمر

---

(1) رواه البخاري (2694/6), والترمذي (581/5).

( **2** ) بياض في الأصل.

( **3** ) بياض في الأصل.

السماوات والأراضين من منك ونعتك، ووضعت في عالم التخطيط من التجلي الرحماني صورة شكله الجسماني مثالاً انطبعت الكائنات أجمعها بشكله المحمدي عنوانًا للسعادات الأبدية السرمدية على صورة أنموذج الأشياء.

من رحمته بحر حقيقة خلق الله آدم على صورته، وفجرت عنصر موضوع مادة محمولة روح العالم وآدم, آدم ونقطة باء كتب الغيوبات من أنية أنا الله، بابك الأعظم وصراطك الأقدس الأقوم السابح في بحار عظمة نور وجهك الدال عليك بك في جميع الحضرات والحيثيات، وزج بي في أرض الأنوار، واحملني بعنايته على مطية الأسرار، وأشهدنيه حتى أتحققه وجدانًا وعيانًا، وأغرقني في عين حياة طوالع سعود حقيقته الربانية حتى أكون به ومنه وإليه، بل حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا ووجد الله عنده، وآله وصحبه وسلم تسليمًا عدد رضاك عنه يالله، يالله، يالله، فقد شاهدنا لها نورًا ملأ العالم علوية وسفلية، وكل من وصله هذا النور زاد به قربًا إلى ربه من حيث لا يشعر، وذلك في صحيفة المصلى بها من الطائفة، اللهم بجاه هذا النبي العظيم أوصل حبالنا بحباله وواصل شربنا وسقينا من أبحر جماله، ولا تحل بيننا وبين مشاهدته في رتبة من المراتب ولا حضرة من الحضرات وأشرب عروقنا ولحمنا وعظمنا وشعرنا وبشرنا محبته الخاصة التي أعددتها لأرفع شخص عندك في العالم يا من هو أهل التقوى وأهل المغفرة، وصل عليه بكل لسان الكائنات، وعلى آله وأصحابه وإخوان من أهل الأراضين والسماوات وعلينا معهم يا ربنا ورب البريات.

**آمـينَ، آمـينَ لَا أرضَـى بواحـدةٍ حتَّـى أضـيفَ إليهَـا ألـفَ آمـينَ**

وحكم السلام في الأنموذجية حكم الصلاة في ذلك التضعيف العظيم الذي قدمناه آنفًا لأن السلام كذلك يستوجب صاحبه عشر سلامات من الله سبحانه.

أخرج النسائي وابن حبان من حديث أبي طلحة بإسناد جيد, وابن المبارك في رقائقه, وابن أبي شيبة في مصنفه، والدارمي، وأحمد، والحاكم، والبيهقي في «الشعب» بإسناد صحيح: «**أتاني الملك؛ فقال: يا محمد! أما يرضيك أن ربك Y يقول: إنه لا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صليت عليه عشرًا، ولا يسلم عليك أحد**

**من أمتك إلا سلمت عليه عشرًا»**[1].

وإنما لم تتبع الكلام على مفردات الآية الكريمة لما أن ذلك يحتاج إلى إسهاب طويل، ولعلنا نوفق لتفصيله وقتًا آخر، وحسبنا الله ونعم الوكيل, وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله عدد كمالاته, ثم لننقلب ولنكرع في شرح الأنموذجية فنقول:

**خليلـــيَّ هــذَا ربــعُ عــزةٍ فــاعقلَا فلوصـيكمَا ثـمَّ أبكيَـا حيـثُ صـلتِي**
**ولَا يتأسَّـــا أنْ يمحُـــو اللهُ عنكمَـــا ذنوبًـــا إذَا صـــليتُمَا حيـــثُ صـــلتِي**

**[اللهم صلى على سيدنا ومولانا أحمد الذي جعلت اسمه متحدًا باسمك ونعتك]**.

اعلم أولاً أن الشمائل المحمدية على ضربين: شمائل ظاهرية وشمائل باطنية أما الشمائل الظاهرية فقد ملئت الدواوين، وأما الشمائل الباطنية المحمدية, فقد أجملت وفصلت في القرآن الحكيم لمن كان له قلب.

ولما كانت الدعوة إلى الله تعالى لا من الحضرة الإلهية ابتداء ولا بألسن الرسول عليه الصلاة والسلام لا تخرج عن نوعين: الدعوة إلى الله بالحكمة، والدعوة إليه بالموعظة الحسنة، والقرآن الكريم قد موج من النوعين وأكثر دعوته بالموعظة الحسنة لما أن غالب الخلق ليس في قابليتها الرقي بالرقائق والمعاني، وإنما تنقاد بالمحسوسات، والمخوفات، والمزعجات، والقوارع؛ لأنها محصورة في الكون، والكائن في الكون، ولم تفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته، ومحصور في هيكل ذاته.

وهذا أيضًا باعتبار وإلا فباعتبار آخر أكثر دعوة القرآن من طريق الحكمة وشرح هذا يحتاج إلى مجلد في تعداد الأمثلة من الطرفين.

وكذلك كانت الخلائق، منها من دعا بواسطة الشمائل الظاهرية واقتصر عليها، وربما لم يفتح عليه في باب منها باعتبار غالب الخلق، ومنهم من دعا إلى الله سبحانه بها وزيد بالشمائل الباطنية, فانقمعت بذلك الأنفس وخنست الدواعي الطبيعية،

---

(1) رواه النسائي في الكبرى (384/1), وأحمد (30/4).

وانتكست قوى الأوهام، والأغيار كما لون تعالى الدلالة عليه إما بلسان الحكمة، وإما بلسان الموعظة الحسنة.

وهذه الصلاة المشروحة اشتملت على أصول الشمائل المحمدية الباطنية، وسينجلي بك ذلك إن شاء الله تعالى بعد، فكان الذاكر بالصلوات المشتملة على الشمائل الباطنية أعلم بالمعارف الإلهية, والكمالات، المحمدية، والحقائق الجبروتية، وذلك معين على دوام مجالسته تعالى، وأعرف قلب بالعوالم المحمدية الباطنية وهي المعرفة السالمة من موارد الجهل والكارع بها صاحبها من موارد الفضل، وأمس الذاكرين بالرحم النبوي الوصالي.

**نسبٌ أقربُ في شرعِ الهوَى    بينَنَا منْ نسبٍ مِنْ أبَوَي**

وأوقد قلوبًا لعظم ما يسري في عوالمهم الباطنة من السقى, فتلتهب قلوبهم دائمًا نيرانًا، وأشواقًا، وغرامًا، وتبتيلاً، وتهتكًا.

**متيمُ أَثَرهَا لمْ يَعُدْ مَكْبُولُ**

ولهذا تجد أهل الطائفة يتوقدون أنوارًا، وعلومًا، وأسرارًا، وفقهًا عن الله سبحانه وأقوى على مداومة الأذكار، وأقوى على الأجوبة المسكتة الحقانية؛ ولذلك تقوى هذه الطائفة على القوى العظيمة في الذكر ما تنحل به تراكيب الظلمانيات، وتنفتح به الأبواب، وتنفتق به رتق الحجب، وتنقلع به أصول القواطع، وتستدر به ميازيب الأمداد العظموتية، وتنخس به أصول الخواطر الظلمانية: ﴿**أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ * الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَئَابٍ**﴾ [الرعد:28، 29], وأقوى على الأجوبة عن المعضلات مع أهل الإنصاف، ﴿**وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْراً اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [هود:31].

**لِي فِي الغرامِ سريرةٌ    واللهُ أعلمُ بالسرائرِ**

ويرحم الله ألف رضا:

**ولقدْ صرفتُ لحبِّهِ كُلِّي علَى    يدِ حسنةٍ فحمدتُ حُسنَ تصرفِي**
**لَا تحسبونِي في الهوى متصنعًا    كَلَفِي بِكُم خُلقُ بغيرِ تكَلّفِ**

وهذا أوان الشروع في الشرح، وزمان الكروع في الفيض المحمدي، فتوجه إلى سماعه ترشد، والحمد للمفيض بكل المحامد، ثم الشكر للواسطة العظمى على قدر ما لها من الكمالات، وسلام على المرسلين.

قولنا: **(اللهم صلِّ)** لا بأس بذكر مسائل تتعلق بهذا الاسم العظيم, وهو اسم الجلالة حتى تُستحضر تلك المعاني عند الذكر به, فيحصل للذاكر من العظمة ما هو القصد من العبد.

**وإنْ ذَكرتَ فِي الحيِّ أصبحَ أهلهُ نشاوَى ولَا عارُ عليهِمْ ولَا إثمُ**
**وإنْ خطرتَ يومًا علَى خاطِرِ أمرِي أقامتْ بهِ الأفراحُ وارتحَلَ الهممُ**
**وفوقَ لواءِ الجيشِ لوْ رقمَ اسمهَا لأسكرَ مَنْ تحتَ اللوَي ذلكَ الرقمُ**
**ولوْ عبقتْ فِي الشرقِ أنفاسُ طيبهَا وفِي الغربِ مزكومٌ لعادَ لهُ الشمُ**

الله هو علم على الذات الواجب الوجود، الموصوف بالصفات، المنزه عن الآفات، الذي لا شريك له في المخلوقات، ففي الأول رد على الدهرية لنفيهم الصانع.

كذا قيل: كما قال الإمام البكي في «شرح الحاجبية»، وتبعه السعد في «الحواشي» أنه ليس في العالم من ينكر وجود الصانع إنما وقع الغلط في تعيينه.

**قلت:** ولعلهما يشيرا لما دلت عليه صراحة القرآن الحكيم من نحو قوله تعالى: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ**﴾ [لقمان:25]، ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ العَزِيزُ العَلِيمُ**﴾ [الزخرف:9]، ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى**﴾ [الزمر:3] وهو واضح عند من علم فطر الأشياء، وأشهده الحق جل سلطانه نشأة الأشياء, فإن العالم لم يشذ عنه نوع من الموجودات كله مفطور على محبة خالقه وصانعه ورازقه.

وتأمل قوله تعالى: ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾ [الإسراء:44]، وقال جلت عظمته: ﴿**تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الجِبَالُ هَداًّ * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً**﴾ [مريم:90، 91]، وقال جلَّ ذكره: ﴿**يُسَبِّحُ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾ [الجمعة:1]، وقال جلَّ ثناؤه: ﴿**وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً**﴾ [آل

عمران:83]، أي: استسلم وانقاد، وقال جلَّ أمره: ﴿**وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ**﴾ [النور:41].

وتفحص قضية الهدهد لما جاءت من سبأ بنبأ يقين، وعلمت بما أتاها الله سبحانه من فطرة محبة الإله الأجل، الأعظم، الأكبر، أنه لا يستحق الإلهية غيره، فقال: ﴿**وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ**﴾ [النمل:24] ... إلخ الآيات البيِّنات، فتمعنها ترى العجب، وتعلم أن العالم مفطور على محبة ربه جلَّ جلاله وتقدست أسماؤه وصفاته.

وهذا أمر ما أظنه ينتطح فيه عنزان، والقرآن طامح بنحو هذه الدلائل، ﴿**هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ**﴾ [الجاثية:29].

**وفي الثاني:** رد على المعتزلة في تعطيلهم الذات عن صفات المعاني.

**وفي الثالث:** رد على الجَسمية والحَشوية لإثباتهم الجهة والجسمية.

**وفي الرابع:** رد على القدرية في زعمهم أن العباد يخلقون أفعالهم، والأصح أن هذا الاسم الكريم عربي، وتكلم غير العربي به من توافق اللغات.

ثم القائلون بأنه اسم علم للذات الأقدس اختلفوا هل اسم للذات هو أي لا باعتبار اتصافها بالصفات ولا باعتبار لا اتصافها.

**قال القاشاني:** هو عندنا اسم الذات الإلهية من حيث هي، هي أي المطلقة الصادق عليها مع جميعها أو بعضا أولا مع واحد منها كقوله: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص:1], انتهى. ونقله في تفسيره الشيخ الأكبر، أو هو اسم للذات من حيث الصفات، فمن نظر إلى الأول قال: أنه غير مشتق وعليه جمهور العلماء من أهل علم الكلام والحديث والتصوف، وبه قال عالم قريش.

قال في «مفاتيح الغيب»[1]: المختار عندنا أن هذا اللفظ عندنا اسم لله تعالى أي علم شخص، وأنه ليس بمشتق وهو قول الخليل وسيبويه، وقال السيد الجرجاني في

(1) هو للصدر القونوي.

«شرح المواقف»: للعضد وهو المروي عن أبي حنيفة، والخطابي، والغزالي بل قال الغزالي: كل ما قيل في اشتقاقه؛ فهو تعسف، وبه قال الشاشي، والقفال، وأبو الإرشاد شيخ أبي حامد والزجاجي، واختاره ابن العربي، واختاره أيضًا القشيري، وأبو زيد البلخي، والحسن بن الفضل، بل عليه الأئمة الأربعة.

وحُكي عن الخليل أنه رأى بعد موته, فذكر أن الله تعالى غفر له بقوله: إن اسم الجلالة مرتجل أي غير مشتق, أي ليس مأخوذًا من أصل بنوع تصرف ما يؤخذ من كلام الشيخ زاده في حواشي البيضاوي وليس معنى كونه مرتجلاً, أي: لفظ الجلالة أنه لم يتقدم له استعمال قبل العلمية، فإن هذا مجمع عليه يقول به من يقول أنه منقول.

ثم إنه يدل لهؤلاء حجج:

**الحجة الأولى:** أنه لو كان لفظًا مشتقًا لكان معناه معنى كليًّا لا يمنع نفس مفهومه من وقوع الشركة فيه؛ لأن اللفظ المشتق لا يفيد لأنه شيء ما بمهم حصل له ذلك المشتق منه، وهذا المفهوم لا يمنع من وقوع الشركة فيه بين كثرين، فثبت أن هذا اللفظ لو كان مشتقًا لم يمنع وقوع الشركة فيه بين كثيرين، ولو كان كذلك لما كان قولنا: لا إله إلا الله توحيدًا حقًّا مانعًا من وقوع الشركة فيه بين كثيرين؛ لأن بتقدير أن يكون الله لفظًا مشتقًا كان قولنا الله غير مانع من أن يدخل تحته أشخاص كثيرة، وحينئذٍ لا يكون قولنا لا إله إلا الله موجبًا للتوحيد المحض، وحيث أجمع العقلاء على أن قولنا: لا إله إلا الله يوجب التوحيد المحض علمنا أن قولنا الله اسم علم موضوع لتلك الذات المعينة، وأنها ليست من الألفاظ المشتقة.

**الحجة الثانية:** أن من أراد أن يذكر ذاتًا معينة، ثم يذكره بالصفات فإنه يذكر اسمه أولاً، ثم يذكر عقيب الاسم الصفات، مثل أن يقول فلان الفقيه، النحوي الأصولي إذا عرفت هذا فتقول أن كل من أراد أن يذكر الله تعالى بالصفات المقدسة, فإنه يذكر أولاً لفظة الله ثم يذكر عقيب صفات المدائح مثل أن يقول: الله العالم، القدير، الحكيم، ولا يعكسون هذا فلا يقولون العالم القادر الله, وذلك يدل على أن قولنا الله اسم علم.

**الحجة الثالثة:** قول الله العظيم: ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾ [مريم:65], وليس المراد

من الاسم في الآية الكريمة الصفة وإلا لما صدق قوله: ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾ [مريم:65], فوجب أن يكونا المراد اسم العلم, فكل من أثبت لله تعالى اسم علم قال ليس ذلك إلا قولنا: الله.

ومن هاهنا اتفقوا على أن اسم الجلالة اعرف المعارف وتقررت حكاية إمام البصرة.

**قلت:** وذهب بعض أهل الكشوفات إلى أن أعرف المعارف اسم هو، وبناه على أن الضمائر أسماء، وكل الأسماء ذكر فلا فرق بينهما بالمظهرية والمضمرية فكونها ضميرًا لا ينافي كونها اسمًا.

وقد حقق الإمام الفخر في «التفسير الكبير» اسمية هذه الكلمة، ولولا الطول لذكرناه فارجع إليه فهو عند أهل الفتح اسم بحت؛ لأن كل ما يدل على الذات الأحدية؛ فهو اسم محض عندهم سواء كان مظهرًا، أو مضمرًا، ولذا أدخلوا عليها اللام؛ فقالوا: الهُوية لأنها إشارة إلى الهوية, ولا مناقشة في الاصطلاح.

ولما كان الذكر والعلم يتبعان المذكور والمعلوم، فكلما كان المذكور والمعلوم أشرف كان الذكر والعلم أشرف، وأشرف المذكورات والمعلومات الله -جل جلاله وتقدس مجده- وكان أشرف الموجودات الحادثة الحقيقتان الأحمدية, والمحمدية, فيكون الاسمان الدالان عليهما أعرف المعارف بعد اسم الجلالة عند أهل النظر أو بعد اسم الهوية عند أهل الفتوح العرفانية.

فأحمد أعرف المعارف؛ لأن مدلوله الحقيقة الأحمدية ومدلولها القبضة الحقيقية الأصلية القدسية أول ناشيء تنشأ عن الحضرة الربانية، فهذا المعنى هو المعنون عنه بالحقيقة الأحمدية، ولا امتراء عند أهل الكشف أن الأنبياء والرسل- عليهم السلام- مدة غيبة الذات المحمدية في عالم الغيب لم يكونوا يسقون إلا من عناصر تدفقات الحقيقة الأحمدية, فهذا الاسم العظيم أحمد هو أعرف المعارف عند الأنبياء والرسل- عليهم السلام- كبار أهل الحضرات الخاصة وهم مقدمة الجيش المحمدي؛ ولما برزت الجسمانية المحمدية المعبر عنها بالحقيقة المحمدية وصار العالم المتأخر يسقي من

جداول فيوضاتها صار الاسم الكريم محمدًا أعرف المعارف أيضًا عند ساقة المحمدي.

ولذلك لم يقع التبشير به في الكتب السالفة إلا بالاسم أحمد لأنهم لم يكونوا يسقون إلا منه؛ فلذلك أكثر الله تعالى من ذكره لكليمه سيدنا موسى في الحديث الطويل لما كان بجانب الطور وهو يقول: «**إني وجدت في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم فاجعلهم أمتي، والله تعالى يقول: تلك أمة أحمد، تلك أمة أحمد، تلك أمة أحمد ..**» [1] إلخ ما يأتي.

وفي القرآن: ﴿**وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾ [الصف:6], ووقع قرن الاسم الشريف المحمدي مع اسم الجلالة في المواطن الشريفة كما ستعلم تفضيله إن شاء الله تعالى، وكما قال سيدنا حسان بن ثابت شاعر الأعتاب المحمدية:

**ألـــمْ تـــرَ أنَّ اللهَ أرســـلَ عبـــدهُ ... ببرهانـــهِ واللهُ أعلَـــى وأمجـــدُ**
**أعـــزٌّ عليـــهِ بـــالنبوةِ خـــاتمٌ ... مـــنْ اللهِ مشـــهورٌ يلـــوحُ ويشـــهدُ**
**وضـمّ الإلـهُ اسـمَ النبـيّ إلَـى اسـمهِ ... إذَا قـالَ فِـي الخمـسِ المـؤذنُ أشـهدُ**
**وشـــقَّ لـــهُ مـــنْ اســـمهِ ليَجلّـــهُ ... فـذُو العـرشِ محمـودٌ وهـذَا محمـدُ**

ومن هنا ظهر لك أفضلية الاسم الشريفة العظيم أحمد على الاسم الكريم محمدًا وأدنى ما تسمعه وجهان:

**الوجه الأول:** من حيث كون مدلول أحمد هو الحقيقة الأحمدية.

ومنها كان يُسقي أنبياء الله تعالى ورسله، ولو قال متقول: أنّهم كانوا يسقون من الحقيقة المحمدية يلزمه أن يقول بوجود الجسمانية المحمدية في تلك الأعصر الخوالي وما أراه يستلزم ذلك.

**الوجه الثاني:** من حيث أنبياء الله ورسله هم مقدمة الجيش العرمرم[2] المحمدي بخلاف ما عداهم من الأولياء والمراتب فهم ساقة ذلك الجيش المحمدي، وتأتيك عجائب من هذا الباب إن شاء الله تعالى فارتقبها ﴿**وَاللهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**﴾ [الأحزاب:4].

---

(1) رواه الطبري في التفسير (65/9).

(2) أي: الجيش الكثير القوي.

**انعطاف:** وأما من نظر الاعتبار الثاني, وهو أن اسم الجلالة اسم للذات من حيث الصفات، قال أنه ليس اسم علم، ويحتج له بشبه:

**الشبهة الأولى:** قوله جل مجده: ﴿**وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ**﴾ [الأنعام:3]، وقوله: ﴿**هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ**﴾ [الحشر:22], فإن قوله الله لا بدَّ وأن يكون صفة، ولا يجوز أن يكون اسم علم بدليل أنه لا يجوز أن يقال: هو فلان في البلد، وهو بكر، ويجوز أن يقال هو العالم الزاهد في البلدة بهذا المعنى يعترض على قول النحويين أنّ الضمير لا يقع موصوفًا ولا صفة، وإذا ثبت كونه صفة امتنع أن يكون اسم علم.

**الشبهة الثانية:** أن اسم العلم قائم مقام الإشارة, فلما كانت الإشارة ممتنعة في حق الله تعالى كان اسم العلم ممتنعًا في حقه.

**الشبهة الثالثة:** أن اسم العلم إنما يصار إليه؛ ليتميز شخص عن شخص يشبهه في الحقيقة والماهية.

وإذا كان هذا في حق الله تعالى ممتنعًا كان القول بإثبات الاسم العلم محالاً في حقه، ويمكن الجواب عن هذه الشبه.

**فأمّا الأولى:** فلم لا يجوز أن يكن ذلك جاريًا مجرى أن يقال هذا فلان الذي لا نظير له في العلم والزهد.

**وأما الثانية:** فإن الاسم العلم هو الذي وضع لتعيين الذات المعينة، ولا حاجة فيه إلى كون ذلك المسمى مشارًا إليه بالحسن أم لا، وهذا هو الجواب عن الثالثة، وهؤلاء أيضًا هم القائلون باشتقاقه, وعلى هذا فهو من معنى مستلزم لسائر الصفات الإلهية، فلذلك كان الأحسن في اشتقاقه بعد عشرين قولاً على ما في «المباسيط» للشيرازي، وأشار إليه في متن القاموس، بل قال ابن الطيب الشركي[1] في حواشيه: أنّها ثلاثون

---

(1) هو محمد بن الطيب بن محمد ابن موسى الشركي - بالقاف المعقودة - نسبة إلى (شراكة) على مرحلتين من فاس.

قولاً، كما قال صاحب القاموس تفاسيرًا.

**التفسير الأول:** أنّه من إله بمعنى تحير أي المتحير فيه، قال أبو عبد الله البكي في «شرح الحاجبية»: وهذا الاشتقاق يُشعر بالاتصاف بصفات الجلال وصفات الإكرام التي لا يمكن المشاركة فيها، وذلك صفة الألوهية أو مستلزم لها.

وفي حديث وهيب بن الورد: «**إذا وقع العبد في إلهانية الرب، ومهيمنة الصديقين، ورهبانية الأبرار لم يجد أحدًا يأخذ بقلبه أي لم يجد أحدًا يعجبه, ولم يحب إلا الله سبحانه».**

**قال ابن الأثير:** هو فعلانية من إله يأله، إذا تحيَّر يريد إذا وقع العبد في عظمة الله تعالى وجلاله وغير ذلك من صفات الربوبية وصرف توهمه إليها أبغض الناس حتّى ما يميل قلبه إلى أحد، ومؤدى هذا الاشتقاق أن العقل إذا تفكر في حال الربوبية تحير؛ لأن كل ما يتخيله الإنسان ويتصوره فهو بخلافه, فإن أنكر العقل وجوده كذبته الشواهد وكذبته نفسه؛ لأن كل ما سواه فهو محتاج، وحصول المحتاج بدون المحتاج إليه محال، وإن أشار إلى شيء يضبطه الحس والخيال، وقال أنه هو كذبته نفسه أيضًا؛ لأن كل ما يضبطه الحس والخيال, فأمارات الحدوث ظاهرة فيه, فلم يبق في يد العقل إلا أن يقر بالوجود والكمال مع الاعتراف بالعجز عن الإدراك, فهاهنا قال الصدِّيق الأكبر: العجز عن درك الإدراك إدراك.

ولا شكَّ أن هذا موقف عجيب تضطرب الألباب في حواشيه.

**ومن هاهنا قال المحققون من النظار:** أنه لا تنعقل من صفاته تعالى إلا [...][1] بمعنى أن لا تنعقل من قدرة الله تعالى إلا أنه لا عجز معه، ومن إرادته إلا أنّه لا كراهة ومن علمه إلا أنه لا جهل مع الاعتراف بأنها صفات وجودية قائمة بالذات العلية؛ لكن لا تنعقل حقيقتها لأن الكنه محجوب.

وقال الواسطي: أمور التوحيد كلها أخرجت من هذه الآية الكريمة ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ**

( 1 ) كلمة غامضة.

**شَيْءٌ﴾** [الشورى:11]؛ لأنه ما عبر عن الحقيقة بشيء إلا والعلة مصاحبة، والعبارة ناقصة؛ لأن الحق لا ينعت على مقداره؛ لأن كل ناعت مشرف على المنعوت وجل ربنا أن يشرف إليه مخلوق, انتهى.

فأعلى المحامد عند جميع المحققين التي يثني بها العبد على ربه عقلاً وشرعًا قولنا هو كما أثنى على نفسه ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشورى:11] إذ لا يصح لعبد أن يثني على ربه جلَّ وعزَّ بما لا يعقله العبد وما بقى إلا أن يثني عليه العبد بما يعقله فقط، ومعلوم أن الحق من وراء كل ثناء للعبد فيه ثبوت بكل شيء علمته أو عقلته كان على صفتك ولا بدَّ.

**ومن هاهنا قال أهل الكشوفات:** حقيقة التسبيح هي التسبيح عن التسبيح، كقولهم التوبة هي التوبة من التوبة، وإيضاح ذلك أن التسبيح تنزيه ولا نقص في جانب الحق تعالى يتعقله العبد حتى ينزه خالقه عنه، فافهم.

**ولهذا قالوا:** التوحيد إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاده الواسطي بيانًا فقال: ليس كذاته ذات، ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ، اللفظ وجلت الذات القديمة أن تكون لها صفة حادثة، كما استحال أن يكون للذات المحدثة صفات قديمة, انتهى.

ويحكى أنه قدم على أرسطاليس الحكيم أربعة آلاف يريدون التعليم منه فتخير منهم أربعة رجال فقال: اسمعوا وعوا، فقال الثلاثة: سمعنا ووعينا.

وقال الرابع: ما سمعنا ولا وعينا، فقال له: اعلم أن العقل يطلب إدراك الأشياء من حيث عِلَلِها، والوهم يطلب إدراك الأشياء من حيث صورها، والحس يطلب إدراك الأشياء من حيث الإحاطة بها، والله تعالى ليس بذي علة فيدركه العقل، ولا بذي صورة فيدركه الوهم، ولا بذي إحاطة فيدركه الحس, انتهى.

قال سهل بن عبد الله التستري τ**:** المعرفة غايتها شيئان الدهش والحيرة.

وقال ذو النون المصري: أَعْرَف الناس بالله أشدهم تحيرًا فيه.

وقال الشيخ الأكبر: كلما ازداد العبد في العلم بالله تعالى زادت حيرته، ولا سيما أهل الكشف لاختلاف صور التجلي عليهم عند الشهود, فهم أعظم حيرة من أصحاب النظر في الأدلة, انتهى.

**وفي الباب السابع والثلاثين وثلاثمائة من «الفتوحات»:** ما سمى الحق تعالى نفسه بالباطن إلا بالبطون العلم بالذات عن جميع الخلق دنيا وأخرى, انتهى.

**فإن قلت:** ما حكمة منع الخلق من أن تعلم الحق من كل وجه؟

**قلت:** الجواب ما قاله الشيخ الأكبر في الباب الثالث والسبعين: إنَّ حكمة ذلك أن تمنع من علم سر القدر إذ لو صح للمعلومات أن تعلم الحق من كل وجه لعلمت سر القدر، ولو علمت سر القدر لعلمت أحكامه، ولو علمت أحكامه لاشتغلت بالعلم بكل شيء, وما احتجت إلى الحق تعالى في شيء وذلك محال, انتهى[1].

ومن هاهنا تعلم أنه لا يصح رفع حجاب العظمة عن الحق تعالى أبدًا الذي هو كناية عن عدم الإحاطة به تعالى فلا تقع عين عبد إلا على هذا الحجاب.

**التفسير الثاني:** أنه مشتق من الوله وهو ذهاب العقل.

واعلم أن الخلق قسمان: واصلون إلى ساحل بحر معرفته، ومحرومون.

فالمحرومون قد بقوا في ضيق الحيرة وتيه الجهالة, وكأنهم فقدوا عقولهم وأرواحهم، وأما الواجدون فقد وصلوا إلى عرصة النور وفسحة الكبرياء، والجلال فتاهوا في ميادين الصمدية, وبادوا في عرصات الفردانية، فثبت أن الخلق كلهم, والهون في معرفته فلا جرم كان الإله الحق للخلق هو هو، وليت شعري كيف يحاط بجلال الربوبية.

وهذا مَلَك استأذن ربه جل جلاله أن يطير إلى سمك العظمة, فطار ثلاثين ألف سنة فقال: يا رب أين أنت؟ فقال: أنا معك، ثم طار ثلاثين ألفًا أخرى، فقال: يا رب أين أنت؟ فقال: أنا معك، ثم طار كذلك، فقال: يا ربّ أين أنت؟ فقال: أنا معك، فقال:

(1) لم أقف عليه في الفتوحات المطبوعة.

سبحانك ما أعظم شأنك, فطلب الرجوع إلى عشه.

وهذا أبو داود, وابن عساكر في التاريخ والضياء أخرجوا عن سيدنا جابر رفعه:

**«أذن لي أن أحدث عن مَلَك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عائقه سبعمائة سنة»**[1].

وهذا الطبراني في الأوسط أخرج عن سيدنا أنس τ رفعه: **«أذن لي أن أحدث عن مَلَك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش، وبين شحمة أذنه وعائقه خفقان الطير سبعمائة عام يقول ذلك الملك سبحانك حيث كنت»**[2].

وهذا الطبراني أخرج عن ابن عمر وسهل بن سعد معًا-رضي الله تعالى عنهما- أن دون الله عز وجل سبعين ألف حجاب من نور وظلمة وما تسمع نفس شيئًا من حسن تلك الحجب إلا زهقت.

وهذا سعيد بن منصور أخرج في سننه، وابن أبي حاتم والطبراني، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الأسماء والصفات عن عبد الرحمن بن قرط رفعه: **«سمعت تسبيحًا في السماوات العلى من ذي المهابة مشفقات لذي العُلى بما علا سبحان العلي الأعلى سبحانه وتعالى»**[3].

وهذا الديلمي أخرج عن ابن عمر رفعه عن حضرة النبوة عن الله تعالى، قال الله Y: **«إني خلقت ألف ألف أمة لا تعلم أمة أني خلقت سواها لم أطلع عليها اللوح المحفوظ ولا صيرورة القلم، إنما أمري لشيء إذا أردت أن أقول له كن فيكون، ولا**

---

(1) رواه أبو داود (232/4), والديلمي في الفردوس (401/1).

(2) رواه الطبراني في الأوسط (314/6).

(3) رواه الطبراني في الأوسط (112/4).

**تسبق الكاف والنون»**[1].

وهذا أبو الشيخ في العظمة أخرج عن سيدنا أبي هريرة τ «أن لله تعالى أرضًا من وراء أرضكم بيضاء نورها وبياضها مسيرة شمسكم هذه أربعين يومًا، فيها عباد لله تعالى لم يعصوه طرفة عين، ما يعلمون أن الله تعالى خلق الملائكة، ولا آدم ولا إبليس، هم قوم يقال لهم الروحانيون خلقهم الله سبحانه من ضوء نوره»[2].

وروي أن أول من سبح الله تعالى [حزقائيل] وهو ملك له مائة ألف جناح من جناح إلى جناح مسيرة خمسمائة سنة خطر على باله هل فوق عرش ربنا شيء، فعلم الله تعالى ذلك منه فزاده مثل أجنحته مائة ألف أخرى، فطار مائة ألف سنة فلم ينل رأس قائمة من قوائم العرش فأوحى الله تعالى إليه: لو طرت إلى يوم النفخ في الصور لم تبلغ ساق العرش فخر راكعًا، وقال سبحان ربي العظيم فأخذ التسبيح في الركوع من ذلك الملك, انتهى.

وأخرج أبو نعيم في «الحلية» عن سعيد بن جبير مرسلاً: أن لله تعالى في السماوات السبع ملائكة يصلون له غنى عن صلاة فلان، قال عمر: وما صلاتهم؟ فلم يرد عليه شيئًا فأتى جبريل فقال: يا نبي الله سألك عمر عن صلاة أهل السماوات، قال: «**نعم**»، فقال: اقرأ على عمر السلام, وأخبره أن أهل سماء الدنيا سجود إلى يوم القيامة، يقولون:سبحان ذي الملك والملكوت، وأهل السماء الثانية ركوع إلى يوم القيامة, يقولون: سبحان ذي العزة والجبروت سبحان ذي العرش والجبروت، وأهل السماء الثالثة قيام إلى يوم القيامة يقولون: سبحان الحي الذي لا يموت[3].

ومن اللطائف ما في «شجرة الكون»[4] للشيخ الأكبر يخاطب الحضرة المحمدية

---

(1) رواه الديلمي في الفردوس (184/3).

(2) رواه أبو الشيخ في العظمة (922).

(3)

(4) وتنسب أيضًا للعز بن غانم المقدسي باسم «الشجرة في الوعظ» وقد طبعت محققة على نسخ وراء شجرة المعارف للعز بن عبد السلام (بتحقيقنا) طبع – دار الكتب العلمية- بيروت. وهذا ما نرجحه نسبته لابن غانم المقدسي, وإن نسبت كثيرًا للشيخ الأكبر, والله أعلم.

على لسان العرش لمّا مر به سيدنا محمد ع حين قفل من الإسراء.

وكل من رأيته نقله إنما ينقله عن المواهب اللدُنية: يا محمد خلقني فكنت أرعد لهيبة جلاله، فكتب على قائمتي لا إله إلا الله فازددت لهيبته ارتعاشًا وارتعادًا, فكتب محمد رسول الله فسكن لذلك قلقي، وهدأ روعي فكان اسمك لقاحًا لقلبي، وطمأنينة لسري, يا محمد أنت المُرسَل رحمة للعالمين، ولا بدَّ لي من نصيب من هذه الرحمة, ونصيبي يا حبيبي أن تشهد لي بالبراءة مما نسبه أهل الزور إليَّ، ويقوله أهل الغرور علي زعموا أني أسع من لا مثل له وأحيط بمن لا كيف له، يا محمد من لا حد لذاته ولا عد لصفاته كيف يكون مفتقرًا إليَّ، أو محمولاً عليَّ؟ إذا كان الرحمن اسمه والاستواء صفته، وصفته متصلة بذاته فكيف يتصل بي أو ينفصل عني، يا محمد وعزته لست بالقريب منه وصلاً، ولا بالبعيد منه فصلاً، ولا بالمطيق له حملاً، أوجدني رحمة منه وفضلاً، ولو محقني لكان حقًّا منه وعدلاً، يا محمد أنا محمول قدرته، ومعمول حكمته, انتهى.

**وبالجملة:** فلا يعرف الله تعالى إلا الله سبحانه.

وفي المبحث الرابع من «اليواقيت» نقلاً عن صاحب «المواقف» الشيخ عبد الجبار النفري العارف الكبير ما نصه:

أوقفني الحق تعالى, وقال لي: «إن أردت أن أتعرف عليك فارم علمك من وراء ظهرك، ولا تدخل حضرتي بعلم ولا بجهل، وقف من وراء الكون واسأله عني تجد الكون جاهلاً بي، واسأل الجهل عني تجده جاهلاً بي، فإني أنا الظاهر لا كما ظهرت الظواهر، وأنا الباطن لا كما بطنت البواطن وشهود عبدي لي مع غيري لا يصح, فإن أردت أن أتعرف لك، فلا تجعل الكون من فوقك ولا من تحتك، ولا عن يمينك، ولا عن شمالك، ولا في علمك، ولا في وجدك، ولا في ذكرك، ولا في فكرك، وانظر من قبل الكون فهناك مقامك فأقم فيه ناظرًا إليّ كيف أخلق الأمور» [1].

وقال فيها أيضًا: «أوقفني الحق تعالى، وقال لي: إن أردت أن أتعرف لك

(1) انظر: المواقف (موقف الصفح الجميل) (ص36).

فاخرج عن شهود الموصول، والمفصول، وعن العلم الذي ضده الجهل، وعن الجهل الذي ضده العلم، وعن المعرفة التي ضدها الفكر», وأطال في ذلك.

وفي كتاب «العبادلة» للشيخ الأكبر: تنتهي همم العارفين بالله تعالى وهم معه على أول قدم في المعرفة فلم تفِ لهم أعمارهم بما تعلقت به هممهم من واجب معرفة الله تعالى كما يليق بجلاله, انتهى.

ويا سبحان الله كيف ساغ لأهل الأصول أن يختلفوا في مسألة وهي أن حقيقته تعالى، هل يمكن علمها في الآخرة بعد أن قالوا: أنها ليست معلومة في الدنيا؟

ونقل الخلاف في متن «جمع الجوامع» تبعًا لمن سبقه، ويا ليت شعري كيف يختلج بي وهم الاختلاف في هذا المنزع والعلة التي من أجلها استحال ذلك في الدنيا موجودة، ولا تزال في سائر العوالم وهو عدم مساواة علم الحق جل مجده، وعلم الخلق؛ فلما كان العلم بحقيقة الحق سبحانه يقضي إلى علم ما يعلمه، ويفضي ذلك للمساواة للحق، والمسايرة معه، والمساواة معه تقتضي الاستغناء عنه لأجل هذا استحالت, وتستحيل لا ندري السبب الذي أوجب خفاء هذا عليهم حتى اختلفوا.

**قلت:** ومن الأغاليط التي تقشعر منها الجلود ما رأيته آخر شرح المواقف للسيد الجرجاني وأظنه تبع فيه الفخر في التفسير الكبير ونحوه للشيح زاده في «حواشي البيضاوي» صدر التفسير قولهم: أنه يمكن أن يشرف الله تعالى بعض الخواص بالاطلاع على الحقيقة الإلهية المخصوصة.

**قلت:** وهو من الكلم العقم, ويا للعجيب أني رأيت صاحب الحديقة الندية في شرح الطريقة المحمدية لسيدي محمد أفندي الرومي البركلي نقلها عن الشيخ زاده وسلمها مع أنه من أهل المعارف، وسيد العارفين يقول: «**لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[1] , وأقول: سبحان ربك رب العزة عما يصفون فانظر كيف نزه تعالى نفسه عما يصفونه به فافهم.

(1) رواه مسلم (352/1), والترمذي (524/5).

**بل نقول:** أن سر القدر المتحكم في الخلائق ينكشف لعامة الأناسي يوم الفصل حتى تقام لهم وعليهم الحجج فما يعقلونه ولم يعلمه في الدنيا إلا الورثة المحمديون.

وأما القدر نفسه فلا يمكن الاطلاع عليه لا في الدنيا، ولا في البرزخ، ولا في الآخرة، لا لنبي، ولا لرسول، ولا لملك للعلة التي أسلفناها آنفًا.

بل نقول أنّ الكنه الأحمدي تتسور على محراب الاطلاع عليه بصائر الخلائق، ولا عقلوهم، ولا أرواحهم، ولا إدراكاتهم، ولا كشوفاتهم، ولا اطلاعاتهم، لا في الدنيا، ولا في البرزخ، ولا في عالم القرار أيضًا؛ لأن وصفه ε من وصفه سبحانه، ونعته من نعته وهو القائل: «**ما عرفني حقيقة غير ربي**»[1].

**وقد قال الشيخ الأكبر في شرحه لترجمان الأشواق:** كل من الخلق واقف عند حجاب العزّة الأحمى فعند هذا الحجاب تنتهي علوم العالمين، ومعرفة العارفين ولا يصح لأحد أن يتعدى هذا الحجاب، ولو كان من أكابر الأحباب,انتهى.

**قلت:** وحجاب العزة الأحمى هذا هو رداء الكبرياء المعنون عنه بالحقيقة الأحمدية فإليه ينتهي علم العالمين، ومعرفة العارفين، ولا يصح رفعه لعين من أعيان الممكنات فعليه يقع التجلي، وفيه تقع المشاهدات، وعنه تفاض التجليات, فافهم.

وأما قول المديح:

**وكيفَ يدركُ فِي الدنيَا حقيقَتهُ ... قومٌ نيامٌ تسلّوا عنهُ بالحلمِ**

**فقوله:** الدنيا نقول أنه وصف كاشف لم يؤت به للاحتراز واليقظة ثمة نسبية، سيما لما عبر بالإدراك وهو يشعر بالإحاطة للفرق بينه وبين الرؤية على حد ما علم في قوله تعالى: ﴿**لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾ [الأنعام:103] أي: لا تحيط به، والعلة هاهنا في عدم حيطة الخلق به صلى الله عليه وسلم وعلى آله أنه يستلزم صيرورة علمهم مثل علمه، إذ الحيطة بالشيء تقتضي علمه من كل وجهاته وإذا علموا علمه استغنوا عن وساطيته وهو أمر مستحيل عند أهل الكشوفات العرفانية، فالأمر عندهم ثَمَّةَ هو الأمر

(1) ونحوه أيضًا: «لا يعرف قدري سوى ربي» وكلاهما حديث كشفي.

هنا، إنّما اختلفت المواطن وباختلافها يختلف التجلي فأعقل وإن لم تره عند أحد فاحفظه، فإن علمه ينفعك مع نبيك، وفي عقيدتك والله رؤوف بالعباد.

هذا في أسرار التوحيد وفي المخلوقات عجزنا عن درك حقيقته, فكيف بجلال الربوبية؟ ومن عرف الله سبحانه كل لسانه!.

قلت: ومن عرف الله انبسط لسانه أيضًا.

**التفسير الثالث:** أنه مشتق من لاه إذا ارتفع، والحق جل جلاله هو المرتفع عن جميع الممكنات ومناسبة المحدثات, لأن الواجب لذاته ليس إلا هو، والأحد الحق في هويته ليس إلا هو، والموجد لكل ما سواه ليس إلا هو.

**التفسير الرابع:** أنه من لاه يلوه إذا احتجب ومعنى كونه محتجبًا من وجوه:

**الوجه الأول:** أنه بكنه صمديته محتجب عن العقول.

**الثاني:** أنا لو قدرنا أن الشمس كانت واقفة في وسط الفلك غير متحركة كانت الأنوار باقية على الجدران غير زائلة عنها فحينئذ ربما يخطر ببال القاصر أن هذه الأنوار الواقعة على هذه الجدران ذاتية لها إلا أنه لما شاهد أن الشمس تغيب وعند غيبتها تزول هذه الأنوار عن هذه الجدران علمنا أن هذه الأنوار فائضة عن قرص الشمس.

فهكذا هنا الوجود الواصل إلى جميع المخلوقات من جناب القدرة الربانية كالنور الواصل من قرص الشمس، فلا سبب لاحتجاب نوره إلا كمال نوره فسبحان من احتجب عن العقول لشدة ظهوره واختفى عنها بكمال نوره فظهر لكم؛ لأن حقيقة الصمدية محتجبة عن العقول، ولا يجوز أن يقال محجوبة؛ لأن المحجوب يقتضي أن له حاصرًا, وهو يقتضي أن له قاهرًا ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾ [الأنعام: 18], واقتصرنا من تفاسير هذا الاسم الشريف العظيم على هذه الأربع؛ لئلا يطول المجال ويتسع المقال.

**تنبيهات:** الأول: قال بعضهم: حيث ما ذكر الاشتقاق في أسماء الله تعالى،

فالمراد منه أن في الاسم معنى المصدر لا أنّ الاسم مأخوذ منه؛ لأن أسماء الله تعالى قديمة فلا يصح كونها مأخوذة من شيء كذا، قال: وهو اشتباه؛ لأن المحكوم عليه بالاشتقاق هو اللفظ فقط، وهو حادق, فلا محظور في كونه مأخوذًا, والقديم هو المعنى ولا يتصّور فيه الاشتقاق وبالله التوفيق.

**التنبيه الثاني:** ذكر صاحب «روح البيان» [1] أن حظ العبد من هذا الاسم التأله ويعني به أن يكون مستغرق القلب والهمة في الله تعالى لا يرى غيره ولا يلتفت إلى سواه،ولا يرجو ولا يخاف إلا إياه، وكيف لا, وقد فهم من هذا الاسم أنه الموجود الحقيقي الحق, و كل ما سواه فانٍ، وهالك وباطل إلا به، فيرى نفسه أول هالك وباطل كما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، حيث قال: أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد:

**أَلَا كــــلُّ شـــــيءٍ مَـــــا خَـــــلَا اللهَ باطـــــلُ**[2]

ولم مات السلطان بعد الإعصار عزم جماعة على قتل الوزير, فجاء بيت الشيخ وما في القسطنطينية واستغاث به, فأدخله الشيخ بيته فهجموا جميعًا إلى بيت الشيخ فخرج الشيخ وقال: مرة واحدة يا الله فهربوا جميعًا, انتهى.

وما ذلك إلا لاستيلاء العظمة الإلهية على عوالمه الباطنة بحيث امتحت جميع الأغيار ولم تبق فيه ربانية لغير الأحد القهار، فكتب بدم زليخا: يوسف، حيث وقع. وبدم الحلاج: الله، الله، حيث وقع فأنشد:

**مَـــا فَـــدِي عضـــوٌ ولا مَفصْـــلُ إلَّا فيـــــــهِ لَكُـــــــمْ ذِكْـــــــرُ**

**التنبيه الثالث:** اعلم أن كل من فتح له في باب فليلزمه إلا وأن أداء المشايخ تفرقت على شعب الشعبة الأولى: قد توطأت على الاستهتار بهذا الاسم الله، لما وجدوا له من الأثر العظيم الذي تنفعل له النفوس والأرواح والقلوب، وتندبغ الذوات وتصقل به المرايا سيما لأهل الخلوات الناصعة والتوجهات التي تنفعل لها الأمداد، ولهم في

---

(1) في (47/2).

(2) رواه البخاري (3553).

ذلك ملاحظ فمنهم من يرتبه على أعداد الخواطر اليومية وهي سبعون ألف خاطر فيقابله بمثلها أسماء.

ومنهم من يجعله عدد الأنفاس اليومية وهي أربعة وعشرون ألف نفس.

وحكى أبو على الدقاق أن رجلاً كان يقول الله، الله, فأصاب حجر رأسه شجَّه فوقع دمه على الأرض وكتب الله، الله.

وبقي أبو الحسن النوري في منزله سبعة أيام لم يأكل، ولم يشرب، ولم ينم وهو يقول الله، الله فأخبر الجنيد بذلك فقال: انظروا أمحفوظة عليه أوقاته أم لا؟ فقيل له: إنه يصلي الفرائض! فقال: الحمد لله الذي لم يجعل للشيطان عليه سبيلاً، قوموا بنا إليه إمّا أن نستفيد منه أو نفيده, فلما دخل الجنيد قال: يا أبا الحسن ما الذي دهاك؟ قال: أقول الله، الله زيدوا علي وقولوها معي، فقال له الجنيد: حتى نرى قولك الله، أبالله أم بنفسك؟ إن كنت قائلها بالله فلست القائل، وإن كنت قائلها بنفسك فما معنى الوله، فقال: نعم المؤدب أنت يا أبا القاسم وسكن ولهه.

وصاح الشبلي في مجلس الجنيد وهو في ولهه بالذكر الله, فقال له الجنيد: يا أبا بكر الغيبة حرام إن كنت غائبًا عنه حال ذكرك, فهي غيبة وإن كنت معه حاضرًا فقد هتكت الحرمة[1].

وصاح شاب في مجلس الجنيد الله, فقال له الجنيد: أمسك وإن عدت لمثلها لا تحضر مجلسنا, فأمسك الشاب على نفسه وإذا به قد سقط ميتًا.

**وإذَا بَدَى سِرُّ اللبيبِ فإنّهُ ... لمْ يبدِ إلّا والفتَى مغلوبُ**
**الحبُ أغلبَ للفؤادِ بقهرهِ ... مِنْ أنْ يرَى للسّرِّ فيهِ نَصيبُ**
**مَنْ كانَ يزعمْ أنّهُ سيكتمُ حبهُ ... حتَّى يشككَ فيهِ فهوَ كذوبُ**

ولقد أغرب هارون الرشيد حيث قال:

**لسانِي كتومٌ لأسرَارِهمْ ... ودمعٌ بسرِّي نموعُ مذيعُ**
**فلولَا دموعِي كتمتُ الهوَى ... ولولَا الهوَى لمْ تكنْ لِي دموعُ**

(1) انظر: نفحات الأنس للجامي (ص145), وكتابنا الإمام الجنيد سيد الطائفتين (ص190).

ويقال في محاسن هذين البيتين: إن كلام الملوك، ملوك الكلام.

وعن ابن مسعود τ: «إن الله تعالى خلق ملائكة على عدد الحروف، وسماهم بأسماء الحروف، ثم قال لهم: قدسوني وعظموني, فإني أنا الله لا إله إلا أنا فتضاءلت تلك الملائكة بين يديه, فأول من سجد الملك الذي على صورة الألف وسمى باسمه، فلما سجد صار على هيئة الهمزة, فقال له المولى عزت كلمته: وعزتي وجلالي لأجعلن حرف الألف أول الحروف، ولأجعلنه أول الاسم العظيم»[1].

وبهذا ونحوه تفهم أن فتوى الإمام العز بن عبد السلام غير مسلمة، وقد ذكرها الحطاب في باب الردة وغيره من أن ذكر الله تعالى بتكرير الجلالة بدعة لا ثواب فيها، ولم ينقل مثله عن أحد من السلف وإنما يفعله الجهلة، والذكر المشروع لا بدَّ فيه كله من أن يكون جملة مفيدة والاتباع خير من الابتداع وبيان أنها لا تسلم من وجوه:

**أولا:** ما تقدم عن ابن مسعود ولا يُقال رأيًا فحكمه الرفع.

**وثانيًا:** ما تقدم عن مشايخ الطريق وهم صفوة الصفوة من الخلق بعد الأنبياء والرسل، كما قال القشيري صدر الرسالة: وهم من السلف بلا ريب.

**وثالثًا:** قوله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص:1] ففيه الإذن للحضرة المحمدية بذكر الأسماء الثلاثة مجرّدة اسم الهوية، واسم الجلالة، والاسم الأحد, وقوله تعالى: ﴿**وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ**﴾ [الأحزاب:35].

وفي الحديث القدسي: «**من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين إلى ما لا يحصى**»[2], كما علم في السنن والمسانيد الحديثية.

قال في «نسيم الرياض»: ولم يُقيد بقيد.

**ورابعًا:** أعلى ما يستدل به في الباب من السنة، ما في الصحيح في بعض الغزوات لما قال للمصطفى ε ذلك الرجل: «**من يمنعك مني؟ قال: الله، الله، الله,**

(1) لم أقف عليه.

(2) رواه البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص109), والبيهقي في الشعب (413/1), والبزار في مسنده (247/1).

**فارتعد السيف من يد الرجل وسقط»**[1].

ويليه ما في صحيح مسلم: «**لا تقوم الساعة, وعلى وجه الأرض مَنْ يقول الله، الله»**[2], سيما على رواية النصب.

**وخامسًا:** الذاكر قصده التعظيم والتوحيد, فإذا قال الله ملاحظًا لمعناه, فكأنه قال: معبودي واجب الوجود ومستحق بجميع المحامد.

**وليت شعري**: أليس في هذا ثواب, ولم تبعث الرسل-عليهم السلام- إلا لتقرير هذا المعنى في أذهان أهل الإسلام فلا ثواب إلاّ عن هذا الأصل ووجوده ينشأ فأعقل، وهل معناه إلاّ معنى لا إله إلا الله, فإذا قال الله كأنه يقول: إلهي واجب الوجود، موصوف بالصفات، منزّه عن الآفات، لا شريك له في المخلوقات، وعلى هذا المعنى انتظم العالم, واستقام أمر السماوات والأرض, فكيف يكون بدعة ولا ثواب فيه.

ولما كان هذا معنى الله لا جرم، استحق الذكر أن يكون أفضل الأعمال من الصدقة والجهاد مع أن في «صحيح البخاري» في باب الجهاد: لما سُئل ρ عن أفضل الأعمال فلم يقدر أن يفضل على الجهاد غيره من الأعمال، ومع ذلك أخرج الحاكم في كتاب «الدعاء والذكر»: قال الحاكم صحيح، وأقره الذهبي، ورواه أحمد, قال الهيثمي: وسنده حسن: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ذكر الله»**[3].

وأخرجه أيضًا الترمذي في «الدعوات»، والنسائي في «باب التسبيح».

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»:[4] فهو مخصص لحديث الباب من أنه لا أفضل من الجهاد، بل الذكر أفضل منه، واستحق الذاكرون أن يُنفى الشقاء عمن

---

(1) رواه البخاري (1515/4), ومسلم (1786/4) بنحوه.

(2) رواه مسلم (148).

(3) رواه الترمذي (459/5), وابن ماجه (1245/2), وأحمد (195/5).

(4) انظر: فتح الباري (213/11).

جالسهم في حديث: «**همُ القومُ لا يشقى جليسهم** »[1], كما في الصحيح وغيره, فافهم.

**وسادسًا:** قال الخفاجي في «شرح الشفاء»: ولم يزل أهل الله تعالى من العلماء والصلحاء يفعلونه من غير نكير، وكان الأستاذ البكري-رحمه الله تعالى- يفعله ويقول: استغفر الله مما سوى الله, وكل شيء يقول الله، وفي مجلسه أجله العلماء والمشايخ, وهذا هو الحق.

**وسابعًا:** إنما يفعل هذا الذكر من زال عنه الشقاء؛ لأنه إذا نفى الله تعالى الشقاء عمن جالسهم فأحرى هم، وهذا في مقابلة قوله: إنما يفعله الجهلة على نقل الشهاب الخفاجي في «شرح الشفاء».

**وثامنًا:** انظر كيف عرف تعالى الجزئين في قوله: هم القوم، وهو يفيد الحصر كأنه يقول جل سلطانه: لا قوم سواهم، فضلاً عن كونهم في أمر غير مشروع.

**وتاسعًا:** قوله أن الذكر المشروع لا بدَّ فيه من أن يكون جملة مفيدة، جوابه ما قاله صاحب «التحبير» لما تكلم عن اسم الهُوية: اعلم أن هذا الاسم موضوع للإشارة, وهو عند الطائفة إخبار عن نهاية التحقيق, وهو يحتاج عند أهل الظاهر إلى صلة تعقبه ليكون الكلام مفيدًا لأنك إذا قلت هو ثم سكت فلا يكون الكلام مفيدًا حتى تقول قائم، أو قاعد، فأما عند القوم فإذا قلت هو فلا يسبق إلى قلوبهم غير ذكر الحق فيكتفون عن كل بيان لاستهلاكهم في حقائق القرب لاستيلاء ذكر الله تعالى على أسرارهم، وامتحانهم عن شواهدهم، فضلاً عن إحساسهم بِمَن سواه, انتهى.

وقال أبو العباس زروق في تعليقه على «حزب البحر»: وقوله يا من هو معناه أنه لا يمكن أن يشار إلا لجلاله وعظمته فهو هو .. إلخ كلامه.

وفي حواشي «الحزب الكبير»: والحاصل أن الإشارة بهو مختصة بأهل الاستغراق والتحقق بالهويّة الحقيقية، فالانطباق بحر الأحدية عليهم، وانكشاف الوجود الحقيقي لديهم، عدموا من يشار إليه بهو إلا هو؛ لأن المشار إليه لما كان واحدًا كانت

(1) رواه مسلم (2069/4), وأحمد (251/2).

الإشارة إليه مطلقة لا تكون إلا إليه لفقد ما سواه في شعورهم لفنائهم عن الرسوم البشرية بالكلية، وغيبتهم عن وجودهم, وعن إحساسهم, وأوصافهم الكلية, وذلك غاية في التوحيد والإعطاء.

ثم قال: هذا مقتضى حال القوم من وجدانهم وذوقهم, فهو عندهم اسم مستقل بمعناه لا ضمير غيبة كما هو موضوع في أصله بل نقل وصار العرف عندهم بإطلاقه على الله تعالى كإطلاق سائر الأسماء الظواهر، ولذلك شاع نداؤه وإدخال ياء عليه، وليس هو عندهم ضمير غيبة فيعترض بأنه لم يسمع في كلام العرب إلا نداء ضمير الخطاب على خلاف فيه, انتهى.

وكذلك قل هاهنا فإن الإفادة الحاصلة للذاكر في نفسه به مما عاد عليه من شعشعانيات أنواره، ومطالعات أسراره أغنته عن تطلُّع ما سواه من الرسوم، بل تلك الإفادة المعنوية إذا كانت بواسطة مرقى، ربما تكشف له الوجود علوية وسفلية، ولا يتطلب عال الهمة فائدة تحصل له أجمع من هذه، فانظر كيف جاء مما ظن أنه ليس يفيد انكشاف العالم كله من حيث كوشف به ببركة ذلك الاسم, وكل ذرَّة تحتها من الفوائد والأخبار ما تضيق عنه بسط الخافقين، ولأجل هذا صنف في ردِّ فتوى ابن عبد السلام عدة رسائل.

قال الخفاجي في شرح الشفاء: وممن صنف فيها القطب القسطلاني, والعارف بالله تعالى المرصفي، والشيخ عبد الكريم الخلوتي، اللهم احشرنا في جملة الذاكرين ولا تجعلنا من الغافلين, انتهى, والله تعالى أعلم وأحكم.

**الشعبة الثانية:** من أهل الله تعالى لا تقول بالتفاضل بين الأسماء الإلهية لرجوعها كلها إلى ذات واحدة فلم تلتزم اسمًا خاصًا كاسم الجلالة مثلاً.

ومن هذا الشيخ الأكبر, فقد قال في الباب الحادي والسبعين وثلاثمائة: أن أسماء الله تعالى متساوية في نفس الأمر لرجوعها كلها إلى ذات واحدة, وإن وقع تفاضل, فإنما ذلك الأمر خارج، فإن الأسماء نسب وإضافات.

ثم قال: والذي يحتاج إليه الممكن احتياجًا ضروريًّا الاسم الحي العليم القادر،

وما بقى من الأسماء, فكالسدنة لهذه الأسماء، ثم يلي هذه الأسماء الأربعة في ظهور الرتبة الاسم المدبر والمفضل، ثم الجواد المقسط, فعن هذه الأسماء كان عالم الغيب والشهادة، والدنيا والآخرة، والبلاء والعافية، والجنة والنار, انتهى. على نقل صاحب «اليواقيت».

وقال في الباب الرابع من الفتوحات أيضًا: أن كل اسم إلهي يجمع جميع حقائق الأسماء ويحتوي عليها مع وجود التمييز بين حقائق الأسماء في الشهود، قال: وهذا مقام أطلعني الله تعالى عليه, ولم أر له ذائقًا من أهل عصري, انتهى.

ومن هذه الشعبة أبو يزيد τ, فإنه سُئل كما في «الحلية» [1] عن الاسم الأعظم! فقال: الاسم ليس له حد محدود، ولكن فرغ قلبك لوحدانيته, فإذا كنت كذلك, فاذكره بأي اسم شئت, فإنك تصير به إلى المشرق والمغرب, انتهى.

وأجاب مرة أخرى بأن قال: «دلوني على الأصغر أدلكم على الأكبر»[2] يشير إلى ما أشار إليه الشيخ الأكبر من رجوعها كلها إلى الذات الأقدس, فلا تفاوت بينها في الدلالة بهذا الاعتبار.

**قلت:** ومِنْ هذه الشعبة الصحابة الكرام، ويدلُّك عليه عدم النقل عنهم بلزوم اسم واحد ودوام قرعه, فإنهم كانوا -رضي الله تعالى عنهم- من أهل المشاهد العليا، وإذا كانوا كذلك فهيئوا للسقي من كل الأسماء ويشهدون قوة جميع الأسماء الإلهية في قوة كل اسم إلهي، وهذا أمر عظيم لا يقدر عليه إلا أهل التجليات العظمى، ولكن حملهم على براق العنايات المحمية بهم يوصلهم لهذا وأرقى؛ ولذلك كان يقول سيدنا رباني هذه الأعصر مولانا الوالد: إن بساط الصحبة طوي, فلا يشم له رائحة أي بالنسبة لأكابر الأولياء.

ولو كان لزوم اسم واحد من الشروط للزموه ولأمروا به, فإنهم كانوا -رضي الله

---

(1) في (263/4).

(2) انظر: كتابنا «سطان العارفين» (ص151).

تعالى عنهم [...][1] من السماء على الخواطر فضلاً عن تفويتهم هذا الشرط الكامل، ولا يناقشون عليه, فافهم ولا تكن إمعة.

**الشعبة الثالثة:** ما حصره الجل في معنى الاسم الله حصره غيرهم في الحي القيوم بناء على أنهما الاسم الأعظم, وهو الذي رجحه النووي تبعًا لجامعه.

قال صاحب «التأويلات النجمية» على نقل «روح البيان»[2]: إنما أشير في معنى الاسم الأعظم إلى هذين الاسمين، وهما الحي والقيوم؛ لأن اسمه الحي مشتمل على جميع أسمائه وصفاته؛ لأن من لوازم الحي أن يكون قادرًا، عالمًا، سميعًا، بصيرًا، متكلمًا, مريدًا, باقيًا، واسمه القيوم مشتمل على افتقار جميع المخلوقات إليه، فإذا تجلى الله تعالى لعبد بهاتين الصفتين فالعبد يكاشف عند تجلي صفة الحي معاني جميع أسمائه وصفاته، ويشاهد عند تجلي صفة القيوم فناء جميع المخلوقات إذا كان قيامها بقيومية الحق لا بأنفسهم، فإذا جاء الحق زهق الباطل، فلا يرى في الوجود إلا الحي القيوم إذ سلب الحي جميع أسماء الله، وسلب القيوم قيام المخلوقات فترتفع الإثنينية بينهما، وإذا فني التعدد وبقيت الوحدة فيصيران اسمًا أعظم للمتجلي له فيذكر عند شهود عظمة الوحدانية بلسان عين الفردانية لا بلسان بيان الإنسانية، فقد ذكره باسمه الأعظم الذي إذا دعُي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى[3]، ثم قال: فبكل اسم دعاه يكون الاسم الأعظم، ثم ذكر حكاية أبي يزيد المتقدمة, انتهى.

وإنّما آثرت النقل عن هؤلاء العارفين لما أن الناس لا يعلمون إلا أن اسم الجلالة هو سلطان الأسماء فذكرنا هذه الأنقال؛ لتعلم قصور المعترضين على أهل نسبتنا لا باعتبار المنقولات ولا باعتبار الكشوفات والمشاهدات.

فهذه أمور يعلمها المكاشف ولا ينخدع هو لأحد في خلافها، ولا ينبغي لمن له أدنى مسكه من الفتح أن ينازعه فيها، فإذا به الآن المنقولات جهلت، وإذا ذكرت

---

( **1** ) كلمة غامضة.

(2) انظر: روح البيان (49/2).

(3) رواه ابن حبان (173/3)، والحاكم في المستدرك (683/1).

تقضي عنها الجفون؛ ولكن أيها العارف الواسع العطاء:

**إذَا صـــــحَّ منـــــكَ الــــــودُّ فالكــــــلُّ هــــــيَ**

**الشعبة الرابعة:** ذهب الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»[1] إلى أنّ اسم الهوية هو أصل الأسماء، قال: ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿**هُوَ**﴾، ثم قال: ﴿**اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ**﴾ [الحشر:23]، قال: ﴿**الخَالِقُ**﴾ [الحشر:24], فهو أصل الأسماء وإليه يشير القلب لأنه الباطن الذي لا يدري كيف هو ولا يدرك, انتهى، ونقله لشارح الدليل.

وفي المبحث الثالث عشر من «اليواقيت» لما نقل عن الشيخ الأكبر أن أسماء الضمائر تدل على الذات كالأسماء الصريحة وعللها؛ فإنها ليست مشتقة.

قال: فأما هو فهو اسم لضمير الغائب وهو أعرف عند أهل الله تعالى من الاسم الله في أصل الوضع؛ لأنه يدل على هوية الحق التي لا يعلمها إلا هو, انتهى.

**الشعبة الخامسة:** قال صاحب «روح البيان»[2]: قال شيخي وسندي الذي بمنزلة روحي في جسدي الذكر بلا إله إلا الله أفضل من الذكر بكلمة الله الله، وهو هو عند العلماء بالله, لأنها جامعة بين النفي والإثبات وحاوية لزيادة العلم، والمعرفة، فمن نفى بلا إله عين الخلق حكمًا لا علمًا، فقد أثبت كون الحق تعالى حكمًا وعلمًا, انتهى.

وهو واضح فاختر لنفسك ما يحلو من هذه الشعب إذ كنت من أهل الكشف, وإن لم تصل لذلك الحي, فلكل من هذه الشعب دليل, فاقتدِ بالكل, فبأيهم اقتديتم اهتديتم.

وبالإجمال والتفصيل أهل الله تعالى ذوو مشاهد، فمن حكمت عليه رتبة من الرتب قال بها وعضدها, فلا يعترض بالمتقدم على المتأخر، ولم لا يعترض بالمتأخر على المتقدم، مع أن الفيوضات الإلهية والمحمدية في الترقي.

وقد قيل لبعض الحكماء: إن ما قلت لم يرتضه الناس، فقال: لا يلزمني وإنما يلزمني كونه حقًّا في الواقع فبان من هذا أن ليس الاسم المفرد بخصوصه هو الاسم

---

(1) انظر: نوادر الأصول (267/3).

(2) في (48/2).

الأعظم.

**التنبيه الرابع:** اشتهر هنا أن أسماء الله تعالى تصلح للتعلق والتخلق، إلا اسم الجلالة فإنما يصلح للتعلق.

**ومعنى التخلق:** اكتساب معاني تلك الأسماء الحسنى في نفسك بأن تتخلق بها.

**ومعنى التعلق:** هو الالتجاء والابتهال والاستمساك بما لا يصح به التخلق كاسم الجلالة.

**قلت**: ويستدرك عليهم أسماء:

الأول: اسم الهوية.

الثاني: الأحدية.

الثالث: الغنى عن العالمين.

**قال الشيخ الأكبر:** لا يصح التخلق بذلك لأحد؛ لأن هذه الأمور من خصائص الحق تعالى، فلا يصح أن يتخلق بها مخلوق لا عيانًا ولا نظرًا عقليًّا, انتهى.

**التنبيه الرابع:** الاسم القيوم الذي هو السهر الدائم ليلاً ونهارًا على ما ذهب إليه عبد الله بن جنيد شيخ الحاتمي، ونازعه الشيخ الأكبر فقال: يصح التخلق به كباقي الأسماء، ذكره في الباب الثامن والتسعين من «الفتوحات».

وعلى كل حال كان ينبغي عدم الاقتصار على اسم الجلالة وحده في أنّه لا يصح التخلق به، وبالله تعالى التوفيق.

**التنبيه الخامس:** يقبح بالمؤمن غاية القبح؟ أن لا يحفظ أسماء خالقه وربّه جلّ أمره حتّى لو سأله سائل من غير أهل ملته، وقال له: هذا الرَّب الذي تدعوني إليه لابدّ له من أسماء مشتقة من كمالات متصف بها في ذاته المقدسة فدلني عليها بإملائها علي, فإني خفت اخترام المنية فيخجل، وقد حبب لي أن أذكرها تسهيلاً لحفظها على الإخوان فنقول: أخرج الترمذي، وابن المنذر، وابن حبان، وابن مندل، والطبراني، والحاكم، وابن مردويه، والبيهقي، عن أبي هريرة رفعه: «إن لله تعالى تسعة وتسعين

اسمًا، مائة إلا واحدة، مَنْ أحصاها دخل الجنة إنه وتر يحب الوتر هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرّقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبديء المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعال البَر التواب المنتقم العفو الرؤوف ملك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضَّار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور»[1].

وتجد المؤمن يحفظ من الأشعار دواوين وغاية نهمته فيها أنه يحتاج إليه في مسامرات الناس ومنادماتهم ومراسلاتهم ليحصل له منهم إمّا خطوة، أو مكنة، أو نوال ولا يختلج في خاطره أنه يتقرب إلى الله بأسمائه الحسنى ويثني عليه بها، ويحتاج إليها في مسامراته الليلية إن كان من أهل الخَلوات وأهل الأنس والتبتل والانقطاع إلى الله تعالى:

**فهـــمْ رواهـــبُ أحجـــارٍ وَأوْديـــةٍ وفِـي الشـوامخِ رهبـانٌ علَـى حَـذرِ**

**التنبيه السادس:** لا يحمل للمؤمن أيضًا أن لا يتخلق بأخلاق ربه سبحانه المدلول عليها الأسماء الإلهية كأن يتخلق بالاسم الشبر على العصاة، وبمقتضى الاسم الرحيم والرحمن على جميع الموجودات من الحيوانات، والأهل، والخدم، والعبيد، والبيع سمحًا، والشراء سمحًا، وبمقتضى الاسم الكريم والقدوس بأن يسعى فيما يطهر الناس عما يقطعهم عن ربهم سبحانه وهي معنى التقديس، وبمقتضى المؤمن فيؤمن أهل الجرائم من بطشه إن كانت له مقدرة وبذلك يكتسب الإنسان حظه من الإنسانية وحصته من الآدمية، فإن أبانا آدم υ ما حصل له التفوق على غير جنسه إلا بعلمه

(1) رواه الحاكم في المستدرك (62/1), والبيهقي في الكبرى (27/10).

بالأسماء، وعند أهل الكشف أنّها الإلهية، وإيضاحه ما قررناه في شرح الهمزية فليرجع إليه, وقد ألهمنا الكلام على أسماء الله الحسنى أنماطًا عجيبة لم نرَ ذلك لغيرنا فالحمد للمنعم والواهب, ولعل الله تعالى يوفقنا لكتابته وقتًا آخر.

فليتطلب المؤمن مقتضى كل اسم من الأسماء الإلهية وليتخلق بها في نفسه حتى يتمثل أمر ربه في قوله: ﴿**كُونُوا رَبَّانِيِّينَ**﴾ [آل عمران:79]، وبذلك يكون ربانيًّا، ثم هذا التخلق هو المشار إليه بالإحصاء في الحديث الكريم في قوله ρ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة**»[1], فالمراد بالإحصاء إحصاء معانيها في ذات المتخلق، بأن يتخلق بمقتضيات التسعة والتسعين اسمًا في نفسه، ومن أحصاها هذا الإحصاء دخل جنة المعارف، ضرورة أن لنا جنتين، جنة محسوسة وهي المؤجلة، وجنة معنوية وهي التي إن دخلها الداخل في الدنيا علم أنه صار من الراسخين في العلم، وأنه من أهل الولاية الكبرى، وأنه من العارفين بالله تعالى وأنه من أهل الخصوصية الكبرى، فاجهد أخي بواسطة مسلك ومرشد كي يدخلك هذه الجنة التي قال فيها إبراهيم بن أدهم أو أبو يزيد: خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا أطيب الأشياء فيها، قيل: وما هو؟ قال: معرفة الله عز وجل بطريق الشهود والمعاينة، أوصل الله سبحانه شربنا بشرب أهل القرب، وجذبنا إليه انجذاب أهل القرب آمين.

ولا يعكر على تفسير هذا الإحصاء ما فسره به أبو عبد الله البخاري في الجامع الصحيح بالحفظ.

**قلت لمولانا الوالد:** إنه يرد عليه أنه قد يحفظها الكافر، والرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم واعد أن من أحصاها دخل الجنة: «**ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط**»[2]، فهو تعليق على المحال العقلي فقال لي -رضي الله تعالى عنه- على البديهة على عادته في الأجوبة المسكتة: أن من حفظ أسماء الله تعالى لا غرابة في أن ينشله الله سبحانه ببركة أسمائه إلى أن يميته على الإيمان, انتهى.

ويشهد له أن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يبقى بينه وبينها إلا زراع ..

---

(1) تقدم تخريجه في سابقه.

(2) رواه مسلم (2143/4), وأحمد (287/4).

إلخ.

ومن هذا الجواب ونحوه تعلم امتلأ قلبه -رضي الله تعالى عنه- بالرحمات الإلهية على كل الموجودات، وفيه أيضًا من تعظيم جانب الإله ما ينبئ عن علو الكعب في المعارف أدام الله مجادته.

**آمـينَ, آمـينَ لَا أرضَـى بواحـدةٍ حتَّـى أضـيفَ إليهَـا ألـفَ آمينَـا**

وقد أطبنا وأطنبنا صدر هذا الكتاب في الكلام على الاسم الأعظم وأتينا فيه من العجب بما لم نره لغيرنا, فارجع إليه تعلم والله تعالى أعلم وأحكم.

ثم إنَّ بعد اللهم في الصلاة «**صلِّ**» قد قدمنا الكلام على مباحث الصلاة وأسرارها وترقياتها وعجائبها، ومعنى صلاة الله تعالى على نبيه وحبيبه في الملزمة العاشرة، لما ذكرنا سر إيثار التعبير بالمضارع في قوله: «**يصلون**» ذكر هناك العجب, فلتقتصر هنا على مقالات:

**المقالة الأولى:** إنما أمرنا بالصلاة على الحبيب صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لما أمليناه قبل ولأسرار أخر منها: إيجاب اقتدائنا بالحق جل ثناؤه، فإنه تعالى لما عظم شأن نبيه في مملكته الواسعة الأكناف الفسيحة الأطراف، ورفع له ذكره، وشرح له من بين العوالم صدره، ووضع عنه وزره الذي أنقض ظهره، ادخر له من مكنونات العلوم الإلهية والنظائر العيانية ما يحسن أن توصف بقول المديح:

**رتـبٌ تسـقطُ الأمـانِي حسـرَى دونـهَـا مَـا وراءهـنَّ وراءُ**

أمر عباده بذلك فقال: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ [الأحزاب: 56] بعد أن قال: ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾ [الأحزاب: 56] أي: المختص بالنبوة الكلية المطلقة، فلا يشارك فيها، ولا في حملها عليه حمل اشتقاق, قال للعهد الذهني, وقد يقال للعهد الحضوري أي: النبي الحاضر بين أظهر المخاطبين حينئذ كذا قالوا.

**قلت:** ولو وسعوا الدائرة لأصابوا المرمى بأن يقولوا النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الحاضرين بين أظهر المكونات تقدمت، أو تأخرت لا خصوص المخاطبين،

إذ ذاك لأن ترتيب المملكة الإلهية اقتضى أن الحقيقة المحمدية برزخ بين الله تعالى، وبين سائر الخلائق بقوة ما أوتيت من السراح والإطلاق في العوالم العلوية والسفلية، إذ هي سارية في الملك بحسب ما تقتضيه حجابيتها العظمى ولولا قوة نورانيتها ورسوخ في جأشها بما تتلقفه من الإفاضة الإلهية ثم عنها يفاض المدد لأخص العالم بما أنه ليس في قوته الثبوت تحت صدمات التجلي، وإذا لم يثبت للتجلي الكليم υ, فكيف يثبت غيره ممن هو دونه على أنه إنما أصعقه التجلي الواقع للجبل، فوضع تعالى ببديع صنعه ذلك البرزخ المحمدي في العالم واسطة تقع عليه التجليات وعنه تفاض, فكأنه ليس للحق سبحانه في ملكه إلا هذه الحقيقة المحمدية، إذ هي التي تتلقى الشؤون الحقانية منها إلى الحق بدون برزخية برزخ آخر وتفيض على الأكوان، وفي تقديم الأعلام بصلاته هو وملائكته على أمر المؤمنين بالصلاة عليه إشارة إلى ما ذكرنا من الاقتداء والتخلق أخلاق الله تعالى أي: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ**﴾ [الأحزاب:56] أي عظموا شأنه عاطفين عليه، فإن ربكم سبحانه إذا كان يصلي عليه فتخلقوا أنتم وصلوا عليه فإنكم أولى بذلك.

وظاهر سر الآية أنه يجب اقتداؤنا به تعالى يناسب اتحاد المعنى مع اتحاد اللفظ, وقراءة ابن مسعود: «**صلوا عليه كما صلى عليه**», وكذا قراءة الحسن فصلوا عليه أظهر فيما كر فيبعد تفسير صلوا عليه، فقولوا: «**اللَّهُمَّ صلِّ على النبي**» ونحوه.

**ومن فسره بذلك:** أراد أن المراد بالتعظيم المأمور به ما يكون بهذا اللفظ ونحوه مما يدل على طلب التعظيم لشأنه-عليه الصلاة والسلام- من الله Y لقصور وسع المؤمنين عن أداء حقه ρ، وما جاء في الأخبار إرشاد إلى كيفية ذلك وصفته لا أنه تفسير للفظ صلوا وجاء ذلك على عدة أوجه في الروايات والجمع ظاهر، فالظاهر من سؤال الصحابة أنه الصفة، وهو الذي رجحه الباجي وغيره وجزم به القرطبي، وقيل: إنه سؤال عن معنى الصلاة وبأي لفظ تؤدي فكأنهم لما سمعوا الأمر بالصلاة على ذلك الجناب بعد سماع أن الله Y وملائكته -عليهم السلام- يصلون عليه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم, وفهموا أن الصلاة من الله عزت قدرته، ومن ملائكته عليه υ نوع من تعظيم لائق بشأن ذلك النبي الكريم عليه من الله تعالى أفضل الصلاة وأزكى التسليم لم

يدروا ما اللائق منهم من كيفيات تعظم ذلك الجناب وسيد ذوي الألباب صلى الله تعالى عليه وآله وسلم صلاة وسلامًا يستغرقان الحساب, فسألوا عن ذلك التعظيم فأرشدهم- عليه الصلاة والسلام- إلى ما علم أنه أولى أنواعه، وهو بهم رءوف رحيم.

قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**قولوا اللَّهُمَّ صلِّ على محمدٍ ...**» [1] إلى آخر ما في الروايات الصحيحة وفيه إيماء إلى أنكم عاجزون عن التعظيم اللائق بي, فاطلبوه من الله Y.

ومن هنا يعلم أن الآتي بما أمر به من طلب الصلاة له صلى الله تعالى عليه وآله وسلم Y آت بأعظم أنواع التعظيم لتضمنه الإقرار بالعجز عن التعظيم اللائق، وقد قيل ونسب إلى الصدِّيق الأكبر τ: «**العجز عن الإدراك إدراك».**

ويقرب في الجملة مما ذكرناه قول بعض الأجلة ونقله أبو اليمن بن عساكر وحسنه لما أمرنا الله تعالى بالصلاة على نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لم نبلغ معرفة فضلها، ولم ندرك حقيقة مراد الله تعالى فيه، فأحلنا ذلك إلى الله تعالى فقلنا: «**اللَّهُمَّ صلِّ أنت على رسولك لأنك أعلم بما يليق به وبما أردته له صلى الله تعالى عليه وآله وسلم** », انتهى، ولعل ما ذكرناه ألطف منه.

ولما وصلنا إلى هاهنا اقتضى الترتيب التأليفي أن نلم هاهنا بمباحث:

**المبحث الأول:** في دخوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في الخطاب في ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [الأحزاب:56] هنا خلاف، فقال بعضهم: بالدخول.

وقد صرح بعض أجلة الشافعية بوجوب الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في صلاته وذكر أنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان يصلي على نفسه خارجها كما هو ظاهر أحاديث كقوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حين ضلَّت ناقته وتكلم منافق فيها أن رجلاً من النافقين شمت أن ضلت ناقة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، وقوله حين عرض على المسلمين رد ما أخذه من أبي العاص زوج

(1) رواه البخاري (1233/3), ومسلم (305/1).

ابنته زينب قبل إسلامه، وأن زينب قبل إسلامه، وأن زينب بنت رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم سألتني الحديث فذكر التصلية والتسليم على نفسه بعد ذكره.

واحتمال أن ذلك في الحديثين من الراوي بعيد جدًّا.

وتوقف بعضهم في دخوله من حيث قرينة سياق: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ**﴾ [الأحزاب:53], إلى هاهنا ظاهرة في اختصاص هذا الحكم بالمؤمنين دونه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، ونظر في بأن ما قبل هذه الآية صريح في اختصاصه بالمؤمنين وأما هي فلا قرينة فيها على الاختصاص، وأنت تعلم أن للأصوليين في دخوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في نحوه هذه الصيغة أقوالاً عدمه مطلقًا وهو شاذ ودخوله مطلقًا، وهو الأصح على ما قال جمع والدخول إلا فيما صدر بأمره بالتبليغ نحو ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [الأحزاب:56].

وأنا أعول على الدخول إلا إذا وجدت قرينة على عدم الدخول سواء كان الأمر بالتبليغ أولاً، وهاهنا السباق والسياق قرينتان على عدم الدخول فيما يظهر.

**المبحث الثاني:** هل يجب على الحضرة المحمدية أن تصلي على نفسها فالذي نقله الحافظ المحقق أبو البركات أحمد بن أبي عبد الله محمد بن موسى الخفاجي الحنفي الشهير بأفندي في «شرح الشفاء» عن الخزانة للحنفية ما نصه: أجمعوا على نفسه أنه لا يجب على النبي -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- أن يصلي على نفسه, انتهى.

**قال:** وإذا لم يجب أن يصلي فهل كان يصلي على نفسه في صلاته بطريق السنة والاستحباب أو لم يكن يصلي عليه.

**قال بعض الفقهاء:** إنها مسألة لم يصرح بها أحد من الفقهاء, انتهى, كلام الشفاء.

**قلت:** وهو قصور وإن نقله جمع وسلموه لما قدمناه عن بعض أجلة الشافعية من أن الصلاة تجب عليه في صلاته وهذا البعض هو السبكي في فتاويه فقد قال: الصلاة عليه- صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- واجبة بالإجماع وكونها ركنًا من الصلاة,

فذهب الشافعي، والظاهر أن النبي ρ مشارك أمته في هذا الحكم من كونها واجبة في صلاته وجوبها عليه وكونها ركنًا, انتهى.

وأين هذا مما نقله الشهاب في «شرح الشفاء» عن الخزانة للحنفية من الإجماع على عدم وجوبها عليه, فالإجماع غير مسلم؛ لأن السبكي من أهل النقل.

وبه تعلم أيضًا أن قوله: أنه هل كان يصلي على نفسه بطريق السنة والاستحباب أم لم ينص عليها أحد من الفقهاء مما لا ينبغي؟ بل منصوصه عند الشافعية وهو قول السبكي: أنها ركن في حقه أيضًا.

وبه تعلم ما في تسليم شارح التثبيت كلام الخفاجي أيضًا.

وأما من كان يصلي على نفسه الكريمة لا بقيد الصلاة فقدمت لك دلائل قريبًا في قضية الناقة، وقضية عرضه υ على المسلمين رد ما أخذه من أبي العاص زوج ابنته زينب- رضي الله تعالى عنها- قبل إسلامه .. إلخ ما قدمناه.

**المبحث الثالث:** الأمر بالصلاة والسلام من خواص هذه الأمة المحمدية, فلم تؤمر أمة غيرها بالصلاة والتسليم على نبيها، وكان ذلك على ما نقل عن أبي ذر الهروي في السنة الثانية من الهجرة، وقيل: كان ليلة الإسراء, وأنت تعلم أن الآية الكريمة مدنية.

**المبحث الرابع:** الصلاة منا على الأنبياء ما عدا نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام جائزة بلا كراهة، فقد جاء بسند صحيح على ما قاله المجد اللغوي: «**إذا صليتم على المرسلين فصلوا عليَّ معهم فإني رسول من المرسلين**»[1].

وفي لفظ:«**إذا سلمتم عليَّ فسلموا على المرسلين**»[2]، والأول طريق أخرى إسنادها حسن جيد لكنه مرسل.

وأخرج عبد الرزاق، والقاضي إسماعيل، واليمني في «الترغيب»، وابن مردويه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي هريرة τ: أن رسول الله صلى الله

---

(1) رواه ابن عاصم في الصلاة على النبي ρ كما في الكنز (507/1), وإسناده جيد, لكنه مرسل.

(2) رواه الطبري في التفسير (116/23).

تعالى عليه وآله وسلم قال: «**صلوا على أنبياء الله ورسله, فإن الله تعالى بعثهم كما بعثني**»[1], وهو وإن جاء من طرق ضعيفة يعمل به في كمثل هذا المطلب كما لا يخفى.

**فإن قلت:** أليس قد قال مالك في «المبسوط» اسم كتاب له كالمدونة ليحيى بن إسحاق الذي روى المبسوط عن مالك, وهو يحيى بن إسحاق بن عبد الله بن إسحاق بن المهلب بن جعفر, ويكنى أبا بكر وله نسب شريف بقرطبة أنه لا يصلي على غير نبينا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

**قلنا:** أجاب الأصحاب عنه: فإن معناه أنا لم نتعبد بالصلاة عليهم كما تعبدنا بالصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وهذا جواب حسن وهو أحسن مما نقله في الشفاء عن يحيى بن يحيى الليثي عالم الأندلس راوي الموطأ أنه قال: لست آخذ بقول مالك ولا بأس بالصلاة على الأنبياء كلهم وعلى غيرهم, انتهى، أي: الملائكة والمؤمنين.

ويدل للجواب الأول ما في فتاوى السبكي من نقله الإجماع أنها لم تكن واجبة على الأمم المتقدمة أنت يصلوا على أنبيائهم, فينبغي أن تعد من الخصائص[2].

**قلت:** ورأيته للحافظ في الخصائص الوسطى أيضًا, فانظره.

**المبحث الخامس:** الصلاة على الملائكة قيل لا يعرف فيها نص، وإنما تؤخذ من حديث أبي هريرة المذكور آنفًا إذا ثبت أن الله تعالى سماهم رسلاً.

**المبحث السادس:** الصلاة على غير الأنبياء والملائكة-عليهم السلام- اضطربت فيها الأقوال، فقيل: تجوز مطلقًا.

قال القاضي عياض: وعليه عامة أهل العلم ويستدل له بقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ**﴾ [الأحزاب: 43], وبما صح عند الشيخين من قوله υ: «**اللهم**

---

(1) رواه الديلمي في الفردوس (385/2), والبيهقي في الشعب (149/1).

( **2** ) وقد تقدم نقل المصنف ذلك عن السبكي في فتاويه.

**صلِّ على آل أبي أوفى»**[1], وقوله υ وقد رفع يديه الكريمتين: «**اللهم اجعل صلاتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة»**[2].

وصحح ابن حبان خبر أن امرأة قالت للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «**صلِّ عليَّ وعلى زوجي ففعل»**[3].

وفي خبر الإمام مسلم أن الملائكة تقول لروح المؤمن: صلى الله عليك وعلى جسدك [4].

وبه يرد قول الخفاجي في «شرح الشفاء»: «صلاة الملائكة على الأمة لا تكون إلا بتبعيته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم».

**وقيل:** لا تجوز استقلالاً وتجوز تبعًا فيما ورد فيه النص كالآل أو الحق به كالأصحاب واختاره القرطبي وغيره.

**وقيل:** تجوز تبعًا ولا تجوز استقلالاً ونسب إلى الإمام أبي حنيفة τ.

وفي رواية عن الإمام أحمد كراهة ذلك استقلالاً ومذهب السادة الشافعية أنه خلاف الأولى.

**وقال اللقاني:** قال القاضي عياض: الذي ذهب إليه المحققون، وأميل إليه ما قاله مالك وسفيان واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين أنه يجب تخصيص النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وسائر الأنبياء بالصلاة والتسليم كما يخص الله تعالى عند ذكره بالتقديس والتنزيه، ويذكر من سواهم بالغفران والرضا، كما قال تعالى: ﴿**رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾ [المائدة: 119], يقولون: ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ**﴾ [الحشر:10].

---

(1) رواه البخاري (544/2), ومسلم (756/2).
(2) رواه أبو داود (347/4), وأحمد (421/3) .
(3) رواه أبو داود (88/2), والنسائي في الكبرى (112/6), وابن حبان (197/3).
(4) رواه مسلم (2202/4).

وأيضًا فهو أمر لم يكن معروفًا في الصدر الأول، وإنما أحدثه الرافضة في بعض الأئمة والتشبه بأهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم انتهى.

ولا يخفاكم أن كراهة التشبه بأهل البدع لا مطلقًا بل في المذموم، وفيما قصد به التشبه بهم فلا تغفل، وهذه لا إله إلا الله، وما أشبهها من القربات يقولها أهل البدع أفتترك أيضًا؟

ومن الصريح في ذلك قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ**﴾ [الأحزاب:43].

قال الشهاب: فيها دليل على أنه يجوز الصلاة على كل مؤمن فضلاً عن الأنبياء؛ لأن سبب نزولها أنه لما نزل عليه ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾ [الأحزاب:56].

قال الصحابة: هذا لك يا رسول الله خاصة وليس لنا فيه شيء فأنزل الله هذه الآية.

وصلاة الله رحمته، وصلاة الملائكة الدعاء والاستغفار ولسائر المؤمنين, انتهى.

ومن الصريح في ذلك قوله تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ**﴾ [التوبة:103]، وقوله تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾ [البقرة:157] الإشارة لمن صبر من المؤمنين عند المصيبة.

**قلت:** ورأيت في بعض نُسخ البخاري إذا ذكر سيدنا عليًا أو مولاتنا فاطمة الزهراء يقول عليها، أو عليه السلام، وكذا الذهبي في «التاريخ»، والإمام في «التفسير الكبير»، وصاحب العارضة الواسعة المسعودي في «مروج الذهب»، قلما يذكر أحدًا من أهل البيت إلا قال عليه السلام، وكذا صاحب «الأغاني» وغيرهم، وكأنهم يتخلقون بالأخلاق الإلهية في قوله تعالى: ﴿**سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ**﴾

[الصافات:130] بناء على أن ياسين هنا من الأسماء المحمدية فسلم الله تعالى على آله.

ولعل ما نقله في الشفاء أيًا عن سيدنا جعفر الصادق أنه أعاد الضمير في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ**﴾ [الصافات:83] أن الضمير في شيعته يعود إلى الحضرة المحمدية، وإن من شيعته لإبراهيم υ على جلالته وخلته وكرامته عند ربه بناه على هذا الملحظ فافهم.

ولم يحفظ الناس من أبواب العلم إلا من رأوه ممتلئًا بآثار روح الكونين وما والاه يقولون: إنه يتشيع ولله تعالى أبو الإمام الشافعي إذ يقول:

**يَا رَاكِبًا قِفْ بِالمحُصبِ مِن مِنًى وَاهْتِف بِسَاكِنِ خيفِهَا والنّاهِضِ**
**سحْرًا إِذَا فَاضَ الحَجِيجُ إِلىَ مِنًى فَيْضًا كَمُلْتَطِم الفُراتِ الفَائِضِ**
**إِنْ كَانَ رَفضًا حُبُّ آل مُحَمَّدٍ فَلْيَشْهَدِ الثَّقَلَانِ أَنّي رَافِض**

وبما حررناه تعلم أن قول اللقاني في شرح جوهرته غير محرر، والذي قاله نقلاً عن الإمام الجويني أن السلام في معنى الصلاة فلا يستعمل فيه الغائب ولا يفرد به غير الأنبياء- عليهم السلام- فلا يقال: علي υ، بل يقال: τ، وسواء في هذا الأحياء والأموات، إلا في الحاضر فيقال: السلام أو سلام عليك أو عليكم وهذا مجمع عليه, انتهى.

ففي حكاية الإجماع نظرٌ بعد ما نقلناه عن بعض نسخ البخاري والتاريخ للذهبي والتفسير للإمام الرازي وغيرهم.

وقد ذكر الصفدي في «شرح لامية العجم» فذلكة عدَّ فيها من رزقوا السعادة في أشياء ولم يؤت بعدهم مثلهم، وذكر في سعة الإطلاق على العلوم العقلية، والنقلية, الإمام الرازي، ويكفي أن في كتب علماء الإسلام إذا أطلق الإمام إنما ينصرف له، فهو علم بالغلبة عليه فكيف يسعه خرق هذا الإجماع، سيما علماء العجم الذين لهم زيادة اعتناء به وبكتبه، وكذا صاحب جمع الجوامع يذكر الإمام ويطلق اتكالاً على ما تقرر في الأذهان.

والخصائص لا تثبت بالاحتمالات, بل لابد فيها من النص, وظواهر القرآن

والسنة عدم الخصوصية لا في الصلاة ولا في السلام: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ**﴾ [الأحزاب: 43]، ﴿**سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ**﴾ [الصافات:130].

«**اللهم صلي على آل أبي وأوفى**»[1]، «**صلى الله عليك وعلى زوجك**»[2]، «**اللهم اجعل صلاتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة**»[3], «**والسلام على إل ياسين**»: ﴿**رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ**﴾ [هود: 73].

**المقالة الثانية:** الأمر في الآية الشريفة في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ**﴾ [الأحزاب: 56] عند الأكثرين للوجوب، بل ذكر الحافظ أبو عمر بن عبد البر إجماع الأئمة والعلماء عليه, ودعوى الإمام محمد بن جرير الطبري أنه للندب بالإجماع مردودة أو مؤولة بالحمل على ما زاد على مرة واحدة في العمر، فقد قال القرطبي المفسر: لا خلاف في وجوب الصلاة مرة في العمرأو يقال: أراد بالاستحباب مطلق الطلب الصادق بالوجوب والندب.

وتفصيل الكلام في أمرها بعد إلغاء القول بندبها: أن العلماء اختلفوا فيها, فقيل: الصلاة على سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم واجبة مرة في العمر ككلمة التوحيد؛ لأن الأمر مطلق لا يقتضي تكرارًا، والماهية تحصل بمرة وعليه جمهور الأمة، منهم عالم المدينة وأبو حنيفة النعمان وغيرهما.

**وقيل:** واجبة في التشهد مطلقًا، وقيل: واجبة في مطلق الصلاة من غير تعيين محل، وهو عن أبي جعفر الباقر رضي الله تعالى عنه.

وتفرد بعض الحنابلة بتعيين دعاء الافتتاح بها وما أنسبه بحال الصلاة ومعناها وأسرارها ولعله لاحظ أن المصلي يناجي ربه، ولا يناجي الحق سبحانه إلا من وراء حجابية الحجاب الأعظم فناسب أن يثني عليه عند مواجهته له, وقد فتح تعالى هذا الباب إذ أمرنا على لسان نبيه أن نسلم على هذه الواسطة العظمى بيننا وبينه في حال مناجاتنا له بقولنا: «**السلام عليك أيها النبي**», ولعله تقدم لك سر هذا أو يأتي, فافهم.

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) تقدم تخريجه.

(3) تقدم تخريجه.

**وقيل:** يجب الإكثار منها من غير تعيين بعدد وحُكي ذلك عن القاضي أبي بكر بن بكير من المالكية.

**وقيل:** تجب في كل مجلس مرة وإن تكرر ذكره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مرارًا.

**وقيل:** تجب في كل دعاء.

**وقيل:** تجب كلما ذكر ρ، وبه قال من كل مذهب أئمة المالكية: الإمام الطرطوشي وابن العربي واللخمي والفاكهاني.

الحنفية: الطحاوي وعبارته:«تجب كلما سمع ذكره من غيره أو ذكره بنفسه».

والشافعية: الإمام الحليمي والأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني والشيخ أبو حامد الإسفرائيني.

والحنابلة: ابن بطة.

**قيل:** وهو مبني على القول الضعيف في الأصول أن الأمر المطلق يفيد التكرار، قلنا: وهذا الاعتراض ليس بذاك، بل لهذا القول أدلة أخرى كالأحاديث التي فيها الدعاء بالرغم والإبعاد والشقاء والوصف بالبخل والجفاء وغير ذلك مما يقتضي الوعيد وهو عند الأكثر من علامات الوجوب، واعترض هذا القول كثيرون بوجوه:

**الأول:** أنه مخالف للإجماع المنعقد قبل قائله إذ لم يُعرف عن صحابي ولا تابعي.

**الثاني:** أنه يلزمه على عمومه ألا يتفرغ السامع لعبادة أخرى وأنها تجب على المؤذن وسامعه والقارئ المار بذكره والمتلفظ بكلمتي الشهادة, وفيه من الحرج ما جاءت الشريعة السمحة بخلافه.

**الثالث:** الثناء على الله تعالى كلما ذكر، أحق بالوجوب ولم يقولوا به.

**الرابع:** أنه لا يحفظ عن صحابي أنه قال يا رسول الله صلى الله عليك.

**الخامس:** إن تلك الأحاديث المحتج بها للوجوب خرجت مخرج المبالغة في تأكد

ذلك وطلبه وفي حق من اعتاد وترك الصلاة[1].

ولقائل أن يقول أنه يمكن التقصي عن جميع هذه الوجوه:

**أما الأول:** فلأن القائلين بالوجوب من أئمة النقل فكيف يسعهم خرق الإجماع على أنه لا يكفي الرد عليهم كونه لم يحفظ عن صحابي أو تابعي، وإنما يتم الرد إن حفظ إجماع مصرح بعدم الوجوب كذلك وأتى به.

**وأما الثاني:** فممنوع بل يمكن التفرغ لعبادات أخر.

**وأما الثالث:** فللقائلين بالوجوب التزامه وليس فيه حرج.

**وأما الرابع:** فلأن جمعًا صرحوا بالوجوب في حقه تعالى أيضًا.

**وأما الخامس:** فلأنه ورد في عدة طرق عن عدة من الصحابة أنهم لما قالوا: يا رسول الله، قالوا صلى الله عليك.

**وأما السادس:** فلأن حمل الأحاديث على ما ذكر لا يكفي إلا مع بيان سنده ولم يبينوه، وقيل: في القعود آخر الصلاة بين التشهد وسلام التخلل وبه قال ابن المواز من المالكية وصححه ابن العربي في الأحكام.

**قال في الشفاء**: وحكى ابن القصار وعبد الوهاب أن ابن المواز يراها أي: الصلاة فريضة في الصلاة كقول الشافعي, انتهى.

وصححه ابن الحاجب في مختصره وابن العربي[2] في «سراج المريدين».

وقال ابن عبد السلام: وهو ظاهر كلام ابن المواز, انتهى.

ووقع لشارح الدليل قلب في عزو هذه الأقاويل وهذا هو النقل المحرر, ثم أن هذا القول هو مذهب الإمام الشافعي ووافقه على ذلك جماعة من الصحابة والتابعين من بعدهم وفقهاء الأمصار.

**فمن الصحابة:** ابن مسعود وأبو مسعود البدري، وابن عمر رضي الله تعالى

---

( 1 ) كلمة غامضة.

(2) أي: المعافري.

عنهم.

**ومن التابعين:** الشعبي، والإمام أبو جعفر محمد الباقر، فقد روى البيهقي عنه نحو ما ذكر عن الشعبي، وصوبه الدارقطني، ومحمد بن كعب القرظي، ومقاتل، بل قال الحافظ ابن حجر: لم أر عن أحد من الصحابة والتابعين التصريح بعدم الوجوب إلا ما نقل عن إبراهيم النخعي وهذا يشعر بأن غيره كان قائلاً بالوجوب[1].

**ومن فقهاء الأمصار:** الإمام أحمد فعنه روايتان والظاهر أن رواية الوجوب هي الأخيرة، فإنه قال: كنت أتهيب ذلك ثم تبينت فإذا الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم واجبة، وإسحاق بن راهويه, وكل من قال من المالكية بوجوبها حيثما ذكر ذلك الجناب العظيم يلزمه أن يقول بهذا القول أي: بوجوبها في التشهد؛ لتقدم ذكره في التشهد إلا أن وجوبها بعد التشهد لذلك لا يستلزم كونها شرطًا لصحة الصلاة.

فإذا تمهد هذا علمت أن تشطيح القاضي في الشفاء على الإمام الشافعي في قوله بالوجوب في التشهد الأخير ليس مما ينبغي، وإيضاحه من وجوه عشرة.

**الوجه الأول:** أنه قول جمع من الصحابة الكرام والتابعين وفقهاء الأمصار فلم يأت ببدع من القول، بل له أعظم مستند كما سمعت بل مفهوم كلام الحافظ ابن حجر أنه لم يقل بعدم الوجوب إلا إبراهيم النخعي فيفيد أن ما عداه كله قائل به, فكيف يكون

---

(1) والنص كما في فتح الباري (137/18): وَقَدْ اِنْتَصَرَ اِبْن الْقَيِّم لِلشَّافِعِيِّ فَقَالَ: أَجْمَعُوا عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ الصَّلَاة عَلَيْهِ فِي التَّشَهُّد، وَإِنَّمَا اِخْتَلَفُوا فِي الْوُجُوب وَالِاسْتِحْبَاب، وَفِي تَمَسُّكِ مَنْ لَمْ يُوجِبهُ بِعَمَلِ السَّلَف الصَّالِح نَظَر لِأَنَّ عَمَلهمْ كَانَ بِوِفَاقِهِ، إِلَّا إِنْ كَانَ يُرِيد بِالْعَمَلِ الِاعْتِقَاد فَيَحْتَاج إِلَى نَقْل صَرِيح عَنْهُمْ بِأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِوَاجِبٍ وَأَنَّى يُوجَد ذَلِكَ؟ قَالَ: وَأَمَّا قَوْل عِيَاض إِنَّ النَّاس شَنَّعُوا عَلَى الشَّافِعِيّ فَلَا مَعْنَى لَهُ، فَأَيّ شَنَاعَة فِي ذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمْ يُخَالِف نَصًّا وَلَا إِجْمَاعًا وَلَا قِيَاسًا وَلَا مَصْلَحَة رَاجِحَة؟ بَلْ الْقَوْل بِذَلِكَ مِنْ مَحَاسِن مَذْهَبه. وَأَمَّا نَقْلُهُ لِلْإِجْمَاعِ فَقَدْ تَقَدَّمَ رَدُّهُ، وَأَمَّا دَعْوَاهُ أَنَّ الشَّافِعِيّ اِخْتَارَ تَشَهُّدَ اِبْن مَسْعُود فَيَدُلّ عَلَى عَدَم مَعْرِفَة بِاخْتِيَارَاتِ الشَّافِعِيّ فَإِنَّهُ إِنَّمَا اِخْتَارَ تَشَهُّدَ اِبْن عَبَّاس وَأَمَّا مَا اِحْتَجَّ بِهِ جَمَاعَة مِنْ الشَّافِعِيَّة مِنْ الْأَحَادِيث الْمَرْفُوعَة الصَّرِيحَة فِي ذَلِكَ فَإِنَّهَا ضَعِيفَة كَحَدِيثِ سَهْل بْن سَعْد وَعَائِشَة وَأَبِي مَسْعُود وَبُرَيْدَةَ وَغَيْرهمْ، وَقَدْ اِسْتَوْعَبَهَا الْبَيْهَقِيّ فِي «الْخِلَافِيَّات» وَلَا بَأْس بِذِكْرِهَا لِلتَّقْوِيَةِ لَا أَنَّهَا تَنْهَض بِالْحُجَّةِ. قُلْت: وَلَمْ أَرَ عَنْ أَحَد مِنْ الصَّحَابَة وَالتَّابِعِينَ التَّصْرِيح بِعَدَمِ الْوُجُوب إِلَّا مَا نُقِلَ عَنْ إِبْرَاهِيم النَّخَعِيّ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَفْظ الْمَنْقُول عَنْهُ كَمَا تَقَدَّمَ يُشْعِرُ بِأَنَّ غَيْره كَانَ قَائِلًا بِالْوُجُوبِ فَإِنَّهُ عَبَّرَ بِالْإِجْزَاءِ .

قوله شاذًا على أن الصحابي إذا قال قولاً، ولم يصرح غيره بخلافه يصير إجماعًا سكوتيًا على ما علم مفصلاً في الأصول فكيف ولم ينقل عنهم إلا القول به، وما نقل في ذلكم عن غيرهم من الصحابة أسانيده ضعيفة.

**الوجه الثاني:** هب أنه لم يقل به أحد أليس من المقرر أن المجتهد لا يقلد المجتهد فضلاً عن تقليد المجتهد المقلد, وهذا يرد على بعض الشافعية، حيث خالفوه أيضًا كأبي المنذر والخطابي والقشيري والطبري، وليت شعري أي: حاجة بابن إدريس لمن يوافقه، وقد قال البيهقي: ما وضع محدث قلمًا في دواة إلا وللشافعي عليه منة, وقال: كان المحدثون نيامًا حتى أيقظهم الإمام الشافعي، انظر التأسيس للحافظ ابن حجر.

**الوجه الثالث:** للإمام مالك قول قوي بالوجوب في المذهب وقد نقله هو في «الشفا» عن أبي يعلي العبدي المالكي ونحوه له في شرح مسلم ونصه:

ذكر بعض البغداديين عن مذهب مالك في المسألة ثلاثة أقوال: الوجوب والسنة والفضيلة، وحمل بعضهم كلام ابن المواز على الوجوب في الصلاة كمذهب الشافعي وكلامه محتمل للوجوب على الجملة انتهى.

وتقدم أنه الذي صححه ابن العربي في الأحكام, فقال: عن الصحيح ما قاله ابن المواز فتعينت كيفية ووقتًا كما بيناه في مسائل الخلاف, انتهى.

وكذا ذكره ابن الحاجب في مختصره[1] وشارحه ابن عبد السلام قال ابن القصار في كتابه «عيون الأثر»: وجه ما نقل عن ابن المواز ما استدل به القائلون بالوجوب فتكون الجلسة الأخيرة للتسليم عليه وأن الصلاة لما تضمنت ذكر الله تعالى وتمجيده، كما في فاتحة الكتاب, وجب أن يذكر فيها الصلاة والسلام على الرسول ρ حتى لا تخلو الصلاة عن ذكره مع الله، كما في الآذان والإقامة.

فذكره لوجهه يدل على أنه مال إليه أيضًا فعلى هذا اعتراضه على الإمام الشافعي يسري للاعتراض على الإمام مالك القائل به أيضًا.

**الوجه الرابع:** إذا كانت الخلافيات لا تقلل من المجتهد ووفق عليها، يلزم عدم

---

(1) وهو مختصره الفقهي: جامع الأمهات, وقد طبع عدة مرات, والشرح ما زال مخطوطًا.

قبول الفروع من سائر المذاهب؛ لأن المسائل المجمع عليها قليلة، ولأنهم لو توافقوا في كل فرع ما تعددت المذاهب ولما تعددت التأليف من الجوانب في قوة مدارك متبوعهم.

**الوجه الخامس:** قوله أن الشافعي اختار تشهد سيدنا ابن مسعود وليس فيه الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم, انتهى, مخالف للنقل, فإنه إنما اختار تشهد ابن عباس ولتأخيره عن تعليم ابن مسعود كما قال البيهقي.

**الوجه السادس:** قوله: إن كل من روى التشهد سيدنا أبو هريرة، وسيدنا ابن عباس، ويدنا جابر، وسيدنا ابن عمر، وسيدنا أبو سعيد الخدري، وسيدنا أبو موسى الأشعري، وسيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهم لم يذكر فيه الصلاة على مولانا رسول الله ε, انتهى.

وهو أعظم ما تمسك به القاضي ويجاب عنه بوجوه ثلاثة:

**أولهم:** أن تعليمهم التشهد كان في ابتداء الهجرة حين فرضت الصلاة قبل نزول الآية الكريمة وقد قدمنا أنها مدنية، فقوله تعالى: ﴿**صَلُّوا عَلَيْهِ**﴾ [الأحزاب:56] نزلت بعد، فلا يضر عدم ذكره في هذه الروايات.

**ثانيها:** أن النَّافي مستصحب للأصل من عدم الوجوب والموجب ناقل وهو المتقدم على المستصحب لزيادة علمه, فكيف إذا لم يعارضه رأسًا.

**ثالثًا:** أن النافين لوجوب الصلاة في التشهد لعدم وجدانها في التشهدات يلزمهم عدم وجوب السلام؛ لأنهم لم يأمرهم به في التشهد أيضًا، وقد أوجبوه, فما كان جواب المثبت لوجوب السلام وليس مذكورًا في التشهد هو جواب المثبت للصلاة وليست مذكورة فيه أيضًا وهي من وجوه الرد أيضًا فتكون الوجوه تسعة.

**الوجه العاشر:** فإذًا على القاضي لما ألف «الشفا» في حقوق المصطفى وعثر على هذا القول أن يخرجه على أصل من أصول مذهبه مثلاً لما لم يجده منصوصًا في مذهبه ووجده تقتضيه حقوق المصطفى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم المؤلف فيها التأليف من جنته فكيف وجده منصوصًا عند الصحابة والتابعين وتبعهم هذا الإمام وقال به محققون من أهل مذهبه، ومع ذلك حكم عليه بالشذوذ وألقى هذه المعضدات ولم يخالف ابن إدريس في هذا القول كتابًا ولا سنة ولا إجماعًا ولا مصلحة وهي التي

علم في القواعد الفقهية أنه ينتقض بها حكم الحاكم فلأجل هذا الوجه ألف الإمام الخيضري في هذه المسألة كتابًا أسماه «زهر الرياض في رد ما شنَّعه القاضي عياض», قال فيه: ما قصدت به تنقيص مقداره, فإنه طراز هذه العصابة, انتهى.

ورأيت في الخصائص الوسطى للحافظ عند قوله ما نصه: المسألة الثانية والخمسون وجوب الصلاة عليه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في التشهد الأخير, واستدل لها بما أخرجه الإمام أحمد وابن خزيمة في صحيحه والحاكم في مستدركه وقال على شرط مسلم وأصله في صحيح مسلم، ثم قال: وهذه المسألة قد بسطت الكلام عليها في مصنف مفرد سمته زهر الرياض, انتهى.

**أما بعد..** رأيت في شرح الشفاء للحريش أنه نقل عمن نقل عن بعض الدلائيين: أنه رأى القاضي عياض في النوم فلامه على ذكر هذه المسألة في الشفاء مع أنها مباينة لموضوع الكتاب, فقال له عياض: رجعت عن اعتقاد تلك المسألة، وأما تحامل ابن سلطان شارح الشفاء في هذه المسألة على الإمام الشافعي فليس بأول جفائه مع حضرة النبوة والرسالة فقد ألف تأليفًا في كفر أبويه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولم يكفه أن تبجح به في شرح الشفاء الموضوع في شرف المصطفى، وألف تأليفًا في إسلام فرعون، صلى الله على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون وآله وأصحابه كذلك, والحمد لله رب العالمين.

**المقالة الثالثة:** ما زاد على الواجب من ذلك فهو مستحب متأكد الاستحباب, فينبغي الإكثار منه بغير حصر.

**قال ابن عطية في التفسير:** الصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في كل حين من الواجبات وجوب السنن المؤكدة التي لا يسمح تركها ولا يغفلها إلا من لا خير فيه, انتهى.

**أما بعد..** قد خُصت مواطن بالتنصيص على استحباب الصلاة فيها، فمنها يوم الجمعة وليلتها ويوم السبت والأحد والخميس لما ورد في كل وعند الصباح والمساء وعند دخول المسجد والخروج منه وعند زيارة القبر المكرم المعظم وعند الصفا والمروة وفي التشهد الأخير قبل الدعاء عند المالكية، بل وبعد التشهد الأول وإن لم

يعرفه سيدي الخرشي وفي خطبة الجمعة وغيرها من الخطب، وعقب إجابة المؤذن؛ ولذلك نذكره في أوراد الطائفة في الزوايا الكتانية أثر الآذان، وعند الإقامة، وأول الدعاء وأوسطه وآخره، وعقب دعاء القنوت عند الشافعية، وأثناء تكبيرات العيدين عندهم أيضًا، وفي صلاة الجنازة، وعند الفراغ من التلبية، وعند الاجتماع والافتراق، وعند الوضوء، وعند طنين الأذن، وعند نسيان الشيء، وعند العطاس على أحد القولين، وعند الوعظ، ونشر العلم، وقراءة الحديث ابتداء وانتهاء، وعند كتابة السؤال والفتيا، ولكل مصنف، ومدرس، ودارس، ومدرس، وخطيب، وخاطب، ومتزوج، ومزوج، وفي الرسائل، وما يكتب بعد البسملة، ومنهم من يختم بها الكتاب أيضًا، وبين يدي سائر الأمور المهمة، وعند ذكره، أو سماع اسمه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ، أو كتابته عند من لا يقول بوجوبها لذلك.

**تنبيه وفائدة:** ولو ذكر في صلاة نفل على ما روى عن الحسن البصري والشعبي وأحمد بن حنبل وفي الصلاة عليه عند ذكره أحاديث كثيرة.

قال السخاوي: والأظهر الوجوب, انتهى.

وتقدم النقل عن بعض الحنابلة من المواضع دعاء التوجه صدر الصلاة عند من يأخذ بالحديث.

**المقالة الرابعة:** ما اشتهر من مسألة انتفاعه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بصلاتنا عليه أم لا؟ ينبغي أن يقال: لا محل لذلك الخلاف؛ لأنه لا يتنازع اثنان أن المصلي هنا لا يصدر منه إلا طلب الجناب الأقدس أن يصلي على حبيبه الأعظم وذلك الطلب منا سماه الشارع صلاة ورتب عليه العشاريات من الله تعالى، أو السبعين على مرة واحدة والمصلي على الحقيقة ولا بحسب الظاهر ليس إلا الله جل أمره، وإذا كان سبحانه هو المصلي، فالرسول الأكرم ينتفع بصلاة الله تعالى عليه قطعًا، فلم يدر معنى الخلاف في هذه المسألة قديمًا وحديثًا، وكان الإجماع على انتفاعه بها بهذا الاعتبار, كما أنه الإجماع على أن ننتفع بذلك الطلب منا وهو الذي رتب عليه الشارع جميع ما رتب على الصلاة عليه.

**وليت شعري:** ما السبب الذي أوجب خفاء هذا المعنى عليهم حتى اختلفوا منذ

أزمان ومن هذا تعلم وجه الحق في مسألتين شائعتين:

**المسألة الأولى:** وهي من قال: اللهم صلي على سيدنا محمد عدد كذا، قال ابن عرفة: له أكثر من ثواب المرة ودون ثواب من صلة ذلك العدد تفصيلاً, انتهى.

**قلت:** وإذا علمت أن المصلي في الحقيقة هو الله جل جلاله وتقدس كما له، فصلاة واحدة من الله تعالى على من صلى عليه مرة أكثر من عبادة من لم يغفل عن الله تعالى طرفة عين من أول الدنيا إلى آخرها، فلا معنى لكونه له ثواب أكثر من صلى مرة ودون من صلى ذلك العدد، وأيضًا لما صلى أي طلب أن يصلي الله على نبيه وحبيبه بذلك التضعيف, فلا بدَّ أن يصلي عليه به؛ لأنه ما طلبه منا حتى أراد أن يفعل فله من المثوبات على صلاة واحدة أكثر من السماوات والأرض فضلاً عن ذلك العدد, فافهم.

**المسألة الثانية:** وهي هل الصلاة على الحبيب مقبولة أيضًا أم لا؟ الصواب من هذا الذي كشفنا عنه النقاب أنها مقبولة قطعًا؛ لأن الله تعالى هو المصلي, فهي مقبولة قطعًا لا ينتطح في هذا عنزان.

وكذلك صلاة العبد التي هي الطلب مقبولة قطعًا, لأن الله تعالى يصلي على حبيبه كلما صلى عليه مصلٍّ، كما أنه يثيب هذا الطالب منه أن يصلي على عروسة مملكته قطعًا من باب الفضل والامتنان، فلا معنى للتشكيكات، أيضًا في هذا المقام هل هي مقبولة قطعًا؟.

وأيضًا إن الثواب هنا هو صلاة الله تعالى على العبد، وهل يتشكك في أنه ليس ذلك بمقطوع القبول؛ لأنه ليس مع الله تعالى غيره حتى يقبل منه؟ ولو لاحظ هذا المعنى الشيخ السنوسي ما استشكله من وجهين وقد علما في الدواوين, فاعلم.

وهذا آخر الكلام منا على أسرار الصلاة على الحبيب الأعظم صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وقد ألمحنا فيها بأسرار بما لا تعثر عليها في غيره، وقد كنا أردنا أن نوشح هذا الكتاب بما فوق هذا من أعاظم المسائل الإلهية ولكن رأينا النفوس تمل من الإسهاب, وإن كان فيه دفع الحجاب وعشق الإيجاز, وإن كان مخلاً بمرام أولي الألباب صلى الله تعالى على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره

الغافلون وعلى إخوته من الأنبياء والرسل كذلك وآلهم وأصحابهم أجمعين، ثم قال في الصلاة بعد اللهم صلِّ على سيدنا ومولانا اقتضى الحال أن ينفث هنا لسان القلم بمحاورة جرت بيني وبين بعض الطلبة ببعض البلاد في سياحاتي في مبحث السادة، وذلك أنا قوم يلب علينا استحضاره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم, فلا يسعنا ذكره الشريف بغير لفظ السيادة, ونود إن لو كانت لنا ألسن الكائنات أجمع, فنستعين بها على أماديحه معونة على تماجيده.

كان يحيى بن خالد البرمكي بلغ مبلغًا عجيبًا في ضروب الكرم إلى أن كاد أن ينفد أموال الدولة في وجوه المصاريف, فلامه بعض حواشي الرشيد، فقال له يحيى: إن أيادي أمير المؤمنين قد كثرت عليَّ وأني عجزت عن إحصاء الثناء عليه بلساني, فأردت أن أستعين على ثنائه بألسن الناس ولله دره, فأنتج لنا المشهد نتائج ومنها: أنا كنا نسيد في الآذان كما سيد جمهور الأناس قديمًا وحديثًا في الصلاة الإبراهيمية, فقلنا: أي فرق بينهما والكل خرج مخرج التعليم, فكان أول ما بادرني الطالب أن قال لي: إنكم خرقتم الإجماع في السيادة في الآذان ولا يعرفه الناس، فقل: أي إجماع تعني إجماع الصحب الكرام، أو إجماع المجتهدين، أو إجماع مطلق الناس؟ إن عنيت الأول, فالمسيد في الإبراهيمية أيضًا خرق إجماعهم فطالما صلوا على الحضرة المحمدية بمسمع منها بدون لفظ السيادة وإقرار الرسول سنة ولم يعاتبوا من الرب العالم السر وأخفى، كما أذنوا ولم يسيدوا، فالمسيد في الحالتين من باب إرخاء العنان خارق لإجماعهم، وطالما كاتب الحضرة المحمدية الصحابة الكرام بقولهم من خالد بن الوليد سيف الله المصبوب على الكفار: إلى محمد بن عبد الله سلام عليك ورحمة الله أما بعد، وهلم جرى فلأي شيء أثرت إنكار جانب التسييد في الآذان وذهلت عن جانب السيادة في الإبراهيمية أو تغالطت أو ارتكبت المصادرة في الموضوع والترجيح بلا مرجح ليس من دأب العقلاء.

وإن عنيت إجماع المجتهدين, فكسابقه في الإلزام إلا أن التعظيم القلبي والروحي والعقلي والسري الذي أشربته جوارحهم الظاهرة والباطنة أغناهم عن هذه الرسوم بالنسبة لما أودع في حماطة[1] جلجلانهم[1].

(1) يقال: حماطة قلبه, أي: سويداء قلبه.

وقد بلغ من أدب إمام دار الهجرة لم أن لم ينتعل بطيبة المشرفة خشية أن يطأ بنعله موضعًا وطأته نعل الشريفة المحمدية، وكذلك لم يركب فيها دابة, وبلغ من تعظيمه في جانب الله جلت عظمته إلى أن كان لا يمد رجله لجهة السوق التي تباع فيها الأوراق الغير المكتوبة، ويقول: إنها بصدد أن يكتب فيها، وكانوا إذا سمعوا الاسم الشريف المحمدي غشي عليهم بعدما يكونوا في حالة بسط.

ومنهم من يبكي حتى يرحمه جلساؤه, فلم يكن تعظيمهم يتعدى هذه الأنماط القلبية وكان عالم قريش يقول:

**لَـو فَتَحُـوا صَـدْرِي وَجَـدُوا بِـهِ سَـطّرِيَن قَـدْ خُطـا بِـلاَ كَاتِـبِ**
**العِلّـمُ والتّوْحِيـدُ فِـي جَانِـبٍ وَحُـبُّ آل البيـتِ فِـي جَانِـبِ**
**إنْ كنـت فِيمَـا قَلّتَـهُ كَاذِبًـا فَلَعْنَـةَ اللهِ عَلَـى الكَـاذِبِ**

وكان جبل السنة علمًا وعملاً وزهدًا وورعًا الإمام أحمد لا يمشي بين يدي أحد من أهل البيت النبوي، بل لا يمشي إلا وراءهم كالخادم.

وكان النعمان -رضي الله تعالى عنه- تمر عليه الأربعين سنة لا يضع جنبه على الأرض في الليل، وصلى الصبح بوضوء العشاء عشرين سنة وبلغ من ورعه ما علم في الدَّواوين، فهكذا كان تعظيمهم لله تعالى ورسوله الأكرم، فمن سيد في الإبراهيمية خرق إجماعهم أيضًا فلأي شيء اقتصرت على خرقنا الإجماع في الآذان ونسيت الإبراهيمية فالناس خرقوا الإجماع.

وإن عنيت إجماع الناس اليوم, فالمتقن أيضًا للصلاة والباكي فيها والمتورع عن المحرمات فضلاً عن المشبهات التي لا يعلمها كثير من الناس خارق لإجماعهم أيضًا، والذي لا يكذب ولا يختلف ولا ينم ولا يغتاب الناس، والمتحر أطعمه أهل الربويات كله خارق لإجماع الناس والذي لا يحضر ولائم الناس وأعراسهم كذلك خارق لإجماع الناس، فهل تقول نفعل هذه المحرمات ولا نخرق جمهور الأناسي أو نتبع رضي الله

=

(1) جُلْجُلانِهِم بالضم أَي حبَّة قلبهم قال شيخنا: وهو مأخوذ من كلام سيدنا عليٍّ رضي الله عنه كما مرَّ وفي الأصل: جعلوا حَماطة قلوبهم لَوْحَه أَي: صحيفته المحظوظ المحروس أَي: جعل قلبه لَوْحَ ذلك الشيء, فإن الإنسان إذا أكثر من ذكر شيء لازمه وسلَّط قلبه على حفظه ورعايته. [تاج العروس (53/1)].

ورضي رسوله ونخالفهم, فأقر بأن الإجماع على كلامه مخروق في الجهتين وانفصلنا على عدم السيادة، ثم التفت, وقلت له: هذا جدك سيدنا علي -كرم الله وجهه- لما قال محمد بن مسلمة في قضية صلح الحديبية، امح محمدًا وأمره مولانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بمحوها لما فيها من المصالح، فقال: والله لا أمحاها ولا أمحها, فآثر جانب الأدب على جانب الامتثال فهلا نَحَوْتَ نحوه أو أحببت من نحا نحوه، فقال: ما كان ينبغي لسيدنا علي ذلك وذكر كلامًا ينبغي طيه لإخلاله بموضوع المدح.

وذكرت تأخر سيدنا أبي بكر لما أمره مولانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بإتمام الصلاة بالناس فتأخر وأكمل مولانا رسول الله الصلاة، فصلى أبو بكر بصلاة مولانا رسول الله, وصلى الناس بصلاة أبي بكر, فكانت بإمامين فلما تمت الصلاة وعاتبه قال: ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله, فآثر جانب الأدب على الامتثال وأقروا من جهة الوحي ولم يُعاتبوا.

**فليت شعري:** على هذا الأذان ماذا على من سيد من الإبراهيمية والآذان جاعلاً شيخه وقدوته في المسألة الخلفاء رضوان الله تعالى عليهم فلم يبق إلا أن هذا الكلام لم ينبن على منحنى شرعي أدبي، ثم قلت له: ولما أحدثت أمور وغير السنن الأول صار عدم التعظيم مخلاً بالتعظيم ومشينًا للإنسان في عيون الناس, ولو قال عبد السلام بن مشيش أو عبد القادر الجيلاني أو أبو يعزي أو إدريس بن إدريس لعاب عليه هذا التعبير من جمع بين العلم والعمل وازداد قربًا من الحضرة المحمدية.

وكذلك صار عدم السيادة في أمثال هذه المواطن مخلاً بكمال الأدب، وكل ما جاءك في جانب الآذان استحضر مثله في جانب الصلاة الإبراهيمية على أن جانب الآذان أخف؛ لأنه توطأت رؤيا الصحابة عليه, فأقروا من حضرة الرسالة عليه, فكان ينبغي أن يخف أمر تلك السيادة بخلاف الإبراهيمية, فتلقفت من اللسان المحمدي في بساط التعليم لما نزلت الآية الكريمة.

ثم التفت فقلت له: أنشدك الله هل تقدر أن تذكر السلطان في حشمه وحزمه وشارته بقولك يا فلان؟ فقال: إنه يقدر، فقلت: لم تصدقني، ثم قال: ومعنى هذا المثال،

فقلت: كما أن أبهة هذه المملكة الظاهرة مرئية لعموم الناس كذلك السلطنة المحمدية مشهودة لخصوص الناس فليس في وسعهم أن يتفوهوا بالاسم الكريم مجردًا عن السيادة لما أنهم يشهدون حركاتهم وسكناتهم لمرأى ومسمع منه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم؛ لأنه υ يعلم ذلك بإعلام الله له ويعلم نياتنا وخواطرنا فضلاً عن الأمور الظاهرة كما يفعل الناس مع الملوك في الحس فقال إنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم غني عن تعظيمنا له.

فقلت: **أما أولاً:** فهذه مغالطة؛ لأنا لم نخترع هذا النوع له من عندياتنا حتى يقال هذا، بل كان مقتضى هذا أن لا ينادي باسمه ثلاثين مرة في كل يوم على الصوامع والمساجد, فإذا به لو تركه أهل بلدة قوتلوا، وكان ρ إذا غزا قومًا ووجدهم يؤذنون أمنهم.

**وأما ثانيًا:** فلأن الدين كله منبه على التعظيم، أي: معنى حتى عامي يقتضي عدم إشادة ذكره وهل لمعنى الشهادة به وجعل الشهادة به جزءًا من التوحيد معنى لا يرجع للتعظيم.

**وأما ثالثًا:** فهذه أمور تعبدنا بها من قبل الشارع فلا معنى لهذه التفقهات منا على الشارع, وهبه أنه غني عن تعظيمنا لسنا أغنياء عن الثواب الذي يفيضه الحق سبحانه على من عظمه وأقر به، ومن حكم أمر الله تعالى لنا بالصلاة على حبيبه أن شرفنا بجريان ذكره على لساننا وفي ذكرنا له من استجلاب الرحمات الإلهية, واستمطار الألطاف الخفية في الأرض ما لا يعلمه إلا من كوشف به لو رأى الأمر عيانًا.

**وَمَـا عَجَـبٌ إِكْـرَامُ أَلْـفٍ لواحـدِ     لِعَـينٍ تُفْـدَى أَلْـفَ عَـينٍ وَتُكْـرَمُ**

فإني أقول: لا يمكن أن يُجري الله سبحانه اسم سيدنا محمد على أي لسان كان إلا وقد قَدَّر تعالى له نوعًا من أنواع الإسعاد إما الديني، وإما الدنيوي.

**ثم قلت له:** أرأيت لو ناديناك أنت باسمك فقلنا: يا فلان ولم تعتبر آليتك ولا علميتك ولا رئاستك أكنت لا تتميز غيظًا؟ قال: إنه لا يبالي.

**فقلت له:** هؤلاء المفسرون قالوا في قوله تعالى: ﴿**يس**﴾ [يس:1] يا سيد, فإذا كان الله جل جلاله يناديه بالسيد, فكيف بأمثالنا أفلا نرجو بسيادته تكفير ما اقترفناه من الجرائم والقبائح المسودة وجه الصحيفة، فقال: الاتباع أحسن من هذا، فقلت: الاتباع هو مراعاة ما راعاه الله جل مجده والابتداع عدم ذلك وأي ابتداع، والحديث الكريم يقول: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر**»[1], فإذا ضممت هذه الأحاديث المطلقة عن السيادة لم يكن في إتيانك بها ابتداعًا ولكنت عالمًا بعلم الأصول في ردك المطلق إلى المقيد وحملك المطلق على المقيد كما فعل في آلاف من الجزئيات.

**فقلت له:** وهذا سيدنا يحيى υ وسم في القرآن الكريم بقوله: «**وسيدًا**» فلا يؤخذ بالأحرى منه تسييد من عقدت له أبوية المجد في السماء وبطونها والأرض وصفاحها، فقال: هذا ليس بدليل.

فلما أعوزني أمره بأمثال هذه الأجوبة الخالية من تعظيم من عظمة الله في سماواته وأرضه وفي كتبه وفي ألسن جميع مخلوقاته وفي الأولين والآخرين بما هو في غنى عن تعظيم أمثال هذا له، قلت له: وكان هذا الجناب المعظم الممدوح هاهنا لو لم تكن من ذويه لخالج باطنك من محبته والأدب معه ما يحملك على تعضيد هذا المسلك وإن لم تجد فيه سلفًا، فكيف والشريعة كلها دالة عليه من حيث أن الدين كله آداب وتعظيم فكيف وأنت من آله ومع ذلك ما هزتك أريحية الأشراف حتى تغيب عند سماعه وسماع من يجله ويوقره كما أمرنا الله تعالى بقوله: ﴿**وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**﴾ [الفرقان:5]، ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**﴾ [الفتح:10], ومن لا يسيد في الآذان لا يقدر ألا يسمع من لا يسيد في الإبراهيمية.

وليت شعري أن فارق قوي بين الضربتين [...][2], وإن اعتل معتل بأن الآذان

---

(1) رواه الترمذي (308/5), وأحمد (281/1).

( **2** ) كلمة غير واضحة.

تعبدنا به نقول أنه ورد أيضًا بكيفيات عند المكيين آذان، وعند المصريين آذان، وعند الكوفيين آذان، وعند الشاميين آذان كما في السنن، وضرورة أنه علم في السنن أن التكبير ورد فيه رباعي كما يعلم ذلك بمراجعة كتب السنن، فإن كان اختلاف الكيفيات في الإبراهيمية يوجب كونها غير متعبد بها فكذلك اختلاف الكيفيات في الآذان يوجب كونه غير متعبد به على كيفية واحدة على أن السيد له إخلاقات في اللسان يطلق على الرئيس الذي يتبع وينتهي إلى قوله، أو الذي يلجأ إليه في الحوائج، أو ا لمطيع، أو الفقيه العالم، أو الذي ساد في العلم والعبادة والورع أو فائق أقرانه في كل شيء وهو صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم سيد بالصفات المذكورة وغيرها وهو من أسمائه تعالى ولا يقال لغيره إلا بلا تعريف.

**قال الإمام النووي:** الأظهر جوازه باللام وغيرها، والمشهور بصلاح وعلم ويكره لغيره.

وعند الحاكم مرفوعًا: «**إذا قال الرجل للفاسق سيد, غضب ربه** Y»[1].

وفي «شرح التسهيل» للدماميني عن ابن المنير أن في المسألة أمور ثلاثة:

- جواز إطلاقه تعالى عليه وعلى غيره وهو المشهور الذي يدل عليه الكتاب والسنة.

- أنه يمتنع إطلاقه عليه تعالى وحكى عن الإمام مالك.

- عكسه ودليله ما ورد أنه υ قيل له: يا سيد، قال: السيد هو الله Y, انتهى.

**قلنا:** ويدل للأول: ﴿**وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا البَابِ**﴾ [يوسف: 25]، وفي حديث أبي سعيد عند البخاري في المغازي مرفوعًا: «**قوموا إلى سيدكم**»[2], يشير ρ إلى سعد بن معاذ مخاطبًا للأنصار، وقال ρ في الحسن υ: «**إن ابني هذا سيد**»[3].

(1) رواه ابن عدي في الكامل (259/5) بنحوه.

(2) رواه البخاري (900/2), ومسلم (1388/3).

(3) رواه البخاري (1328/3), وأبو داود (108/4).

وقال سيدنا يوسف υ: ﴿**وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ**﴾ [يوسف:42], أي: سيدك.

وأخرج البخاري في الأدب المفرد من حديث جابر مرفوعًا: «**من سيدكم يا بني سلمة، قالوا: جد بن قيس على إنا نبخله**»[1].

وفي أبي داود والنسائي النهي عن إطلاق السيد على المخلوقين ويجمع بينهما بحمله على غير الملك وحمل الإذن عليه ﴿**وَاللَّهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**﴾ [الأحزاب:4].

قولنا على سيدنا ومولانا «**أحمد**» هذا الاسم العظيم أحد اسمين عظيمين للحضرة المحمدية، لما أن لها حقيقتين عظيمتين:

**الأولى:** الحقيقة المحمدية.

**الثانية:** الحقيقة الأحمدية، مدلول على الحقيقة الأولى بمحمد ويأتيك استيفاء الكلام على أسراره وما انطوى عليه أوائل الجزء الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى عند قول الصلاة «**وصورة هيكله الجسماني على صورة أنموذج**».

ودلَّ على الحقيقة الثانية بأحمد ونشفيك الكلام على هذه الحقيقة هنا إن شاء الله تعالى بمحمد وأحمد أعظم أسمائه -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- وأشهرها وأبلغها وإليها مرجع جميع صفاته؛ لأن صيغة المبالغة تؤذن بالتضعيف والتكثير إلى غير نهاية، وصيغة أفعل تنبئ عن الوصول إلى غاية ليس وراءها غاية، وذلك أن الله جل جلاله لما قضى بسط مملكة الألوهية ونشر أسرار الربوبية بإظهار الخلائق وتسخيرها وإفضاء الأمور وتدبيرها وحفظ مراتب الوجود ورفع مناصب الشهود وكانت مباشرة هذا الأمر من الذات الأقدس بغير واسطة بعيد جدًا لبعد المناسبة بين عزة القدم وذلة الحدوث حكم الحكيم جل أمره بتخليف نائب ينوب عنه في التصريف والولاية والحفظ

---

(1) رواه الطبراني في الصغير (318), واللفظ له, وفي الكبير (19/2), والبيهقي في الشعب (430/7), والحاكم في المستدرك (242/3).

والرعاية، وله وجه إلى الحق سبحانه يستمد منه ووجه إلى الخلق يمد به الخلق فجعل على صورة الحضرة خليفة يخلفه في التصرف وخلع عليه جميع مقتيات الأسماء والصفات ومكنه في مسند الخلافة بإلقاء مقاليد الأمور إليه وإحالة حكم الجميع عليه، وتنفيذ تصرفاته في خزائن ملكه وملكوته وتسخير الخلائق لحكمه.

وجبروته وسماه باسمين وذلك الاسمان تابعان لوجهتيه المذكورتين، فباعتبار الجهة الخلفية سماه بأسماء بحسب مراتب الموجودات واختلافها في العلو والنزول، والقرب والبعد، والشرف والانحطاط، ومن جملة ما سماه به محمدًا لما أنهم يشاهدونها ويرون الكمالات المفاضة عليها، فلما رأوا كثرة الكمالات المكتنفة له أقاموا من تلك الصفات المجتمعة اسمًا, فسموه محمدًا لكثرة خصاله المجتمعة فيه، وسماه إنسانًا لإمكان وقوع الإنس بينه وبين الخليقة برابطة الجشية وواسطة الإنسية.

**وباعتبار الوجهة الحقية:** سماه نورًا وسراجًا وأمر بتسبيحه في قوله: ﴿**وَتُسَبِّحُوهُ**﴾ [الفتح: 9] على أن الضمير يعود إليه، وسماه أحمدًا.

فإن قلت: **ولأي شيء أو شر التعبير هاهنا بأحمد نظرًا لهذه الوجهة الحقية مع أنه يتلمح أنه لا يمكن السقي منها؟**

**قلت:** على الخبير وقعت فإنما وقع الإيثار بأحمد لأسرار:

السر الأول: أن ذلك الجمال الأحمدي لما كان أول موجود برز من حضرة النور الربانية بحيث لم يتقدمه موجود في البروز، بل كان أول موجود توجهت إليه العناية الإلهية فيما لا يزال وقعت البداءة به بداءة بإبداء الله سبحانه به.

وفي الحديث الكريم: «**ابدءوا بما بدأ الله به**»[1], لما نزل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ**﴾ [البقرة: 158] لا من المروة إلى الصفا بدءة بما بدأ الله به.

وقد ذكر في الفتوحات: أن شخصًا عزم على الحج وقدم رجلاً وأخّر أخرى أي: السبيلين يسلك أسبيل البر أم البحر؟ وعزم على أن أول راءٍ رآه يسأله ويعمل على

(1) رواه النسائي في الكبرى (413/2).

إشارته, فكان أول من لقي يهوديًا فاختلج في خاطره عدم العمل بإشارته، ثم تذكر العقد الذي عقده فاستخبره فقال له: اسلك سبيل البر، وأين أنت من تقديم الرب الكريم البر على البحر في قوله: ﴿**هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي البَرِّ وَالْبَحْرِ**﴾ [يونس:22] وما كان التقديم عبثًا, فأفاده ما كان ينبغي له أن يتفطن له قبل التحير.

ولهذه الحقيقة الأحمدية أوليات التي أوجبت البدء بها منها: البدء في الخلق بأن كان أول الأنبياء في الخلق، ومنها: أنها أول من أجاب ربه بالإقرار بالربوبية في عالم الذَّر يوم أشهدهم على أنفسهم ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى**﴾ [الأعراف: 172] كان أول من قال: «بلى».

**ومنها:** أنها أول من سمع كلام الله تعالى الأزلي في الحضرات الغيبية بلا حرف ولا صوت فكانت أول فاتح للمعارف الإلهية للأنبياء والرسل والملائكة-عليهم السلام- ولطبقات الأولياء رضوان الله تعالى عليهم.

**ومنها:** أنها أول من شاهد جمال الربوبية كفاحًا بدون مظهرية؛ لأن المظهر إنما يتوقف عليه في عالم المواد والتراكيب، ولا مواد ولا تراكيب ثمة، إنما هناك عالم الصفاء والأنوار، وانفجار الفيوضات الإلهية، وتدفق المواهب الطامة العيانية على هذا الخليفة عن الله تعالى، فهاهنا جمعت الحقيقة الأحمدية بين الرؤية والمكالمة.

**ومنها:** أنها أول من دخل حضرات الأسماء والصفات ووجه بحقائقها ثمة فإن بإفاضة كمالاتها وخصيصاتها عليه صار أعظم ممدوح في العالم وأعظم حامد وأحمد أهل الأكوان لربه جل ثناؤه وعلم ربه تعالى هناك على سبيل المكاشفة والمعاينة التي لا يضام فيها.

ومنها: أنها أول فاتح لأبواب التبيان عن المرادات وما في ضمائر النفوس كما قال أهل اللغة والأصول من الألطاف حدوث الموضوعات اللغوية بأحداثه تعالى ليعبر عما في الضمير أي: ليعبر كل من الناس عما في نفسه مما يحتاج إليه في معاشه ومعاده لغيره؛ حتى يعاونه عليه لعدم استقلاله به, وهي في الدلالة على ما في الضمير أفيد من الإشارة والمثال؛ أي: الشكل؛ لأنها تعم الموجود والمعدوم، وهما يخصان

الموجود والمحسوس، وأيسر منهما أيضًا لموافقتها للأمر الطبيعي دونهما, فإنها كيفيات تعرض للنفس الضروري ومع هذا أن الحقيقة الأحمدية لما كانت أول مخاطب من الحق يلزم أنها أول من سمع انفتاح قباب الحروف التي أولها الألف وهو أول مسموع قرع الآذان، كما أن أول حرف نطقت به الباء.

**قلت:** ولعله لأجل هذا افتتحت به ديباجة القرآن تذكيرًا لنا لما عاهدنا عليه ربنا لا ننسى العقود فنجد في الامتثال والاجتناب كذا ظهر، وهو عجيب فالحقيقة الأحمدية هي الفاتح لرتق مجملات الحروف، كما كانت الفاتق لرتق مجملات الكلمات الإلهية التي بها ينتظم الكلام والعالم ويعبر بها عما في الغيوبات من أعاظم المسائل وشريف الأبحاث إذ هو أول ما سمع ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ**﴾ [الأعراف:172], ولا يبعد أن تكون الإشارة بقوله ρ: «**أوتيت جوامع الكلم**»[1], لهذا فافهم، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ [الرحمن:1-4] أي: المنطق الفصيح ليعبر عما في الضمائر.

وانظر كيف جعل تعالى البيان يلي في جانب الامتنان، الامتنان بأصل الخلق من العدم إلى الوجود فلمّا فاقت به هذه الكمالات واكتنفه هذه الخصيصات ناسب أن يثني على الله تعالى بما هو أهله فلمّا علم الله تعالى منه هذا القدر مدحه بما لم يوجد في مخلوق مثله بما نطق به ألسن النبيين والمرسلين، والحال أنه الذي سماه به وهو أحمد.

فيحتمل أنه أحمد من حمده الحق سبحانه ويكفي مِن أحمديته تعالى له القرآن كله فكله مدح له إمّا بالتصريح, أو التلويح, أو الكنايات، أو الإشارات, أو التعريضات, أو الإدماجات، وهذا الأخير أغلب الآيات البينات القرآنية بعد الصراحات ولذلك قيل:

**مدحتُكَ آياتِ الكتابِ بما عَسى ... يُثني علىَ علياكَ نُظم مديحِي**
**وإذَا كِتابُ اللهِ أثنَى مُفْصِحًا ... كانَ القصورُ قصارَى كلِّ فصيحِ**

وقيل:

**أيَا مصطفَى مِنْ قبلَ نشأةِ آدمَ ... والكونُ لمْ تُفتحْ لهُ أغلاقُ**

---

(1) رواه أحمد (250/2), وابن أبي شيبة في المصنف (318/6).

**أيـــرومُ مخلـــوقٌ ثنـــاءَكَ بعـــدمَا أثنَـــى علـــىَ أخلاقـــكَ الخـــلّاقُ**

والأبيات لابن الخطيب، وأخبر بعد موته أنه غُفر له بسببها.

**قال في «المواهب»:** قيل: إن الله تعالى لما خلق نور نبينا سيدنا محمد ε, أي: أكمل بإفاضة الكمالات والنبوة عليه أمره أن ينظر إلى أنوار الأنبياء-عليهم الصلاة والسلام- فغشيهم من نوره ما أنطقهم الله به، وقالوا: «**يا ربنا من غشينا نوره؟ فقال الله تعالى: هذا نور محمد بن عبد الله إن آمنتم به جعلتكم أنبياء، قالوا: آمنا به وبنبوته، فقال الله تعالى لهم: أشهد عليكم، قالوا: نعم**», فذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ**﴾ [آل عمران:81].

ويحتمل معنى أحمد أنه أحمد الحامدين لربه, أي لو جليت لنا في الخارج قوابل الأشياء، واستعداداتها وفحصنا عن تلك الحقائق لوجدنا ثناءات هذه الحقيقة الأحمدية وأحمديتها للرب سبحانه أكثر من كل حمد يصدر في العالم، لا من الأنبياء، ولا من الرسل، ولا من الملائكة، ولا ممن عداهم؛ لأن الثناء يكون بحسب الاطلاع على الكمالات والمحامد، ولا اطلاع أوسع من اطلاع الحقيقة الأحمدية, ولا انكشاف أفسح من انكشافاتها وهو يقول: «**ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أفعله, والله إني لأعرفكم بالله, وأشدكم له خشية**»[1].

فلأجل مراعاة هذه الأوليات وغيرها أوثر التعبير بأحمد عن محمد في الأنموذجية المحمدية فنفس انتخاب العنايات لحقيقته من بين الحقائق يكفي في تسميته بأحمد فكيف مع ملاحظات مراتب الشفوف الآخر, والمراد من هذا أن أول شيءٍ من تلك الحقيقة تعلقت به العناية الإلهية أولى أن يقدم بالذر, فلذلك آثرنا ما آثر الحق، ثم ذكرنا محمدًا بعد في قولنا وصورة هيكله الجسماني.

ولعل لأجل هذا أكثر الله سبحانه من ذكره في الكتب السابقة بأحمد إيثارًا لأول

---

(1) رواه البخاري (2263/5).

خصائصه وأول كمالاته وأعظم مفاخره بالذكر؛ لأن بمثل هذه المفخرة تحصل له الهيمنة عليهم، ولعله لأجل غلبة الروحانية على الجسمانية في سيدنا عيسى υ آثر الله سبحانه تسميته في كتابه الإنجيل بأحمد؛ لأنه أقرب مناسبة به، فلذلك ترجم عنه القرآن أنه قال: ﴿**وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾ [الصف:6], بخلاف غيره ويكفي من قرب المناسبة أنه مسمى بروح الله وكلمته.

ومن أسماء هذه الحقيقة أيضًا روح الحق، وأيضًا سيدنا عيسى υ لم يأت بعده إلا سيدنا محمد-عليه الصلاة والسلام- فكان سر إيثاره التعبير بأحمد عن محمد أنه يقول: إن هذا المُبشَّر به أحمد منا معاشر أنبياء الله ورسله الذين درجنا قبله لربه جل أمره، ويلزم منه أنه أعلم منا بربه وحذف المفضل عليه ليقع الوهم في كل مفضل عليه كما في قولنا: **[الله أكبر]** لينسحب على كل كمال، وهذا من الحور المقصورات في الخيام، وفيه إشارة أيضًا إلى أن سير هذه الحقيقة سير اجتنابي لا إنابي؛ لأنهم عمَّروا قبله من السنوات الكثيرة، ومع ذلك فاتّهم في أقل أزمانه، وكما له أوليات في البدء له أوليات في العود.

فهو أوّل من تنشق عنه الأرض، وأول شافع فلا يتقدمه مَلَك ولا نبي، وأول مشفع أي مقبول الشفاعة، وأول من ينظر لرب العالمين والخلق محجوبون عن رؤيته إذ ذاك حتى يراه قبلهم، وأول الأنبياء يقضي بين أمته وأولهم إجازة على الصراط بأمته، وأول داخل الجنة, وأمته أول الأمم دخول إليها بعد دخول جميع الأنبياء، فالأنبياء لهم دخولان: دخول خاص قبل جميع الأمم، ودخول عام مع أممهم، وأول من يقرع باب الجنة.

**فباعتبار هاتين الأوليتين:** أعني في البدء والعود خوطبت هذه الحقيقة في كل ذلك بما قام بها، فمن الاعتبار الأول: ما روى التلمساني في حاشية الشفا عن ابن عباس-رضي الله عنهما- رفعه: «نزل جبريل فسلم عليَّ, فقال في سلامه: السلام عليك يا أول، السلام عليك يا آخر، السلام عليك يا ظاهر، السلام عليك يا باطن، فأنكرت ذلك عليه، وقلت: يا جبريل كيف تكون الصفة لمخلوق مثلي, وإنما هذه صفة الخالق

الذي لا تليق إلا به؟ فقال: يا محمد اعلم أن الله تعالى أمرني أن أسلم بها عليك؛ لأنه قد فضلك بهذه الصفة وخصك بها على جميع النبيين والمرسلين فشق لك اسمًا من اسمه ووصفًا من وصفه,وسماك بالأول؛ لأنك أول الأنبياء خلقًا، وسماك بالآخر؛ لأنك آخر الأنبياء في العصر، وخاتم النبيين إلى آخر الأمم، وسماك بالباطن؛ لأنه تعالى كتب اسمه مع اسمك بالنور الأحمر في ساق العرش قبل أن يخلق أباك آدم بألفي عام إلى ما لا غاية له ولا نهاية, فأمرني بالصلاة عليك، فصليت عليك يا محمد ألف عام بعد ألف عام حتى بعثك الله بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وسماك بالظاهر؛ لأنه أظهرك في عصرك هذا على الدين كله, وعرف شرعك وفضلك في أهل السماوات والأرض فما منهم من أحد إلا وقد صلى عليك صلى الله عليك فربك محمود وأنت محمد، وربك الأول والآخر والظاهر والباطن، وأنت الأول والآخر والظاهر والباطن، فقال مولانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: الحمد لله الذي فضلني على جميع النبيين حتى في اسمي وصفتي»[1] ,انتهى.

ونقله أيضًا الملا على القارئ في «شرح الشفاء» أيضًا، وفيه شاهد صريح لتسميتنا له ε صدر الخطبة بهذه الأسماء الأربع.

**وفي الاعتبار الثاني:** ما أخرج ابن أبي الدنيا مطولاً عن عبد الله بن عمرو قال: إن لآدم من الله Y موقفًا في فسح من العرش عليه ثوبان أخضران كأنه نخلة سحوق ينظر إلى من ينطق من ولده إلى الجنة والنار، فبينما آدم على ذلك إذ نظر إلى رجل من أمة سيدنا محمد ε فنادى آدم: يا أحمد، يا أحمد، فيقول: لبيك يا أبا البشر، فيقول: هذا رجل من أمتك ينطلق به إلى النار، فأشد المئزر وأسرع في أثر الملائكة فأقول: يا رسل ربي قفوا، فيقولون: نحن الغلاظ الشداد لا نعصي الله ما أمرنا ونفعل ما نؤمر، فإذا النبي ε قبض على لحيته الشريفة بيده الكريمة اليسرى، واستقبل العرش بوجهه العظيم فيقول: **«رب قد وعدتني ألا تخزيني في أمتي»**, فيأتي النداء من قبل العرض: «أطيعوا محمدًا وردوا هذا العبد إلى المقام»، فأخرج من حجرتي بطاقة بيضاء

(1) لم أقف على من خرجه.

كالأنملة فألقيتها في كفة الميزان اليمنى وأنا أقول بسم الله فترجح الحسنات على السيئات، فينادي مسعد وسعد جده وثقلت موازينه انطلقوا به إلى الجنة، فيقول: يا رسل ربي قفوا حتى اسأل هذا العبد الكريم على ربه سبحانه، فيقول: يا أبي وأمي ما أحسن وجهك وأحسن خلقك من أنت؟ فقد أقلتني عثرتي ورحمت عبرتي، فأقول: «**أنا نبيك محمد, وهذه صلاتك التي كنت تصلي عليَّ وافتك أحوج ما تكون إليها»,** انتهى. وذكره القشيري في تفسيره أيضًا[1].

**والشاهد من هذا كله:** أن هذه الحقيقة الأحمدية مهما تجلى عليها الحق سبحانه بتجل من التجليات، وانبجست معانيه في تلك الذات المحمدية إلا ويشتق له منها اسم فلما قام به وصف الأولية، والآخرية، والظاهرية، والباطنية اشتق له منها اسمًا، ولما قام به وصف كونه أحمد الخلائق لربه أو وصف كونه أحمد عند ربه من غيره اشتق له ربه منه اسمًا وهو أحمد وهكذا.

ولا ينتطح كبشان في أن هذه الأحمدية القائمة به مما انفرد بها عن الأنبياء والرسل أجمع، فيكون هذا الاسم له بهذا الاعتبار هو أصل جميع أسمائه التي إليه مرجعها وإذا تشكك متشكك في هذا نزيده إيضاحًا.

فنقول: إن هذه الحقيقة الأحمدية لما قامت به ونظرت الخلائق كتفاصيل المكونات ووجدت أحمدية ربه له أكثر من حمديته لغيره أو حمديته لربه أكثر من حمدية غيره له ممن دونه استحق أن يحمد ويثنى عليه بالمحامد الكبرى، فهنالك اشتق له من وصف الأحمدية القائم به وصف الأحمدية القائم به وصف المحمدية المكافأ به من قبل الخلائق فقيل له محمد، فانظر كيف ظهر الاسم الكريم محمد منبجس من قبل الحضرة المحيطة الجامعة الأحمدية، وما أرى مميزًا يختلف في هذا القدر، فالاسم محمد فرع للاسم أحمد، وأحمد هو الأصل لا باعتبار الظهور في الخارج، ولا باعتبار ما طمحت إليه العناية الإلهية في التصوير والخلق، ولا باعتبار ما كانت تسقى منه

(1) رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (102), وذكره السيوطي في الدر المنثور (196/4), والألوسي في تفسيره (112/6).

الأنبياء والرسل قبل ظهور الجسمانية المحمدية كما تقدم في اسم الجلالة, فافهم.

وباعتبار دون هذا بمراحل نقل في السيرة الجلية عن بعضهم أن أحمد أفضل من محمد.

**وقال الصلاح الصفدي:** أن أحمد أبلغ من محمد كما أن أحمر وأصفر أبلغ من محمر ومصفر ولعله لكونه منقولاً عن أفعل التفضيل؛ لأنه ε أحمد الحامدين لرب العالمين لأنه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم تفتح على أحد قبله, انتهى.

وبهذا كله تعلم جواب سؤال ورد في المقام طالما شنعوا به وأورده عليَّ بعض الطلبة في بعض السياحات وهو أنه لِمَ لم يقع التعبير به على هذا في الإبراهيمية؟

**قلت:** لا بدَّ فيه من تفصيل وهو أن تقول: اعلم أنه لما برز ρ بجسمه الكريم في الملك داعيًا إلى الله بإذنه مكث نحوًا من ستة عشر عامًا، وقريش معه في المنازعات، والمعارضات، والمحاربات معه [...](1)، ولم يأذنه الله بالجهاد لمصالح، والأجوبة السماوية تترى بحسب قوابلهم واستعداداتهم على ما تعلمه من تصفح وجوه القرآن الكريم، فكان عليه الصلاة والسلام لا يطمع منهم إذ ذاك أن يشهدوا له فوق ما يعلموه من وصفه المذكور في الكتب، وذلك قوله تعالى: ﴿**الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ**﴾ [الأعراف:157], وبلغ من تجهيلهم ومغالطتهم أنفسهم وتغليطهم غيرهم أن وصف حالهم سبحانه, فقال: ﴿**قُلْ مَنْ أَنزَلَ الكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ الله ثُمَّ ذرها فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**﴾ [الأنعام: 91].

وقال:﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ* الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ**﴾ [البقرة: 146, 147].

فلما كانت قريش بهذه المثابة من الشرود عن الله تعالى وعن رسوله الأكرم

(1) بياض في الأصل.

اكتفى منهم سبحانه حسبما اقتضاه وصولهم إلى الأجل المستقر بأن يقروا له بما تواطأت عليه ألسنة الأنبياء والمرسلين، والكتب الإلهية وهو مقتضى تحميده بألسنة الخلائق ومدلوله هو محمد وخصوصًا متبوعوهم من أنبياء بني إسرائيل، وخصوصًا كليم الله υ, فهو موصوف عندهم في التوراة والإنجيل، كما في القرآن إلا أنهم كما قال تعالى: ﴿**يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ**﴾[النساء:46].

وانظر لما حوججوا بهذه الحجة, وهي أنه مذكور في الكتب السالفة وخصوصًا توراتهم خرجوا إلى واد الهويان، والمكابرات فقالوا: ما انزل الله على بشر من شيء حتى لا تقوم عليهم الحجة, فحوججوا بقوله تعالى منكرًا عليه في صورة التعجب ﴿ **مَنْ أَنزَلَ الكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً**﴾ [الأنعام:91].

وانظر كيف حافظ تعالى على رئاستهم حتى لا يغتاظوا فلا ينقادوا لقبول ما ألقى إليهم فقال: ﴿**الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ**﴾ [الأنعام: 91], فمدح كتابهم وهو كذلك.

وكذلك ينبغي للمحاجج إذا كان حكيمًا، فلما كانوا بهذه المثابة لم يحوجهم إلى فوق ما أطبقت عليه كتبهم, وهو كونه محمدًا في السماء والأرض.

وفي الكتب السماوية التابع لها والمتدين بها أنبيائهم ورسلهم, فإن عقول جميع الإسرائيليين وأنبيائهم ترجح بعقل قريش وحدانًا.

وتأمل ما في الصحيح من قوله υ: «**ألا تعجبون كيف يصرف الله تعالى عني شتم قريش ولعنهم يشتمون مذممًا ويلعنون مذممًا وأنا محمد**»[1] ينقشع عنك الغيار وتدخل مداخل الأبرار، فإنه يشير إلى أنهم هلا عاملوه بمقتضى ما وجدوه في كتبهم لا غير، فريحوه من المشاغبات والمناقضات، فإن كفار قريش بلغوا من شدة كراهيتهم في سيدنا محمد ε أنهم كانوا لا يسمونه باسمه الدال على المدح, فيعدلون إلى ضده

(1) رواه البخاري (1299/3), والنسائي في الكبرى (361/3).

فيقولوا مذمم ومذمم ليس باسمه ولا يعرف به فكان الذي يقع منهم في ذلك مصروفًا إلى غيره، وأنا اسمي محمدًا كثير الخصال الحميدة، وفي الأمثال المشهورة «الألقاب تنزل من السماء»، ومن كانوا بهذه المثابة لا يُطمع فيهم أن يمدحوه بأحمد, فاعقل.

ومما يدلك على هذا ما في الصحيح في تفسير قوله تعالى: ﴿**قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى**﴾ [الشورى: 23].

عن ابن عباس في كتاب التفسير في (حم عسق) عن عبد الملك بن ميسرة قال: سمعت طاوسًا عن ابن عباس أنه سُئل عن قوله: ﴿**إِلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى**﴾ [الشورى:23], فقال سعيد ابن جبير: قربى آل محمد، فقال ابن عباس: عجلت أن النبي ε لم يكن بطن من قريش إلا بان له فيهم قرابة، فقال: «إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة».

وأخرجه الترمذي أيضًا في التفسير عن ابن بشار، وقال: حسن صحيح، وأخرجه النسائي فيه عن إسحاق بن إبراهيم عن عبد ربه، والمعنى: قل يا محمد لا أسألكم عليه, أي لا أطلب من هذا التبليغ المال والجاه ولا نفعًا عاجلاً، ولا مطلوبًا حاضرًا؛ لئلا يتوهم أنه ε يطلب حظًّا من الحظوظ إلا أن تؤدوا القرابة التي بيني وبينكم، أي إذا لم تلاحظوا نبوة ولا رسالة ولا كونهم ما جربتم علينا كذبًا حتى قال الداهية هرقل: ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على ربه، ولا التفتم بعقولكم, فتجدون أن الأمور التي أمركم بها عليها صلاح الناس، وصلاح ما بينكم ونجاة مهجكم على المتالف والمضار، فلاحظوا أني من بطون رحمكم فتهزكم أريحية القرابة الطينية فتراعوها.

وليت شعري من يحتاج مع قومه إلا على هذا التنزل, وما فاوضهم هذه المفاوضة حتى شغرت دواعيهم من الإقبال على الله تعالى، وعليه كيف يلزمهم أن يصلوا عليه إذا صلوا عليه بأحمد وهم لم يسلموا كونه محمدًا عندهم فضلاً عن كونه أحمدهم، فضلاً عن أحمديته للبشر، فضلاً عن أحمديته للملائكة وكل ما دون الله سبحانه.

**فإن قلت:** كم من أمر زال سببه وبقى حكمه في هذه الشريعة؟ فهذا السر النهاري في الصلاة إنما أمروا به لأجل ما كان يتوقع من قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ [الأنعام: 108]؛ لأنهم كانوا يسمعون سبَّ آلهتهم في الصلاة الجهرية النهارية في أول الإسلام، فلما عرض هذا العارض انتفى ذلك وأمروا بقوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً**﴾ [الإسراء:110], وأمروا بالجهر ليلاً؛ لأنهم كان لا يمكنهم استراق السمع إذ ذاك وهلم جرا من المثل إن كانت لك يد بيضاء في الشريعة المطهرة.

**فإن قلت:** والمخاطب في الحقيقة هو الصحابة, فلا يضر أن لو أشر التعبير بأحمد؛ لأنهم من الله على بصيرة.

**قلت:** هذا السؤال مهمل لا جواب له عند العقلاء ومقتضاه ألا ينزل من القرآن الكريم إلا القدر المشتمل على الأحكام، وأما ثلثا القرآن من الأقاصيص فلا يحتاجون إليها مع أن الله تعالى يقول للرسول الأكرم: ﴿**وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ**﴾ [هود:120] فضلاً عمن عداه, فاعقل.

وأما ما عدا الأقاصيص, فإنهم لا يحتاجون إليه لما أنهم من الله على بصيرة مع أن هذا المتشكك لو رشت عليه رشاشات من النور لوجد أن المخاطب بالقرآن الكريم جميع قوابل أهل الأرض، لا خصوص المعاصر لزمن الوحي حتى يخاطب الرسول الصحابة بما تقتضيه جلالتهم وخالص إيمانهم، بل الخطاب بالقرآن لهم ولكل نسمة في الأرض، ولذلك تجد خطابات القرآن الكريم متنوعة مرة هكذا، ومرة هكذا حتى يظن الظان أن بين الموضع الفلاني وبين الموضع الفلاني تعارضًا, وإشكالاً ويحتاجون للأجوبة عن ذلك، وذلك كله ذهول عما قلناه آنفًا من أن خطابات القرآن الكريم تتلون وتعدد بحسب المراتب، والقوابل، والأزمان، والأعصار، ولا يعذر مؤمن في فهم هذا فضلاً عن عالم ومفسر ولكن.

**ومَـــا أثـــلاثُ القـــدسِ إلّا لأهلهَـــا ومَـــا كـــلُّ إنســـانٍ بوادهَـــا يســـرحُ**

وبهذا تعلم معنى: ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾ [الأنعام:38].

ومعنى قوله سيدنا علي-كرم الله تعالى وجهه: «القرآن أبو اللُّسن، فإذا جادلتموهم فجادلوهم بالسنن», فافهم واعقل.

وهكذا فأغزل الرقائق، وخُض في تيار الحقائق وإلا دونك والرسوم، فهذا هو السر الأول في سر إيثار التعبير بأحمد في الأنموذجية بدل محمد، على أنه لم ينه الصحابة الكرام ألا يسموه إلا بذلك الاسم، بل قال كما في الصحيح في مواضع، والإمام مسلم في «فضائل المصطفى» عن زهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم وابن أبي عمرو، عن حرملة بن يحيى، وعن عبد الملك بن شعيب، وعن عبيد بن حميد وأخرجه الترمذي في الاستئذان عن سعيد بن عبد الرحمن، وفي الشمائل عن غير واحد، وأخرجه النسائي في التفسير عن على بن شعيب البغدادي، عن معن بن عيسى به: «**لي خمسة أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب**»[1], ثم أخبرهم بعدُ بأسماء أُخر حتى قال ابن العربي في العَارضة: إن لله تعالى ألف اسم, وللرسول ألف اسم.

**تنبيه:** ثم أن هذا المعنى الذي أبديناه من قبل في سر عدم ذكر أحمد في الإبراهيمية وهو التنزل لقوابل قريش إذ ذاك له التفات لما ذكروا من أنه لا يصح إسلام كافر حتى يتلفظ بـ«محمد» فلا يصح أحمد رسول الله، وإن خالف في هذا الحليمي, فقال: إنه يصح الدخول بقولنا أحمد رسول الله في الإسلام.

**ووجه القول الأول:** ما ذكرناه من كونهم إذ ذاك كان لا يطمع منهم إلا بالإقرار بالأمور الإفاقية, وهو مدلول محمد.

**ووجه القول الثاني:** أنه لم تتخذ شواكل الناس في أوائل دخولهم للإسلام فيحمل كلام الحليمي على قوم استنارت بصائرهم استنارة أغنتهم عن الدليل فكوشفوا من أول الأمر بأن هذا الرسول أحمد الحامدين.

ويلزم من كونه أحمدهم أنه أفضل من الجميع فيكون قولنا أحمد من باب ذكر الشيء مع بينته، بخلاف قولنا محمد فيحتاج به إلى الإقرار به إلى الآيات والمعجزات

---

(1) رواه البخاري (1299/3), والنسائي في الكبرى (489/6).

والشواهد، ولذلك قل من آمن إلا واقترح آية من الآيات، وإن أردت تعبيرًا آخر, فقل: إن نظير هذا أن أكثر دلالة القرآن الكريم على التوحيد من باب الآيات الإفاقية، وأما الدلالة فالآيات النفسية فعليلة لما أنها خاصة بالألباء من الناس وقليل ما هم.

فكذلك دلهم أول الأمر الرسول ع فما قام مقام الآيات الإفاقية في نفسه وهو ما يرجع إليه معنى محمد، ثم دعاهم بالآيات النفسية القلبية التي دلالتها على ربه، هذا المبلغ عن الله تعالى بمنصب الخلافة عن الله تعالى دلالة عملية وهو الإقرار بمدلول أحمد، وإلى الدعوتين الإفاقية والنفسية القلبية الإشارة بقوله: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ**﴾ [فصلت : 53].

وأنت إذا كانت لك رؤية في ميادين العلم تعلم أن هذا السر له أسرار ولنُبينها لك حتى تزداد تبصرة في الباب فنقول:

**السر الثاني:** وهو أيسر في أن أكثر روح الله ع في تعبيره عن الحقيقة الأحمدية بأحمد، فإنه لما كانت الروحانية مستولية على الجسمانية فيه قرب تناسبه بأول حواش جداول تلك الحقيقة.

وكذلك كل من كثر سقيه من وادٍ من أودية الجرة المحمدية يكثر تعنته عنه بالاسم الدال على تلك الهوية، ألا ترى كيف كانت له ع أسماء عند كل طبقة من طبقات الوجود مناسبة لما قام به، فاسمه عند أهل الجنة عبد الكريم لغلية مكاييل الكرم هناك على مكاييل الأعمال، واسمه عند أهل النار عبد الجبار لمناسبات كثيرة، واسمه عند أهل العرش عبد المجيد، ومناسبته ما اقتضاه جلال الربوبية المشير إليه بالاستواء في قوله جل أمره: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه:5]، وعند الشياطين عبد القهار والمناسبة: أن الله تعالى إذا أراد زيادة مكر خص بإبليس وزيادة تعذيبه سلطه على المعصومين من الأنبياء، والمحفوظين من الأولياء, فاشتق من وصفه قهر الربوبية المقموع به هذا الاسم، وفي الجبال عبد الخالق والمناسبة لائحة من حيث أرسى تعالى الأراضي الواسعة الأكناف الفسيحة الأطراف بتلك الأجبل الصغار، وفي البحر عبد المهيمن, وعند الحِيتَان عبد القهار، وعند الله تعالى: طه ويس وهكذا على ما يأتيك إن شاء الله تعالى بعد مفصلاً.

فبان لك أن كل من كثر سقيه من صفة من صفاته الكمالية المحمدية عبر عن مادة السقى الواقعة له منه باسم، فلو فرضنا أن هذه الأسماء المحمدية لم توضع في اللسان العربي، إلا أن الأرض لما كانت فيها العقلاء الألباء كان كل من حصل له السقى من دائرة من دوائر الأكملية يعبر عنها باسم مناسب لها، لما كان في التعبير عنها [.....][1] وهذا ربما يدعى أنه الواقع بناء على الواضع للغات هو البشر، فكيف وقد [.....][2] هذا الشأن فوضعت الأسماء المحمدية في القرآن والسنة باعتبار كل رتبة قامت بتلك الجلالة الأحمدية، فمن ورد مورد فلبس على صاحبه بالحلة التي قابله بها، وكذلك من عظم سقية من الحقيقة الأحمدية, فليكثر من الثناء على مسماها بالاسم الدال على ذلك.

**وقول من قال:** إن الأحمدية لا يسقى منها، نقول: إن هذا كلام من لم يكثر خوضه في الحضرات حتى يعرف مواهبها وما يصح منه السقى منها، وما لا يصح، وقد زادوا في التحجير أن أنكروا على من أخبر أنه يُسقى منها، وهل أحاطوا بالحضرات الإلهية حتى يعلموا حقيقة ذلك؟

﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الخَلَّاقُ العَلِيمُ**﴾ [الحجر: 86] وليست ميازيب إمداد الخلائق واحد حتى يحول بين الناس وبين الوصول لذلك الحي، فإن الله تعالى ﴿**لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾ [الأنبياء:23].

وقد كنت أردت أن أذكر لك مراتب الناس في مشاهداته صلى الله عليه وآله وسلم, وما يصلوا إليه، وعلامة كل من ادَّعى مرتبة من المراتب إلا إني خفت إن ذكرت العلامات يحفظها المتسلقون على المراتب ويدعونها.

**وكلٌّ يدَّعِي وصلاً بليلَى وليلَى لَا تقرُّ لهمْ بذلكَ**

وحيث وصلنا إلى هاهنا اقتضى الحال أن نُلِم هنا بتوشيحات:

**التوشح الأول:** مما يدلك على شرف هذه الحقيقة الأحمدية على الحقيقة

(1) بياض في الأصل.

(2) بياض في الأصل.

المحمدية، وأن السقاة منها أكمل من السقاة المحمدية، وأن الواردين ذلك الحي البعيد المنال الصعب المرتقى عند الله، وأكمل من الواردين حي الحقيقة المحمدية، إن الله تعالى اسمه وعز كماله جعل هذه الذات المحمدية في العالم دولابًا تستفيض منه سائر المكونات إلا أن سقى كل مرتبة من المراتب بحسب وسعها وقربها منه وعظيم مكانتها عند الحق جل سلطانه، ولما لم يكن فوق مراتب الأنبياء والرسل- عليهم السلام- إلا مرتبة الفاتح الخاتم عليه من الله تعالى ألف تحية وسلام كانت الحضرة المسقون منها أفضل من الحضرة المسقون منها من دونهم كالصحابة الكرام.

ولا يُستراب[1] في أن مدة غيبة الجسم المحمدي عن هذا العالم كان المفيض على دوائر الأنبياء، والرسل، والعوالم جداول هذه الحقيقة الأحمدية فمنها كانوا يسقون، ومنها كانوا يستفيضون، فيلزم أن الحقيقة الأحمدية وقع السقى مها، ويلزم أن السقاة منها أكمل من غيرهم، ويلزم من قال: أن الحقيقة الأحمدية لا يمكن السقى منها أن أنبياء الله ورسله فاتهم حظهم منه ε ضرورة أن المحمدية كانت إذ ذاك غير موجودة، والحقيقة الأحمدية لا يمكن السقى منها فمم سقوا، وإذا لم يصح هذا بان أن قائل هذا الكلام وهو أنه لا يصح السقى من الحقيقة الأحمدية لم يخبر بحقائق الأمور على ما هي عليه، وإذا كان الأنبياء، والرسل إنما يسقون من الحقيقة الأحمدية, فيلزم منه أن الاسم الدال على ذلك المسمى كان أعرف المعارف عندهم بعد الأسماء العظمى الإلهية على حسب ما قدمناه من اختلاف أهل المعارف في أعرف المعارف ما هو من الأسماء.

فعليه إذ ذكر بين الأنبياء والرسل وأكابر الورثة أحمد لم ينصرف عندهم لغير الحقيقة الأحمدية الجامعة المحيطة بأعالي الوجود وأسفله، كما إذا ذكر محمد بين الصحب الكرام لم ينصرف لغير الحقيقة المحمدية المحيطة بأسافل الوجود، فانكشف من هذا أن الحقيقة الأحمدية يسقى منها وأن أكابر الورثة كذلك يحصل لهم السقى منها.

وحديث العلماء ورثة الأنبياء له التفات بهذا المعنى وتكون (أل) في العلماء

---

(1) أي: لا ريب في ذلك.

للكمال، فيكون الفرد الكامل من أكامل العلماء وهم العلماء بالله تعالى وارثًا للأنبياء في هذا المشهد، وتأمل قوله تعالى أيضًا: ﴿**وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا**﴾ بعد قوله: ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا**﴾ [مريم: 58] تجدهم الورثة بعطف ممن هدى واجتبى على الأنبياء والرسل ﴿**إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيًّا**﴾ [مريم: 58].

زمن المقرر عند الأصوليين، والفقهاء، والمحققين من أهل الحديث أن زيادة الثقة مقبولة فهب أن أهل المعارف نفوا مسألة، وأثبتها من بعدهم فيقبل قوله نظير ما وقع من الصحابة الكرام فكان يخفى على هذا ما يطلع عليه هذا.

ويقال زيادة الثقة مقبولة، فكذا بين أهل المعارف إذا نفت شرذمة مطلبًا من المطالب وأثبته قوم آخرون، فالقول قول المثبتين.

ومن المقرر أيضًا أن الحديث إذا روى موقوفًا، ومرفوعًا، فالمذهب الصحيح عند الأصوليين وأهل الفروع والمحققين من أهل الحديث, ومنهم الإمام البخاري أنه يحكم برفعه حتى لو كان الواقفين أكثر من الرافعين حكم بالرفع, ودليله أنه زيادة ثقة فوجب قبولها، ولا ترد بتقصير أو نسيان حصل من واقفه.

وطالما اختلفت أخبار الصحابة الكرام فهذا أثبت البسملة في الفريضة وهذا نفاها، وهؤلاء أثبتوا الضحى وهم نيف وعشرون، وهذه الصديقية نفتها، وهذا أثبت الجهر في البسملة وهذا نفاه، وهذا أثبت ثلاثة إسكاتات في الصلاة صدر الفاتحة وعند تمامها وعند تمام السورة وهذا نفاها.

وهذه المسألة في الجامع للترمذي تراجع، وهذا أثبت الشرب من قيام وهذا نفاه، وهذا أثبت البول قائمًا وهذه الصدّيقية نفته، وهذا ابن عباس أثبت الرؤية ليلة الإسراء، وهذه الصدّيقية نفتها على ما فهم المحدثون ولنا في ذلك محامل انظر كتبنا وخصوصًا «الياقوت والمرجان».

ويا للعجب من الناس يسمعون هذه الاختلافات عن الصحابة الكرام وهم هم,

وإذا سمعوا أمثالها عن أهل الدوائر الكبرى من أهل الله تعالى ينكرون ذلك ويتوقفون فيه أو يطعنون فيمن لا يكبر تعظيمهم فيه، والإنصاف من وراء ذلك.

كما أن من العجب سعي الناس في تلفيق أقوال الأولياء, وحملهم على المحامل الحسنة، أو التسليم، وعدم حملهم اختلافات الصحابة على أرشق من تلك المحامل مع أنه أولى وأولى.

والشاهد من هذه الفذلكة أن الصاحبة -رضوان الله تعالى عليهم- لما اختلفوا وزاد بعضهم على بعض في الإخبارات رجح من تقدم من أهل العلم قبول زيادة الثقة بحيث إذا زاد هذا في إخبار تقبل تلك الزيادة ولا تلغى.

كما أن من أثبت السقى من الأحمدية ونفاها غيره يقبل قوله.

وهذا المبحث مما ينبغي أن يفزع إليه كثيرًا؛ لأن كثيرًا من العارفين أهل الدوائر الكبرى يتحدثون بما منحوه من الأعطية الوهبية، ويقتضي ذلك أنهم لا يأتي بعدهم من وصل لتلك الرتبة, فلم يرعك إلا من يتحدث بأعظم من ذلك فنقول: لا سبيل لتكذيب بعضهما، والسبيل الأقوم تصديقهما معًا كما فعلنا في إخبارات الصحابة الكرام؛ لأن كلهم ينقلون ذلك عن الحضرة المحمدية، ففزع الناس إلى القول بأن زيادة الثقة مقبولة والله واسع عليم.

**لتوشيح الثاني**: لما فات الأنبياء والرسل-عليهم السلام- السقى من المحمدية في عالم الشهادة أعني في الحياة المتعارفة تمنوا الكون من هذه الأمة أي من عصر الصحابة، ليتم كرعهم من بحر الحقيقتين الأحمدية والمحمدية، ولأن تفاصيل العلوم الإلهية، ونشر جزئيات تكاليف الشريعة المحمدية المحيطة، وهي قوابل الخلائق واستعداداتهم لم يظهر إلا يبعث الحقيقة المحمدية، وهي مظهر التفصيل؛ ولذلك أوثرت بالإرسال العام للجمهور.

وكانت الأحمدية مظهر الإجمال بمثابة مبادئ الوحي وأوائله؛ لأن أول صدمات الوحي تأتي مجملة على عادة التجليات العظمى ثم بعد الوعي يكون البيان والتفصيل، وهو قول الله: ﴿**فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾ [القيامة:18: 19], فلما

كان الأنبياء والرسل على مكنة من الله جل جلاله لا تلحق لصديق ولا لولي ولا لمقرب شرفوا بالسقى من الحقيقة الأحمدية لما أنها باكورة الأزل، وأول شعاع انبعث من شمس الجمال الأقدس مع ضمة الكتب المنزلة إذ ذاك، ومع هذا التشريف الأعلى لما فاتهم السقى من الحقيقة المحمدية في الحياة المتعارفة تمنوا أن يكونوا من هذه الأمة؛ لئلا يفوتهم نصيبًا من أنصبة الكمالات المحمدية.

وإن كنا نعلم ونعتقد أن الحقيقة المحمدية لما برزت لهذا العالم أول من سقى منها في عالم البرزخ دوائر الأنبياء والرسل كما قاله مولانا الوالد τ فلم يأت الصحابة الكرام على رأس الأربعين سنة حتى حصل الرأي الأكبر الأكمل لجانب الأنبياء والرسل؛ ولكن محط التمني من الأنبياء والرسل هو السقى من الجسمانية المحمدية في عالم التعارف؛ فلذلك وقع لهم الأسف, فاعقل.

**استطراد:** علمت مما قيدناه هنا أن الأنبياء والرسل لما فاتهم السقى من المحمدية في عالم التعارف تمنوا الكون من هذه الأمة ليحصل لهم السقى في الحياة المتعارفة, ولم يكتفوا بذلك السقى الإجمالي، ولكن هذا البساط له التفات قوي إلى بساط آخر وهو أنه هل تمكن التربية من مشايخ الطريق المتنقلين لرحمة الله أم لا؟

**والجواب**: لا تمكن، ثم لا تمكن، ثم لا تمكن، واتلوا عليك من دلائله ثلاثة:

**الدليل الأول:** هؤلاء الأنبياء والرسل- عليهم السلام- على نفوذ إدراكهم في العوالم القدسية وقوة جأشهم في تحمل التجليات الكبرى، وحياة حواسهم الباطنة ولكونهم من الله تعالى على بصيرة نزلوا السقى من جداول الحقيقة الأحمدية كلا سقى لما لم يكن في الحياة المتعارفة، واشترطوا الحياة المتعارفة، وأكثروا من الأسف لما فاتهم هذا السقى التفصيلي في عالم الشهادة، وهي بمعنى التربية, فكأنهم في الحقيقة يتأسفون على فوات التربية المحمدية في عالم الحس وكيف لا وقد فاتهم- عليهم السلام- أن يسمعوا من الحضرة المحمدية في مجالسها: «**لن يرى أحدكم ربه حتى يموت**» [1].

ولو حضر تلك المجالس العظيمة سيدنا موسى ووعى هذه الإشارة ما قال: ﴿رَبِّ

(1) رواه ابن أبي عاصم في السنة (187/1).

**﴿أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾** [الأعراف:143] حتى يجاب بقوله: **﴿لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾** [الأعراف:143], فأحاله على الأثرات الكونية مع أنه يطلب رؤية من لا مثل له ولا تكتنفه الجهات ولا تسعه الأراضون والسماوات، ولهذا وما شاكله من تربياته المحمدية قال: **«لو كان موسى وعيسى حيين ما وسعهما إلا اتباعي لوجدانهما دائرته أوسع من دائرتهما وأكمل علمًا وأفسح ترقيًا»**[1].

**فليت شعري:** من يقدر بعد هذا أن ينسب لأحد من المشايخ أن يربي بعد موته وإن كنا لا ننفي الانتفاع العام بهم، إنما نفت الدلائل التربية الخاصة لعموم اتباعهم على أن ذلك السقى المفاض من حضرة ذلك المتنقل كله سقى إجمالي لا تفصيل فيه, وهو من معنى الانتفاع الذي لا ينكره أحد كما يعلم ذلك من عرف حقائق الأمور، وأما من اكتفى برسومها فلا عليه أن يغالط في الأمور، ويستدل على أنه ينتفع بالأموات مع أن التنازع في التربية فالكلام في الانتفاع وإقامة الدلائل عليه مغالطة بالمقام، وبهذا تعلم أن النزاع في هذه المسألة إنما هو في تربية الأموات الخاصة لعموم تابعيهم لا مطلق الانتفاع، ولا هو انتفاع خاص لمن قوى اتصال روحانيته بروحانيتهم.

ولولا ضيق العقول لذكرت من المسائل الإلهية التي يتعلمها الأنبياء والرسل لو حضروا المجالس المحمدية في عالم اليقظة ما يبهر العقل، وهي محط تمنيهم أن يكونوا من هذه الأمة المحمدية.

ويا ليت علمي إذا كان الأنبياء والرسل-عليهم السلام- لم يمكنهم أن يصدقوا عالم الحكمة والمحسوسات ويقولون أنه لا أثر له، ولم يمكنهم أن يسووا بين أثر عالم المعنى، وأثر عالم الحس، بل لما فاتهم أثر عالم الحس في عالم الحس تمنوا أن لو أدركوا ذلك الزمن حتى يؤتوا الأشياء تفصيلاً وهو خاص بعصر وجود الحقيقة المحمدية، فما بالك بمن عداهم, وليس منهم في قبيل ولا دبير لا في بداية ولا في وسط ولا في غيرها كيف يسوى بين تربية من هو في عالم الحس، وبين تربية من هو في عالم البرزخ هذا مع الخصائص التي أُوتيها أنبياء الله ورسله.

قال الإمام أبو حامد: النبوة عبارة عما يختص به النبي ويفارق به غيره, وهو

(1) ذكره ابن كثير في التفسير (187/5).

يختص بأنواع من الخواص:

**إحداها:** أنه يعرف حقائق الأمور المتعلقة بالله تعالى وصفاته وملائكته، والدار الآخرة علمًا مخالفًا لعلم غيره بكثرة المعلومات، وزيادة الكشف، والتحقيق .

**ثانيها:** أن له في نفسه صفة بها تتم الأفعال الخارقة للعادة، كما أن لنا صفة تتم بها الحركات المقرونة بإرادتنا وهي القدرة.

**ثالثها:** أن له صفة بها يبصر الملائكة ويشاهدهم، كما أن للبصير صفة بها يفارق الأعمى.

**رابعها:** أن له صفة بها يدرك ما سيكون في الغيب بهذه كمالات وصفات ينقسم كل منها إلى أقسام, انتهى.

ومع هذه الخصائص لم يمكنهم أن يسووا بين أثر العالمين، فادعاء التساوي بينهما بادعاء أن الميت يربي تلزمه شناعات:

**الشناعة الأولى:** الإفتيات على أنبياء الله ورسله, فإنا لما حكمنا بحكم لما لم يمكنهم أن يحكموا به فقد افتتنا عليهم.

**الشناعة الثانية:** يلزم هذا القائل عدم معرفته بين أثرات الحضرات, كأنه لم يفرق بين أثرات عالم المحسوسات، وعالم المعنويات، وعالم الخيال المتصل، وعالم الخيل المنفصل، وعالم المثال، وعالم الأرواح، وعالم التجلي الصفاتي الجلالي، وأثر عالم التجلي الصفاتي الجمالي، وأثر عالم كل اسم من الأسماء الإلهية، وعالم أثر ملكوت كل ذرة من ذرات العالم العلوي والسفلي، فضلاً عن الملكوت الأكبر، وأثر عالم التجلي الصوري، وأثر التجلي الأفعالي، وأثر التجلي الذاتي، وأثر أنوار امتثال الأوامر، وأثر أنوار اجتناب النواهي، وأثر اجتناب المكروه، وأثر فعل المندوب والمباح بنية، وأثر فعل السنن, فإن لكل حكم من الأحكام الشرعية أثرًا في نفس العامل به نورًا في جانب الامتثال وظلمة في عدم مجانبة النواهي، وهذه الأنوار والظلمات يدركها أهل البصائر فيعينهم ذلك على الامتثال والاجتناب، ويعرف أثر السقى من

النفس المحمدي، وأثر السقى من العقل المحمدي، وأثر السقى من الروح المحمدي، وأثر السقى من السر المحمدي.

فلو كانت للإنسان الأيدي الطوال في بحر المعارف الإلهية وكان له مربٍ، كما يقول لوجد من نفسه تفرقة ضرورية بين هذه العوالم والحضرات وأثراتها.

وإذا علمها علمًا يقينيًّا لا تتخالجه فيه الظنون والأوهام لم يمكنه أن يقول بعدم التفرقة بين أثر عالم الحس وعالم المعنى, بل يقول إن لعالم الحس أثرًا ليس لعالم المعنى هو أقوى من العالم المعنى.

**وليت شعري:** أن من يقول أنه يتربى من الأولياء المنتقلين لدار الرحمة هل لا يعرف الفرق بين هذه الأثرات أولاً حتى يخبر بالأمور على غير ما هي عليه بقوله هذا من أدل دليل على أن التربية يشترط فيها العالم المتعارف، وأن الميت لا يربى, فأحواله وأقواله دالة على عكس ما يقيم عليه الدليل لمن يعلم المعنى الذي يراد من أجلها المربى، ولو كان هذا القائل تحت حضانة أحد من أهل الحياة المتعارفة لما فاه بهذه الكلمات الغير المطابقة للواقع.

**برهان قوي:** انظر كيف لما راعى الكريم سيدنا يعقوب υ مقتضى عالم الحس فقال: ﴿**وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ**﴾ [يوسف: 67], فراعى في هذه التربية مقتضى عالم الحكمة من كون العين له بحسب ما أخبر الشارع أثرًا في المعين، وإن كان يعلم أنه لا تأثير في الحقيقة لشيء من الكائنات في أثر ما, ولكن لم يقطع النظر عما يقتضيه عالم الحكمة الربانية، وهو قوله تعالى: ﴿**مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللهِ مِن شَيْءٍ إلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا**﴾ [يوسف: 68] قال الله جل جلاله لما راعى نبيه سيدنا يعقوب أثر عالم الحكمة ولم يهمله مثنيًا عليه: ﴿**وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ**﴾ [يوسف: 68]، قال تعالى: ﴿**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ [يوسف: 68], فافهم وتدبر.

**الشناعة الثالثة:** يلزمه إبطال حكمة تمني الأنبياء الكون من هذه الأمة ولا سبيل لإبطالها لأنهم معصومون لا يخبرون إلا بالأمور المطابقة للواقع.

فهذا آخر الكلام في الدليل الأول وهو من الاستدلال العالي لمن يعلم مالك العلة من علم الأصول.

**الدليل الثاني:** وهو في العوالي في الاستدلال أيضًا ولكن لم يكن به بُدٌّ من تقديم فذلكة تنبئك عما وراءها.

اعلم أن الله جل جلاله لما علم أن جميع الخلق ليس في شاكلتها أن تأخذ الأمداد والفيوضات من الحضرة الإلهية جعل بيننا وبينه وسائط وبرازخ وهم أنبياؤه ورسله وملائكته وجبلهم على استعداد خاص صالح للتلقي من الحق والاستفاضة على أهلهم المبعوثين إليهم.

أما علة عدم اقتدارنا على التلقي من الحضرة الإلهية إلا بواسطتهم فلعدم النسبة بين عزة القدم والحدوث.

وأما العلة في عدم صلاحيتنا للتلقي من الملائكة مثلاً فلعدم الرابطة الجنسية والعلاقة الإنسية فإنه ليس في القوة البشرية أن تتلقى عن القوى الملكية.

ومن التفت لهذا القدر من العلم فهم السر في امتنان الإله جل أمره على خلقه في عدة آيات:

**الآية الأولى:** قوله جل أمره: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ**﴾ [التوبة: 128] أي: من جنسكم.

**الآية الثانية:** انظر لما أدلت قريش بقولها: ﴿**وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَك**﴾ [الأنعام: 8], فتوهموا أن الرابطة الجنسية لا تشترط بين المفيض والمفاض عليه فرد عليهم الوحي السماوي بقوله: ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ**﴾ [الأنعام:9], فأشار تعالى إلى أن القصد من البعث, وهو التهذيب والتريض لا يحصل من الملائكة لعدم الملائمة بين القوي الملكية، والقوة البشرية؛ ولذلك كان الوحي أحيانًا يأتي حضرة أبي الأنوار مثل صلصلة الجرس، وأحيانًا يتمثل له الملك فيكلمه فيعي ما يقول.

وهب أنا أنزلنا عليهم ملكًا لقالوا: إن هذا لا يمكننا التلقي عنه فهلا انقلب في قالب بشرى حتى يصح التلقي عنه، وكما استعاذت مريم-عليها السلام- من الروح لما

جاءها بصورة ملكية، فصير تعالى ما يقترحوه آخرًا جعله أولاً فجعل الرسول من الأمر بشرًا, فإذا أحطت بمؤدى هذه الفذلكة وقفت على وجه الحق في هذه المسألة إن كنت تريد الحق.

فإن هذا الشيخ المتوفى وإن كنا لا ننكر حياته الحياة الخاصة, فلا يمكن التلقي منه التلقي الخاص بعدم المجانسة الإنسية، والرابطة الإنسية على ما اشترطه الحق جل جلاله في إرسال الرسل والمكابر عن قبول هذا مدافع للقرآن ومختار خير ما اختاره الحق سبحانه لخلقه.

والعلة الموجودة ثمة في عدم إرسال الملائكة للخلق هي العلة الموجودة هنا في عدم صحة التلقي الخاص من المتنقل للدار البرزخية.

**الآية الثالث:** قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾ [الجمعة:2], فانظروا قوله جل أمره: ﴿**رَسُولاً مِّنْهُمْ**﴾، ثم رتب عليه قوله: ﴿**يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ**﴾ وما بعده، وانظر هل يمكن هذا من الذي انتقل لربه أن يتلوا علينا آيات ربنا ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة.

**الآية الرابعة:** قوله تعالى حكاية عن أبينا إبراهيم ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ**﴾ [البقرة: 129] فليت علمي هل يمكن انطباق هذه الأوصاف إلا على الحي وهل يمكن أن تتلقى إلا منه؟ ومرادنا بالتلقي الخاص التلقي الذي يكسب هذا المريد التحلي والتخلي والتجلي.

**فأما التحلي:** بالكمالات فبأثر النفس اللوامة وأثر النفس المطمئنة، وأثر النفس الملهمة، وأثر النفسي المحدثة، وأثر النفس القدسية، وأما التجلي بالمعجمة الفوقية, فبأن يتخلى عن القواطع القاطعة عن الله تعالى وبعبارة بأن يعرف ربع المهلكات من الأحياء فيتخلى عنه.

**وأما التجلي:** فبأن يعرف أثرات التجليات المتقدمة في الشناعة الثانية أيضًا، وما بالعهد من قدم فهذه التربية الخاصة العامة المقصورة من الشيخ هي التي ننفيها عن الذين انتقلوا للرحمة.

**وأما مطلق الانتفاع:** أو بعض انتفاع خاص ببعض من قويت روحانيتهم فلا،

على أن شرط الاجتماع بالشخصين يقظة ومنامًا على ما ذكره أهل العلم لحصول ما به الاتحاد خمسة أصول كما ذكره كمال الدين البابرتي الحنبلي في «شرح المشارق»، ونقله غير واحد.

كلية الاشتراك في الذات، أو في صفة فصاعدًا، وفي حال فصاعدًا، وفي الأفعال، أو في المراتب، وكل ما يتعلق من المناسبة بين الشيئين والأشياء لا تخرج عن هذه الخمسة، وبحسب قوته على ما به الاختلاف وضعفه يكثر الاجتماع به، ويقل وقد يقوى على [...][1], فتقوى المحبة بحيث يكاد الشخصان لا يفترقان، وقد يكون بالعكس.

ومن حصل الأصول الخمسة وثبتت المناسبة بينه وبين أرواح الكُمَّل الماضيين اجتمع معهم متى شاء, انتهى، ونقله صاحب «مطالع المسرات» أيضًا.

**فليت شعري:** لأي شيء لم يؤثر هذا النقل حتى يستنهض به همم الاتباع للشيخ فيعلموا أن الأمر جد، وأن الاجتماعات يقظة ومنامًا بالأكابر تشترط فيها هذه الأصول الخمسة ولكن من كان قصده المغالطات والتهويل بما ليس عليه عند الله تهويل لا يكبر عليه هذا المسلك وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وأما مطلق الانتفاع بالمنتقلين: فكيف ينكر وهؤلاء أسلافنا أهل البيت الطاهر سلسلة الذهب ما التجا ببابهم سائل مضطر إلا انتجعت له المقاصد وتحجت له المآرب.

وقد افتقد لبعض أهل العلم خزانة كتبه وكان بمصر, فذهب يتلظى حزنًا بمشهد سيدنا الحسين السبط τ وأنشد:

**يـــــــزدحمُ النــــــــاسُ بأعتــــــابكمْ والمنهـلُ العـذبُ كثيــرُ الازدحـــامِ**

فلم يرعه إلا أن وجد كتبه بمنزله وحدث عن البحار ولا حرج وراجع تواريخهم تعلم.

وهذا جدنا متطهر الاسم الأعظم مولانا إدريس الأزهر بفاس لا يكاد شخص في الدنيا يلتفت إليه باهتمام في أمر ما من الأمور الهائلة إلا وجاء الفرج العجيب من الحين.

---

(1) بياض في الأصل.

وهذا والده بالزاوية بزدهون؛ لأن الزاوية إذا أطلقت عند الأولياء أهل الدائرة والعدد إنما تنصرف لمولانا إدريس بزدهون.

وما من بلدة من بلاد الإسلام إلا وقيض الله سبحانه لأهلها بابًا عظيمًا من أبوابه يلتجئون إليه إذا دهمتهم المضايق ويقرعون بابه ويأتيهم ما أملوا عجلاتين بهذا قدر لا يجهله عوام أهل الأرض فضلاً عن خاصتهم، فالنزاع في التربية لا في الانتفاع.

**وليت شعري:** لما كان الأمر هكذا وأن الميت يربي, فلأي شيء لم ينقل عن أحد من أفراد الأمة وهم أكثر من مائة ألف أنهم نهوا أصحابهم ألا ينتقلوا عنهم بما نقل لنا عنهم إلا أنهم أوصوا بالخلافة لمن بعدهم, فهو إذن منهم للناس بأن يلزموا عتبة المربي القائم بعالم الأشباح، وكان الخلفاء الذين هم على قدمهم لا ينقطعوا من طائفتهم، وما بقى أحد من الأكابر إلا وعهد بالخلافة لمن بعده، ولو كان غير موجود إذ ذاك فقد يكون في الأرحام ويوصي له بالخلافة ويترك له عمامة أو منطقة أو قميصًا ويظهر أثر ذلك عليه بالمعرفة الكاملة ونفوذ البصيرة والترقي في درج المعارف والخوض في الأبحر المحمدية ظاهرًا وباطنًا, ولا يلقاه أحد إلا وانتفع به ونفذت همته فيه لقوة سريان مدد الشيخ الذي أنابه منابه فيه.

وأما هؤلاء الخلفاء الذين نرى إنما يشبون على بغض آل البيت بالطبع ويستوصون بعدم زيارتهم وموادتهم المفروضة بنص القرآن.

**وليت شعري:** هل نسخها ناسخ، ولو علم المشايخ أن أمر اتباعهم يصير إلى هذا لما فتحوا الزوايا من أول وهلة، لما أن أهل الله متشوفون لمن يكثر سوادهم بمتابعتهم.

وكأن التصوف عندهم إلا بغض أهل البيت والاكفهرار في وجوههم إذا لقوهم والتقدم عليهم في الأمور، والمعصوم يقول: «**قدموا قريشًا ولا تقدموها**»[1].

وبرئ رسول الله من هذا التصوف وأهله، وبرئنا منه أيضًا، وهل الدين إلا الألفة «**لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا**

---

(1) رواه النسائي في الصغرى (314/1), والبيهقي في الشعب (228/2).

**فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم»**[1]، وكذلك بغض أهل الطوائف وإنكار ذلك مكابرة.

وليتفحص الإنسان بطون التواريخ يعلم كيف درج الأكابر، ولكن قصور الإنسان على كثب وعدم اطلاعه على كتب المتبحرين في المعارف ومعرفة الإنسان بما منحوه من الحضرة المحمدية، وما منحوه أصحابهم يؤديه لتحجير الربوبية ونسبته تعجيز قدرتها إلى أنها لا تتعلق بالممكن، وإلا لو استحضر الإنسان أن القدرة والإرادة يتعلقان بجميع الممكنات لقال: أنه يمكن أن يجمع الله أسرار جميع الأولياء على اختلاف مراتبهم في شخص واحد ولا تحجير عليه جل أمره في ذلك، ثم يعطي مثل ذلك وأضعافه لمن يأتي بعده ﴿**وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [النحل: 8: 9].

وقد نقل في الطبقات في ترجمة أبي المواهب التونسي أنه سُئل عن قول الجنيد: أدركت سبعين عارفًا كلهم يعبدون الله تعالى على الظن والوهم، كيف تجامع المعرفة الظن والوهم؟

**فأجاب بأن معنى ذلك:** أن كل من وصل لرتبة يظن أنه لا رتبة أعلى منها وذلك لا ينحصر ﴿**وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [الواقعة:61], وهذا آخر الدليل الثاني وهو من الاستدلال العالي لأنه استدلال قرآني حاجج به تعالى عبيده لما اختاروه معه ودبروا.

**الدليل الثالث:** هذه الحضرة المحمدية الفلك المحيط ونور الأنوار وروح العالم لما شد الرحلة إلى ربه جل ثناؤه أبقاه الصحابة على وجه الأرض، يوم الاثنين والثلاثاء، ويوم الأربعاء إلى العشى، ثم دفن وكل ذلك وهم يتطلبون الخليفة.

**فليت شعري:** حياته ε أعظم من حياة الأنبياء والرسل-عليهم السلام- فضلاً عن حياة الشهداء المثبوتة بنص القرآن، والصحابة الكرام كانوا من الله على بصيرة، وما انتقل مولانا رسول الله حتى تركهم من أكابر أهل الشهود والعيان، بحيث يراهم

---

(1) رواه مسلم (74/1), والترمذي (664/4) .

ويرونه أينما كانوا، فلا يقدر أن يقال: إنهم بعدوا عنه أو بعد عنهم، فكان مقتضى هذا الدليل ألا يتطلب الصحابة الكرام خليفة بعده لما أنهم مستغنون عنه بأن يأتوا القبر المكرم ويستفتونه في الحوادث والنوازل ويجيبهم بما فيه المراح مع أنه بقى لهم الكتاب العزيز الذي يأتيه الباطن من بين يديه ولا من خلفه، ومع ذلك قال ρ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهتدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ**»[1].

وقال ρ: «**الشيخ في قومه كالنبي في أمته**»[2].

وقال ρ: «**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**»[3].

وقال ρ: «**من أراد أن يقرأ القرآن كما أنزل, فليقرأ على قراءة ابن أُمِّ عبدٍ وهو سيدنا عبد الله بن مسعود**»[4].

وقال ρ: «**أفضلكم علي**»[5].

وقال ρ: «**قد كان ممن قبلكم محدثون وإن يكن من أمتي فعمر**»[6].

فأمر باتخاذ الخلفاء بعده، ولا يقال: إن أبا بكر ومن بعده إنما اتخذوا للفصل في الأمور الدنيوية, ففرق بين ما نحن بصدده وهذا؛لأنا نقول هذا غلط فاحش, فيلزم تكذيب الرسول ρ في قوله ρ: «**الخلافة بعدي ثلاثون سنة**»[7], ثم تصير ملكًا عضودًا, فافهم.

وأيضًا ما سماه الصحابة بخليفة رسول الله ρ حتى تلمحوا فيه أنه نائبه في الدينيات والدنيويات، فكذلك ولله المثل الأعلى هذا الشيخ المنتقل هب أنه ترك

---

(1) رواه أبو نعيم في الحلية (221/5), والطبراني في الكبير (246/18).

(2) ذكره العجلوني في كشف الخفا (22/2), والقاري في المصنوع (115/1).

(3) رواه الترمذي (609/5), وأحمد (382/5).

(4) رواه الحاكم في المستدرك (247/2), وابن أبي شيبة في المصنف (139/6).

(5) لم أقف عليه.

(6) رواه مسلم(1864/4), وابن أبي عاصم في السنة (583/2).

(7) رواه الطبراني في الكبير (89/1), وابن حبان في الصحيح (392/15).

لأصحابه الكتب والرسائل والوصايا، ومع ذلك من تمام الإرث المحمدي أن يأمرهم ويوصيهم أن يشدوا عضد من يأتي بعده، وألا يعرضوا عن أكابر أهل زمانهم، فإن المعرض عن ولي زمانه كالمعرض عن نبي زمانه كما بلغنا في كتبكم وليت شعري حرب صفين كيف لم يستأذنوه ε فيه وقضية الجمل، وقضية الحرة ما أطلعهم على المخرج من ذلك؛ ولكن لا يلزمه؛ لأنه أتى بقوله تعالى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي**﴾ [المائدة:3].

وقال ρ: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»[1].

وقال ρ: «**ألا هل بلغت فليبلغ الشاهد الغائب**»[2].

وقال: ﴿**لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ * إِلاَّ مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ**﴾ [الغاشية:22: 23].

وقال: ﴿**لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ**﴾ [البقرة:272], أي: الصحابة.

وقال ρ: ﴿**إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ**﴾ [الشورى:48], فافهم يا من غره الرضا عن النفس, وضرب بينه وبين رسول الله بأسوار البعاد, ومع ذلك لما علموا أن الرابطة الجنسية والعلاقة الأناسية لابد منها في الاستفاضات تبعوا السنن الإلهي, فاتخذوا الخليفة الأكبر بعده للتربية لا لإثارة الأحقاد والفتن، كما في هذه القضية, وأيضًا هو ε أمرهم بذلك في قوله:

«**مُروا أبا بكر فليصل بالناس**»[3], ففهموا من هذا النص اتخاذ الخليفة ففعل الصحابة هذا أدل دليل على ما نحن بصدده، ولا مقتضى ما يشيعه بعض أناس اليوم أن القرون الثلاثة الأول لا تتخذ الخليفة والمربى قط، لما أن نور النبوة قريب عهده بهم وقوى شعشعانيته بأحوالهم.

فلهذا لا يصح في تعريف التابعي أنه من طالت صحبته للصحابي، ثم إذا

---

(1) رواه البخاري (56/1), ومسلم (81/1).

(2) رواه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (7/2), وابن أبي عاصم في الديات (ص5) .

(3) رواه البخاري (236/1), ومسلم (313/1).

انقضت القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية كان ينبغي إذ ذاك اتخاذ الخليفة والمرشد كي يمشي بالناس على القدم المحمدي، ولما اهتم بذلك سيدنا محمد ε في حياته الكريمة وصلى بنفسه العظيمة خلف سيدنا عبد الرحمن بنو عوف وخلف الصديق الأكبر- رضي الله تعالى عنهما- علمنا أن لابد من الشيخ الحي حكمة إلهية.

بحسبما أجراه تعالى في ملكه من مراعاة عدم خدم المظهر الحي؛ ولذلك قال للمرأة التي قالت له: إن أنا أتيتم ولم أجدك، أي شيء أفعل؟ قال-عليه الصلاة والسلام- : «**ائتِ أبا بكر، ولأي شيء لم يقل لها ائت قبري المكرم المعظم، ونادني أجيك**»[1]، فإنه لو دلها على ذلك وفعلته لأجابها قطعًا, ولا يختلف في ذلك مسلم؛ ولكن لو فعل ذلك لوقع التدافع في النصوص الشرعية وحاشاه وحاشاها ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيرًا**﴾ [النساء: 82]، والذي عنده ε من عند الله بما يقع فيه اختلاف والاختلافات الأزمنة هنا أمور:

**الاختلاف الأول:** انخرام قانون الضوابط الإلهية المبني عليها العالم الذي قال فيها الإمام أبو حامد «ليس في الإمكان أبدع مما كان».

**الاختلاف الثاني:** يلزم منه أنه لا تتخذ الناس خليفة بعده مع أن الناس ليس في قوتها جميعًا أن تأتي القبر المكرم وتناديه ويجيبها لاستيلاء الحجب الظلمانية على القلب فيبقى الناس فوضى.

**الاختلاف الثالث:** هو ε القائل: «**الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تصير ملكًا عضودًا**»[2].

والفرض أن الناس استغنوا عمن يوصلهم إليه فيقع التغيير في العلم إن فرضنا أنه يقع أو يلزم من أشاعوا هذه الإشاعات المؤذنة بعدم تربيتهم أنهم يقولون بتغيير العلم القديم على كلامهم، إذ العلم القديم لم يسبق إلا بما ظهر في الوجود, وهؤلاء مما

---

(1) لم أقف على من خرجه.

(2) تقدم تخريجه.

حاولوا دحض هذا الترتيب يلزمهم به من يقول إن لازم القول يعد قولاً وإن كان ليس بأصح على الأنصاف.

**الاختلاف الرابع:** هو القائل: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرين على الحق**»[1] مع أن هذا الخطاب من القبر الجليل لم ينقل نقلاً شائعًا أنه واقع إلا لأفراد قلائل، فهذا أبو العباس سيدي أحمد الرفاعي وقف تجاه القبر المعظم ومعه الآلاف من الناس, وأنشد:

**فِي حالـةِ البعدِ روحِي كنتُ أرسلهَا تقبِّـلُ الأرضَ عنِّــي وهــيَ نــائبتِي**
**وهـذهِ نوبــةُ الأشــباحِ قـدْ حضـرتْ فأمددْ يمينـكَ كـيْ تحظَـى بهَـا شـفتِي**

فخرجت له اليد الشريفة من القبر فقبلها والآلاف من الناس تنظر، وكذا مولاي عبد الله بن علي ظاهر السجلماسي وقف تجاه القبر الكريم، وقال:

**إنْ قيـــلَ زرتــــمْ بمَــــا رجعــــتمْ يــــا أكــــرمُ الخلــــقِ مَــــا أقــــولُ**

**فسمع من القبر الكريم:**

**قولُــــوا رجعنَــــا بكــــلِّ خيــــرٍ واجتمـــــعَ الفــــرعُ والأصـــــولُ**

وغيرهم ممن لم يبلغ الناس علمهم، والذين يقولون أن التربية تقع لهم من المتنقلين لبساط الرحمة يلزمهم أن يفعلوا كما فعل من كان قبلهم.

**إلزام:** نقل عن الشيخ أستاذ الأساتذة, وجهبذة الجهابذة الولي العارف ينبوع العوارف والمعارف البحر الكبير الحبر الشهير صاحب المصنفات التي اشتهرت شرقًا وغربًا، قطب الأقطاب التي لم تنجب بمثله الأحقاب العارف بربه والفائز بقربه وحبه سيدي عبد الغني النابلسي الذي سماه المجذوب الصالح الشيخ محمود المدفون بتربة الشيخ يوسف الغنيمي بسفح تايسون قبل أن يخرج من الأرحام، وقال لوالدته: سميه عبد الغني, فإنه منصور وتوفى الشيخ المذكور قبل ولادة الشيخ بأيام ثم وضعته في التاريخ المذكور كذا ترجمه صاحب «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» في مجلدات أربع، وذكر له من المؤلفات ما يقرب من مائتي مؤلف.

---

(1) رواه مسلم (137/1), وأبو داود (4/3).

ومنها: «جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص» للشيخ محيي الدين بن العربي، و«السر المختبي في ضريح ابن العربي τ»[1]، و«الرد المتين على منتقص الشيخ محيي الدين»[2]، وجمع الأسرار في منع الأشرار عن الظن في الصوفية الأخيار»، ثم ذكر المائتين من مؤلفاته، ثم قال: وقد حاز تاريخي هذا كمال الفخر حيث احتوى على مثل هذا الإمام الذي أنجبه الدهر وجاد به العصر وهو أعظم من ترجمته علمًا وولاية وزهدًا وشهرة ودراية, انتهى[3].

عبد الغني النابلسي من أهل الدوائر الكبرى وكانت له علقات روحية مع الشيخ الأكبر ابن العربي الحاتمي وهو في قبره، فكان إذا عنت له مسألة من المسائل الإلهية يذهب لقبره ويجثوا على ركبتيه ويسأله عنها، وسأله يومًا عن آيات من سورة البقرة وهو في قبره فأملى عليه فيها مجلدين, انتهى.

وأخال أن تأليف سيدي عبدا لغني المسمى بالتحرر الحاوي بشرح تفسير البيضاوي وصل فيه من أول سورة لبقرة إلى قوله تعالى: ﴿**مَن كَانَ عَدُواًّ للهِ**﴾ [البقرة: 98]: فيه ثلاث مجلدات، وشرع في الرابع مما شاكل فيه الشيخ فيما أملاه عليه، وكذا دفع الاختلاف من كلام القاضي والكشاف؛ فيا من قال أنه يربي ممن هو في برزخه, فليترجم لنا عنه بعشرة أسفار إذا جاء الشيخ عبد الغني من عنده بسفرين في آيات من كتاب الله تعالى مع أنكم قلتم: إن الحاتمي كلامه ليس بصحيح، ولكن الغير لا تبصر أعلى الوادي من أسفله، فإنا نعلم ويعلم من له عارضة في العلوم الظاهرة والباطنة أن كل من جاء بعد الشيخ الأكبر إنما يغرف من بحره، صرح بذلك من صرح، وكتم بذلك من كتم.

قال صاحب «روح البيان» عند قوله تعالى صدر سورة سيدنا يوسف υ: ﴿**إنَّا**

---

(1) بتحقيقنا.

(2) تحت قيد التحقيق على نسختين.

(3) انظر: كتابينا: إرشاد ذوي العقول إلى براءة الصوفية من الاتحاد والحلول, والنور الأبهر في الدفاع عن الشيخ الأكبر.

**أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياًّ لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** [يوسف:2] ما نصه:

ولكون رسول الله ε عربيًا جاء وارثه الأكمل من العرب، وهو حضرة الشيخ الأكبر والمسك الأزفر والكبريت الأحمر محيي الدين بن عربي قدس الله نفسه الزكية.

وإنما قلت بكونه الوارث الأكمل لكونه خاتمة الولاية الخاصة المحمدية, فهو من أكمل مظاهر هذه المرتبة، وفيه ظهر التفضيل الذي لم يظهر في غيره، وما عداه طفيلي مائدته في هذا الباب، وبهذا المعنى نصرح به ولا نكتني، وليميت المنكر بغيظه وغضبه, ونعوذ بالله من سوء الاعتقاد, انتهى بحروفه[1].

وقيل: نقل صدر اليواقيت عن الشيخ كمال الدين الزَّملكاني أن الشيخ الأكبر أنشده:

**تركنَا البحارَ الزاخراتِ وراءنَا فمنْ أينَ يدرِي الناسُ أينَ توجهنَا**

**قال في صدر اليواقيت:** وممن أثنى على الشيخ من مشايخنا محمد المغربي الشاذلي شيخ الجلال السيوطي وترجمه بأنه مربي العارفين، كما أن الجنيد مربي المريدين، وقال: إن الشيخ محيي الدين روح التنزلات والأمداد وألف الوجود وعين الشهود وماء المشهود, الناهج منهاج النبي العربي -قدس الله سره- وأعلى في الوجود ذكره, انتهى.

**قال في اليواقيت:** وقد صنف الشيخ سراج الدين المخزومي كتابًا في الردِّ عن الشيخ محيي الدين –قدس سره- وقال: كيف يسوغ لأحد من أمثالنا الإنكار على ما لم يفهمه من كلامه في «الفتوحات» وغيرها وقد وقف على ما فيها نحو من ألف عالم وتلقوها بالقبول, انتهى.

**قال الفيروز آبادي** صاحب «القاموس»**:** وقد رأيت إجازة بخط الشيخ كتبها للملك الظاهر بيبرس صاحب حلب، ورأيت في آخرها، وأجزت له أيضًا أن يروي عني جميع مؤلفاتي ومن جملتها كذا، وكذا حتى عد نيفًا وأربعمائة مؤلف منها تفسيره

(1) انظر: تفسير حقي (37/6).

الكبير في خمسة وتسعين مجلدًا.

وصلّ فيه إلى قوله تعالى: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً**﴾ [الكهف:65] فاصطفاه الله لحضرته، ومنها تفسيره الصغير في ثمانية أسفار على طريق المحققين, انتهى.

ثم ذكر ثناءات علماء الإسلام عليه الشيخ صلاح الدين الصفدي في «تاريخ علماء مصر»، والحافظ الذهبي، والقطب الشيرازي، والشيخ كمال الدين الكاشي, والفخر الرازي، والإمام النووي، وابن أسعد اليافعي، والشيخ بدر الدين بن جماعة في «شرح الفصوص»، وشمس الدين الخونجي الشافعي كان يخدمه خدمة العبيد، والسراج البلقيني، والشيخ تقي الدين السبكي، والفيروز آبادي صاحب «القاموس»، وهب عليه من من نفحاته ما شرح ربعًا من البخاري في عشرين مجلدًا، وكان الشيخ شمس الدين الخجندي يقول: ما سمعنا بأحد من أهل الطريق اطلع على ما اطلع عليه الشيخ محيي الدين.

وكذلك كان يقول الشيخ شهاب الدين السهروردي، والشيخ كمال الدين الكاشي والشيخ كمال الدين الزملكاني.

وقد رأيت في الرحلة لأبي سالم[1] أن الجن اختطفت من كتب الشيخ أربعمائة كتاب، ولم تظهر إلى الآن، ولا مرية أن هذا المقام في العلم يناسب مقام الختمية الذي نسبه الأكابر للحاتمي، فإن عنوان المراتب الكبرى هو العلم بالله تعالى الكامل.

**وقد قال علماء الإسلام عصرًا بعد عصر:** إنهم لم يسمعوا بمثله في العلم, وهؤلاء العلماء ذكرناهم في مقابلة الناس الذين ذكرهم المتعرض أنهم شهدوا لشيخه بالرتبة, فليقابل العقلاء ثناءات هؤلاء بثناءات هؤلاء، ويا ليته اقتصر على صاحب البصيرة النافذة محب آل البيت الكريم سيدي العربي بن السائح أوصل الله حباله بحبال مولانا محمد ε.

قال الفيروز آبادي على نقل صاحب «اليواقيت»: وهو يقينا فوق ما وصفته

(1) العياشي في رحلته الحجازية.

وناطق بما كتبته، وغالب ظني ما اتصفته.

| | |
|---|---|
| **ومَـا علَـى إذَا مَـا قلـتَ معتقـدِي** | **دعَى الجهـولُ يظـنُّ الجهـلَ عـدوانًا** |
| **واللهِ واللهِ العظــيمِ مَـــنْ** | **أقامــهُ حجــةَ للــدينِ برهانًــا** |
| **إنَّ الـذِي قلـتَ بعـضٌ مـنْ مناقبـهُ** | **مَــا زدتَ إلّا لعلَــى زدتَ نقصــانًا** |

وقال صاحب «القاموس» في اللغة أيضًا: لم يبلغنا عن أحد من القوم أنه بلغ في علم الشريعة والحقيقة ما بلغه الشيخ محيي الدين أبدًا، وكان له فيه غاية الاعتقاد, وينكر على من أنكر عليه, انتهى.

**فيا ليت علمي:** أرأى ذام أهل البيت النبوي هذه ثناءات علماء الإسلام على الشيخ الأكبر أم لا؟ فإن كان رآها، ثم أغضى عنها الجفون، وقال أن كلامه ليس بصحيح فحسيبه **«من أهان لي وليًا فقد آذنته بالحرب»**[1] وإن لم يعلمها فكيف يطلق لسانه في أهل ملك الله وهو أوسع من قلوب الأنبياء والرسل وقلوب الملائكة ضرورة أنهم من ملك الله أيضًا، ويقول ما يهون له على العامة ويوهمهم أن الأمر كذلك **﴿وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾** [التوبة:32], فإذا سمعوا أن كلام الحاتمي ليس بصحيح, وليس لهم من اليد ما يعلموا به الأمر على ما هو عليه أسوتهم تلك الأمور وحاشا أن تتكلمن فيمن ينتمون إليه لا، لا، لا فإنا ندين الله تعالى بمحبة ربنا جل جلاله ومحبة من يحبه من نبي ورسول وملك وصحابي وولي على اختلاف طبقاتهم.

وقد قال لي شخص منهم يومًا مثل هذا الجهل وفاه بانقطاع رتب الولاية, فحاجته على قدر عقله بأن قلت له: أين تسكن؟ فقال لي: في المحل الفلاني، فقلت: كم تسكنه؟ فقال: ما يقرب من عشر سنين أو عشرين سنة، ثم قلت: كم فيه من الدور؟ قال: لا يدري، فقلت له: كم فيه من الذكران، والإناث، والعبيد والأحرار، وأنت تسكنه هذه المدة؟ قال: لا يعلم، فقلت له: كم في تلك الحومة من السعداء والأشقياء، ومن تنقلب سعادته شقاوة والعكس؟ قال: لا يدري، فقلت له: يا سبحان الله هذه حومة سكنتها منذ عشر سنين ولم تحط برسومها، فكيف أحطت بملك الله الواسع وعلمت أن الولاية

(1) رواه البخاري (6021), بنحوه.

انقطعت فانخرس.

ولكن المعاند لو قرأت عليه التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان ليرجع ما رجع لأنه ليس قصده بيان وجه الحق في الأمور كما في القواعد للشيخ زروق وغير ما كتب.

ويا ليت شعري أهذا كله من التربية, وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد.

ولقد صدق صاحب الذهب الإبريز في كونه ينفع صاحبه حيًّا وميتًا, فإن الإمام الداهية في العلوم سيدي أحمد بن مبارك لما شرع في الرد على قوله أبي حامد: «**ليس في الإمكان أبدع مما كان**» ولم يفتح له في فهم مغزاها على ما قررناه في عنوان البيان والعيان الشاهد بليس في الإمكان أبدع مما كان رأى شيخه في النوم وعاتبه على ذلك, وقال: إن الغزالي هو، وهو، وهو فهذا من أثر الانتفاع الخاص وأثر التربية الخاصة في الجملة للخواص، ولكن قال ε: «**أنا حرب لمن حاربهم، أنا سلم لمن سالمهم، أنا عدو لمن عاداهم**»[1].

وقد نقل لنا عن شيخكم τ أنه كان لا يمد رجله لجهة مولانا إدريس لشدة قرابته من رسول الله ε القرب الخاص، وبلغنا أنه وجد بعض مريديه له فراش لجهة القبة الإدريسية فحلف أن لا يجلس عنده حتى يخوض في بيع تلك الدار لأجل ألا يمد رجله لجهة ضريح مولانا إدريس.

وسمعنا أن بعض المسمعين كان عنده في الزاوية على عهده، ثم إنه تشاجر مع بعض أهل البيت، وقال له كلمة ربما تقال في حالة البسط, فبلغه ذلك فغضب غاية الغضب وأمر بطرده من الزاوية، وأخبر أنه يموت على حالة سوء.

فلما لم تروا رؤيا منامية نؤدبكم نحن بأحوال شيخكم, فهلا وقع لكم كما وقع لسيدي أحمد بن مبارك مع شيخه لما زجره في النوم مع أن أبا حامد لم يكن من

(1) رواه الطبراني في الكبير (184/5), وذكره الحافظ ابن حجر في الإصابة (57/8).

ضآضئ النبوة، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

والطريق صدق لا اختيال فيها ولا مغالطة ولا تمويهات على من لم يعلم ولم يخبر الأمور كيف هي.

ووقف شخصٌ من أهل الإنكار على قبر الشيخ الأكبر, فقال: يا ترى ما عقيدة الرجل, فأنشأه من القبر:

**سـائلِي عـنْ عقيـدتِي أحسـنَ اللهُ ظنـهُ**
**علـمَ اللهُ أنهَـا شـهدَ اللهُ أنـهُ**

فهذا هو الحاتمي الذي سمعنا أنكم تقولون في كلامه ليس بصحيح، ثم لما جرت قضية الشيخ عبد الغني النابلسي مع الشيخ الأكبر، وقضية ذلك المنكر المذكور اقتضى الحال أن نرتكب هنا بساطًا جدليًا لأمور ثلاثة تسننًا بالسنن الإلهي.

قال الله جل سلطانه ممتنًا على خليله: ﴿**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**﴾ [الأنعام:83]، ومتخلقًا بأخلاق الأنبياء والرسل ﴿**وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ**﴾ [هود:120]، وفي القرآن أيضًا: ﴿**قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا**﴾ [هود:32].

وفي الحديث: «**احتج آدم وموسى فحج آدم موسى**»(1)، وفي القرآن: ﴿**وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الحَقَّ**﴾ [غافر:5]، ﴿**وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا**﴾ [الكهف:106]، ففيه مدح من يجادل بالحق عن الحق ومثنيًا على فعل المجتهدين ψ؛ فإنهم لو سكتوا، ولم يذبوا عن [...](2) ما تعددت المذاهب ولا كثرت المؤلفات من الجانبين، وهذا سبب نشأة علم المناظرة وعلم الجدال بحق، وكان يقع بين أهل الصدر الأول كثيرًا، وكان قصدهم تحقيق الحق فلا على أن أنحو نحوهم.

ويا للعجب من الخلق ألم يعتبروا بما في القرآن حتى ينكروا على من تكلم

---

(1) رواه البخاري (1251/3), ومسلم (2043/4).

(2) بياض في الأصل.

بالحق فيجعلون مطلق المحاججة من أثر الرعونات، أو اعتبروا لو ازدردوا الناس بأنهم ليسوا أهلاً للمشي على ذلك السنن.

**فنقول:** إن هؤلاء أنكروا على من نفى تربية المنتقلين فلا يستراب في أنهم حصلوا على الأمور الخمسة التي بها يمكن الاتصال بروحانية الأكابر على ما ذكر العلماء، فإن كان ممن يتربون فليفعل كما فعل سيدي عبد الغني النابلسي مع حضرة الشيخ الأكبر، وليسألوا عن أجوبة هذه الأسئلة التي نذكرها إن شاء الله تعالى الآن، ولا يأتوا بأجوبة الحاتمي عنها فهو عيب وعار ولا بأجوبة غيره فضلاً عن الأجوبة التي تنتجها التخمينات والتفكرات، ومن أجاب عنها نقلاً عن الشيخ كما فعل سيدي عبد الغني, فليكتب أولاً هذا الاقتراح الذي افترضاه وحتى يعلم الناس أوقعت التوفية بالتمني أم لا، وليقم بهذا الوظيف من علموا منة الأهلية للاستفاضات في أقاصي الأرض وأدانيها من أهل الطائفة، فصاحب البيت أدرى بالذي فيه وليأتونا بأجوبتها ولتطبع في الأرض كما فعل سيدي عبد الغني النابلسي مع ابن العربي، والقصور من القابل لا من الفاعل, فهناك يعلم الناس أن منهم من يتربى من المشايخ المنتقلين.

وإن بقيت عليكم دنيا فلا تربية، وأطلبوا الشيخ الحي إن كان قصدكم الوصول إلى الله، ولا تنقلوا عن الحاتمي الذي كلامه ليس بصحيح؛ فإياكم والاغتراف من بحره، وقد بلغنا أنكم قلتم، إن كل من تكلم في الختمية ليس عليه, كالحاتمي والحكيم الترمذي.

وقد وضعا هذه الأسئلة امتحانًا لمن ادعاها فليجب عنهما من لم يلبس عليه الأمر ولا يحسن الجواب عنها إلا الختم، وقد أجاب عنها الحاتمي الذي بلغنا أنكم قلتم: إنه رجع عن نسبتها له ولا يوجد ذلك في كتاب من كتبه ولا في غيرها.

وما بال صاحب روح البيان كان في القرن الحادي عشر، ومع ذلك وصفه بها وهو وأشياخه أعرف بكتب الحاتمي, مع أن الحاتمي توفى في حدود الأربعين وستمائة، فأهل القرن السابع، والثامن، والتاسع، والعاشر، والحادي عشر، والثاني عشر كلهم لم يطلقوا على أنه ليس هو الختم، ثم اطلع بعد ذلك على ذلك.

وليت علمي أين ذكرها في كتبه، وهذه «الفتوحات»، و«الفصوص»، و«مواقع النجوم»، و«عنقاء مغرب»، والتنزلات الموصلية إلى ما لا يُحصى من كتبه كلها نعرفها أكثر من معرفتنا بأبنائنا، وما رأينا ذلك فيها ولكن إذا لم يستحي الإنسان؛ فليفعل ما يشاء.

وهذه كتب السادات **النقشبندية** وهم من أعرف الناس بالله في الطرق ترجموا في كتبهم أزيد من ألف شيخ تخرجوا على يد مشياخهم، وما منهم واحدٌ إلا وأشياخه يعبرون عن الحاتمي بأنه ختم وكلهم لم يعرفوا!! ولا حول ولا قوة إلا بالله، وشر العلم الغريب كما قال الإمام مالك وكتبهم تُباع في السوق؛ فلتنظروا وراجعوا تآليفهم.

**السؤال الأول**: كم عدد منازل الأولياء؟

**السؤال الثاني**: كم منازل أهل القربة؟

**السؤال الثالث**: ما معنى العساكر في ألفاظ الأكابر؟

**السؤال الرابع**: ما معنى حيازتهم لها؟

**السؤال الخامس**: الذين حازوا العساكر بأي شيء حازوها؟

**السؤال السادس**: إلى أين منتهاهم؟

**السؤال السابع**: قد عرفنا أبنية أهل القربة وأبنية منتهى العساكر, ومنتهى من حازها فأين مقام أهل المجالس والتحديث؟

**السؤال الثامن**: كم عددهم؟

**السؤال التاسع**: بأي شيء استحقوا على ربهم سبحانه، ومعلوم أنه لا يجب على الله شيء، ولكن هذا السؤال له التفات إلى مسألة كلامية غامضة، وهي هل العلم تابع للمعلوم، أو المعلوم تابع للعلم؟

**السؤال العاشر**: ما حديث أهل هذه المجالس وما نجواهم؟

**السؤال الحادي عشر**: بأي شيء يفتتحوا المناجاة؟

**السؤال الثاني عشر**: بأي شيء يختمونها؟

**السؤال الثالث عشر**: بماذا يجابون؟

**السؤال الرابع عشر**: كيف يكون صفة سيرهم إلى هذه المجالس والحديث ابتداء؟

**السؤال الخامس عشر**: ومن استحق أن يكون خاتم الأولياء؟

**السؤال السادس عشر**: بأي صفة يكون ذلك المستحق لذلك النعت، وقد استوفيت صفاته الحقيقية في تأليف لنا مسمًّى بالأمالي في علم الأمهات ذكر فيه من العلوم عدد حروف محمد؟

**السؤال السابع عشر**: ما سبب الخاتم ومعناه؟

**السؤال الثامن عشر**: كم مجالس ملك الملك؟

**السؤال التاسع عشر**: بأي شيء حظ كل رسول من ربه؟

**السؤال العشرون**: أين مقام الرسل من الأنبياء؟

**السؤال الواحد والعشرون**: أين مقام الأنبياء من الأولياء؟

**السؤال الثاني والعشرون**: أي اسم منحوا من أسمائه؟

**السؤال الثالث والعشرون**: أي شيء حظوظ الأولياء من أسمائه؟

**السؤال الرابع والعشرون**: أي شيء علم المبدأ؟

**السؤال الخامس والعشرون**: ما معنى قوله ρ: «**كان الله ولا شيء معه**»[1]؟

**السؤال السادس والعشرون**: ما بدأ الأسماء؟

**السؤال السابع والعشرون**: ما بدء الروح؟

**السؤال الثامن والعشرون**: ما بدء السكينة؟

**السؤال التاسع والعشرون**: ما العَدل؟

**السؤال الثلاثون**: ما فضل الأنبياء بعضهم على بعض وكذلك الأولياء؟

---

(1) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (104/4), وذكره ابن حجر في فتح الباري (289/6).

**السؤال الأحد والثلاثون:** كيف صفة المقادير؟

**السؤال الثاني والثلاثون:** ما سبب علم القدر الذي طوى عن الرسل فمن دونهم؟

**السؤال الثالث والثلاثون:** لأي شيء طوي؟

**السؤال الرابع والثلاثون:** متى ينكشف لهم سر القدر؟

**السؤال الخامس والثلاثون:** أين يكشف لهم ولمن يكشف سر القدر منهم؟

**السؤال السادس والثلاثون:** ما العقل الأكبر الذي قسمت العقول منه لجميع خلقه؟

**السؤال السابع والثلاثون:** ما صفة آدم υ؟

**السؤال الثامن والثلاثون:** ما توليته؟

**السؤال التاسع والثلاثون:** ما فترة سيدنا آدم من حيث كونه إنسانًا، ومن حيث كونه خليفة، ومن حيث كونه خليفة وإنسانًا، ومن حيث لا، لا وهو سؤال له التفات قوي لسر آخر وهو بما قال سيدنا آدم التقدم على الملائكة؟

**الموفي أربعون:** كم عدد الأخلاق التي منحها؟

**السؤال الحادي والأربعون:** ما أسماؤها؟ وأعرف مَن عرفها تفصيلاً؟

**السؤال الثاني والأربعون:** كم خزائن الأخلاق باعتبار إجمالها؟ وأعرف من عدد أصولها على عدد الأحكام الإلهية المشتملة عليها سورة البقرة؟

**السؤال الثالث والأربعون:** إن لله تعالى مائة وسبعة عشر خُلقًا ما تلك الأخلاق؟

**السؤال الرابع والأربعون:** كم للرسل سوى سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم منها، وكم لسيدنا محمد منها؟

**السؤال الخامس والأربعون:** أين خزائن المنن؟

**السؤال السادس والأربعون:** أين خزائن سعي الأعمال؟

**السؤال السابع والأربعون:** مَن أين تُعطى الأنبياء-عليهم السلام-؟

**السؤال الثامن والأربعون**: أين خزائن المحدِّثين من الأولياء؟

**السؤال التاسع والأربعون:** ما الحديث نفسه الذي جرى مرارًا في الأسئلة؟

**الموفي خمسون:** ما الوحي؟

**الواحد والخمسون:** ما الفرق بين النبيين والمحدِّثين؟

**السؤال الثاني والخمسون**: أين مكانهم منهم؟

**السؤال الثالث والخمسون**: أين سائر الأولياء؟

**السؤال الرابع والخمسون**: ما خوض الوقوف؟

**السؤال الخامس والخمسون**: كيف صار أمره كلمح البصر؟ ﴿**وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ البَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ** ﴾ [النحل:77].

**السؤال السادس والخمسون:** ما كلامه تعالى لأهل الموقف؟

**السؤال السابع والخمسون:** ما كلامه للموحِّدين؟

**السؤال الثامن والخمسون:** ما كلامه للرسل؟

والذي يقول أنه لا يمكن أن يوجد مَن يستقل بالولاية بعد أستاذي يلزمه أنه إما اطلع على ما في نفس الحق جل مجده، وقد قال روح الله: ﴿**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ**﴾ [المائدة:116], فليلزمه أن يقول أنه أرقى وأعلى مِن أولي العزم من الرسل.

وإما مكاييل أرزاق أمداد الخلائق بيده, ولم يجد مكيال أقوام مخصوصين فنفاهم، فلا يمكن أن يدعي هذه الدعوى العمومية, وأنه لا يمكن أن يؤتي بولي مستقل إلا أحد هذين: إما رجل اطلع على ما نفس الحق، وإما رجل أوتي مكاييل الأمداد على يده.

ولما سُئل سيدنا موسى υ: «**هل تعلم أعلم منك؟ قال: لا، فقال تعالى: بل عبدنا الخضر أعلمُ منك**»، فافهم.

**وليت شعري:** من يجهل مراتب أهل بيت نبيه الكريم الذين محبتهم الخاصة وموداتهم من ذاتيات الإيمان وخالصه، ولا يطلع عليها إلا مَن استشرف على مقام القطبانية، كيف يكون من أحد هذين الرجلين، ومن لازم من يخوضوا هذا الخوض أن يقدر على الاستفاضة من روحانية الأكابر، فيسألهم عن هذه الأسئلة ويأتي بالأجوبة عنها.

**السؤال التاسع والخمسون**: أين يأوون يوم القيامة من العرصة ؟

**السؤال الستون:** كيف تكون مراتب الأنبياء والأولياء يوم الزيادة؟

**السؤال الواحد والستون:** ما حظوظ الأنبياء من النظر إليه؟

**السؤال الثاني والستون:** ما حظوظ المحدثين من النظر إليه؟

**السؤال الثالث والستون:** ما حظوظ سائر الأولياء من النظر إليه؟

**السؤال الرابع والستون:** ما حظوظ العامة من النظر إليه؟

**السؤال الخامس والستون:** ما المقام المحمود؟ وما لواء الحمد؟

**السؤال السادس والستون**: بأي شيء ناله؟

**السؤال السابع والستون:** كم بيْن حظ سيدنا محمد ε وحظوظ سائر الأنبياء عليهم السلام؟

**السؤال الثامن والستون:** بأي شيء يُثني على ربه جل أمره حتى يستوجب لواء الحمد، وبماذا تقدم إلى ربه من العبودية؟

**السؤال التاسع والستون**: بأي شيء يختمه حتى ينازله مفاتح الكرم؟

**السؤال الموفي سبعون**: ما مفاتح الكرم؟

**السؤال الواحد والسبعون:** ما الصديقية؟

**السؤال الثاني والسبعون:** على كم سهم بنيت العبودية؟

**السؤال الثالث والسبعون:** ما يقتضي الحق من الموحدين؟

**السؤال الرابع والسبعون**: ما سكينة الأولياء؟

**السؤال الخامس والسبعون**: ما حظ المؤمن من قوله الأول والآخر والظاهر والباطن؟

**السؤال السادس والسبعون:** كيف خصّ ذكر الوجه في قوله: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلاَّ وَجْهَهُ**﴾ [القصص: 88].؟

**السؤال السابع والسبعون:** ما مبدأ الحمد؟

**السؤال الثامن والسبعون**: ما قوله آمين؟

**السؤال التاسع والسبعون:** ما السجود؟

**السؤال الموفي ثمانون:** ما بداه؟

**السؤال الواحد والثمانون:** ما قوله العزة إزاري؟

**السؤال الثاني والثمانون:** [...] [1].

**السؤال الثالث والثمانون:** ما الإزار؟

**السؤال الرابع والثمانون:** ما الرداء؟

**السؤال الخامس والثمانون:** ما الكبرياء؟

**السؤال السادس والثمانون:** ما تاج الملك؟ وما الوقار؟

**السؤال السابع والثمانون:** ما مجالس الهيبة؟

**السؤال الثامن والثمانون:** ما صفة ملك الإله؟

**السؤال التاسع والثمانون:** ما صفة ملك الضياء؟

**الموفي تسعون:** ما صفات ملك القدس؟

**الأحد والتسعون:** ما القدس؟

---

(1) بياض في الأصل.

**السؤال الثاني والتسعون:** ما سبحات الوجه؟

**السؤال الثالث والتسعون**: ما شراب وما كأس الحب؟

**السؤال الرابع والتسعون**: من أين عين الاختصاص؟

**السؤال الخامس والتسعون**: ما شراب حبه لك حتى يسكرك عن حبك له؟

**السؤال السادس والتسعون**: ما القبضة؟

**السؤال السابع والتسعون:** من الذين استوجبوا القبضة حتى صاروا فيها؟

**السؤال الثامن والتسعون:** ما صنيعه بهم في القبضة؟

**السؤال التاسع والتسعون:** كم نظرته إلى أوليائه في كل يوم؟

الموفي مائة: إلى ماذا ينظر منهم؟

**السؤال الحادي ومائة:** إلى ماذا ينظر مِنْ الأنبياء عليهم السلام؟

**السؤال الثاني ومائة:** كما إقباله على خاصته في كل يوم؟

**السؤال الثالث ومائة:** كم لحظات الحقيقة المحمدية في كل يوم؟

**السؤال الرابع ومائة:** كم نظراتها لخواصها في كل يوم؟

**السؤال الخامس ومائة:** كمل لحظات الحقيقة المحمدية في كل يوم للخلائق؟

**السؤال السادس ومائة:** كم يخص الخواص مِنْ ذلك؟

**السؤال السابع ومائة:** مَا المعية مع الخلق والأصفياء والأنبياء والخاصة والتفاوت والفرق بينهم في ذلك؟

**السؤال الثامن ومائة:** ما ذكره الذي يقول: ﴿**وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ**﴾ [العنكبوت:45].

**السؤال التاسع ومائة:** ما قوله تعالى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾ [البقرة:152] ما هذا الذكر، وإليكم عني من أربعين تأويلاً ذكروها في الآية الكريمة؟

**السؤال العاشر ومائة**: ما معنى الاسم؟

**السؤال الحادي عشر ومائة:** ما رأس أسمائه الذي استوجب منه جميع الأسماء؟

**السؤال الثاني عشر ومائة:** ما الاسم الذي أبهم على سائر الخلق إلَّا على خاصته؟

**السؤال الثالث عشر ومائة:** بم نال صاحب سيدنا سليمان ذلك, وطوي عن سيدنا سليمان υ؟

**السؤال الرابع عشر ومائة:** ما سبب ذلك؟

**السؤال الخامس عشر ومائة:** على ماذا اطلع من الاسم على حروفه أو معناه؟

**السؤال السادس عشر ومائة:** أين باب هذا الاسم الخفي على الخلق من أبوابه؟

**السؤال السابع عشر ومائة:** ما كسوته؟

**السؤال الثامن عشر ومائة:** ما حرفوه؟

**السؤال التاسع عشر ومائة:** الحروف المقطعة مفتاح كل اسمٍ من أسمائه فأين هذه الأسماء وإنما هي ثمانية وعشرون حرفًا, فأين هذه الحروف؟

**الموفي عشرون ومائة:** كيف صار الألف مبتدأ الحروف؟

**السؤال الأحد والعشرون ومائة:** كيف كان الألف واللام في آخره؟

**السؤال الثاني والعشرون ومائة:** من أي حساب صار عددها ثمانية وعشرين حرفًا؟

**السؤال الثالث والعشرون ومائة**: هذه نقط الحروف لما لم تكن على عهد الصحابة الكرام, فهل نقص عنهم من العلم بالحروف المتواخية بقدر عدم وجدان النقط إذا ذاك أو كانوا مستغنين عنها؟

**السؤال الرابع والعشرون ومائة:** وبما استغنوا عن النقط؟

**السؤال الخامس والعشرون ومائة:** ولأي شيء لم يقف الناس على ما كان عليه

الصدر الأول فيها؟

**السؤال السادس والعشرون ومائة:** وما بالنا لم ندرك من الحروف المتواخية ما أدرك منها الصحابة؟

**السؤال السابع والعشرون ومائة:** وما هي الحروف المتواخية؟

**السؤال الثامن والعشرون ومائة:** ما وجه تآخيها؟

**السؤال التاسع والعشرون ومائة:** وهل تآخيها كتآخي أهل المواد والطبيعيات، أم نحن أكثف وهم ألطف أو العكس، أو منا ومنهم، أو منهم ومنا وهي أربعة أسئلة.

**السؤال الرابع والثلاثون ومائة:** ما قوله: «**خلق آدم على صورته**»[1]؟

**السؤال الخامس والثلاثون ومائة:** ليتمنين اثنا عشر نبيًّا أن يكونوا من أمتي؟

**السؤال السادس والثلاثون ومائة:** ما تأويل قول الكليم υ: «**اجعلني من أمة أحمد**», مع أنه الاسم الذي كانوا يسقون منه إذ ذاك؛ لأن المحمدية لا زالت لم تظهر, وإذا لم يسقوا من جداول الأحمدية تفوتهم حظوظهم من الحضرات النبوية؟

**السؤال السابع والثلاثون ومائة:** ما أعرف المعارف في أسماء الله الحسنى عند الأنبياء؟

**السؤال الثامن والثلاثون ومائة:** ما أعرف المعارف عند الأنبياء من الأسماء المحمديّة ولم يكونوا يعرفون إذ ذاك إلا أحمد كما في الكتب الإلـهّية والقرآن حاكيًا عنهم؟

**السؤال التاسع والثلاثون ومائة:** مع هذا ولم يذكر التعنْون عنه بأحمد إلاعن عيسى υ؟

**الموفي أربعون ومائة:** ما حظ الخليل، والكليم، وروح الله من هذه الحقيقة الأحمدية؟

---

(1) رواه البخاري (2299/5), ومسلم (2183/4).

**الأحد والأربعون ومائة:** مع معرفة الأنبياء به هذا التعريف كيف قال الكليم υ ليلة الإسراء: «ما كنت أظن أحدًا يرفع علي حتى رفع علي هذا الغلام»؟

**السؤال الثاني والأربعون ومائة:** كيف آثر التعبير عنه ليلة الإسراء بمحمد مع أن العالم عالم الأحمدية لا المحمدية؟

**السؤال الثالث والأربعون ومائة:** كيف قال في الحديث: «**فعلمت فضل جبريل علي في العلم**»(1) في قصة وكر الطائر؟

**السؤال الرابع والأربعون ومائة:** ما سبب قوله في بدء الوحي: «**ما أنا بقارئ، ما أنا بقارئ، ما أنا بقارئ**»(2) ، وهو نبي وآدم بين الروح والجسد؟

**السؤال الخامس والأربعون ومائة**: ما أسماء الملائكة الذين هم على عدد شعب الإيمان؟

**السؤال السادس والأربعون ومائة:** ما رتبة آل البيت النوبي من الصحابة؟

**السؤال السابع والأربعون ومائة**: ما رتبتهم من الأولياء؟

**السؤال الثامن والأربعون ومائة**: ما رتبتهم بين أهل الموقف يوم القيامة؟

**السؤال التاسع والأربعون ومائة**: ما بداية أهل البيت من بداية الأكابر؟

**السؤال الموفي خمسون ومائة**: أين نهاية أهل البيت من نهاية الأكابر؟

**الأحد والخمسون ومائة:** ما جواهر القرآن؟

**السؤال الثاني والخمسون ومائة**: ما الفرق بين نشأة الأنبياء والرسل حتى تعلم مكانتهم من ذلك؟

**السؤال الثالث والخمسون ومائة**: كم من أصول الآداب القرآنية المتحتمة؟

---

(1) ذكره الشيخ في الفتوحات (73/1) وقال: فالعظمة التي حصلت في قلب جبريل انما كانت من علمه بما تدلى إليه فقلب جبريل هو الموصوف بتلك العظمة فهي حال الرائي لا للمرئي, ولو كانت العظمة حالة للمرئي لعظمه كل من رآه والأمر ليس كذلك. (3 /97).

(2) رواه البخاري (4/1), ومسلم (140/1).

**السؤال الرابع والخمسون ومائة:** كيفية استخراج الآلاف من المسائل من أم الكتاب، كما قال سيدنا علي: «لو أذن لي رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم لوضعت على الفاتحة زهاء سبعين بعيرًا».

**السؤال الخامس والخمسون ومائة:** ما حقيقة قضية ابن الصياد مع مولانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، كيف علم أنه خبأ له سورة الدخان، وقال: خبأت سورة الدُخان مع أن في ذلك إيهامات على ضعفة العقول؟

﴿**وَاللهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [ النور:46]، وقد تركت من أسئلة الإمام الحكيم الترمذي نحوًا من ثلاثين سؤالاً؛ لأنها إقناعية في الجملة، وأبدلتها من عندنا بأزيد من ثلاثين سؤالاً, فهذه الأسئلة يتحتم عليكم أيها الحاكمون على الله في ملكه، والمعجزون قدرته أن تجيبوا عنها على سبيل الاستفاضة من روحانية شيخكم.

قال الإمام الأجهوري في حاشيته على مسلسل عاشوراء، ومن ذلك ما نقل عن الشيخ الجليل أبي الحسن الثمار أنه كان يأتي إلى مكان المشهد الحسيني للزيارة، ثم إذا دخل للضريح يقول: السلام عليكم فيسمع الجواب، وعليك السلام يا أبا الحسن، فجاء يومًا من الأيام, ثم سلم فلم يسمع جوابًا لرد السلام, فزاد ورجع مرة أخرى فسمع الجواب برد السلام, فقال: يا سيدي جئت بالأمس فسلمت فما سمعت جوابًا؟ فقال: يا أبا الحسن لك المعذرة كنت أتحدث مع جدي المصطفى ε فلم أسمع كلامك، قال: وهذه كرامة جليلة لأبي الحسن الثمار, انتهى.

وأخال أن من أخذ طريقًا ما يقرب من عشرين سنة لا محالة يكون ارتقى عن حال من يستمع من شيخه رد السلام, فأحرى ألا يصل إليها.

**قال الأجهوري:** ومن ذلك ما أخبر به الشيخ العالم فتح الدين الغمري الشافعي أنه كان يتردد إلى الزيارة غالبًا, فجلس يومًا يقرأ الفاتحة، ثم دعا فلما وصل في الدعاء إلى قوله: «واجعل ثوابًا مثل ذلك», أراد أن يقول في صحائف سيدنا الحسين ساكن هذا الرمس فحصلت له حالة فنظر فيها إلى شخص جالس على الضريح وقع عنده أنه السيد الحسين, فقال في صحائف هذا، وأشار بيده إليه، فلما تم الدعاء ذهب للشيخ

الجليل سيدي عبد الوهاب الشعراني, فأخبره بذلك، فقال: صدقت وأنا وقع لي مثل ذلك.

قال: ثم ذهب إلى مولانا الأستاذ كريم الدين الخلوتي فذكر له ذلك فقال له الآخر: صدقت، وأنا ما زرت هذا المكان إلا بإذن من النبي ε, ثم أنشد:

**حـــبُّ آلَ النبـــيِّ خـــالَطَ قَلْبِـــي فاعـــذرونِي بحـــبِّهمْ فاعـــذرونِي**
**أنَـــا واللهِ مغـــرمٌ بهـــواهمْ عَلِلـــونِي بـــذكرِهمْ عللـــونِي**

فكيف بِمنْ يقول أنه يغترف ممن لا مثل له, فجائز ألا يحجب عنه ويتحدث معه ويستشيره في النوازل والحوادث, ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وهذا من علامة كل ولي لله تعالى, فإن كل محب لله تعالى حي، فما وقع التدليس به في نقل حياة الشهداء مغالطة في المقام ولا تنازع فيه العامة.

وكذا الاستدلال على ذلك بالمرائى المنامية, فإنا لا نحتاج إليها في هذا الموطن؛ لأن حياة قتلى السيوف صريحة من القرآن، وحياة قتلى المحبة أخروية منه أيضًا فلا حاجة بنا إلى المرائي المنافية.

**قال الجنيد:** مَنْ كانت حياته بنفسه يكون مماته بذهاب روحه، ومَنْ كانت حياته بربه فإنّه ينتقل من حياة الطبع إلى حياة الأصل وهي الحياة الحقيقية, انتهى.

وفي ترجمة ولي الله سيّدي الخرشي في الصفوة وغيرها أنه لما وضعه الواضع في قبره، قال واضعه: بسم الله، فقال له سيدي الخرشي: قل وعلى ملة رسول الله ρ.

**وفي كتب القوم:** أن الشيخ أبا علي النصر آبادي أو غيره كان عنده غريبًا بالزاوية، وكان يتولى شئونه بيده، فلما توفى تولى إضجاعه في القبر بيده ففتح فيه عينيه، وقال له: نصرتني بجاهك في الدنيا لأنصرنك بجاهي في الآخرة، فقال له الشيخ: أنت حي، فقال: أنا حي وكل محب لله حي, انتهى.

قال أبو المواهب كما في ترجمته من الطبقات[1] نقلاً عن شيخه أبي عثمان

---

(1) في (293/1).

المغربي: إذا زار الإنسان قبر الولي، فإن ذلك الولي يعرفه, وإذا سلم عليه ردَّ عليه السلام، وإذا ذكر الله على قبره ذكر معه لا سيما إن ذكر لا إله إلا الله، فإنه يقوم ويجلس متربعًا ويذكر معه.

**قال أبو المواهب:** وحاشا قلوب العارفين أن تخبر بغير فهم، ومعلوم أن الأولياء إنما ينقلون من دار إلى دار فحرمتهم أمواتًا كحرمتهم أحياء، والأدب معهم بعد موتهم كالأدب معهم حال حياتهم فلا يعرض عنه بقدميه، ولا يمشي على قدميه برجليه ولا تعاشر الأولياء إلا بالأدب في حال الحياة وفي حال الموت.

**قال:** وإذا مات الولي صلى عليه جميع أرواح الأنبياء والأولياء، ثم قال: وعلى هذا الذي ذكره شيخنا قول صاحب الحقائق والدقائق: وحاشا الصوفي أن يموت انتهى.

**منها** فما مغالطتكم هذه على العامة في أن الأولياء أحياء ومرادكم بذلك أنهم مربون.

وقد نقل بالاستفاضة أن القطب المشاكلة قطبانيته لقطبانية أبي الحسن الشاذلي مولاي الطيب الكتاني قريب عهده من أجدادنا كان يقول: إن كل ولي مات ولم يلق زائره بعد موته بعشرين سنة بجسمه إذا زاره, فليس بكامل، ثم إنه بعد موته بعشرين سنة زاره زائر بهذا القصد, فوجده بباب الفتوح ولا زال يكلمه حتى وصل لضريحه فافتقده.

ومن الشائع عن جدنا مولاي الطائع الكتاني الملقب بالمسلطن أنه بنيت عليه قباب بعد موته فتصبح منكسرة لإيثارهم الحياة الأخرى على الدنيا, وهو من أثرات الحياة الحقيقية في القبر.

ومقرر عند نسائنا أن أسلافنا الكتانيين كانوا يأتون أهاليهم وعشائرهم بعد موتهم بأزمان جهارًا بالنهار، فكيف تقام علينا الحجج بأمثال ما ذكرتم كأنا لم نعرف ذلك ومددنا لا يحتاج لمدد، فإن مولاي الطيب الكتاني الذي لا يتنازع في قطانيته أنه كان يقول: لا يتوالى رتبة الأوتاد أحد إلا من هذه الشعبة، اللهم إلا إذا كان من لم يستعد لها, فيؤتاها غيره حتى يستعد ويكون بحسب النيابة عنه.

ووجد شريفًا من أشرافنا يذهب لبعض مشايخ الوقف بالمخفية, فقال له: تتركون الماء الجاري وتذهبون للماء الحكن، ثم ضرب على كاهله فافتقد حسه من ذلك اليوم وغاب غضبًا من مولاي الطيب عليه.

فلا حاجة بنا لمدد أحد حتى نرغب في ورد أحد.

**ويا ليت شعري:** المعلوم في كتبكم أن الميت لا تصريف له طبق ما في الإبريز، فإذا لكم في هذا المكتوب المكسوف الأنوار العديم الأسرار ناقضتم ذلك.

ومن العجيب أنكم تذكرون الاستفاضات من الأموات، ثم قلتم: أنه من المقرر أن الله تعالى يوكل ملكًا بقضاء حوائج الزائرين ما هذا الكلام، وهل هو إلا تدافع وهل من يفيض على الناس كما قلتم يحتاج لمثل من يقضي حوائج الزائرين.

**لطيفة وأعجوبة:** نقل صاحب البدائع عن ابن الجوزي أن أبا العباس الخضر υ كان يحضر مجلس أبي حنيفة في الفقه في كل يوم وقت الصبح يتعلم من علم الشريعة، فلما مات أبو حنيفة سأل الخضر ربه أن يَرُدْ إلى أبي حنيفة روحه في قبره حتى يتم له علوم الشريعة, فكان يأتي كل يوم وقت الصبح على عادته عند القبر يسمع منه مسائل الفقه والشريعة بعد موته, انتهى.

**قال العلامة ابن حجر:** الذي عليه أهل السنة والجماعة من الفقهاء والأصوليين والمحدثين خلافًا للمعتزلة ومن قلدهم في بهتانهم وضلالهم من غير رؤية أن ظهور الكرامة على يد الأولياء، وهم القائمون بحقوق الله وحقوق عباده لجمعهم بين العلم والعمل وسلامتهم من الهفوات والزلل جائزة عقلاً ونقلاً، إذ لو تكن الكرامة جائزة الوقوع لم تقع, وقد ثبت وقوعها بنص الكتاب والسنة والآثار الخارجة عن الحصر والتعداد وآحادها وإن لم تتواتر، فالمجموع يفيد القطع بلا إشكال كيف ووقوع التواتر قرنًا بعد قرن، وجيلاً بعد جيل، وكتب العلماء شرقًا وغربًا وعجمًا وعربًا ناطقة بذلك ولا ينكر ذلك إلا غبي أو معاند, انتهى.

ولكن صدق تاج العارفين أول من سمى بتاج العارفين في العراق أبو الوفاء رضي الله تعالى عنه في قوله: لو صدق الوارد على شيخه وهو قائم لإجابة كل ذرة

من الشيخ على سؤاله ولم يحتج إلى استيقاظ الشيخ, انتهى.

**وكان سيدي داود بن باخلا -رضي الله تعالى عنه- يقول كما في ترجمته من الطبقات[1]:**

إذا حضر المريد الصادق مجلس العارف سمع كلامه من جهاته الست, ومن لم يصل لهذه الرتبة وعلمنا أنه لم يتربى, فليمل إلى درجة أخرى وهي ما أشار إليها أهل الطريق.

قال في «الطبقات» في ترجمة سيدي إبراهيم الدسوقي ما نصه:

وكان يقول: إذا كمل العارف في مقام العرفان أورثه الله علمًا بلا واسطة وأخذ العلوم المكتوبة في ألواح المعاني، ففهم رموزها وعرف مكنوزها وفلك طلسماتها وعلم اسمها ورسمها، وأطلعه الله تعالى على العلوم المودعة في النقط، ولولا خوف الإنكار لنطقوا بما يبهر العقول، وكذلك لهم من إشارات العبارات عبارات معجمة وألسن مختلفة، وكذلك لهم في معاني الحروف، والقطع، والوصل، والهمز، والشكل، والنصب، والرفع، ما لا يحصى ولا يطلع عليه إلا هم.

وكذلك لهم الاطلاع على ما هو مكتوب على أوراق الشجر، والماء، والهواء، وما في البر والبحر، وما هو مكتوب على صفحة قبة خيمة السماء، وما في حياة الإنس والجان، مما يقع لهم في الدنيا والآخرة.

وكذلك لهم الاطلاع على ما هو مكتوب بلا كتابة من جميع ما فوق الفوق وما تحت التحت ولا عجب من حكيم يتلقى علمًا من حكيم عليم، فإن مواهب السر اللدني قد ظهر بعضها في قصة موسى والخضر عليهما السلام, انتهى[2].

ومن الأثرات التي خلفها الشيخ الأكبر بعده تدل عليه أن آثارنا تدل علينا، فانظروا بعدنا إلى الآثار أنه خلف جدولاً من فهم معناه يعلم الوقائع التي تحدث في

---

(1) في (209/1).

(2) في (174/1).

أرض المحشر، وخلف جدولاً آخر من طالع ماهيته علم الوقائع الجناتية، ومن علم عنايات الله تعالى بأوليائه لا يستعظم شيئًا من هذا، ولكن من اكتفى بالإجازات وظن أنها هي المشيخة وأنها بمجردها توجب التصدير وتوجب القدح في أعين الأمة الذين جعلهم الله كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك، فلا عليه أن يقول ما سولت له نفسه.

قال في «الطبقات» في ترجمة أحد الأقطاب الأربعة سيدي إبراهيم الدسوقي**:** يا ولدي عليك بالتخلق بأخلاق الأولياء لتنال السعادة، وأما إذا أخذت ورقة الإجازة وصلت كل من نازعك تقول: هذه إجازتي بالمشيخة دون التخلق, فإن ذلك لا شيء إنما هو حظ نفس، ثم قال: وهذه طريق مدارج الأولياء قرنًا بعد قرن، وجيلاً بعد جيل، إلى آخر الدنيا, انتهى[1].

فبالعقل بين الإيمان والروح يثبت الخطاب، وبالسر يفهم الأمر، وبالذر ظهر الحكم، وبالذات وقعت الحركة، فالحركة ظاهر الحكم، والحكم ظاهر الأمر، والأمر ظاهر الخطاب، والخطاب ظاهر الإيمان، والإيمان ظاهر الصفات، والصفات ظاهر الذات، فالإيمان بصيرة العقل، والسر بصيرة الروح، والأمر بصيرة الحكم، والحكم بصيرة الحركة، وذلك حقيقة ما يكشف للعارف المنتهي في درجة المعرفة فتدبر.

**لطيفة:** كان سيدي داود بن باخلا يقول: العارف يتلون في اليوم والليلة مائة مرة والعابد يقيم على حالة واحدة كذا وكذا سنة وذلك لأن العارف مائل إلى حضرة التصريف... إلخ.

**قلت:** وكأنه يشير بهذا التكوين إلى قوة نورانية قواه الباطنة في شدة اقتدارها على السبح في الأبحر المعنوية وعدم تبطئها عن السير، فهذا هو المراد بالتلون إذ هو المحمود والذي ليست له هذه الحالة، كأنه ليست فيه خاصية الحقيقة الإنسانية إذ ما سمى القلب إلا لتقلبه، وهذا التقلب يحتمل وجوهًا ومنها تقلبه في أودية المعاني،

---

(1) في الطبقات الكبرى (174/1).

والأسرار، والإفاضات، والخوض في الأبطن المحمدية، والله الذي لا إله غيره أن من الرجال من لا شنشنة له إلا الخوض:

**لَــوْ أَبْصَــرْتْ عَيْنَــاكَ يَــومَ تَزَلْزَلَــتْ أَرْضُ النفـــوسِ وَدُكَـــتِ الأَجْبَـــالُ**
**لَرَأَيْـتَ شَـمْسَ الحـقْ يَلْمَـعُ نُورَهَـا عنْـــدَ التَزَلْـــزُلِ والرجَـــالُ رَجَـــالُ**

وهذا على الحقيقة هو الذي تعني الطائفة والعقلاء بالمدد من الشيخ الحي والميت فمن أكثر من خوض أصحابه في هذه الميادين، فهو صاحب المدد حيًا كان أو انتقل، وأما الذي يظهر من قوة كلامكم أن المراد بالمدد الكثرة، فهو غفلة عن معنى التربية, ووجود أثرها في الخارج.

**قال أرباب الطريق:** لا تذكير واردًا لا تعلم ثمرته فليس المراد من السحابة الأمطار، وإنما المراد منها وجود الأثمار على أما لو فرضنا زاوية فيها عدد النجوم وليس فيها من هو أهل هذا الفن على الحقيقة ولم يظن أن علم الكشف هو علم النقل والمعقولات وزاوية أخرى فيها خمسة، وكلهم يتقنون هذا الفن مضاحية الخمسة هي ربة المدد: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً**﴾ [النحل: 120]، ومن شعر الشيخ أبي بكر العردود كي يخاطب الحضرة الإلهية:

**يقولونَ لِي ضيعتَ عمركَ فِي الهوَى ومَــا فَــاتَنِي شــيئًا إذَا كنــتُ أَلْقَــاكُم**
**لـــئنْ كـــانَ قـــومُ الزوايَـــا تقيـــدُوا فـــإنِّي أرَى كـــلَّ الوجـــودِ زوايَـــاكُم**

نقل في «الفصوص» و«الفتوحات» عن الشيخ الكامل أبي يزيد أنه كان يقول: لو أن العرش وما حواه في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس به.

والذي في شرح «مشكاة المصابيح» للتبريزي لابن سلطان[1] نقل آخر عنه, وهو: لو وضع العالم ألف ألف مرة في زاوية من زوايا قلب العارف ما أحس به, انتهى.

**أما بعد ..** ليت شعري لما وضع الحكيم الترمذي العالم بهذا الفن أسئلة يمتحن بها مُدَّعِي الختمية وأجاب عنها الكبريت الأحمر ابن العربي الحاتمي في «الفتوحات» بلسان دلق غير محتشم من أهل الدوائر الكبرى، وأقروا له بالتقدم في كل شيء حتى

(1) في «مرقاة المفاتيح المفاتيح».

قال في «الطبقات»: أجمع المحققون من أهل الله تعالى على جلالته في سائر العلوم، كما تشهد لذلك كتبه, انتهى.

ومع إقامته البينة على تلبسه لمقام الختمية بجوابه عن أسئلة علامات الختم فكيف يسوغ لمن يعقل ويميز أَنْ يقول أَنّ كل من تكلم في قام الختمية أعني الذين سلفوا قبلنا ليس عليهم، فإنه بلغنا في بعض ما كتبتم أنكم قلتم أن من تكلم في الختمية من الحكيم الترمذي والشيخ الأكبر لبس عليهم.

**وليت علمي:** وإلى الله المشتكى ممن يغمض الحقوق ويذهل عنها أو لم يعلمها فيتجهم التسور على ما ليس له به إحاطة وإذا لم يعلمها هؤلاء فكيف يعلمها من غاية نظره الرسوم والبحوث اللفظية، وكأنكم ظننتم أن هذا العلم علم نقل أيضًا وبحث جدل لا علم وجدان، وأذواق، وكشوفات، وهذا قدر لا يجهله متميز, فمن خلط علم النقل، والعقل بالعلم بالله أولى ممن يقال: لبس عليه الأمر.

**وفي المقرر أن جملة العلوم ثلاثة:** علم العقل، وعلم الأحوال، وعلم الأسرار، فعلم العقل هو كل علم ضروري بديهي أو حاصل عقب نظر في دليل شرطه العثور على وجه ذلك الدليل، وعلامة هذا العلم أنك كلما بسطت عبارته حسن وفهم معناه, وعذب عند السامع الفهيم.

**وأما علم الأحوال:** فلا سبيل إليه إلا بالذوق ولا يقدر عاقل على وجدانه ومعرفته ألبتة كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع ونحو ذلك، وهو العلم متوسط بين علم الأسرار، وعلم العقل، وأكثر من يؤمن به أهل التجارب, وهو إلى علم الأسرار أقرب منه إلى علم العقل النظري، فلا يلتذ به إذا جاء من غير معصوم إلا أصحاب الأذواق السليمة، وعلامة العلم المكتسب أن يدخل في ميزان العقول، وعلامة الوهبي أن لا يقبله ميزان العقول، من حيث أفكارها، بل تَمُجُّهُ غالبًا.

**وأما علم الأسرار:** فهو العلم الذي فوق طور العقل؛ ولذلك يتسارع إلى صاحبه الإنكار لأنه حاصل من طريق الإلهام الذي يختص به النبي والولي، قال في «اليواقيت»: وعلامته إذا أخذته العبارة سمج وبعد عن الأفهام دركه، وربما رمت به العقول الضعيفة، أو المتعصبة التي لم توف النظر والبحث حقه، ومن هنا كان من

يريد تفهيم العلم هذا لغيره لا يقدر أن يوصل ذلك العلم إلى الأفهام الضعيفة إلا بضرب الأمثلة والمخاطبات الشعرية, قال في «اليواقيت»: وأكثر علوم الكل من هذا القبيل انتهى.

وإذا كانت المراتب هكذا فكيف ينكر صاحب العلم الأول العقلي على العلم الثاني، فضلاً عن الثالث؛ فضلاً عما وراء هذا لأن الولاية ستة وأربعون جزءًا آخرها رتبة الصديقية، وآخر رتبة الصديقية أول النبوة، والنبوة ستة وأربعون جزءًا آخرها أول الرسالة، والرسالة ستة وأربعون جزءًا آخرها أولية الحقيقة المحمدية في هذا العالم الشهادي, فافهم.

وإذا كانت أجزاء الولايات من مقدمة النبوات, فأنى للعقل أن يفهم كنه ما يدندنون به على ذلك الموفي.

**وفي المقدمة لابن خلدون بعد كلام:** وقصرت مدارك ن لم يشاركهم في طريقهم عن فهم أذواقهم، وأهل الفتيا ما بين منكر عليهم وَمُسَلِّم، وليس البرهان والدليل بنافع في هذا الطريق ردًّا وقبولاً، إذ هي من قبيل الوجدانيات، وربما قصد بعض المصنفين بيان مذهبهم في كشف الوجود, فأتى بالأغمض فالأغمض بالنسبة إلى أهل النظر والعلوم، كما فعل الفرغاني شارح قصيدة ابن الفارض في الديباجة التي كتبها صدر ذلك الشرح.. إلخ كلامه.

وأما الاكتفاء بكتب الصوفية وإرادة الأصول بما تصف هيهات؛ وذلك لأن كل واحد من مشايخ الطريق إنما يصف في كتبه الطريقة التي نصبت له في ابتداء سيره إلى انتهائه، وآخر يصف المدرجة التي درج عليها وآخر وهلم جرا، وما تجلى الله سبحانه لشخص بمثل ما تجلى له للآخر فكيف يأتي هذا المتأخر، ويأخذ تلك الكتب، ويجب أن يصل إلى الله تعالى على ما وصفت مع أن واحدًا ربما يكون مرَّ على طريق الصبر؛ لأن الغالب عليه وصف الهلوعية، وآخر على طريق الشكر لاستدعائها المزيد، وآخر على طريق الرضا لما أن الغالب عليه منازعة المقدور في مُره وشره، وآخر على طريق الزهد لما أن الغالب عليه الرغبة، وآخر على طريق المحبة

والشوق، وآخر على طريق التوكل لما أنه يتهم ربه في الأرزاق، وآخر على طريق الخوف لما أن الغالب عليه التساهل في منهيات التكاليف مثلاً، وآخر على طريق التوبة، وإن كانت هذه الطريقة تلزم جميع أهل هذه المسالك؛ لأنها من المقامات المستصحبة في الدنيا والبرزخ والجنة كالإيمان والمحبة، وآخر درج على طريق الأدب، وآخر درج على طريق الصلاة فتجده مكثرًا لها كألف ركعة فأزيد، وآخر على طريق الصوم، وآخر على طريق السياحة في الأرض وهلم جرا، ولا مرية أن كل من حببت إليه طريق من هذه الطرق تجده يصفها, ويصف أولها ووسطها وآخرها،ويرغب فيها ويحببها للناس، وهكذا.

كل أهل تلك الطرق التي ذكرناها، ثم إذا جاء هذا المريد للسلوك وأراد السلوك فمن الجائز أن يجد الناس يثنوا على واحد من أهل هذه المراتب؛ فيحبها هؤلاء لأجل السلوك والترييض، بل لأجل أن يمدح فتجده يبحث عن ذلك المسلك مثلاً.

وهكذا الوصف في الجميع فكيف يمكنه أخذ الطريق من كتب القوم، وإنما تتلقى من أفواه الرجال وتلقفات هممهم، وتوجهات التفاتاتهم إليهم، وأيضًا هذا المريد للسلوك ينبغي له أن ينظر القاطع الكبير عنده ما هو ثم يتسبب في اجتنابه من جثثه، وهذا أمر لا تعطيه له كتب القوم ولا يستمده منها؛لأن كل أحد إنما يصف طريقه هو التي سلك عليها، فلا بدَّ من المربي والقوة الذي يأخذ بالأيدي العالم بما يأتي وما يذر.

**وليت علمي:** هل هؤلاء الذين يقولون يتربون من الميت هل يعرفون هذه الموارد ويسلكهم عليها وهو في القبر، ويصح أن يجعله هذا النوع من الدلائل المتقدمة أيضًا على أن تجليات تلك الكتب لا يعاد التجلي بها على أحد ولا يمكن عدد ذلك التجلي للوسع الإلهي, فلا يمشي هذا المتأخر تحت فلك ذلك التجلي المتجلي به على ذلك المتقدم، وإنما يتجلى تعالى بتجلٍّ آخر.

ولهذا لا يصح الوصول إلى الله تعالى بكتب القوم، وإنما يحصل منها أمور ومنها التشويق لمن نحا ذلك النحو يوصل إليه على اختلاف المشارب والأذواق ويأخذ بالأيدي حتى يوصل.

قال ابن الفارض:

**وثَــمَّ وراءُ النقــلِ عِلْــمٌ يَــدُقُّ عــنْ مَــدَارِكِ غَايَــاتِ العُقُــولِ السَــلِيمَتِي**

**ولذلك قيل:** من أخذ التصوف من الكتب مزق الإسلام؛ ولأجل هذا قال أبو علي الثقفي كما في شروح الحكم وجسوس على الشمائل في باب خلق مولانا رسول الله: لو أن رجلاً جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لا يبلغ مبلغ الرجال إلا برياضة من شيخ، أو إمام، أو مؤدب ناصح، ومن لم يأخذ أدبه من آمر له وناه يريه عيوب أعماله ورعونات نفسه لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات, انتهى.

وعلى هذا المعنى حمل في الإحياء تبعًا لصاحب القوت قوله υ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**»[1].

قال: وهو علم أمراض القلوب وعللها ودوائها، قال: فتعلمه فرض ولا يمكن معرفته مع العمل به إلا بواسطة المربي فيصير اتخاذ المربي واجبًا من باب ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

**قال في سعود المطالع[2] ما نصه:**

واتخاذ شيخ عالم عارف لعلاج النفس الأمارة ووسائسها الخفية يطهر الإنسان من النجاسات المعنوية فرض عين، كما نص عليه الغزالي، وابن عبد السلام، والسبكي، والسيوطي، وشيخ الإسلام، والناصر اللقاني من سادات الشافعية، وزروق من سادات المالكية، وخير الدين الرملي، والحموي من السادات الحنفية، والهروي، وابن النَّجار من الحنابلة؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

**وقال الإمام الشعراني:** أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ الإنسان له شيخًا يرشده إلى زوال الصفات التي تمنعه من دخول حضرة الله تعالى بقلبه لتصح صلاته من باب ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب، ولا شك أن علاج أمراض الباطن من

---

(1) رواه الطبراني في الكبير (195/10), وأبو يعلى في مسنده (96/7).

(2)لعله: سعود المطالع في سود الطالع لعبد الهادي الإبياري.

حب الدنيا، والكبر، والعجب، والرياء، والحسد، والحقد وغير ذلك واجب كما تشهد له الأحاديث الواردة في تحريك هذه الأمور فعلم أن كل من لم يتخذ له شيخًا يرشده إلى الخروج عن هذه الصفات فهو عاصٍ لله ولرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم؛ لأنه لا يهتدي لطريق العلاج بغيره، ولو حفظ ألف كتاب في العلم فهو كمن يحفظ كتاب الطب ولا يعرف تنزل الدواء على الداء.

فاتخذ لك يا أخي شيخًا واقبل نصحي وإياك أن تقول طريق الصوفية لم يأت بها كتاب ولا سنة فإنه كفر فإنها كلها أخلاق محمدية سداها ولحمتها منها، ذكره الشعراني في «مشارق الأنوار القدسية», انتهى نص مطالع السعود لنجا متأخر الديار المصرية, وزاد في سعود «المطالع» نقلاً عن الأجوبة المرضية, فإن لم يجده في بلده وجب عليه السفر إليه, انتهى.

**وقال يحيى بن معاذ:** ولي الله ريحان في الأرض فإذا شمه المريدون وصلت رائحته إلى قلوبهم فتشتاق بهم إلى ربهم سبحانه.

وبالإجماع المتقدم عن الشعراني تعلم ما في اعتراض الشيخ, ومثله قوله أبي يزيد: **«من لا شيخ له فالشيطان شيخه»**[1], انتهى[2].

---

(1) وفي رواية: من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان. تفسير روح البيان لحقي (7 /393).

(2) قال الشيخ حقي: اعلم أن المرشد الكامل كالملك الذي ينفخ الروح في الجنين؛ فإنه ينفخ روح الفيض في الجنين الذي يشتمله رحم استعداد المريد, والمراد بالنفخ, صورة اشتعال حطب الجسد بنار الروح, ولمَّا كان ظهور تلك النار في المحلِّ من تربية النافخ؛ جُعل المرشد كالنافخ, وليس إلا المظهر, ففيه سرُّ الخلافة؛ ولذا قال تعالى: ﴿**فَتَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾ [المؤمنون:1], وإنما كان الله أحسنهم؛ لأنهم إنما يُخلقون على صورة ما خلق الله؛ فهم الفرع في ذلك, والله هو الأصل والمبدأ.

فظهر أن المريد ولد المرشد وفرعه: أي في الظهور؛ لأنه لولا ظهور المرشد قبل ظهور المريد, كما أنه لولا ظهور الحق بذاته لذاته في ذاته؛ لِما ظهر الخلق أبدًا , فكان ظهور الحق؛ هو المبدأ في جميع الظهورات؛ ولذا وصف نفسه بالأولية والظاهرية، ولمَّا كان ظهور الإنسان بالمعنى أَوْلى من ظهوره بالصورة؛ لأن المعنى حق, والصورة خلق؛ كان الأستاذ أحق بالتعظيم من الأب ,والمرشد أولى بالتقديم من الوالد.

فلا محل للاعتراض مع ما تقدم من المذاهب الأربع من اتخاذه عينًا، والمراد بمن لا شيخ له في الظاهر، والباطن، وإذا أنشد أبو حيان في أخذ العلوم العقلية والنقلية من الكتب فما يقال في العلوم الكشفية:

**يَظُنُّ الغَمْرُ أَنَّ الكُتُبَ تَهْدِي ... أَخَافِهم لإِدْرَاكِ العُلُومِ**
**ومَا ظَنَّ الجَهُولُ بَأَنَّ فِيهَا ... غَوامِضَ حَيَّرَتْ عَقْلَ الفَهِيمِ**
**إذَا رُمْتَ العُلُومَ بِغَيْرِ شَيْخٍ ... ضَلَلْتَ عَنِ الصراطِ المستقيمِ**
**وَتَلْتَبِس الأمُورُ عليكَ حتَّى ... تَصَيُر أَضَلَّ مِنْ تَوَفَى الحَكِيمَ**

**ولما قال الإمام الرازي:** ما أذن لي في تدريس علم الكلام حتى حفظت منه اثنتى عشرة ألف ورقة.

قال في «اليواقيت»: هذا مع أن علم الكلام أهون من علم التوحيد الذي يخوض فيه القوم.

**قال ج:** وقد كان إمامنا مالك يأتي محمد بن المنكدر، وكان الإمام أحمد بن حنبل ويحيى ابن معين يختلفان إلى معروف الكرخي، ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما، وكان الإمام الشافعي يجلس بين يدي شيبان الراعي كما يقعد الصبي في المكتب.

**فإن قلت:** وأين مثل أولئك الصوفية حتى نسعى إليهم؟

**قلت:** وأين مثل أولئك أيضًا الذين يطلعون على خواص الحق في خلقه، والأمر كما قال ابن العربي في رحلته: ولم يخل الغث والسمين من سائر الطوائف لا من العلماء ولا من الصوفية، ونقله في سنن المهتدين؛ فانظرهما.

**قال:** ولهذا حظ العلماء على صحبة مشايخ الطريق رضي الله تعالى عنهم, انتهى.

قال هذا عند قوله في الحديث: «**فإذا لقيه جبريل كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة**»(1)، قال: وفيه أن صحبة الصالحين مؤيدة في دين الرجل وعلمه وسبب في عمارة قلبه, انتهى.

**قلت:** هذا الاستنباط معكوس فإن سيدنا جبريل هو الذي ينتفع بصحبته للحضرة

(1) رواه البخاري (6/1), ومسلم (1803/4).

المحمدية ويتأثر بها ويحصل له من الترقيات ما لا يدرك بعبادة الأزمان المتطاولة، وما أحاط الإنسان ملك الله حتى لم يجد فيه من ينتصب لذلك المنصب أو يفوقه فإن فيضان الربوبية لا إلى نهاية وكذا فيضان المحمدية.

**﴿وَلاَ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ الله خَيْراً الله أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ﴾** [هود:31].

ومن المقرر في هذا العلم أيضًا أن من المحال أن ينفتح باب الملكوت والمعارف وفي القلب شهوة، كما أن من المحال أن ينفتح باب العلم بالله من حيث المشاهدة وفي القلب لمحة للعالم بأسره الملكي والملكوتي.

وفي ترجمة أبي المواهب التونسي الشاذلي من «الطبقات»: لما علم أهل الله تعالى أن كل نبات لا ينبت ويثبت إلا بجعله تحت الأرض تعلوه الأرجل جعلوا نفوسهم للكل أرضًا ليعطيهم ما أعطى أصفياءه، وأولياءه، ولكن العلم بالقواطع وآفات النفوس وعلل القلوب وأمراضها، إنما تعرف بواسطة همة المربي، وهم لا يقولون به فقطعوا على أنفسهم مدارج التربية، وأيضًا التواضع الحقيقي إنما يمكن بواسطة التجلي الأعظم، فلا يمكن للإنسان الخروج عن مقتضيات نشأته الظلمانية إلا بواسطة تجلي قهري، كما في حديث كسوف الشمس: «**ما تجلى الله لشيء إلا خشع له**»[1]، والحديث في سنن النسائي، فإذا لم يوجد المقبل على الله تعالى دائبًا تحت صدمات التجلي، نعلم أن التجلي لا زال لم يقع عليه يقول الله جلَّ جلاله: «**لا يراني حي إلا مات، ولا يابس إلا تَدَهْدَه، ولا رطب إلا تفرق**»[2].

والمراد بالرؤية هنا المشاهدة كما قوله: «**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه**»[3].

قال في «عوارف المعارف»: واعلم أن العبد لا يبلغ حقيقة التواضع إلا عند لمعان نور المشاهدة في قلبه فهنالك تذوب النفس، وفي ذوبانها صفاؤها من غش الكبر

---

(1) رواه البيهقي في الكبرى (333/3), وابن خزيمة في صحيحه (330/2).

(2) رواه الديلمي في الفردوس (267/2), وأبو نعيم في الحلية (235/10).

(3) رواه البخاري (1793/4), وابن خزيمة في صحيحه (5/4).

والعجب فتلين وتنطبع للحق والخلق بمحو آثارها وسكون وهجها وغبارها, انتهى.

**قال بعض الأكابر:** معصية الكبر كادت أن تكون محالاً إلا في حق المقبلين؛ لأنهم تتجلى لهم عظمة الحق جل جلاله، ومن شاهد شيئًا من عظمته وتجلى صفته لم يبق له وصف التكبر فلا تنقلع شجرة الرئاسة من القلب إلا به لا بما يتكلفة العبد ويتعاطاه بنفسه من أعمال وأحوال، بل قال الجنيد: «التواضع عند أهل التوحيد تكبر».

**قال الإمام أبو حامد:** ولعل مراده أن المتواضع يثبت نفسه، ثم يضعها والموحد لا يثبت نفسه ولا يراها شيئًا حتى يضعها, انتهى[1].

ولما وصل جواد القلم إلى هنا اقتضى الحال أن نلم هاهنا بالشعار التي ينبغي للمنتصب للورد أن يكون عليها وما ينتجه الدخول للطريق من العلوم، والأسرار، والمعاني حتى يعلم أهل الإنصاف أن من لا شيخ له حي ليست لذاذات معنوية يعرف بها الأمور وما الخبر، الخبر وهي أدون ما يعلمه الصديقون من أهل طريقتنا، ولنقتصر على بيان فذلكتين عظيمتين ينبأن عما وراءهما:

**الفذلكة الأولى:** مما يرجع لمعرفة الحق جل جلاله وتقدست أسماؤه وصفاته.

**الفذلكة الثانية:** فيما يرجع لمعرفة الحقيقة المحمدية.

اعلم أن من كان مسلكه مسلك أهل الاجتباء كأصحابنا لا يسلك أهل الإنابة أول ما يباده به في السير أن يفتح له عن ملكوت كل ذرة من الذرات فيتطلع على جدول سر القدر وهو المشار إليه في الكتب بملكوت كل شيء في قوله تعالى: ﴿**فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [يس:83].

ثم إذا انخرط في هذا البساط التفتت روحه لمصدر هذه الملكوتيات ومنبعثها فيجد أن الأمر بحر طام متدفق من حواشي مقتضيات وشئون فوجود الرب يقتضي المربوب، والخالق يقتضي المخلوق لينفعل فيه، والرازق يقتضي المرزوق، والعالم يقتضي المعلوم، والمصوَّر يقتضي المصوِّر، والسلام يقتضي وجود من يناط به مقتضى السلامات من الطوارق على أحد معاني السلام، وهلم جرًّا من مقتضيات

---

(1) انظر: الإحياء (343/3), وكتابنا الإمام الجنيد (ص151).

الأسماء الإلهية، فإذا وجد كل هذه الأسماء لها مقتضيات وكل هذه المقتضيات لابد من ظهورها بالفعل حتى لا تتعطل حضرات الأسماء تحركت دواعيه لنظر مسارحها وبسط ظهورها فكر بروحه أو سره راجعًا إلى عالم التركيب والمواد ليتفحص مقتضيات الأسماء؛ لأن تلك الحضرات الأقدسية الأمرية ليس عالمها عالم ظهور التغييرات، والاستمالات التي يقتضيها عالم الخلق, فإذا كوشف المقبل على الله تعالى الذي اختطف عن حسه وقواطعه واجتثت عنها وقوبل بحضرات الأسماء, فإنه إذا رجع للكون يطلب أثراتها تجده ينظر للكون كله من حيث عينه، بل من حيث إنه مظهر لصفات الحق فينتج له الدخول الأولي لحضرات الأسماء، ثم الرجوع لتفحص معانيها في عالم الاستحالات تشاهد:

**المشهد الأول:** شهود أن الكمال هو الأصلي, ضرورة أنه يرى العام كله كالأسماء الإلهية وحلل ومعانيها.

**وأما النقائص:** إنما عرضت بحسب تشاجر الأسماء على ما يطول ذكره وينتج له هذا المشهد نتائج ولنقتصر لكم منها على ثلاث نتائج:

**النتيجة الأولى:** شهود تلمح أنوار الربوبية في كل شيء نظر إليه، أو لمسه، أو سمع به، أو أحس به ويكون حصص الأغيار في مشاهدته ويكون خطور المقتضيات الخلقية بذهنه من الأمور الثانوية لا الأصلية؛ لأنه طرأ من العالم ولم يطرأ على الحضرة من العالم: ﴿**وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾ [النحل:16].

وهذا المشهد والدخول لهذه الحضرة يسهل عليه العمل بالتكاليف الشرعية، ويسهل عليه ترك جميع المظالم؛ لأن صعوبة تقحمها إنما يكون مع الحجاب ولا يخرجك عن الوصف إلا شهود الوصف، وهذا من أنواع الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة لا الموعظة الحسنة، فامتازت الدعوة بالحكمة بأقربية سيرها وأحضرية سلوكها، وأما سبيل الموعظة الحسنة فطال على أصحابها الوصول.

**النتيجة الثانية:** الاستدلال بالحق جل أمره على الأشياء: ﴿**أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [فصلت: 53], ولا يستدل بالأثرات على المؤثر؛ لأنه عرف الله

تعالى على الفطرة الأصلية بواسطة الشيخ المرقي, فاندفع أديمه بمعرفته الخاصة الشهودية لا البرهانية:

**قَـدْ تجمعـتْ مَـا خشـيتُ افتراقَـا فإنّــا اليــومَ واصــلٌ مجمـــوعُ**

وأنشد قائلهم وواصلهم:

**كبــرَ العِيَــانُ علــيَّ حتَّــى أنــهُ صــارَ اليقـينُ عـنِ العِيَـانِ تَوهُّمَـا**

وإنما حصلت له هذه النتيجة؛ لأنه لما دخل الحصرات الأسماء أولاً وجد الله تعالى قبل كل شيء فكان صدِّيقي المشرب والطريقة في قوله: «**ما رأيت شيئًا إلا رأيت الله قبله**»[1], ووجده أظهر أن كل ظاهر وبه ظهرت الظواهر.

فقال: أو يكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك، وأيضًا ما غاب حتى يستدل عليه وما بعد حتى تكون الآثار هي التي توصل إليه، وصاحب هذا المشهد يكون إبراهيمي المشرب في قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ**﴾ [الأنعام: 75]، فأخذه الحق جل سلطانه عنه وأشهده أنواره المنطوية في أصداف المكونات, فكانت سير اجتبائية وهو يسر هذه الطائفة.

**النتيجة الثالثة:** عدم الاحتجاب بالخلق عن الحق جل سلطانه؛ لأنه لا يرى مشكاة الأكوان من حيث هي، بل يراها من حيث ظهور مصباح مقتضيات الأسماء الإلهية فيها فيصير من الذين أحسنوا كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً** ﴾ [الكهف: 7].

وهؤلاء لما لم يحتجبوا بالمحسوسات عن ربها جل جلاله لم يشاهدوا الأشياء زينة حتى يفتتنوا بها، بل شاهدوها من حيث كونها مرايا لظهور آثار الربوبية فيها فأعانتهم المكونات على الوصول إلى الله تعالى ولم تعقهم وهكذا ينبغي للحكماء الأولياء الراسخين في العلم أن يصلوا بما انفصل غيرهم ﴿**وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ**﴾ [البقرة: 247].

(1) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (74/4), وذكره القرطبي في التفسير (231/17) بنحوه.

وفي كل نتيجة من هذه النتائج يباده بحضرات ويكاشفه بشوارق بينات، ويطالع بعجائب الكشوفات ويفهم عن الله تعالى المرادات، ويعلم من القرآن الظهر والبطن والحد والمطلع، فأما ظهره فالتفسير، وأما بطنه فالتأويل والتفسير، وأما حده فما تجاذبته أطراف التأويل والتفسير، وأما مطلعه فما تجرد للحقائق الطامة التي تأخذ بلب العالم الراسخ وتخطفه عن حضيضه الأوهد وترقيه لأوج المشاهدات وتناغيه بأسرارها الجنايا والمخبات، هذا آخر المشهد الأول ونتائجه.

**المشهد الثاني:** أن دخوله للحضرات الأسمائية يعطيه كيفية اتصال كل شريعة من الشرائع المتقدمة بالبحر المحمدي اتصال الأصابع بالكف، ويعلم كيف اتصلت به مع أنها ظهرت قبل ظهوره في العالم المتعارف، وتأخر ظهور جسمه المحمدي، وينتج له هذا المشهد مدارك:

**المدرك الأول:** كيفية اتصال المذاهب المتبوعة والمندرسة بالحضرة المحمدية، وأنها غير خارجة عنها وينتج له الدخول لهذه الحضرة القول بأن كل مجتهد في الفروع مصيب فلا يقدر على تخطئة واحد منهم، وإن لم يعثر على دليله، أو وجهه؛ لأنه يعلم أن الكل متصل بالبحر علم كيفية اتصاله أم جعلها، وإن كان الداخل لهذه الحضرات لا يعذر في عدم العثور على وجه الدليل من حيث الحقائق؛ لأنه يجد كل جزئية من جزئيات العالم متصلة بحقيقة اسم من الأسماء، فهب أنه وجد لجزئية وجهًا في التخطئة إلا أنه يجد لها وجوهًا في باب التصوبة؛ وإن كان يصرح بذلك أحيانًا، وبدلاً بحسب المصالح المرسلة.

فإن كانت التصوبة تؤدي ظاهرًا للخرم في سور من أسوار الشريعة أوجب الإحجام عن هذا البيان ولقوله ρ: «**إن من البيان لسحرًا**»[1] التفات لهذا المعنى؛ لأن من السحر ما هو حرام، فكذلك بعض البيان قد يكون حرامًا، وإن كان بيانًا وإن كانت التصوبة لا تؤدي إلى خرم سور من الأسوار الإلهية، فلا على المفتوح عليه أن يطلق عذبة اللسان في التبيان، ومن هذا قول الفاروق τ: «**لا تظن بكلمة صدرت من**

---

(1) رواه البخاري (1976/5), وأبو داود (302/4).

**المسلمين شرًّا وأنت تجد لها محامل في الخير»**[1] رواه أحمد في «الزهد».

**ومن هاهنا قال إمام الحرمين:** الغلط في إدخال ألف كافر في الإسلام بشبهة أولى من إخراج مسلم من الإسلام بشبهة، ولو قال الغلط في إدخال ألف كافر في الإسلام بشبهة أولى من إخراج مسلم من الإسلام بألف شبهة لكان أبلغ ويشهد له **«ادرءوا الحدود بالشبهات»**[2].

وقوله υ لسيدنا ماعز لما أقر بالوقاع أبك جنون، أهَل لمست، أهَل قبلت، أهَل غمزت، وكل ذلك يقول رضي الله تعالى عنه واقعت، بل ورد ما هو أدق من هذا وأخصْ وهو قوله υ: **«أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم»**[3].

ومن أصرح الدلائل في الباب قضية الإفك فلا يخفى أن ظاهرها في غاية الشؤم والتهويل ومع ذلك قال الله العظيم: ﴿**لاَ تَحْسَبُوهُ شَراً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾ [النور:11].

فانظر كيف فك تعالى الجهات, فلما نظروا هم لنظروهم، وأنهم قد تخلو حركة من الحركات الكونية عن الحكمة، وإلا لو نظروا لهذا النظر لما تفجع الناس منه بالكلية، ولكن لما نظروا هم لهذا النظر، نظر العالم بالخفيَّات لهذا النظر الآخر، وهو أن المسألة هب أن لها وجوهًا في الخطأ, فلها وجوه أعظم منها في باب التصوبة, فافهم.

فالبساط هنا طويل، ولكن الإسهاب ممل، وبذلك يتضح عندك وجه أن تخطئه أحد من المذاهب لا تصح على أن المصيب واحد, وذلك اتفاق على أنه غير معين ولا على أن كل مجتهد مصيب, وهو واضح ضرورة أن مجموع الشريعة المطهرة, هو ما اشتملت عليه المذاهب لا ما وصل إليه علم المذهب واحد وهو قدر لا يتنازع فيه.

**المدرك الثاني:** يعلم كيفية اتصال الطرق الموصلة إليه تعالى وأن كل واحد من

---

(1) لم أقف عليه.

(2) رواه أبو نعيم في الحلية (10/9), والبيهقي في الكبرى (31/8).

(3) رواه أبو داود (133/4), والنسائي في الكبرى (310/4).

الطرق له الحظ الأوفر من الله تعالى ومن رسوله والطرق إلى الله تعالى، كما قال الشيخ الأكبر: على عدد أنفاس الخلائق، وقال أيضًا: ما تجلى الله لولي بما تجلى به للآخر, انتهى، أي: للوسع الإلهي ﴿**وَلِلَّهِ المَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ إِنَّ اللهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة:115], فقبلة البشر الكعبة، وقبلة أهل السماء البيت المعمور، وقبله الكروبيين الكرسي، وقبلة حملة العرش العرش، ومطلوب الكل وجه الله جل جلاله، كما أن لكل فريق تصوفًا، فللمحدثين تصوف قام به ابن العربي في سراجه، وللفقهاء تصوف رامه ابن الحاج في مدخله، وللعابدين تصوف أدرجه صاحب «منهاج العابدين» في منهاجه، وللنساك تصوف ادخله القشيري في «رسالته»، والإمام أبو حامد، وللعارفين تصوف نبه عليه صاحب «القوت»، وللحكماء تصوف شرحه ابن العربي الحاتمي في كتبه، وللمنطقيين تصوف عضده ابن سبعين في كتبه، وللطبيعيين تصوف أقامه العارف البوني في كتبه، وللأصوليين تصوف نصره الشاذلي في كتبه؛ فليعرف العاقل مناط هذه الطوائف، ثم ليعتبر كلاً بأصله وليزن على أهل كل تصوف لتصوفهم، وإلا كان الإنسان أحق بالرد ونسبة العجز وما دامت هذه فرق العلم موجودة في الأرض، والتصوف المناسب لكل منها موجود أيضًا، وإذا لم يشهد الإنسان هذه المشاهد بأن لم تظهر أثراتها عليه علمنا أنه لم يدخل الحضرات الأسمائية إلى الآن وما دام لم يدخل لها لم يصلح لتربية الخلق، وما لم يصلح حتى لم يكن له مربٍّ يربيه.

وفي ترجمة سيدي داود بن باخلا من «الطبقات» أنه كان يقول: سيرك قدمًا واحدًا على أثر قدم عارف أحسن من مائة ألف فرسخ تسيرها بهواك, انتهى.

وصدق أن التفت لما قدمناه آنفًا من علامات المربي ولنقتصر على هذين المدركين لئلا يتسع المجال.

**المشهد الثالث:** مما ينتجه الدخول للحضرات الأسمائية أولاً: أن الإيمان الذي هو التصديق أي: إزعان النفس وقبولها بما يجب قبوله يكون أولاً عنده تقليديًا، ثم إذا غامرته أنوار حضرات الأسماء، والصفات يصير تقليدي الإيمان تحقيقًا، ثم التحقيقي

يصير استدلاليًّا، وذلك الاستدلالي يصير ذوقيًّا، وذلك الذوقي يصير كشفيًّا واقفًا على حد العلم، أو الغيب أو غيبًا غير واقف عليه، وذلك الغيبي إما مشاهدة، أو شهود، والأول هو الاعتقاد الجازم المطابق الممتنع الزوال الثابت بالوجدان، والثلاثة مراتب الإيمان بالغيب، والأخيران أن علم اليقين، والرابع هو المشاهدة الروحانية ويسمى علم اليقين، والخامس هو الشهود الحقاني عند تجلي الوحدة الذاتية ويسمى حق اليقين وينتج له هذا المشهد مواقف:

**الموقف الأول:** يجد أن للإيمان وجودًا غيبيًّا، ووجودًا ذهنيًّا ووجودًا لفظيًّا.

**أما الأول:** فهو ما أشار إليه الشيخ الكبير أبو عبد الله الشيرازي في معتقده من أنه نور يقذف في القلب من نور الذات، ومعناه أن أصله نور يقذفه الحق من ملكوته إلى قلوب عباده فيباشر أسرارهم، وهو متصل بالحضرة ثابت في قلوبهم، فإذا انكشف جمال الحق له ازداد ذلك النور, فيتقوى إلى أن ينبسط وينشرح الصدر ويطلع العبد على حقائق الأشياء، ويتجلى له الغيب، وغيب الغيب، ويظهر له صدق الأنبياء وينبعث من قلبه داعية الاتباع فينضاف إلى نور معرفته أنوار الأعمال والأخلاق ﴿**نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ**﴾ [النور:35], وذلك القذف والكشف يتعلق بمراد الله في أحايين نسيم الصفات لا يقدر على كسبه نعم شرائطه مكتسبة.

**وأما الوجود الذهني:** فملاحظة ذلك النور ومطالعته بالتصديق.

**وأما الوجود اللفظي:** فهو الشهادتان.

**الموقف الثاني:** يرقيه ذلك المشهد للتخلق بشعب الإيمان فضلاً عن معرفة أسمائهم، ثم يتطلب هل للإيمان شعب وما أسماؤها، ثم يتطلب هل للإحسان شعب كما للإسلام وما أسماؤها، ثم ينظر هل للإيقان شعب كما للإحسان وما أسماؤها.

فهذا آخر المشاهد وما ينتجونه على سبيل الإجمال وسبحان واهب الإكمال والإفضال ولا يعذر المنتصب لإعطاء الأوراد من أن يكون هكذا.

**الفَذلكة الثالثة:** وهي أن الوصل الثالث الذي حصرنا الكلام معه فيه مما يرجع للجناب المحمدي الذي لا يعذر مؤمن في معرفتها فأحرى من يعطي الأوراد لا شك أن

الحضرة المحمدية طلسمت عليها العناية الإلهية بطلسم الغيرة والتطلسم, فلا يتطلع على شيء من كمالاتها إلا بالمرور على أبوابها الموصلة إليها, وخصوصًا أعاظم أبوابها الذين هم بضعة منها يؤذيه ε ما يؤذيهم ويبسطه ما يبسطهم، وإذايتهم إذايته له وإذايته إذاية لله Y.

أخرج أحمد والمحاملي والمخلص والذهبي وغيرهم عن عائشة قالت: «**قال رسول الله** ε**: قال جبريل: قلبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم**»[1].

وأخرج أحمد ومسلم عن جابر رفعه: «**الناس تبع لقريش في الخير والشر**»[2].

وأخرج الحسن بن سفيان وأبو نعيم أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال:

«**أعطيت قريش ما لم يعط الناس أعطوا ما أمطرت السماء، وما جرت به الأنهار، وما سالت به السيول**»[3].

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد»، والحاكم، والبيهقي عن أم هانئ أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «**فضل الله قريشًا بسبع خصال لم يعطها أحد قبلهم ولا يعطاها أحد بعدهم، فضل الله قريشًا أني معهم وأن النبوة فيهم**»[4]، زاد في رواية للطبراني: «**فضلهم بأن فيهم النبوة والخلافة والحجابة والسقاية...** إلخ»[5] الحديث.

وأخرج الطبراني عن ابن عمر: آخر ما تكلم به- النبي صلى الله تعالى عليه وسلم- «**اخلفوني في أهل بيتي**»[6].

وأخرج الحاكم عن أبي هريرة رفعه: «**خيركم، خيركم لأهلي من بعدي**»[7], ومفهومه ظاهر.

---

(1) رواه ابن أبي عاصم في السنة (632/2), والديلمي في الفردوس (187/3).

(2) رواه أحمد (331/3), وابن حبان في الصحيح (158/14).

(3) رواه نعيم بن حماد في الفتن (395/1), وذكره ابن جحر في الإصابة (116/2).

(4) رواه الحاكم في المستدرك (60/4), والطبراني في الكبير (409/24).

(5) رواه الطبراني في الكبير (409/24).

(6) رواه الطبراني في الأوسط (157/4).

(7) رواه ابن أبي عاصم في السنة (616/2), والحاكم في المستدرك (352/3).

وأخرج ابن عساكر عن سيدنا علي رفعه: «**من آذى شعرة مني فقد آذاني, ومن آذاني فقد آذى الله**»[1].

وأخرج ابن عدي والديلمي عن سيدنا علي أن مولانا رسول الله ρ قال: «**أثبتكم على الصراط أشدكم حبًّا لأهل بيتي ولأصحابي**»[2].

وأخرج الترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم أن مولانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «**أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم**»[3].

وأخرج الشافعي وأحمد -رضي الله تعالى عنهما- عن عبد الله بن حنطب قال: خطبنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الجمعة؛ فقال: «**أيها الناس قدموا قريشًا، ولا تقدموها وتعلموا منها ولا تعلموها**»[4].

وأخرج البيهقي عن جُبير بن مطعم أن النبي -صلى الله تعالى عليه وسلم- قال: «**يا أيها الناس! لا تتقدموا قريشًا، فتهلكوا ولا تخلفوا عنها فتضلوا، ولا تعلموها، وتعلموا منها؛ فإنهم اعلم منكم لولا أن تنظر قريش لأخبرتها بما لها عند ربها**»[5].

وأخرج البخاري عن معاوية أن النبي -صلى الله تعالى عليه وسلم- قال: «**إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا أكبه الله على وجهه في النار**»[6].

وأخرج الطبراني عن ابن عباس أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «**أمان لأهل الأرض من الغرق القوس، وأمان لأهل الأرض من الاختلاف الماوردي لقريش، قريش أهل الله فإذا خالفتها قبيلة من العرب صاروا حزب إبليس**»[7].

---

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (18/6) بنحوه.

(2) رواه ابن عدي في الكامل (302/6).

(3) تقدم تخريجه.

(4) تقدم تخريجه.

(5) رواه ابن أبي عاصم في السنة (637/2), وأبو نعيم في الحلية (64/9).

(6) رواه البخاري (2611/6), والنسائي في الكبرى (228/5).

(7) رواه الطبراني في الكبير (196/11).

والقوس هو المسمى بقوس قزح سمى به؛ لأنه أول ما رؤى في الجاهلية على قزح جبل بالمزدلفة أو لأن قزح هو الشيطان، ومن ثم قال سيدنا علي: «**لا تقل قوس قزح، قزح هو الشيطان ولكنها قوس الله تعالى**»[1]، ففي هذا الحديث الكريم تصريح, فإن الاختلاف الواقع في الأرض سيئة عدم موالاة قريش الموالاة الخاصة بهم اللائقة ببضعتيهم من مولانا رسول الله -صلى الله تعالى عليه وسلم- فلو والاهم الناس موالاة لائقة, فعلى مكانتهم لم يقع اختلاف في الأرض, ولكن قال: «**إن من خالف أهل البيت فهو من حزب إبليس**»[2].

هذا فيمن خالفهم في شعارهم وعلمهم ومعرفتهم وسيرتهم، وأما من سبهم وأعان عليهم وهاجاهم فحسبه أنه آذى الله جلَّ جلاله بواسطة السريان، ومن الخصائص المحمدية أن سابه يُقتل ولو تاب.

رأى بعضهم الحوراء الآدمية مولاتنا فاطمة الزهراء في النوم، وهي تنشده:

**حَاشَ بنِي فاطمةٍ كلهمْ مِن خِسَّةٍ فِي العَرْضِ أوْ مِنْ خَنَا**
**وَإنمَا الأيامُ فِي غَدْرِهَا وفِعْلِهَا السوءَ أَسَاءَت لَنَا**
**إذَا سَبَبْتَ مِنْ آلِ واحدًا فَجْعَلَ كلَّ السبِّ عَمْدًا لنَا**

قال المناوي في «الطبقات»[3]: أخرج بعض الظلمة بعض آل البيت من زاويته, فأنشده فنشد في النوم:

**يَا بَنِي الزَّهْرَاءِ وَالنّورِ الّذِي ظَنَّ مُوسَى أنّهُ نَارٌ قَبَسْ**
**لاَ أَوَالِي الدَّهْرَ مَنْ عَادَاكُمُوا إنّهُ آخِرُ سَطْرٍ فِي عَبَسْ**

**قال المناوي:** بحثا عن البيتين في جميع الدواوين فلم يوجدا وأحسبهما من الحضر الإلهية.

وأخرج أحمد والترمذي والحاكم عن سعيد أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم,

(1) رواه الديلمي في الفردوس (50/5), وأبو نعيم في الحلية (309/2).
(2) رواه الديلمي في الفردوس (224/3) بنحوه.
(3) في ترجمة يحيى بن محمد الشرف المناوي (734).

قال: «**من يرد هوان قريش أهانه الله**»[1].

قال في «الصواعق»: وصح أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم, قال: «**لا يبغضنا أهل البيت أحدٌ إلا أدخله الله النار**»[2].

وأخرج أحمد مرفوعًا: «**من أبغض أهل البيت فهو منافق**»[3].

وأخرج هو والترمذي عن جابر: «**ما كُنّا نعرف المنافقين إلا ببغضهم عليًّا**»[4].

وأخرج الدارقطني: أن عليًّا يوم عاشوراء احتج على أهلها فقال لهم:

«**أنشدكم بالله هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله** صلى الله تعالى عليه وسلم **في الرحم مني ومن جعله رسول الله** صلى الله تعالى عليه وسلم **نفسه وأبناءه أبناءه، ونساؤه نساؤه غيري، قالوا: اللهم لا**»، الحديث يشير لآية: ﴿**فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللهِ عَلَى الكَاذِبِينَ**﴾ [آل عمران:61].

**قال في الكشاف:** لا دليل أعلى من هذا على فضل أصحاب الكساء وهم علي، وفاطمة، والحسنان؛ لأنها لما نزلت دعاهم صلى الله تعالى عليه وسلم فاحتضن الحسين وأخذ بيد الحسن ومشت فاطمة خلفه وعلي خلفهما فعلم أنهم المراد من الآية، وأن أولاد فاطمة وذريتهم يسمون أبناءه وينسبون إليه نسبة صحيحة في الدنيا والآخرة انتهى.

ويدلك لذلك دلائل ومنها ما أخرجه الطبراني: «**إن الله تعالى جعل ذرية كل نبي في صلبه وأن الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب**»[5].

وأخرج الملأ في سيرته: «**في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون**

---

(1) رواه الترمذي (714/5), وأحمد (171/1).

(2) رواه الحاكم في المستدرك (162/3).

(3) رواه أحمد في فضائل الصحابة (661/2), وابن عدي في الكامل (140/4).

(4) رواه الطبراني في الأوسط (328/2).

(5) رواه الديلمي في الفردوس (172/1), وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (172/9).

**عن هذا الدين تحريف الضالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ألا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله عز وجل فانظروا من توفدون»**[1].

وفي الحديث أيضًا كما في «الصواعق»: «**الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت**»[2].

قال في «الصواعق»: فإذا ثبت هذا العموم لقريش فأهل البيت أولى منهم بذلك؛ لأنهم امتازوا عنهم بخصوصيات لا يشاركهم فيها بقية قريش.

قال في «الصواعق»: وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة، كما أن الكتاب العزيز كذلك؛ ولذا كانوا أمانًا لأهل الأرض.

وفي رواية حسنة: «**إلا إن عَيْبَتِي وَكَرْشي أهل بيتي والأنصار؛ فأقبلوا من محسنهم وتجاوزا عن مسيئهم**»[3].

والمراد بالعيبة والكرش أنهم موضع سره وأمانته ومعادن نفائس معارفه وحضرته إذ كل من العيبة والكرش مستودع لما يخفى مما به القوام والصلاح، ومن هنا عوضهم الله الملك الخفي فلا تكاد تجد القطب الحامل لأعباء الخلافة إلا من ضآضئ النبوة وخادمًا لهم أو سادنًا من سدنتهم, بل عدَّ قوم من أهل الكشف من أغاليط القوم قولهم :أن القطبانية توجد في غير أهل البيت لما أن حملها ثقيل لا تتحمله إلا النطف النبوية والاستعدادات الهاشمية.

وقال في رواية صحيحة: «**إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن تبعتموهما وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي** »[4].

---

(1) رواه العقيلي في الضعفاء (256/4) بنحوه.

(2) رواه أحمد في فضائل الصحابة (654/2) .

(3) رواه البخاري (1383/3), ومسلم (1949/4).

(4) رواه الحاكم في المستدرك (118/3).

زاد الطبراني: «**إني سألت ذلك لهما فلا تقدموها فتهلكوا لولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم**»[1]، وفي رواية: «**كتاب الله وسنتي**»[2].

قال في «الصواعق»: ويستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة إلى قيام الساعة, وأن لحديث التمسك بذلك طرقًا كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابيًّا.

وأخرج الطبراني وأبو الشيخ: «**إن لله Y ثلاث حرمات فمن حفظهن حفظ الله دينه ودنياه، ومن لم يحفظهن لم يحفظ الله دنياه ولا آخرته، قلت: ما هي؟ قال: حرمة الإسلام وحرمتي وحرمة رحمي**»[3].

وأخرج ابن سعد والملا في سيرته أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**استوصوا بأهل بيتي خيرًا فإني أخاصمكم عنهم غدًا ومن أكن خِصْمَه أَخصمه ومن أخصمه دخل النار**»[4].

فهذا آخر الكلام في هذا الموطن وآخر الوصول الثلاثة التي ذكرناها في نقض فصول المعترض، واستبان من جميع ما تقدم أن التربية لا تنقطع من معمور الأرض وأهل الدوائر والعدد لا ينقطعون ولا ينقصون، والقول بانقطاع التربية جهل مزاح لا يحتمل التأويل، وهو قدح في العقائد؛ لما أن إخباراته عن الشارع فحكمه حكم الأمور السمعية التي لا تتلقى إلا عن الشارع، فمعارضة هذا الموطن معارضة للشارع.

واتضح مما تقدم أيضًا أن مطلق التربية من الأموات لا تصح، اللهم لمن حصل الشروط الخمسة التي قدمناها فتصح له الاجتماعات بأرواح الأكابر متى شاء، فإن من حصلها وثبتت المناسبة بينه وبين أرواح الكُمَّل الماضين اجتمع معهم متى شاء، والأصول الخمسة هي كلية الاشتراك في الذات، أو في صفة فصاعدًا، أو في الأفعال، أو في حال، أو في المراتب، وكل ما يتعلق من المناسبة بين شيئين، أو أشياء لا يخرج

---

(1) رواه الطبراني في الكبير (66/3).

(2) رواه الدارقطني في السنن (245/4), والحاكم في المستدرك (172/1).

(3) رواه الطبراني في الأوسط (72/1), وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (88/1).

(4) لم أقف عليه.

عن هذه الخمسة وبحسب قوته على ما به الاختلاف وضعفه يكثر الاجتماع ويقل، وقد يقوى على ضده فتقوى المحبة بحيث يكاد الشخصان لا يفترقان، وقد يكون بالعكس وعلى من حصَّل هذه الأمور يحمل ما وقع في كتب القوم من انتفاع الأحياء بالأموات، واستفاضاتهم من أرواحهم، وعليه يحمل أيضًا ما نقل عن جمع من الأكابر أنهم قالوا: أن الله تعالى جعلهم يمدون أحياء وأمواتًا وممن نقل عنهم ذلك سيدي أحمد بن عبد الله معن الأندلسي فإنه قال: إن الله جعلني أمد حيًّا وميتًا.

وأما ما ذكره أهل التراجم من أن جماعة من أولياء لم ينقطع تصرفهم من الكون وإن انتقلوا للبرزخ، ومنهم سيدي أبو يعزى، ومولانا عبد السلام بن مشيش، وأبو العباس السبتي، والشيخ عبد القادر الكيلاني، والشيخ معروف الكرخي، والشيخ حياة بن قيس الحراني، والشيخ عقيل المنبجي، وذكر ذلك ابن باديس في السينية، فهذا على الحقيقة ليس من التربية في شيء وإنما هو تصريف من حيث قضاء مأرب من استجداهم واستنجد بهم وليس هو التربية التي الكلام فيها، ومن أراد جعل التصريف هو التربية, فقد خلط المقامات مع بُعد المناسبة بينهما.

**وفي «ابتهاج القلوب» ما نصه:**

وقد ثبت عن الشيخ المجذوب أنه قال: تنقطع زريعة هذا الفقر من المغرب إلا ما كان مني، ثم نقل عن والده أنه أوله أن له تصرف الأحياء, كما نقل عن الأكابر, وعليه أيضًا يحمل قول الشيخ زروق ووافقه شيخه الشيخ عقبة الحضرمي من أن مدد الميت أقوى من مدد الحي، يعني من حيث أن البشرية التي هي أعظم حجاب زادت وتواترت على هذا المستفيض سماع كمالات هذا الميت ومآثره ومناقبه فيمتلئ القلب بالتعظيم، وذلك أول حصول على الخمسة الأصول المتقدمة، ثم إذا تخلق بها قوي على الانجذاب والاستفاضات, وإلا فقد قال ابن معطي: والحي قد يغلب ألف ميت، أي: من حيث أن التهذيب والترييض والتأديب والسير في معارج الكمال الروحي إلى أن يحصل الإنسان حظه من الولاية الكبرى لا يمكن أن تحصل في الجملة إلا بواسطة الرابطة الجنسية, وهي المراد من الحي وإن كان يقع هذا من الأموات أيضًا, ولكن

نادرًا والله عليم حكيم.

**خاتمة:** وهي تشتمل على مطلبين:

**المطلب الأول:** من الأكابر من يربي بعد موته وهذا المعنى له التفات لمعنى الرابطة التي بنيت عليها الطريق وهي استحضار مشكاة الشيخ الكامل المربي المرقي؛ ليستمد من فيضان روحانيته وأنواره واستحضار الرابطة أشد تأثيرًا من الذكر في حصول الجذبة الإلهية، وترقي السالك إلى معارج الكمال وهي من لوازم طريقة الاجتباء التي هي طريقتنا هذه الكتانية، فإذا توجه الشيخ بمغناطيسية سره إلى قلب هذا التلميذ سرت الأمداد من شرايينه وعضلاته وغضارفيه وشعره وبشره إليه ممتلئ بالأنوار والأحوال وأثرات الجذبة, ويقوى باعثه على الإقبال على الله تعالى وتعزب نفسه عن الأكوان وملاذها الجسمية ويمتلئ بأثرات ذلك الالتفات حتى أن الخَلوة الأزمان الطوال لا تفعل فيه ما يفعله فيه التفات روحانية الشيخ، ومن لم يجرب ولم يشاهد لم يعلم.

**لَا يَعْـرِفُ الشـوقَ إلاّ مَـنْ يُكَابِـدُهُ ولَا الصـبابة إلّا مَـنْ يعانيهَـا**

وهذا الافتات من روحانية الأكابر لهذا المريد هو إحدى وجوه التعليم والإرشاد ، كما علم عندنا في الطائفة؛ لأن سريان الأمداد قد يكون بالمجاهدة، والكد، والتربيض، وقد يكون بالانكفاف عن المعاصي وإجماع النفس على عدم الالتفات للقواطع كما استفاض من قضية، إذا اعتقدت النفوس على ترك الآثام جالت في الملكوت، وعادت إلى صاحبها بطرائف الحكمة من غير أن يؤدي إليها عالم علمًا على أن هذا الانكفاف عن المعاصي هو من أثرات توجهات الهمم، وقد يكون بنظره بالبصر، وقد يكون بإعطاء قلم لهذا المريد فبمجرد أخذه تنبعث فيه الفتوحات والإمداد، وقد يكون التعليم والإمداد بإلباس خرقة، أو عمامة، أو تناول سبحه، وقد يكون المدد بواسطة تبسم في وجه المريد، وقد يكون المدد بواسطة مجة يمجها في وجهه كما وقع للصحابي الجليل مع حضرة النبوة، وقد يكون المدد بالإغلاظ على المريد وتهجين أحواله إما خلوة أو يفي الملأ، وقد يكون المدد بتقديم ذلك المريد للصلاة، وقد يكون بوضع اليد على كاهله أو صدره، وقد يكون بإجلاسه في موضعه, وقد يكون بتناول

شيء من المأكولات، أو المشمومات، أو المركوبات وقد يكون بالدعوات الصوالح التي تخرق الحجب، وقد يكون باستخدام شاق، وجُل هذه الطرق في إيصال الأمداد شاهدناها من محيي رسوم الطريق بعد عفاء آثارها وخبو أنوارها مولانا الوالد.

وقولنا: «جُل»، ولم نقل وكل هذه الطرق؛ لعدم اتفاق بعضها إلا لعدم وجدانها فيه فعطافته رضي الله تعالى عنه كفيلة بما هو أعظم من ذلك, وهو إكسير السعادات والله على ما نقول وكيل.

وقد تكون في المريد علاقات يتوقف انبساط أشعة الأمداد من مشكاة الشيخ الكامل إليه على إزاحة تلك الموانع.

وحسبنا برهانًا على إثبات أصل هذه الرابطة شرعًا ما ذكره المفسرون والمحدثون وأهل المذاهب والصوفية.

**أما المفسرون:** فجماهيرهم ومنهم صاحب الكشاف على ما فيه من الانحراف عند قوله تعالى: ﴿**لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ**﴾ [يوسف:24]: أن البرهان هو أن يوسف υ سمع صوتًا إياك وإياها فلم يكترث له, فسمع ثانيًا فلم يعمل, فسمعه ثالثًا: أعرض عنها فلم ينجح فيه حتى مَثَل له يعقوب عاضًّا على أنملته، وقيل: ضرب بيده في صدره .. إلخ ما قال، وإن كان ذكر هذا في الجناب اليوسفي مما لا نرتضيه، إنما ذكرناه لأجل ما جُلب له.

وقال من الأئمة الحنفية الشيخ أكمل الدين في «شرح المشارق» في حديث: «**من رآني..**» إلخ الاجتماع بالشخص يقظة ومنامًا.

لحصول ما به الاتحاد وله خمسة أصول .. إلخ ما قدمناه عنه, ومن الحنفية أيضًا في شرح الأشباه أحمد بن محمد الشريف في كتابه نفحات القرب والاتصال بإثبات التصرف لأولياء الله تعالى والكرامة بعد الانتقال ما خلاصته أن الأولياء يظهرون في صور متعددة بحسب غلبة روحانيتهم على جسمانيتهم وحمل عليه بعض روايات الحديث الصحيح، حيث قال: «**ينادي: لكل باب من أبواب الجنة بعض أهل الجنة، فقال الصديق الأكبر رضي الله تعالى عنه هل يدخل أحد من تلك الأبواب كلها؟**

**قال: نعم وأرجو أن تكون منهم»**[1].

وقد قالوا: إن الروح الكلية تظهر في سبعين ألف صورة في الدنيا فكيف في البرزخ لما لها من الإطلاق تمد لا تنحجب ولا تتقيد ولا تتكشف.

من السادات الشافعية الإمام أبو حامد الغزالي في «الإحياء»؛ فقد قال في باب تفصيل ما ينبغي أن يحضر في القلب عند كل ركن من أركان الصلاة ما نصه: وأحضر في قلبك النبي ε وشخصه الكريم، وقل: السلام عليك أيها النبي وليصدق أملك في أنه يبلغه ويرد عليك ما هو أوفى منه.

ومنهم الإمام أحمد بن محيي الهيثمي في شرح العباب في بيان معاني كلمة التشهد ما نصه وخوطب صلى الله تعالى عليه وسلم كأنه إشارة إلى أنه تعالى يكشف له عن المصلين من أمته حتى يكون كالحاضر معهم ليشهد لهم بأفضل أعمالهم, وليكون تذكر حضوره سببًا لمزيد الخشوع، ثم أيده بما مر من الأحياء.

صرح الشهاب ابن حجر أواخر شرح الشمائل تبعًا للحافظ في «تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك» أنه حكى عن ابن عباس-رضي الله تعالى عنهما- أنه رأى الحضرة المحمدية في النوم فدخل على بعض أمهات المؤمنين, فأخرجت له مرآته صلى الله تعالى عليه وسلم فرأى صورته عليه الصلاة والسلام ولم ير صورة نفسه, انتهى.

وهذا هو الفناء في الرابطة في اصطلاح القوم، ولا مرية أن الوصول للحضرة المحمدية ليس بالسهل فبين المشاهد وبينه مهامه فتح تحاد فيها خطا العرفان.

ومن أبواب الحضرة المحمدية أرواح الكمل الواصلين إليه والمقربين منه المتصلين به اتصالاً معنويًا وحسيًا؛ فيكون عظم التعلق بهم وإناطة الروح بالاستمداد من مشكاة روحانيتهم من أبواب الوصول للحضرة المحمدية.

وقد صرح بعض السادات بأن الكينونة المأمور بها في قوله تعالى: ﴿**وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة:119], أما كينونة صورية بالأجسام، وإما كينونة معنوية وهي

(1) رواه البخاري (671/2), ومسلم (711/2) بنحوه.

المشار إليها بالرابطة عند القوم.

وفي الحاوي للأسيوطي في كتابه «المنجلي في تطور الولي» نقلاً عن السبكي الشافعي في «الطبقات الكبرى»[1] أن الكرامات على أنواع، ثم قال الثاني والعشرون: التطور بأطوار مختلفة وهو الذي يسميه الصوفية بعالم المثال وبنوا عليه تجسد الأرواح وظهورها في صور مختلفة من عالم المثال واستأنسوا له بقوله تعالى: ﴿**فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًا**﴾ [مريم:17]، ومنها قضية قضيب البان، وفي النفحات القدسية للشعراني في عد آداب الذكر ما نصه.

**السابع:** أن يخيل شخص شيخه بين عينيه وهو عندهم أكمل الآداب انتهى منه بحروفه، ومن هذا المعنى ما في المقصد ونصه.

وأما الذين أخذ عنهم الشيخ زروق تبركًا واستفادة فالشيخ أبو عبد الله بن رماح أخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد الأمين العطار دفين جبل زرهون، وهو كما قال الشيخ في كناشه: لا شيخ له إلا النسب للشيخ عبد القادر والشيخ أبي يعز ى غيبًا ونوى أن كل نافلة يعلمها فهي لهما فرآهما منامًا ونال المراد من قبلها, انتهى.

على أن هذا قد لا يسع أحد إنكاره, فإن كل من دخل لزيادة ولي من الأولياء, فإنه يستحضر روحانيته العظمى إن كان من العقلاء، وأما إن كان عاميًّا, فيستحضر مطلق جلاله ذلك المزور وحالتها مع الله تعالى ورسوله, ومنها يستدر المدد ويستفيضه وليست الرابطة عندنا إلا هذه.

**فإن قلت**: قد يقع التلبيس للمريد فربما يخيل إليه صورة الشيخ وليست هي؟.

**قلت:** صرح العلامة السفيري الحلبي من السادات الشافعية في شرح البخاري [2] عند قوله: «**ثم حبب إليه الخلاء**» أن الشيطان كما لا يقدر أن يتمثل بصورة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ، لا يقدر أن يتمثل بصورة الولي الكامل أيضًا بشرط ذكره,

---

(1)

(2) طبع من قريب في دار الكتب العلمية.

انتهى.

**وقد ذكر السيد الجرجاني في أوائل حواشيه على شرح المطالع**: أنه يصح أخذ الفيوضات من الأولياء للمريدين ولو بعد الموت, انتهى.

وفي «سلوة المحبين والمريدين في مناقب سيدي محمد بن الفتين» أحد الأفراد ما نصه: وكان الشيخ يقول: «والله لأنفع صاحبي وأنا ميت أكثر ميت أكثر مما أنفعه وأنا حي», انتهى.

**وفي عهود المشايخ ما نصه:** واعلم أن من الأولياء الأكابر من يعطيه الله التصريف في قبره والقدرة على إرشاد الخلائق ونصحهم كالأحياء سواء.

**وقد أخبرني شيخي سيدي محمد الشناوي:**

إن الله تعالى أعطى سيدي أحمد البدوي أن كل عاصٍ دخل مقامه تاب وكل شارب خمر سكر في مولده تاب، ثم قال لي: وإن شككت فامتحن من رأيته يفعل ذلك، فإن لم يجده تاب بعد مدة مديدة: ما أنا محمد، فقلت: يا سيدي أنا مؤمن بأعظم من ذلك، فقال: الحمد لله رب العالمين, انتهى، منها باللفظ.

وما رأيت نصًا صرح بلفظ التربية في القبر مثل هذا، ومثل نقل آخر، وأما الأنقال الأُخَر كلها دائرة على إثبات التصريف وعدم انقطاع الانتفاع من روحانية ذلك الولي المزور لهذا الزائر.

**قال في المنن:** وممن بلغنا أنه يربي مريدة في البرزخ سيدي أحمد البدوي ولكن ذلك خاص بمريده الصادق الذي يسمع كلامه من القبر كسيدي وشيخي محمد الشنوي, فإني زرت معه سيدي أحمد البدوي فشاوره الشيخ محمد على سفره إلى مصر في حاجة, فقال له سيدي أحمد البدوي من القبر: سافر وتوكل على الله، هذا كلام سمعته أنا بأذني الظاهرة لفظه, انتهى.لفظه.

ولا يجمل بالرجل أن يحول بينه وبين أصحابه الخواص ذراع من تراب.

**ولا مرية أن رؤية أهل المشاهدة:** إما ببصر الظاهر, وإما ببصر البصيرة

والحال أن أولئك أهل المشاهدات قد فنوا واضمحلت حقائقهم في الجمال الأقدس تكسب رؤيتهم بمقتضى خيركم من إذا رأى ذكر الله.

**فائدة:** الذكر وصحبة أرواحهم بمقتضى هم جلساء الله تعالى تنتج صحبته المذكور فينبغي أن تحفظ روحانية الشيخ الكامل في الخيال وتوجه للقلب الصنوبري حتى تحصل الغيبة والفناء عن النفس، وإن وقفت عن الترقي فينبغي أن تجعل روحانية الشيخ على كتفك الأيمن وتفرض من كتفك إلى قلبك أمرًا ممتدًا، وتأتي بتلك الروحانية على ذلك الأمر الممتد وتجعله في قلبك فإنه يرجى لك بذلك حصول الغيبة والفناء.

وقد قال مثل هذا الشيخ خليل من السادات المالكية في الحاوي للحافظ كما رأيته في تأليف له في مناقب شيخه سيدي عبد الله المنوفي.

**وقال لسان القوم وحجة الصوفية ليث المعارك الكبرى الشيخ عبد القادر الكيلاني:** اللهم ارض عنه- من الحنابلة عن نقل صاحب «العوارف» في باب «آداب المريد» مع شيخه: أن للفقير رابطة قلبية مع الأولياء ويستفيد منهم بسبب تلك الرابطة باطنًا إلخ كلامه, فانظره.

وقال ابن القيم أيضًا منهم في كتاب «الروح»: إن للروح شأنًا مع البدن فتكون في الرفيق الأعلى, وهي متصلة ببدن الميت بحيث إذا سُلم على صاحبها رد السلام وهي في مكانها هنالك, انتهى. نقله الحافظ في كتابه المنجلي.

ويا ليت المعترض ارتكب هذا المسلك في الاستدلال على الاستفاضات من روحانية الأكابر ويا ليته آثر النقل في المسألة عن المفسرين والمحدثين وأهل المذاهب الأربع، وأهل الطريق، ولم يبن كلامه على المرائي المنامية، التي النصوص هنا أغنت عن ملاحظتها، وإن كانت لما كانت من أجزاء النبوة لا ينبغي أن تمهل بالكلية ومع ذلك قالوا: أنها لا تثبت بها الأحكام وأما الأدبيات, فلا بأس باعتضادها أو تثبت أمرًا ما إن كانت من الأكابر مع ضميمة أنها من أجزاء النبوة.

فالحاصل أن تربية الأكابر تحصل بعد موتهم لمن توفرت فيه الشروط وإن تصريف الأكابر منهم لا ينقطع وأنه كحياتهم، بل أكثر، وفرق بين التصريف والتربية.

**المطلب الثاني:** في تحقيق معنى الولاية وختمها: ولكن لم يكن بد من تقديم مقدمة تنبئ عما وراءها ليعلم أن المناصب التي تقتضيها السعادات الدينية كالنبوءة، والرسالة، والخلافة، والولاية، والقطابة، والغوثية العظمى وغيرها كلها مثبوتة أصالة في الحقيقة الأحمدية وهي بحسب النيابة لغيره من الأنبياء والرسل والأولياء, فقد يطلق على نوره الأعظم ذلك باعتبار الإجمال، ثم يطلق عليه ذلك في طينته العنصرية.

وقد انقضت كلمة أهل الله تعالى أن الحقيقة الأحمدية هي البرزخ الجامع بين الله تعالى وبين الخليفة وهي الخليفة العظمى عن حضرة الربوبية لم يبقِ مقتضى من مقتضيات الأسماء الإلهية إلا وألبس هذا اليرزخ الأعظم النور الأحمدي كساه وأفرغ عليه مقتضاه.

**ومعلوم:** عندنا أن كل اسم من أسمائه تعالى يقتضي حقيقة في العلم, فلكل اسم مظهر وهذه الحقيقة الأحمدية في عالم الأمر هي مظهر الاسم جمع الجوامع، كما أن الحقيقة المحمدية في عالم التفصيل هي مظهر الاسم الجامع أيضًا على ما فصلناه في الأسماء الجوامع صدر هذا الكتاب، ثم إن هذا النور الأحمدي الأعظم له حقيقتان حقيقة باطنة إجمالية أمرية قدسية وهي الحقيقة الأحمدية، وحقيقة شهادية تفصيلية ملكية جسمية وهي الحقيقة المحمدية, وهو بمقتضى حقيقته الباطنية يرى باطن العالم، وبمقتضى حقيقته الظاهرة يرى ظاهر العالم فله التربية المطلقة, ولعل ذلك الإشارة بقوله: [وخصصت بفاتحة الكتاب]؛ لأنها المصدرة بقوله: ﴿**الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ**﴾ [الفاتحة:2], فهو مجمع البحرين، ومظهر الاسمين، ونور العالمين, وروح جسد الكونين صلوات الله وسلامه عليه وله الخلافة والقطابة الكبرى والنبوة والرسالة والولاية التَّامَّات من الله تعالى.

ثم لما كان ينبغي أن تدوم هذه العناية لهذا البرزخ الأحمدي وتظهر في كل زمان بحسبه أبرز تعالى صور الأنبياء-عليهم السلام- في كل عصر ليظهروا الشرائع, فالخليفة واحد باعتبار صور الكثرات، ثم لما كان هذا النور الأعظم نبيًّا ولا آدم ولا ماء ولا طين؛ لأن نوره أصل الأنوار وتعينه أصل التعينات فنبئت روحه قبل الأرواح وبين الأرواح ونبوة غيره لم تتحقق إلا حين بعث فنبوة غير مظهر من مظاهر نبوته

ε، ثم لما كانت الولاية أيضًا أصالة لهذه الحقيقة الأحمدية، كما قدمناه كان هذا النور الأحمدي وليًّا وآدم بين الروح والجسد وولاية غيره بالتبع له.

واعلم أن الولاية على مراتب ولكل مرتبة منها ختم على ما يعطيه الكشف الصحيح والولاية عبارة عن الجهة الباطنة مع الحق تعالى، وذلك أن الولاية قسمان: قسم يقال له الولاية الوجودية, وهي شاملة لجميع المكونات، إذ لكل موجود مع ربه وجه يناجيه منه، ولهذه الولاية, قال جل جلاله: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ [الأعراف:156], فالله ولي الكل والكل ولي لله، وهذه الولاية لا تنقطع أبدًا ما دام المخلوق في الوجود.

وقسم: هو منصب من المناصب له الاختصاص بموجود دون موجود وهي فضل الله يؤتيه من يشاء، ثم هذه الولاية المنصبية أربعة أنواع:

**ولاية عامة:** محيطة بكل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله خالصًا من قلبه هي باطن هذا القول وهي الخلوص والطموح إلى المعبود مستفيضًا منه بسيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه.

**وولاية ثابتة:** لذاته المحمدية من حيث ذاته أي: حقيقته المحمدية من جهة القابلية المحضة، بحيث ينمحي عن القابلية أيضًا، ويبقى بحثًا ساذجًا لا يسعه فيه تعيين من التعيينات وإليه الإيماء بقوله لي وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وهذه الولاية هي باطن الحقيقة المحمدية وهي البحث الساذج.

**وولاية:** هي باطن النبوة من حيث هو نبي أي: تبليغ النواميس الشرعية المقصودة من البعث المخصوص، وصدقه لا يتوقف على ظاهر النبوة ولذلك صح ختمه على المهدي.

**وولاية:** هي باطن الرسالة من حيث هو رسول، ثم إن لكل ولاية من هذه الولايات المحمدية ختمًا، وختمها عبارة عن كمال ظهوره في شخص، بحيث لم يظهر بعده أصلاً ولا يقتضي هذا النفي ألا يظهر أصلاً، بل قد يظهر ولا يكون بذلك الظهور.

فكان الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر ابن العربي الحاتمي ختم الولاية الذاتية؛ ولذلك أطلق عذبة اللسان في إفشاء القول بوحدة الوجود, ولم يخش أحدًا من أهل الدوائر الكبرى، ولكن ظهور هذا النوع أيضًا وهو ختم الولاية الذاتية دائم في الأولياء المتشبثين بقطب العالم والمتوسلين به، وقد يكون عدم ظهور أثر الولاية الذاتية وعدم إفشائها في الأكابر ؛ لغلبة نسبة الولاية النبوية على الذاتية، بحيث تنطمس نجومها وأقمارها وأهلها تحت شمسها، وذلك عين المشي على الصراط المستقيم وكمال الأدب مع الحضرة النبوية، وكمال الورث النبوي وكل ميسر لما خلق له.

وبعد هب أن هذه الكمالات والمناصب كما قدمنا كلها مبثوثة في الحقيقة المحمدية، ومع ذلك كانت منغمرة تحت شمس النبوة؛ فلذلك لم يظهر على لسان الحقيقة المحمدية ذلك الشيوع بدون لثم، ولا ستور، ولما كانت النبوة والرسالة قد ختمت بالحقيقة المحمدية، كما دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع ومخالف ذلك مرتد وبقى من المناصب ما بقى من الخلافة والقطبانية والولاية والغوثية أراد الله تعالى أن يحظي هذه الأمة بحظ كمال الإرث النبوي؛ لأن العلماء بالله من هذه الأمة كأنبياء بني إسرائيل, فأول منصب ختم منصب الخلافة ختم بعلي كرم الله وجهه.

فإن قلت: ولأي نكتة قدم ختم الخلافة على ختم المناصب الباقية؟

**قلنا:** لأن في الخلافة معنى الرسالة كما نص الله سبحانه وتعالى عليه لداود υ:

﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً**﴾ [ص:26] أي: رسولاً فابتغى أن يكون ختمها فلو ختم الرسالة, ثم ختم الرسالة الذاتية أي: كمال إنشاء الوحدة الوجودية ظهر بكماله في الشيخ محيي الدين.

قال العارف بالله تعالى سالم بن أحمد شيخان باعلوي في رسالته المسماة بـ«شق الجيب في معرفة رجال الغيب»، قال: والختم هو واحد في كل زمان يختم الله به الولاية الخاصة وهو الشيخ الأكبر, انتهى. ونحوه تقدم عن صاحب «روح البيان» صورة سيدنا يوسف υ ونحوه في كتب السادات النقشبندية أجمع كلهم إذا أطلقوا الختم لا ينصرف عندهم إلى للحاتمي فصار علمًا بالغلبة وكتبه وآثاره بعده تدل عليه.

**إنَّ آثارنَـــا تَـــدُلُّ علينَـــا فـــانظرُوا بَعْـــدَنَا إلَـــى الآثَـــارِ**

ولم يطأ في الجملة موطئة غير وكيف يمكنهم وطؤه، وهم ينكرون عليه القول بإشاعة الوحدة الوجودية ولذلك أشار بقوله وصدق:

**بنَــــا خَــــتَم اللهُ الولايــــة فانتهــــتْ إلَينْــا فــلَا خَــتْمَ يكــونُ مــنْ بعــدِي**
**ومَــا فــازَ بــالوِرْثِ الــذِي لمحمــدٍ مــنْ أمتــهِ بــالعلمِ إلّا أنَــا وَحْــدِي**

وقد كان الحاتمي رأى رؤيا تدل على ذلك, فإنه رأى كأنه دخل بيتًا مبني بلبنات الفضة حتى لم يبق فيه إلا موضع لبنة فضية فيها، فأولت له بما ترجم في هذين البيتين، وإذا فهمت أنه ختم الولاية الذاتية وأنه حولها يدنون وإليها يشير لا يختلج بوهمك الاعتراض عليه إن فهمت معنى ما فصلناه وبيناه.

وبعد هذا لا تنفي ظهور هذه الختمية الحاتمية نفسها ممن يأتي بعده وإن كان ذلك الكعب في الجملة لا يبلغ، ولما ألبس منها حللاً الوفائي، قال: إنه الختم وشهد له بذلك ابنه كما قدمنا عن الطبقات، وقال: إن الأولياء من جنوده وهو يحكم ولا يحكمون عليه، ولما لم يجد سبيلاً صاحب الطبقات إلى عدم التلفيق بين كلام الأولياء، قال: لكل وقت ختم ولا يخافك أن هذا التفصيل الذي شرحناه يفزع إليه أكثر مما أشار إليه صاحب الطبقات على أنه آيل إليه أيضًا، ثم يختم ولاية النبوة سيدنا المهدي المنتظر.

اللهم قرب زمانه يا من كتب على نفسه الرحمة أن تم المقتضى، ثم ختميته رضي الله تعالى عنه لولاية النبوة لا تنفي أن يختمها غيره، إنما كمال ذلك لم يظهر إلا فيه، وكل من أشار من الأكابر للختمية يحمل كلامه على هذه الرتبة عدا ابن وفا, فإنه ظهر عليه أثر الولاية الذاتية فإلى ختمها يشير, وإن كان المشبه لا يقوى قوة المشبه به، وقد تطاول لهذه المرتبة أقوام رضي الله تعالى عنهم, فمنهم سيدي الحاج شعير دفين حومة القلقيين كان يشير لذلك، ونقله عنه في الصفوة والنشر وكذا غيرهم.

وقد كتب الشيخ محمد بن أحمد بن يونس المدعو عبد النبي القشاشي على هامش رسالة شق الحبيب المذكور آنفًا عند قوله: **[والختم وهو واحد في كل زمان]** ما قدمناه قال ما هو نصه على نقل صاحب «خلاصة الأثر في أهل القرن الحادي عشر» الذي يتحقق وجدانه أن الختمية الخاصة مرتبة الإلهية ينزل بها كل أحد حسب وقته وزمنه غير منقطعة الآباد إلا يبقى على وجه الأرض من يقول الله، الله لعدم خلو المراتب

الإلهية عن القائمين بها حتى يصير القائم بها كالصفر الحافظ لمرتبة الأعداد فيما قبله وبعده بأنفاسه تتم الصالحات وتقضي الحاجات وقد تحققنا بذلك حقًا ونزلناه منازلة وصدقًا.

وممن رأيته من مشايخي من أهل الختمية المذكورة سندًا متصلاً منهم إلينا من غير انقطاع بإذن الله تعالى خمسة أنفس ﴿**سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ**﴾ [الكهف:22] وربه, ثم قال بعدها عبد الجميع أحمد بن محمد المدني قال في «خلاصة الأثر» ومثله لا يتكلم بهذا الكلام إلا عن إذن إلهي ونفت روعي انتهى لفظه.

**وكلنا ذلك الرجل فنقول:** لا ينقطع هذا النوع من المراتب؛ لئلا يلزم خلوها وتعطلها، وقد يعطي الله سبحانه لعبد من عبيده ختمية أربع من هذه المراتب ختمية القطبية، والغوثية المحمدية، والولاية الذاتية، والولاية النبوية، وهو عزيز الوجود لا في عالم الظهور، ولا في عالم البطون وهو غريب من غرباء الله في الأرض والقشاش هذا هو الذي أطنب في ترجمته الرحالة في رحلته وحلاه بالقطب، والكوراني تلميذه فكان يغترف من بحره؛ فلذلك دق كلامه عن الأفهام ففوق أهل عصره إليه إلهام ورموه بالدواهي العظام، مع أنه أول قائل بما قالوا، ولو كشف لهم عن معني ما أشار إليه لكانوا أول قائل به أيضًا؛ لأن العقلاء ليس بينهم اختلاف إلا أنه لو سكت من لا يعلم لسقط الخلاف، ثم ختم ولاية الرسالة هو سيدنا عيسى υ، ثم تختم الولاية على خاتم الأولاد ويكون مولده بالصين ويسري العقم في الرجال والنساء، فإذا قبضه الله ومؤمني أهل زمانه بقي من بقي مثل البهائم لا يحلون حلالاً ولا يحرمون حرامًا يتصرفون بحكم الطبيعة شهوة مجردة عن العقل والشرع فعليهم تقوم الساعة.

**وبهذا تعلم:** أن لا منافاة بين كلام الشيخ الأكبر فمرة قال: إنه الختم، ومرة قال: إنه المهدي المنتظر، ومرة قال: إنه سيدنا عيسى υ، ومرة قال: إنه اجتمع معه بفاس بعرصة ابن حيون ووجد رجله مريضة وتحقق فيه في واقعة غيبية علامة الختمية, فأشار إليه لما اجتمع به أن اكتم، فهو اجتماع جسمي بضرورة ألف قرينة وإن ادعى مدعٍ أن ذاك روحانية شيخه, وإن كان بينهما أزيد من ستمائة سنة فلغيرهم من أهل

الطرق أن يقولوا أنه شيخهم أيضًا، إذا لم يمكن هناك وازع رحماني ومن ألجأنا لهذه المضايق العطن وعدم الفتح الموصل لرؤية الأشياء كما هي، وإلا لو كانت للإنسان المتكلم الأيدي الطوال في المعارف الإلهية والخوض في الأبحر المحمدية لعلم الأمور على ما هي عليه وأخبر بالصدق ولم يجازف في المراتب، ولم يغمض الحقوق ولم يسء الأدب مع أهل الدوائر الكبرى، وأهل الوقت على أن هذا العلم إنما يتلقى من أفواه أهل الدوائر الكبرى محل نظره تعالى من خلقه، وهذا المعترض لم يجتمع بمن يأخذ عنه حقائق الأمور حتى يعرفها، وهب أنه اجتمع لم تطل التربية، أو المجالسة بدليل هذه الأمور التي برزت، وكانت مخزونة، إنما وجدوا كلمات في أوراق, فقالوا: بها مع أن الكتاب والسنة المعصومين من الخطأ يدخلهما التأويل فضلاً عن كلام الأولياء، إن فرضنا أنه صدر منهم فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم, فحجروا لربوبية وحكموا بانقطاع فيضان المحمدية وأساءوا الظنون بأهل الله تعالى، وقطعوا حبل الود الذي عقدته العناية الإلهية بين عبيد الله، ومع هذا يعبرون عن هذا بالتربية ويقولون أن التربية انقطعت ولا شيء إلا شيئهم ﴿**وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾ [غافر: 44].

وقد اتضح الصبح لذي عينين وحقت الأمور بالأبين وعرفهم مراتب الأختام والسلام على جميع من يقف عليه من أهل لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والحمد لله على ذلك، وفي هذا القدر كفاية للمستهدي والمتطلع في أن لأرواح الأكابر التفاتات لمن قوي ارتباط روحهم بروحه في الممات والمحيا ﴿**وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى**﴾ [النمل:59]، ﴿**وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ**﴾ [يونس:10].

اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام، ويا حي يا قيوم بحق الجلالة المحمدية، وسبحان وجهك العظيم أفضى على هذه الطائفة الكتانية وعلى المتعلقين بأذيالها من الأمداد المحمدية والعواطف الامتنانية والفيضوات السبحانية والكمالات الإفضالية، ما تقوي علاقتهم بأبي الأنوار وتمدهم من توجهات حضرته المحمدية ما يصيروا مراكز الأسرار،

واجلب لهم من الخيرات الحسية والمعنوية ما لا يعلمه غيرك وادرأ عنهم من الشرور والآفات ما لا يحيط به إلا أنت، يا إلهنا وإله كل شيء وربنا ورب كل شيء، ويا إله البرايا كلها ويا مالك يوم الدين، ويا ذا الجلال والإكرام، وأوصل حبالها بحبال نبيك وأتمم أنوارها وأشدد أزرها و لُمَّ شعثها وأدم إقبالك عليها بوجهك الكريم، يا من يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء يا أرحم الراحمين يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين، آمين.

هنا كمل الاستطراد، وإنما أسهبنا في هذا البساط لمصالح اقتضاها الحال على أنه ليس من شأن العالم أن يتوخى فناء واحدًا ولا المؤلف أن يقتصر على علم واحد لما أنه يدل على ضعف العارضة في العلوم على إنا اشترطنا هذا أول الخبيئة, فإنا لا نلتزم نوعًا واحدًا من الفنون والله شكور حليم.

**ثم قال في الصلاة: [«الذي جعلت اسمه متحدًا باسمك ونعتك»]**, جعل لها معانٍ تستعمل بمعنى التصيير ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ**﴾ [الأعراف:27] أي: صيرناها، وقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلَنِي نَبِيًا**﴾ [مريم:30] أي: صيرني، وتكون بمعنى سمى، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلُوا المَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا**﴾ [الزخرف: 19] أي: سموهم.

وقيل: وصفوهم بذلك، وحكموا به وتكون بمعنى الاعتقاد كقوله: ﴿**وَيَجْعَلُونَ للهِ البَنَاتِ سُبْحَانَهُ**﴾ [النحل:57] أو بمعنى التبيين ومنه قوله تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًا**﴾ [الزخرف:3] أي: بيناه، وقيل: قلناه وأنزلناه، وبمعنى الخلق والإيجاد فيتعدى لمفعول واحد ومنه قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ**﴾ [الأنعام:1] أي: خلقهما، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾ [الأنبياء:30]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ**﴾ [النحل: 78].

وبمعنى التشريف كقوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾ [البقرة: 143] أي: شرفناكم، ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿**جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاس**﴾ [المائدة:97].

وبمعنى التبديل نحو قوله سبحانه: ﴿**جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا**﴾ [هود:82]، وكذلك قوله تعالى: ﴿**وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ**﴾ [الواقعة:82].

**وبمعنى الحكم الشرعي كقول الشارع:** «جعل الله الصلوات المفروضات خمسًا» أي: حكم به، وبمعنى لتحكم البدعي كقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ جَعَلُوا القُرْآنَ عِضِينَ**﴾ [الحجر:91]، وقوله سبحانه: ﴿**وَجَعَلُوا للهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الحَرْثِ وَالأَنْعَامِ نَصِيبًا**﴾ [الأنعام:136]، وقوله سبحانه: ﴿**وَيَجْعَلُونَ للهِ البَنَاتِ**﴾ [النحل:57].

**وبمعنى الحكم بالشيء على الشيء كقوله:** ﴿**إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ المُرْسَلِينَ**﴾ [القصص:7]، ولا جرم أن هذا المعنى الأخير وهو الحكم بالشيء على الشيء أنسب هنا كان الله تعالى حكم في سابق علمه بأن من التشريفات التي تهيئ لهذا الفاتح الخاتم قربه اسمه مع اسم رب العالمين في كل موطن شريف، كما أن المعنى الأول أيضًا، وهو التصيير كذلك أنسب أي: صيرت يا الله اسم حبيبك وصفيك متحدًا باسمك ويقرب من هذا المعنى الذي هو التصيير كذلك أنسب معنى التبيين وتقدم والمعنى عليه أي: بينت لنا يا الله أن من ذلك المكانات التي وهبتها الجناب المحمدي أن قرنت اسمه مع اسمك في بطاح الأرضين وصفاح السماوات.

وكذلك تفسير جعل بالتشريف مناسب أيضًا، كما في قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾ [البقرة:143] أي: شرفناكم، وكذلك قوله: ﴿**جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاس**﴾ [المائدة:97]، والمعنى عليه اللهم صلِّ على من شرفته بأن قرنت اسمه مع اسمك ولا مرية أنه الكعب الذي لا يلحق كما ستسمع ما يتلى عليك، وكذلك تفسير الجعل بالحكم الشرعي مناسب، ومعناه أن الله تعالى لما قال خطابًا للحقيقة المحمدية ﴿**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾ [الشرح:4] وفسرت من قبل الله -جل أمره- بأنه لا يذكر إلا وذكر حبيبه معه صار هذا حكمًا شرعيًا، والحكم الشرعي خطابه تعالى في الأزل بأمر، أو نهي، أو خبر، أو استخبار، وهذا خبر أزلي مجيب قبوله وإظهاره والإيمان به، كما أنه أمر إلهي ضمني أيضًا ضرورة أن التخلق بأخلاق الله سبحانه مطلوب فانبقى ألا يذكر الله جل جلاله إلا ويقرن معه اسم النور الأعظم صلوات الله وسلامه

عليه وقد رأيت وجه تناسب هذه هاهنا.

**والمعنى:** يا الله زد الحضرة المحمدية من انبساط الكمالات اللائقة بشفوف رتبتها إلى قارنت اسمها مع اسمك فقل ما يذكر اسم الله تعالى إلا وذكر معه اسم حبيبه ρ، كما في التشهد، والأذان والإقامة، والخطابة، ومفتتح الرسالة وخاتمتها، والدخول في الإيمان، وعند الخروج من الدنيا، وبهذا فسر الحق جلت عظمته قوله: ﴿**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾ [الشرح:4] أي: لا أذكر إلا ذكرت معي [1].

وأخرج الشافعي رضي الله تعالى عنه في «الرسالة»، وعبد الرزاق وسعيد بن منصور، وعبد ابن حميد وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم، والبيهقي في الدلائل عن مجاهد في قوله: ﴿**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾ [الشرح:4]، قال: لا أذكر إلا ذكرت معي أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن سيدنا محمدًا رسول الله [2].

وأخرج عبد ابن حميد وابن جرير، وابن أبي حاتم وابن عساكر عن قتادة **في** قوله: ﴿**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾ [الشرح:4]، قال: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدًا رسول الله [3].

وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر، وابن عساكر عن محمد بن كعب في الآية، قال: إذا ذكر الله ذكر معه, أشهد أن لا إله إلا اله أشهد أن محمدًا رسول الله [4].

وأخرج عبد بن حميد عن الضحاك: ﴿**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾ [الشرح:4]، قال: إذا ذكرت، ذكرت معي ولا تجوز خطبة ولا نكاح إلا بذكرك معي[5].

---

(1) انظر: تفسير الطبري (493/24).

(2) انظر: الدر المنثور للسيوطي (289/10), وهو عند ابن أبي حاتم في تفسيره (425/12), والشافعي في مسنده (1074), والبيهقي في الكبرى (209/3), والدلائل 112/08), والخطيب في الجامع (1222), الفقيه والمتفقه (928), والخلال في السنة (223), والآجري في الشريعة (941), وإسماعيل بن إسحاق في الصلاة على النبي ρ (99).

(3) تقدم في سابقه, وانظر: الدر المنثور (290/10).

(4) ورواه البيهقي في الكبرى (209/3).

(5) تقدم تخريجه.

وأخرج ابن عساكر عن الحسن في قوله: ﴿**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾ [الشرح:4]، قال: ألا ترى أن الله لا يذكر في موضع إلا ذكر معه[1].

وأخرج البيهقي في سننه عن الحسن: ﴿**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾ [الشرح:4]، قال: إذا ذكر الله ذكر رسوله[2].

وأخرج أبو يعلي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه وأبو نعيم في «الدلائل» عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ε قال: «**أتاني جبريل فقال: عن ربك يقول لك كيف رفعت ذكرك؟ قلت: الله أعلم، قال: إذا ذكرتُ، ذكرتَ معي**»[3].

وأخرج ابن أبي حاتم عن عدي بن ثابت قال: قال رسول الله ε: «**سألت ربي مسألة وددت أني لم أكن سألته، قلت: أي ربي اتخذت إبراهيم خليلاً، وكلمت موسى تكليمًا، فقال: يا محمد ألم أجدك يتيمًا فأويت، وضالا فهديت، وعائلاً فأغنيت، وشرحت لك صدرك وحططت عنك وزرك، ورفعت لك ذكرك، فلا أذكر إلا ذكرت معي واتخذتك خليلاً**»[4].

وأخرج أبو نعيم في الدلائل عن أنس قال: قال رسول الله ε: «**لما فرغت من أمر السماء والأرض قلت: يا رب إنه لم يكن قبلي نبي إلا وقد كرمته اتخذت إبراهيم خليلاً، وموسى كليمًا، وسخرت لداود الجبال، ولسليمان الريح والشياطين، وأحييت لعيسى الموتى، فما جعلت لي؟ قال: أوليس أعطيتك أفضل من ذلك كله أن لا أذكر إلا ذكرت معي، وجعلت صدور أمتك أناجيل يقرءون القرآن ظاهرًا، ولم أعطهما أمة، وأعطيتك كنزًا من كنوز عرشي لا حول ولا قوة إلا بالله**»[5].

وأخرج ابن عساكر من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: ﴿**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾ [الشرح:4] قال: لا يذكر الله إلا ذكرت معه.

---

(1) ذكره في الدر المنثور (290/10), والشوكاني في فتح القدير (21/8).

(2) رواه الآجري في الشريعة (943), والبيهقي في الكبرى (286/9).

(3) رواه ابن حبان في الصحيح (175/8), وأبو يعلى في مسنده (522/2).

(4) رواه الطبراني في الكبير (455/11), والطبراني في الأوسط (75/4) بنحوه.

(5) رواه البيهقي في الدلائل (697), وذكره ابن كثير في التفسير (526/4).

وأخرج البغوي بإسناد الثعلبي عن أبي سعيد الخدري τ عن النبي ε أنه سأل جبريل عن هذه الآية ﴿**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾ [الشرح:4].

قال: قال الله Y: «**إذا ذكرتُ ذكرتَ معي**»[1].

قال ابن عباس: يرد الآذان، والإقامة، والتشهد، والخطبة على المنابر، فلو أن رجلاً عبد الله وصدقه في كل شيء ولم يشهد أن محمدًا رسول الله ε لم ينتفع من ذلك بشيء وكان كافرًا.

وقال قتادة: «**رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله**».

وقال الضحاك: لا تقبل صلاة إلا به ولا تجوز خطبة إلا به[2].

قال ابن الخازن في «اللباب»[3]: وقيل: رفع ذكره بأن قرن اسمه باسمه في قوله: (محمد رسول الله).

وقال عبد الله بن أحمد الشهير بالنسفي في «مدارك التنزيل»[4]: ورفع ذكره أن قرن بذكر الله في كلمة الشهادة، والآذان، والإقامة، والخطب، والتشهد انتهى.

وعبارة الكشاف[5]**:** ورفع ذكره أي: قرن بذكر الله في كلمة الشهادة، والآذان، والإقامة، والتشهد، والخطب انتهى.

وأحسن شيء في الباب بعد ما ورد من المرفوع ما في مفاتح الغيب ولفظه: واعلم أنه عام في كل ما ذكروه من النبوة وشهدته في الأرض والسماوات اسمه مكتوب على العرش وأنه يذكر معه في الشهادة، والتشهد، وأنه تعالى ذكره في الكتب المتقدمة وانتشار ذكره في الآفاق، وأنه ختمت به النبوة، وأنه يذكر في الخطب، والآذان، ومفاتح الرسائل، وعند الختم، وجعل ذكره في القرآن مقرونًا بذكره: ﴿**وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ**﴾ [التوبة:62]، ﴿**وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ**﴾ [النساء:13]،

(1) رواه البغوي في معالم التنـزيل (463/8).
(2) رواه البغوي في معالم التنـزيل (464/8).
(3) (281/6).
(4) في (40/4).
(5) في (306/7).

﴿**وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُول**﴾ [المائدة:92].

ويناديه باسم الرسول والنبي حين ينادي غيره بالاسم (يا موسى)، (يا عيسى)، وأيضًا جعله في القلوب بحيث يستطيبون ذكره وهو معنى قوله تعالى: ﴿**سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًا**﴾ [مريم:97] كأنه تعالى يقول أملأ العالم من أتباعك كلهم يثنون عليك، ويصلون عليك، ويحفظون سننك، بل ما من فريضة من فرائض الصلاة إلا ومعها سنة, فهم يمتثلون في الفريضة أمري، وفي السنة أمرك، وجعلت طاعتك طاعتي، وبيعتك بيعتي ﴿**مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ**﴾ [النساء:80]، ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ**﴾ [الفتح:10]، لا تلقف السلاطين من أتباعك، بل لا جرأة لأجهل الملوك أن ينصب خليفة من غير قبيلتك فالقراء يحفظون ألفاظ منشورك, والمفسرون يفسرون معاني فرقانك والوعاظ يبلغون وعظك، بل العالم والسلاطين يصلون إلى خدمتك، ويصلون من وراء الباب عليك ويمسحون وجوههم بتراب روضتك ويرجون شفاعتك فشرفك باق إلى يوم القيامة, انتهى منه بلفظه.

فلهذا الإيماء بقولنا متحدًا باسمك, فلا بدع في التعبير بذلك لمن لم يقف مع ظواهر الرسوم.

ويا ليت شعري لو فرضنا أن أعظم ملك في الأرض وقع توقيعًا عامًا لجميع رعيته والفرض أن رعية ذلك الملك الأعظم اشتملت على مائة ألف ملك وأربعة وعشرين ألف ملك وعلى ثلاثمائة وأربعة عشر من أرأس ملوك حضرته، واشتملت أيضًا على مائة ألف كل عصر يكون خلافًا عن أولئك الملوك العظام هكذا، وهذا دون أرأس حضراته الخاصة، وهي أيضًا لها دوائر حضرات وسدنة ومع سعة رعاياه واستبحار عمران مملكته وانقسام حكوماته وقع ذلك المُلْك الأعظم، المرجوع إليه في الشدائد والنوازل أنه لا يذكر أحدًا اسمه العظيم من رعاياه في أقاصي المملكة وأدانيها إلا ويذكر معه اسمه، فردًا من خواصه استخلصه لنفسه وعينه لهم وسماه باسمه، أفلا يكون لهذا المقرون اسمه باسم ذلك الملك العظيم من الشفوف والرفعة، وإشادة الذكر وعلو المجادة، ورفعة المقدار ما لا يكتنه كنهه، بلى إنه كذلك والملك الأعظم هاهنا هو الله جل جلاله والرعية هي ملك الله الواسع والملوك التي اشتملت عليها الرعية هي

أنبياء الله ورسله وورثتهم من الأولياء المتقدمين والمتأخرين والتوقيع هو قول من لا ياتين الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴿**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾ [الشرح:4]، فهذا معنى قولنا: **[الذي جعلت اسمه متحدًا باسمك].**

ولشدة التئام الاسمين والكلمتين المشرفتين حتى صارتا كالكلمة الواحدة نزلتا كالكلمة الواحدة، فلذلك عبر بقوله متحدًا أي: أنهما اسم واحد، كما اصطلح المحدثون على التعبير عن كلمتي الشهادة: وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله بكلمة الشهادة حتى صارت كلمة الشهادة علمًا بالغلبة على مجموع الشهادتين, وتأمل قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ**﴾ [الأنفال:24], كيف وجد ضمير الداعي مع أنه الله جل سلطانه والرسول ε.

فليت شعري من اطلع على هذا الارتباط المعنوي من الحضرتين كيف يفصل بينهما في الرسوم اللفظية، وقد أصاب المحز وظفر بالمغزى, وكُوشف بالأمر السني الأشهر سيدي أحمد بن ناصر، حيث اشترط في كون السبعين ألف من الهيللة فدية من النار بقرنها مع محمد رسول الله مع كل هيللة، وجعل ذلك شرط صحة في كونها فدية من النار، ولا يستنكف عن هذا كامل الإيمان خالطت بشاشة الإيمان قلبه؛ ولذلك لا تذكرها نحن معاشر الطائفة الكتانية إلا مقرونة بها، وكيف يتوقف في هذا من اطلع على تفسير الحق جل اسمه لقوله: ﴿**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾ [الشرح:4] بأنه لا يذكر إلا وذكر اسم حبيبه الأعظم معه، كيف لا يقرن الذاكر بين الاسمين دائمًا، ويكفي لذلك براهين:

**البرهان الأول:** الأحاديث المرفوعة في تفسير الآية الكريمة وخصوصًا تفسير الحق جل جلاله والآثار في ذلك أيضًا وقد أمليناها قبل.

**البرهان الثاني:** تواطؤ المحدثون وأهل السير قاطبة على أن الشهادة مهما أطلقت تنصرف لمجموع الشهادتين، فكأنها صارت علمًا بالغلبة عليهما وعليه، فلا يعوزك عدم التصريح بهما في بعض الأحاديث.

**عليك بها صِرْفًا وإن شئن مَزْجَهَا فَعَدْلُكَ عَنْ ظَلْمِ الحَبِيبِ هُوَ الظّلْمُ**

وأما قول من قال:

**أَدِرْهَـا لَنَـا صَـرفًا وَدَعْ عَنّـا مَزْجَهَـا فَـنَحْنُ أنَـاسٌ لاَ نَـرَى المَـزْجَ مُـذْ كُنّـا**

فلو كانت لي قيحة في البيت لقلت:

**أَدِرْهَـا لَنَـا مزجًـا وَدَعْ عَنّـا صَـرفهَا فَإنّـا أُنَـاسٌ لاَ نَـرَى الصـرْفَ مُـذْ كُنّـا منهَـا**

إذ لا شيء وهو به منوط ولولا الواسطة لذهب الموسوط.

وليت شعري هل للصرف معنى غير ذلك إنك تقدر على التلقي من الحضرة الربانية بدون المظهر المحمدي، وهذا محال عند أهل الله قاطبة حتى كان من المعلوم أنه لا يصح التلقي في الحقيقة إلا عن البرزخ المحمدي، وكل من قال أنه يتلقى من الحضرة أو يسمع منها، أو قيل له، أو نحو ذلك فإن ذلك من البرزخ المحمدي لا غير ليس على صاحبه وبه تعلم أن قول ابن عرفة ما يثقل على شيء ما يثقل على قولهم، قيل: إنما جاءهم الثقل من ظن أنهم يسمعون ذلك من الحق، وإما من الحقيقة المحمدية فلا.

**ولا زال الأكابر يقولون:** لو احتجب عنا رسول الله ε طرفة عين ما عددنا أنفسنا من المسلمين ولا زالوا يصلُّون خلفه الصلوات الخمس على أن أبا العباس زروق أوائل حزب البحر اعترض قول ابن عرفة هذا وحمله على ظاهره، وأدلى بإدلاءين فليراجع، وإذا كان كذلك كيف يذهل عن الدليل من أراد العثور على المدلول، وكيف لا يصحب الدليل من أراد الوصول للمدلول، بل لا وصول هنا إلا للدليل، واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي وروحه سر حقيقتي.

**وتظرف بعض الأكابر فقال:** ما منع الكليم υ من الرؤية إلا لأنها لا تقع إلا في المرآة المحمدية، وقد اقتضى الترتيب الملكي أن سيدنا موسى استقدم وهو استأخر، فلو كان الكليم في عالم الشهادة لما قال: ﴿**رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ**﴾ [الأعراف:143] لما أجيب بما أجيب به قبل ولأعطيت له لوجود المظهر الذي تقع فيه وله.

ولقد ترجم الحقيقة المحمدية القاسم لخراج الخزائن الإلهية على أجناد أهل

المملكة الربانية وكل هذه الآيات الكريمة وقع الخطاب بها بلسان الفرق لا بلسان الجمع، وانظر أيضًا كيف جعل اسمه مصاحبًا لاسمه وجعل التعبد بتعظيم ذكره كالتعبد بتعظيم ذكره والتقرب إلى حضرته باسمه كالتقرب إلى حضرته باسمه وجعل اسمه داخلاً في أشرف العبادات لا تكمل إلا به كاسمه وجعل إشهاده بالنداء على رؤوس الخلائق كإشهاده، وجعل لاسمه من الاحترام بالانضمام إلى اسمه ما لاسمه، وكلف عباده بتعظيمه كتكليفهم بتعظيمه، فكان ينبغي للمؤمن الذي له أُذن واعية وله قلب أو ألقى السمع وهو شهيد أن يتخلق بأخلاق ربه فيفرق بين اسم الجلالة مثلاً أو الهيللة وسائر الأذكار وبين محمد رسول الله.

**تتمات:**

**الأولى:** روى ابن عساكر عن كعب الأحبار قال: أنزل الله سبحانه على آدم عصيًّا بعدد الأنبياء والمرسلين، ثم أقبل على ابنه شيث, فقال: أي بني أنت خليفتي من بعدي فخذها بعمارة التقوى والعروة عن هذا الفارض، حيث قال على لسان الحقيقة المحمدية:

**وَدُونَـكَ بَحْـرًا خضـتهُ وقـفَ الأولَـى بِسَـاحِلِه صَـوْنًا لمِوْضِـعِ حُرْمَتِـي**
**ولَا تقربُـوا مـالَ اليتـيمِ إشـارةٌ لِكَـفِّ يَـدٍ صَـدَّتْ لَـهُ إذْ تَصَـدَّتِي**
**وَمَـا نَـالَ شَيئًا مِنهَـا غَيْرَ سوَى فتَـى علَى قدمِي فِي القَبْضِ والبَسْطِ ثَـابِتِي**

**البرهان الثالث:** تخلق المؤمن بأخلاق ربه فإنه تعالى إذا أمر بطاعته أمر بطاعة الرسول، وإذا أمر بإعزازه أمر بإعزاز الرسول ﴿**وَلِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِه**﴾ [المنافقون:8]، وإذا ذكر أنه أنعم على عبد ذكر إنعام الرسول عليه في قوله: ﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ**﴾ [الأحزاب: 37] وإذا ذكر إغناءه سبحانه لعبد ذكر إغناء الرسول الأعظم بقوله تعالى:

﴿**وَمَا نَقَمُوا إلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ**﴾ [التوبة:74] مع أن المقام مقام غيره، ولكن لا بدع في ذلك، فإن الله تعالى المعطي الوثقي، وكلما ذكرت الله تعالى, فاذكر إلى جنبه اسم محمد, فإني رأيت اسمه مكتوبًا على ساق العرش وأنا بين الروح والطين، ثم إني طفت السماوات, فلم أر في السماوات موضعًا إلا رأيت اسم

محمد مكتوبًا عليه، وأن ربي أسكنني الجنة فلم أر في الجنة قصرًا ولا غرفة إلا وجدت اسم محمد مكتوبًا عليه، ولقد رأيت اسم محمد مكتوبة على نحور الحور العين، وعلى ورق قصب آجام الجنة، أي: على أغصان الجنة وعلى ورق شجرة طوبى، وعلى ورق سدرة المنتهى, وعلى أطراف الحجب, وبين أعين الملائكة فأكثر ذكره، فإن الملائكة من قبل تذكره في كل ساعاتها:

**بِـــذَا مَجْـــدهُ مِـــن قَبــلِ نَشْـــأَة آدَمَ فَأَسْماؤُه فِـي العرشِ منْ قَبلِ تُكتَبُ**

وحكم بعض الحفاظ بوضعه مجاب عنه بأن الحكم بوضع جملة ألفاظه لا يستلزم عدم ثبوت معانيها إذ يجوز ثبوت معاني بعضها في أحاديث, فنظروا إليها من حيث وجودها في غير حديث الرد في مبحث الخصائص مما لا ينبغي.

**فائدة رشيقة:**

لما ذكر الحافظ الأسيوطي هذا الأثر في تزيين الأرائك في إرسال النبي ε للملائكة قال: ما نصه واستفدنا من هذا الأثر فائدة لطيفة: وهي أنه عليه الصلاة والسلام أرسل إلى الحور العين والولدان ووضح بذلك أنه لم يدخل الجنة أحد ولم يستقر بها من خلق فيها إلا ممن آمن بالنبي ε.

ولعل من جملة فوائد الإسراء ودخوله إلى الجنة تبليغه من في السماوات من الملائكة، ومن في الجنان من الحور والولدان، ومن في البرزخ من الأنبياء رسالته ليؤمنوا به ويصدقوه مشافهة في زمنه وإن كانوا مؤمنين به مثل وجوده, انتهى. منها بلفظه.

قال في «المواهب»**:** وروينا في جزء الحسن بن عرفة من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم قال: «**لما عرج بي إلى السماء ما مررت بسماء إلا وجدت اسمي فيها مكتوبًا محمد رسول الله وأبو بكر خلفي**»[1], انتهى.

كعب وحاول بعضهم الخدش في هذا الجواب، فقال: وهو تجويز عقلي لا يلتفت

---

(1) رواه الخطيب في التاريخ (444/5), والرافعي في التدوين (18/2).

إله المحدثون، إذ كلامهم إنما هو في الإسناد الذي هو المرقات، وثبوت معنى الموضوع، ولو في القرآن فضلاً عن تجويز ثبوته بأحاديث لا تؤيد الموضوع فينبغي عنه الوضع.

**قلت:** وهو تقبل سماعه إذ كيف يختلج في وهم متميز أن ثبوت معنى الموضوع في القرآن الكريم لا ينقله عن درجة الوضع، بل إن وجد في القرآن الكريم معنى الموضوع نقله من درجة الوضع إلى أنّ له مرجعًا يرجع إليه، وإذا كان مذهب الحافظ الأسيوطي في اللآلئ.

وكذا ابن الجوزي في بعض المواضع من الموضوعات وغيرهما أن الشواهد تتجمع في الموضوع فتفيد أن له متمسكًا فكيف بثبوت معناه في القرآن فتسليم شارح المواهب لهذا.

زاد أبو يعلى والطبراني: لا إله إلا الله قبل محمد رسول الله ولكن أبعد صاحب المواهب النجعة فحديث أبي هريرة هذا رواه أبو يعلى والطبراني أخرجه البزار من حديث ابن عمر بأسانيد ضعيفة لكن قال السيوطي أنه حسن لكثرة طرقه.

وذكر محمد بن ظفر في كتاب البشر بخير عن معمر عن الزهري أنه وجد على حجر بالخط العبراني «**باسمك اللهم جاء الحق من ربّك بلسان عربي مبين لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وكتبه موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام**»[1], وذكر صاحب مسالك الأمصار عن أبي سعيد المغربي أنه أخبره من دخل الهند أنه وجد وردًا أحمر مكتوب عليه بالأبيض لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وشوهد كما في الشفاء في بعض بلاد خُراسان مولود وله على أحد جبينيه تثنية جبين مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ووجد بإحدى شحمة أذني سمكة لا إله إلا الله وفي الأخرى محمد رسول الله.

وعن جماعة أنهم وجدوا بطيخة صفراء فيها خطوط شتى بالأبيض خلقة.

ومن جملة الخطوط بالعربي في أحد جنبيها الله، وفي الآخر عز أحمد بخط بين

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (179/1).

لا يشك فيه عالم بالخط.

**وأقول:** بينما أنا في بعض السياحات أثر صلاة العصر إذ أتاني بعض المريدين بحجرة فأمعنت فيها النظر, فألفيت فيها بقلم القدرة جانبًا فيها ﴿كهيعص﴾، وفي راوية أخرى أحمد أظنه، وفي زاوية أخرى منها محمد بخط لا يرتاب فيه مميز.

وفي كتاب «النطق المفهوم»(1) لابن طغربك السياف عن بعضهم: أنه رأى في جزيرة شجرة عظيمة لها ورق كثير طيب الرائحة مكتوب فيه بالحمرة والبياض في الخضرة كتابة بينة واضحة خلقة ابتدعها الله جل أمره بقدرته في الورقة ثلاثة أسطر: الأول: لا إله إلا الله، والثاني: محمد رسول الله، والثالث: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلامُ**﴾ [آل عمران: 19].

**لطيفة:** ذكر الإمام الحسين بن محمد الدامغاني في كتابه: «شوق العروس وأنس النفوس», وكذا ابن الجوزي في «التبصرة» كلاهما نقلاً عن كعب الأحبار أنه قال: اسم النبي ε عند أهل الجنة عبد الكريم، وعند أهل النار عبد الجبار، وعند أهل العرش عبد الحميد، وعند سائر الملائكة عبد المجيد، وعند الأنبياء عبد الوهاب، وعند الشياطين عبد القهار، وعند الجن عبد الرحيم، وفي البر عبد القادر، وفي البحر عبد المهيمن، وعند الحيتان عبد القدوس، وعند الهوام عبد الغياث، وعند الوحوش عبد الرزاق، وعند السباع عبد السلام، وعند البهائم عبد المؤمن، وعند الطيور عبد الغفار، وفي التوراة موذ مود، أو ماذ ماد، وفي الإنجيل طاب، طاب، وفي الصحف التي نزلت على سيدنا موسى قبل التوراة وصحف إبراهيم عاقب، وفي الزبور فاروق، وعند الله جل أمره طه ويس، وعند المؤمنين سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم, وكنيته أبو القاسم؛ لأنه يقسم الجنة بين أهلها يوم القيامة، وأما عبد الله فسماه الله سبحانه في أشرف مقاماته.

**ترتيب: فإن قلت:** ومع هذا الاتصال المعنوي, فكيف كان الانضمام في كلمة

---

(1) من أهل الصمت المعلوم للتركماني (بتحقيقنا) بتحقيقنا.

الشهادة، والآذان، والإقامة على وجه الفصل فإن قيل: لا إله إلا الله محمد رسول الله دون الوصل بأن يقال: لا إله إلا الله ومحمد رسول الله مع حصول الجامع.

**والجواب:** أن الإشارة بذلك لنكتة سرية, وهي أن الشهادة بالرسالة معتبرة في الإيمان والعبادة على سبيل الاستقلال لا سبيل التبعية، فالإيمان ركنان ودعامتان, وهما الإقرار بالربوبية والاعتراف بالرسالة، ولو قيل: ومحمد رسول الله, لأوهم أن الثاني تابع ومكمل وتتمة لا أصل وعمدة وأساس، وكذا التقرب بالآذان، والإقامة, فافهم.

**التتمة الثانية:** انظر أسرار الآذان وما فيه من اللطائف المؤذنة بإعزاز الرتبة المحمدية والجلالة الأحمدية، فإنه إعلام للكافة والجمهور، ونداء بين أظهرهم وفوق رؤوسهم بسيادة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، ثم يندب بكل سامع منهم أن يحكيه ليتلبس بالتعظيم في نفسه، ولو في صلاة النافلة، ولو كان يقرأ القرآن فضلاً عن قطع دروس العلم، وحكاية الآذان، ثم يرجع المدرس لدرسه؛ لأن حضرة الصلاة أرفع الحضرات، ومع ذلك لم نعذر في عدم إشهار كمالاته ع ولو في أنفسنا, فكيف بغير حضرة الصلاة ومنها دروس العلم فضلاً عن مطلق الكلام، أو مطلق الجلوس سبهللاً ويصرح بذلك بعد سماعه اعتناء واستجابة واستجلاء وتلذذًا، وطلب فيه أن يكون على الأماكن المرتفعة وأن يكون فاعله قائمًا, وأن يسمع من كل الجهات مبالغة في التنبيه على إجلال سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والإيقاظ للإقبال والاشتغال بما هو المقصود من الإيجاد من المعرفة والعبادة «**كنت كنزًا مخفيًا لم أُعرف فخلقت الخلق لأُعرف** »[1], ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذاريات:56].

وفي تمام أسرار الآذان إزعاج القلوب بتذكيرها وصف الجلال والكبرياء, فإنه أبلغ في فزع القلوب فاللفظ آلة لإحضار المعنى, فإذا استحضر عظمة الله تعالى سبحانه, وامتلأ منها صغرت في عينه الأكوان وتلاشت في نظره الأغيار, فيسهل عليه الخروج من أحد الضدين للآخر أي من حضرة الفرق إلى الجمع بالنسبة إلى العامة والجمهور، وأما الخاصة, فيتجدد لهم من العظمة معنى لم يكن إذ لا نهاية لها, وإن

(1) ذكره العجلوني في كشف الخفا (173/2).

كانوا أئمة فيها وكل هذا من معنى: ﴿**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾ [الشرح:4].

**تنبيه: قال في الكشاف:** فإن قلتَ أي فائدة في زيادة (لك) والمعنى مستقل بدونه.

**قلتُ**: في زيادة لك ما في طريقة الإبهام والإيضاح كأنه قيل: ﴿**أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ**﴾, ففهم أن ثمَّ شروحًا، ثم قيل: ﴿**صَدْرَكَ**﴾ [الشرح:1] فأوضح ما علم مبهمًا، وكذلك ﴿**عَنكَ وِزْرَكَ**﴾[الشرح: 2]، ﴿**لَكَ ذِكْرَكَ**﴾، [الشرح:4], انتهى.

وثم ما هو أرشق وأرق وأملح وهو التبيه على مقام المحبوبية الأعلى, فإنه لا تعلل فيه الهبات والعطايا بأوصاف ولا بأعمال (فألم), للتعليل والمعنى ﴿**وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ**﴾ [الشرح: 4] لأجلك لا لعمل مخصوص أو وصف معين إذ لو كان كذلك لاقتضى عروض الرفع، وأن التقريب لعارض فبين أنّ الرفع أصلي سابق, وأن التقريب لذاته محبة فيه، وأيضًا العطاء المعلل بالوصف والعمل يكون على حسبهما، وللعطاء للمحبة لا يحد ولا يقدر.

**وقولنا:** لا بعمل مخصوص أو وصف معين مأخوذ من مفهوم العلة ولا نقول: بإفادة تقديم بعض معمولان الفعل على بعض الحصر؛ لأنه خلاف الراجح.

وليت شعري: ماذا على من قارن الهيللتين مهما نطق بهما سيما على أن محمد رسول الله قرآنًا فيتاب على كل حرف منها ثواب قارئ القرآن «**لا أقول ألم حرف، بل ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**»[1], وإن كان لا يزاد فيها، أو لعل من يشبع حركاتها يشبعها على أنها ذكر لا قرآن ويتوسع في ذلك ما لا يتوسع في غيره.

**قُـلْ لِـي بأيَّـةِ حيلـةٍ أَدْلِـي بِهَـا إنْ كنـتَ تبعـدنِي لأجـلِ تقريبِـي**

وأيضًا في الجمع بينهما جمع بين الشريعة والحقيقة وهو الأكمل وإلا فصاحبه أبتر، وأيضًا في الجمع بينهما جمع بين الفرق والجمع وهو الأتم، وصاحب الجمع بدون فرق أبتر، وصاحب الفرق إذا لم يتدارك بجمع فهو أبتر، وأيضًا في الجمع

(1) رواه الترمذي (175/5), والبيهقي في الشعب (325/2).

بينهما شكر لوساطيته صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلموفي إلغائها إلغاء لها.

ومن ذلك أمرنا بالصلاة والسلام عليه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم: ﴿**أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ**﴾ [لقمان:14]، وهو الوالد الأكبر لجميع الأنبياء والرسل والملائكة- عليهم السلام- فضلاً عمن عداهم من مراتب الموجودات.

وأيضًا فمن البديهيات أن أدنى انتساب إليه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ينفع في الدنيا والبرزخ والآخرة خصوصًا ما فيه مراعاة الأدب معه عليه الصلاة والسلام, ولا ينتطح عنزان في أن الإكثار من ذكره الشريف المحمدي ينيل أقوام الإسعاد الديني والدنيوي، وطالما قيل أن معه عرف اسم معروف الكرخي واسم أبيه دخل الجنة وغيره من أهل الله فكيف من عرف اسم من تولاه لم تخرج الدنيا من العدم، وأكثر من ذكره، سيما زمان طمت فيه ظلمات المعاصي، واستولت تشعبات الرَّان على القلب، وتكاثرت الغفلات، وعسرت التوبة النصوح؛ لأن التوبة فرع من معرفة أسماء الذنوب، وأعيان المعاصي جهلت ضرورة أن من لم يحط خبرًا بما في الزواجر عن اقتراف الكبائر وهو كتاب جليل لا ينبغي لمن شعر أنه مكلف أن لا يحفظه حتى تصح منه التوبة النصوح, فلا على المتبصر في أموره أن يكثر من ذكر المحبوب الأعظم محل نظره تعالى من خلقه باعتبار الذات، واسمه محل نظره من الأسماء، وروحه محل نظره من الأرواح، وقلبه محل نظره من القلوب، وسره محل تجليه من الأسرار، وعقله محل نظره من العقول، ونفسه محل نظره من النفوس.

وقد علمت قصة الإسرائيلي الذي وهب الله له سبحانه ذنوب مائتي سنة وزوجه سبعين حوراء لتقبيله اسم سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم, لما فتح التوراة ووجده ووضعه على عينيه، وكذلك اليوم الإكثار من ذكره مع الهيللة مثلاً موجب لهذا النوع من الغفران، بل والرضوان وأكثر؛ لأن هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس, فأعطياتها أتم من أعطياته تعالى لغيرها؛ لأن معاملة هذه الأمة المحمدية ليست لها، وإنما هي لأجل من صورت على شكله، وكان لها أنموذج التمثيل ε.

فالمراد من الموجودات النوع الإنساني، والمراد من النوع الإنساني الأنبياء والرسل-عليهم السلام- والمراد منهم وجود الحقيقة المحمدية، فكانوا لها بمنزلة المقدمات والفذلكات، والمراد من الكتب السماوية القرآن الحكيم، والمراد من الأمم هذه

الأمة المحمدية ﴿**لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ**﴾ [البقرة:143], والمراد من هذه الأمة آل البيت النبوي الأطهر-عليهم السلام.

فصار كأن القصد الحقيقي مِن العالم ليس إلا الحقيقة الأحمدية وما والاها ﴿**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة:11].

**التتمة الثالثة:** من المتداول أيضًا أنه ما في الوجود من جعل الله سبحانه الحل والربط دنيا وآخرة، مثل النبي ε, ومن خدمه على الصدق والمحبة والوفاء، دانت له رقاب الجبابرة، وأكرمه جميع المؤمنين كما ترى ذلك فيمن كان مقربًا عند ملوك الدنيا، ومن خدم السيد خدمته العبيد، وكما أن غلام الوالي لا يتعرض له إكرامًا للوالي فكذلك خُدام النبي ε لا تتعرض لهم الزبانية يوم القيامة؛ إكرامًا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم، فقد فعلت الحماية مع التقصير ما لا تفعله كثرة الأعمال الصالحة مع عدم الاستناد لرسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم الاستناد الخاص.

**وإذَا مَــا الجنَــابُ كَــانَ عظيمًــا        مدَّمنـــــهُ لخادميـــــهِ لـــــواءُ**
**وإذَا عظمـــــتْ ســـــيادةُ متبـــــو        عِ أجـــــلَّ أتباعـــــهُ الكبـــــراءُ**

---

## خاتمة

انظر فهذه أم سلمة إحدى أمهات المؤمنين-رضي الله تعالى عنها وعنهن- كيف لما أسلمت نفسها لحضرة الرسالة وأقبل عليها الإقبال الكلي كيف أدرجها مدرجة أهل البيت, فقال لها المعصوم: «**إنك من أهل البيت**»[1]، وكذا سلمان الفارسي وجرير البجلي، وواثلة بن الأسقع وثوبان بن بجدد[2] وأسامة, ولا أقول إنهم ملحقون بآل البيت كما في الفتوحات، بل هم ومن المقرر أن من أهل العلم ممن أثبت الشرف من جهة الأم, واحتج بحديث صحيح «**ابن أخت القوم منهم**»[3], وإن لم يكن الأب شريفًا يقول أنه يتعدى, فكيف لا يثبت لهؤلاء نفسهم الشرف ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [النجم: 3، 4], وإذا كان نطقه ε من الله صار قوله: «**أنت من آل البيت النبوي**», لما قالها في قوة أن ذلك وحيًا يوحى أفلا يثبت به الحكم الشرعي، بلى وهذا حكم شرعي بالوحي.

ومن هنا قال الحداق: أن الحديث النبوي يطلق عليه كلام الله تعالى وإن لم يقع به إعجاز وبجواز نقله بالمعنى للعارف بمدلولات الألفاظ عند أهل الأصول، أما أم سلمة فروى أبو الحسن الخلعي عن زينب بنت أبي سلمة:« **أنه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم كان عند أمها فجعل حسنًا في شق وحسينًا في شق، وفاطمة في حجره-عليهم السلام- وقال:** ﴿**رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ**﴾ [هود: 73], **فبكت أم سلمة، فقال:** «**ما يبكيك؟ قالت: يا رسول الله خصصتهم وتركتني وابنتي، فقال: إنّك من أهل البيت**»[4].

**وأما سلمان،** فقد اخرج الطبراني في الكبير، وابن سعد، والحسن بن سفيان،

(1) رواه الطبراني في الكبير (281/24).

(2) بجدد: بباء مضمومة وجيم وآخره دال، ويقال: ابن جحدر مولى رسول الله ρ، شهد فتح مصر، روى عنه من أهلها مرثد بن عبد الله اليزني، وأبو عبد الرحمن الجيلاني وغيرهما. الإكمال لابن ماكولا (48/1).

(3) رواه البزار في مسنده (73/8), والطبراني في الأوسط (83/3).

(4) تقدم تخريجه.

وابن عساكر عن كثير بن عبد الله بن عمر بن عوف المزني عن أبيه مرفوعًا:

«**سلمان مِنَّا أهل البيت**»[1], وأخرجه الحاكم في المستدرك وصححه, وتعقبه الذهبي بأنه ضعيف الإسناد.

وأما جرير، فقد أخرج ابن عوف والطبراني وابن عساكر عن علي مرفوعًا: «**جرير مِنّا أهل البيت ظهرًا لبطن**»[2] قالها ثلاثًا.

**وأما واثلة،** فقد أخرج الإمام أحمد عنه أن المصطفى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم جاء ومعه علي وحسن وحسين آخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل, فأدنى عليًّا وفاطمة وأجلسهما بين يديه وأجلس حسنًا وحسينًا كل واحد منهما على فخذيه ثم لف عليهم ثوبه، وقال كساءه، ثم تلا هذه الآية ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ**﴾ [الأحزاب:33] «**اللهم أهل بيتي**»[3], زاد في رواية ابن جرير فقلت: وأنا يا رسول الله من أهلك، قال: «**وأنت من أهلي**»[4]، قال واثلة: وإنّها من أرجى ما أرتجى، وأمّا ثوبان, فقد أخرج ابن السبكي والطبراني في الأوسط، فرواه الثقات عنه أنّ المصطفى ε دعاه لأهل البيت، فقلت: أنا من أهل البيت، فقال في الثالثة: نعم، ما لم تقم على باب سدة أو تأت أميرًا فتسأله.

**وأمّا أسامة،** فقد أخرج الديلمي مرفوعًا: «**أسامة من أهل البيت ظهرًا لبطن**»[5].

وأخرج الطبراني أيضًا بسند حسن أنه عليه الصلاة والسلام قال لوليين له حبشي وقبطي: «**إنكما من أهل البيت**»[6], وهؤلاء الذين عثرنا الآن أنهم بشروا بالآلية

(1) رواه الديلمي في الفردوس (337/2), والحاكم في المستدرك (691/3).

(2) رواه الطبراني في الكبير (291/2), والديلمي في الفردوس (110/2).

(3) رواه أحمد (298/6).

(4) رواه الطبري في التفسير (7/22).

(5) لم أقف عليه.

(6) لم أقف عليه.

أي بالكون من آل سيدنا محمد ε.

**وهاهنا فائدة حسنة** أيضًا في شرف الحضرة المحمدية وهي أن: شرك عليه الصلاة والسلام عليًّا وفاطمة، والحسن والحسين -عليهم السلام- معه في خصوصية المكث في المسجد جنبًا, أخرج الترمذي وقال: حديث حسن غريب من حديث أبي سعيد الخدري τ:

**«لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك وله شواهد»**[1].

روى البيهقي من حديث أم سلمة-رضي الله عنها- رفعته: «**ألا إن مسجدي حرام على كل حائض من النساء، وكل جنب من الرجال إلا محمدًا وأهل بيته عليًّا وفاطمة والحسن والحسين**»[2].

وروى البخاري في التاريخ والبيهقي عن عائشة-رضي الله تعالى عنها- مرفوعًا: «**لا يحل المسجد لحائض، ولا جنب، إلا لمحمد وآل محمد**»[3], وظاهر هذا الإطلاق خصصه الحديث قبله والذي بعده.

وروى ابن عساكر عن سيدنا جابر نحوه.

زاد الحافظ الأسيوطي في كتابه «إتمام النعمة» في اختصاص الإسلام بهذه الأمة سائر أزواج المصطفى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ونصه: «**وكما اختصت فاطمة بأنها لا يتزوج عليها, وكما اختصت أيضًا بأنّها تمكث في المسجد مع الحيض والجنابة، وكذلك أزواج المصطفى** ε **اختصصن بذلك، وكذا على بن أبي طالب، والحسن والحسين اختصوا بجواز المكث في المسجد مع الجنابة، كل ذلك على سبيل التبعية للنبي** ε», انتهى بحروفه.

ولا يقدح هذا في الخصوصية للحضرة المحمدية لما تقرر في باب الخصائص

(1) رواه الترمذي (639/5), والبيهقي في الكبرى (65/7).

(2) رواه البيهقي في الكبرى (65/7).

(3) رواه البخاري في التاريخ الكبير (67/2), وابن راهويه في مسنده (1032/3).

أن له υ أن يخص من شاء بما شاء من الأحكام.

فانظر صدق محبتهم وحسن انطرامهم على الأعتاب المحمدية إلى أين أوصلهم، ويا بخت من أفرغوا أقوالهم في مدحه ρ، بالشعر من رجال الصحابة ونسائهم [...] [1] جمعهم في مؤلف فقارب بهم مائتين.

ومن اللطائف في شرق الانتماء إلى الجلالة المحمدية, وبركة الإضافة إليها ما رواه أبو نُعيم عن عباد بن عبد الصمد: «**أتينا أنس بن مالك، فقال: يا جارية هلمِّي المائدة نتغذى، فأتت بها، ثم قال: هلمي المنديل، فأتت بمنيل وسخ، فقال: اسجري التنور, فأوقدته فأمر بالمنديل فطرح فيه فخرج أبيض كأنه اللبن، فقلنا ما هذا؟ قال هذا منديل كان ε يمسح به وجهه الكريم، فإذا اتسخ صنعنا به هكذا لأنّ النار لا تأكل شيئًا مر على وجوه الأنبياء»** [2], انتهى.

وفي كنَّاش الحافظ الأسيوطي الذي بخط يده أنّ هذا كان للنبيε, وأن النار لا تحرق شيئًا مسته أيدي الأنبياء, انتهى باللفظ.

وكذلك هؤلاء القارئون لمحمد رسول الله مع الهيللة، وإنما لكل امرئ ما نوى، بيد أنه ينبغي التنبيه على فائدة حسنة, وهي أن قولهم هذه النسبة, أي: المثبوتة لمن بشروا أنهم من آل سيدنا محمد هنا نسبة دينية يقتضي أولاً: إما أن غيرهم لم يخص بهذه النسبة الدينية ولا يقال: ﴿**وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى**﴾ [النساء:95] أي: الجنة, فجميع الصحابة في الجنة بمقتضى بشارة هذه الآية الكريمة، وإما أنهم خصوا وحدهم بهذه النسبة الدينية، وهذا لا يقال أيضًا؛ لأنهم ما رفضوا أديانهم, وما كانوا عليه واتباع آباءهم إلا الانخراط في سلك حبل الله المتين والعروة الوثقى التي لا انفصام لها.

وأيضًا إذا كان القصد هو النسبة الدينية فقط يصير كلام الرسول الأعظم كأنه لم يعد شيئًا، فما وجه التخصيص هذه الشرذمة بهذا التخصيص، ويقتضي أيضًا أنهم لم

---

(**1**) كلمة غير واضحة.

(2) رواه الخطيب في التاريخ (291/10).

يصيروا في تعداد أهل البيت حين قال لهم المعصوم إنهم من أهل البيت, والذي يثلج الصدور، ويعطيه النور أنهم بمجرد ما نطق المعصوم أنهم من آله انقلبت أعيانهم, وصاروا من آل البيت عينًا لا حكمًا، وشاركوهم في الأمور الخمسة التي تجب لأهل البيت النبوي الأطهر، وهي طهارتهم بمقتضى ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ**﴾ [الأحزاب:33], ووجوب الصلاة عليهم، ووجوب مودتهم في ﴿**قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى**﴾ [الشورى:23], وتحريم الصدقة عليهم، والغفران لهم ولا يخدش في هذا شيء.

**وطالما قالوا:** إن باسم الله من العارف بمنزلة كن من الحق, وهذا في مطلق العارف، فكيف بأعرف العارفين بالله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم، وكيف لا يكون بسم الله منه كَكُن من الرب جل أمره؛ لأنه ما ينطق عن الهوى، فكيف لا تكون كن منه كذلك وبه تعلم السر في قوله في غزوة تبوك «**كن أبا ذر**»[1] و«**كن أبا خيثمة**»[2], فلو لم يكونا هما لانقلبت أعيانهم إذ ذاك, وصاروا أبوي ذر وخيثمة ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [النجم:4].

**نكتة:** لو شئت أن تقول أن سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم لم يتصرف بكلمة كن إلا في هذين الموضوعين لصدقت، والله رؤوف بالعباد.

**سانحة:** من عسرت عليه حاجة من الحاجات وأراد قضاءها فليكتب على خنصر يده اليمنى محمد وعلى إبهامها دحطة ويذهب إليها, فإنها تقضي بإذن الله سبحانه.

**استطراد:** من وضع يده على جبهته, وقال: يا مبدئ يا معيد ذكرني ما نسيت فإنه يتذكر المنسي، ومنه وهو من الحور العين, وهو أن من لازم ذكر هذه الأسماء الإلهية, وهو يتوقع قضاء لبانة من اللبانات قضيت بفضل الله, وهي: الكافي الغني الفتاح الرزاق، ثم قال: (وقعتك) أي: وفارقت نعته بنعتك.

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك (52/3).

(2) رواه مسلم (2122/4), والطبراني في الكبير (43/19).

**قلت:** في جانبك ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ [الأعراف:156] والشيء اصطلاحًا عند الأشاعرة خاص بالموجود على اختلاف كثير بينهم وبين المعتزلة فعمت الرحمة العامة كل موجود، وقلت في حق عبدك الصالح ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء:107] فإفادة الآيتان الشريفتان أن كل من الحق تعالى له رب فالمصطفى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم له نبي ورسول؛ لأن العالم في الآيتين الكريمتين ما سوى الله سبحانه وهذا إيماء لعموم بعثة الحقيقة الأحمدية إلى العوالم لم يشد منها عالم إذ العالم في آية ﴿**لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾ [الفرقان:1] هو ما سوى الله تعالى.

**قال المجد:** العالم الخلق كله أو ما حواه بطن الفلك, وهذا عام له لا في عالم الأرواح ولا في عالم الأشباح, فقدكانت روحانيته الأحمدية لها من الوسع والحيطة والشمول بالعالم كله، وهي في عالم الغيب ما لم تكن الأشياء العلوية والسفلية تتلقى الإمداد والفيوضات إلا منها، فكانت تفيض على الأنبياء النبوات، وعلى الرسل-عليهم السلام- الرسالات، وعلى الملائكة إمداد قُوى ملكيتهم، وعلى النباتات والحيوانات والعجماوات، وعلى كل دائرة من دوائر الكون ضرورة أنه أرسل رحمة للعاملين، والعالم هو ما سوى الله تعالى فعمتهم فيوضاته وانسدلت عليهم عطاياه ورحماته.

والحال أنه لا زال في عالم الغيب إذ لا مرية أنه نبي وآدم بين الروح والجسد ولم تسلخ عنه تلك النبوة، ألبسها والأصل هو الاستصحاب ولله تعالى أبو الإمام الشافعي إذ قال به وجعله من أصول الشريعة.

ويلزم من هذا أن شرائع الرسل-عليهم السلام- شريعته وما كانوا إلا في مقام النيابة عنه إلى أن يظهر جسمه الكريم، بل يستروح من القرآن أنهم أوصياؤه في قوله تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ**﴾ [الشورى:13]، فانظر كيف عبر فيما آتاهم عليهم السلام فوصينا به, فافهم.

وإنما الواقع فيه النزاع هل أرسل إليهم أم لا الملائكة-عليهم السلام- ولكن الذي رجحه السبكي والبارزي والحافظ الأسيوطي والجلال المحلي في خصائصه من

الشافعية, وابن تيمية وابن حامد وابن مفلح في كتابه «الفروع» من الحنابلة وعبد الحق وغيره من المالكية وابن حزم أنه ε مرسل إليهم.

**قال ابن حجر الهيتمي:** وهو الأصح عند جمع محققين، ونقل بعضهم الإجماع عليه كما في فتح الباري؛ لأنهم مكلفون بالطاعات العملية، كما قال تعالى: ﴿**لاَّ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ**﴾ [التحريم: 6], وإن لم يكونوا مكلفين بالوحدانية لظهورها لهم, فتكليفهم بها تحصيل للحاصل، ودليل رجحان هذا القول ما قال تعالى: ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾ [الفرقان:1], ولا نزاع في أن المراد من العبد هاهنا هو سيدنا محمد ρ إذ الإضافة عبدية وجاء استعماله بهذا اللفظ منه ﴿**أَسْرَى بِعَبْدِهِ**﴾ [الإسراء:1]، ﴿**أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ**﴾ [الكهف:1], واشتهر حتى صار كالعلم المخصوص به ε.

والعالم بالفَتح هو ما سوى الله تعالى فيتناول جميع المكلفين من الجن والإنس والملائكة.

**وبطل بذلك قول من قال:** إنه كان رسولاً إلى البعض دون البعض؛ لأن لفظ العالمين يتناول جميع المخلوقات فتدل الآية على أنه أرسل للخلق كلهم ومنهم الملائكة فثبت المطلوب.

ولو قيل لمدعي خروج الملائكة من هذا العموم أقم الدليل عليه ربما عجز عنه فإن اعتل بأنه قال: ﴿**نَذِيرًا**﴾ [الفرقان:1] فيخرج الملائكة لعصمتهم؛ ولأنه لم ينذرهم لم تقبل علته، فإنه يحتمل أن يكون من الملائكة من أنذره صلى الله تعالى عليه وسلم إما ليلة الإسراء، وإما غيرها، وإذا احتمل ذلك بطل تخصيصها بالملائكة، إذ لا يثبت إلا بدليل وظاهر الآية شمولها لهم وهو كافٍ في الاستدلال, إذ ليس كل احتمال يقدح فيه إنما يقدح, ومن يقل منهم إني إله فقد أنذرهم مع العصمة، لكن لا يلزم من الإنذار والرسالة إليهم في شيء خاص أن يكون بالشريعة كلها، إذ لا تتأتى كلها فيهم، ومما يدل على شمول الآية الكريمة للملائكة قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ**﴾ [الأنبياء:29].

قال الأسيوطي: لم أقف على إنذار في القرآن للملائكة سوى هذه الآية، والحكمة في ذلك واضحة؛ لأن غالب المعاصي راجعة إلى البطن والفرج، وذلك ممتنع عليهم من حيث الخلقة استغناء عن إنذارهم فيه.

وإذا قلنا أن الملائكة هم مؤمنوا الجن السماوية كما ذهب إليه من زعمه, فإذا ركب هذا وقع القول بعموم الرسالة للجن الذي قام الإجماع عليه لزم عموم الرسالة لهم؛ لكن القول بأن الملائكة من الجن قول شاذ لا اعتداد به لقيام الأدلة على خلافه، والجمهور على أن العالمين في آية الفرقان عام مخصوص بالإنس والجن, فيخرج الملائكة كما فسر بهما حديث «**وأرسلت إلى الناس كافة**»[1] المروي في الصحيحين.

وإلى القول بعدم بعثته إليهم جزم الحليمي والبيهقي في الباب الرابع من شعب الإيمان، والجلال المحلي في شرح «جمع الجوامع» والزين العراقي في «نكته على ابن الصلاح» من الشافعية ومحمود بن حمزة في كتابه «العجائب والغرائب» من الحنفية، بل حكى الفخر الرازي والبرهان النسفي الإجماع على أنهم لم يكن رسولاً إليهم كما حكاه الجلال المحلي في الكتاب السابع من شرحه على جمع الجوامع وتعقبه الكمال ابن أبي شريف في حواشه حيث قال: اعلم أن البيهقي نقل ذلك عن الحليمي, فإنه قال هذا معنى كلام الحليمي، وفي قوله هذا إشعار بالتبري من عهدته وبتقدير أن لا إشعار فيه بالتبري فلم يصرح بأنه مروي عنده.

وأما الحليمي فإنه وإن كان من أهل السنة فقد وافق المعتزلة في تفضيل الملائكة على الأنبياء- عليهم السلام- وما نقل عنهم موافق لقوله ع بأفضلية الملائكة فلعله بناه عليه.

وأما ما ذكره من حكاية الرازي والنسفي الإجماع على أنه ع لم يكن رسولاً إليهم, فقد وقع في نسخ من تفسير الرازي لكننا بينا بدل أجمعنا وهذا لا إشعار فيه بالإجماع على أن قوله أجمعنا ليس صريحًا في إجماع الأمة؛ لأن مثل هذه العبارة تستعمل لإجماع الخصمين المتناضرين, فلا يلزم منها عدم الخلاف فضلاً عن الإجماع

---

(1) رواه أحمد (248/5), والبيهقي في الكبرى (433/2).

فلو صرح به لمنع.

فقد قال الإمام السبكي في قوله تعالى: ﴿**لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾ [الفرقان:1]، قال المفسرون كلهم في تفسيرها للجن والإنس.

**وقال بعضهم:** وللملائكة انتهى.

فدعوى الإجماع على بعضها باطلة فمن حفظه حجة، وبالجملة فالاعتماد على تفسير الرازي والنسفي في حكاية إجماع انفرد بحكايته لا ينهض حجة على طريق علماء النقل؛ لأن مدارك نقل الإجماع من كلام الأئمة وحفاظ الأمة كابن المنذر المجتهد وابن عبد البر ومن فوقهما في الاطلاع كأصحاب المذاهب المتبوعة, أي: كالأربعة المشهورة والسفيانين والليث وابن راهوية وابن جرير وداود الطاهري والأوزاعي والحسن البصري وأبي ثور وغرهم ممن ذكره عياض في المدارك، في باب ترجيح مذهب مالك على غيره، ثم قال: الكمال ومن يلحق بهما في سعة دائرة الاطلاع والحفظ والإتقان لها من الشهرة عند علماء النقل ما يغني عن بساط الكلام فيها فكيف يعتمد على إجماع انفرد بنقله رجلان ليسا من الحُفَّاظ ولا لهما سعة اطلاع.

وقد ذكر الحافظ أن الرازي نوزع في ذلك قال: في «الإصابة» هل يدخل الملائكة في حديث الصحابي محل نظر.

**وقال بعضهم:** إن ذلك ينبني على أنه كان مبعوثًا إليهم أم لا وقد نقل الرازي الإجماع على أنه لم يرسل إليهم ونوزع في هذا النقل، ورجح الشيخ تقي الدين السبكي إرساله إليهم واحتج بأشياء يطول شرحها وفي صحة بناء هذه المسألة على هذا الأصل نظر لا يخفى, انتهى.

**وفي الإصابة أيضًا:** أنكر ابن الأثير على أبي موسى المدني ترجمة الجن في الصحابة ولا وجه لإنكاره لأنهم مكلفون وقد أرسل إليهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وأما قوله كان الأولى أن يذكر جبريل فيه نظر؛ لأن الخلاف في أنه أرسل إلى الملائكة مشهور بخلاف الجن فإن قيل: في«كشف الأسرار عما خفي عن الأفكار»

لأحمد بن العماد الأقفهسي أن آدم أرسل إلى الملائكة لينبئهم بما علم من الأسماء نقله غي الحبائك.

الجواب: لا منافاة وما نحن فيه؛ لأن رسالة سيدنا آدم لهم لحكم وأسرار كفينا الكاشف شأنها في شرح الهمزية, فليراجعه مبتغيه ومما لم نذكره ثمة.

**أنا نقول:** اعلم أن من كمال، كمال أوتيته الحقيقة المحمدية إلا وله مرتبتان مرتبة الظاهرية، ومرتبة الباطنية فمرتبة الظاهرية المقام المحمود الذي يؤتاه سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يوم يقوم الناس لرب العالمين، أوتيها سيدنا آدم υ يوم علم الأسماء كلها، وأسجدت له الملائكة وكان له ذلك الموكب الإلهي عن وراثة محمدية, فهو في الحقيقة لم يقع ذلك إلا للجناب المحمدي، وكان ذلك من خلفائه قوم من جملة الجيش المحمدي الذي تقدم، فكان كل من درج قبل ظهور الجسم المحمدي ε مقدمة الجيش وكل من تأخر من سائر الأولياء من ساقة الجيش والملائكة-عليهم الصلاة والسلام-على الميمنة والميسرة متعاونين متعاضدين, فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدًا والشهوات والشبهات قطاع الطريق وهم مجاهدون.

وأما باطنية المقام المحمدي, فهي التي تعطى لأكمل الذوات الإنسانية والأعلم بالله من سائر البرية، وهذا الجواب الذي لاح لي نظير ما قيل: أن سجود الملائكة-عليهم السلام- في الحقيقة ليس إلا للنور المحمدي اللائح في الذات الآدمية عليها, وأعوذ هذا العلم إبليس فلم يطلع عليه فأُبلس وطرد.

**لـوْ أَبْصَـرَ الشَّـيْطَانُ طَلْعَـةَ نُـورِهِ ... فِـي وَجْـهِ آدَمَ كَـانَ أَوَّلَ مَـنْ سَـجَدْ**
**أَوْ لَـوْ رَأَى النّمْـرُوُدُ نُـورَ بَهَائِـهِ ... عَبَـدَ الجَلِيـلَ مَـعَ الخَلِيـلِ وَمَـا عَنَـدْ**
**لَكِـن جَمَـال الله جَـلَّ فَـلاَ يَـرَى ... إلاّ بِتَخْصِـيصٍ مِـنَ اللهِ الصَّـمَدْ**

وهكذا فلتغزل الحقائق ﴿**وَالله رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ** ﴾ [البقرة: 207], وبه تعلم أنه لا منابذة بين ما قرره الأسيوطي في الحبائك وبين عدة في الأنموذج من الخصائص التي اختص بها عن جميع الأنبياء ولم يؤتها نبي قبله أنه أرسل إلى الملائكة، واعتراضهم على الأسيوطي في هذا المحل وغيره محض تحامل:

**شِـتمٌ مَـرَّتِ اللّيَـالي عَلَيْهَـا ... وَاللّيَـالِي قَلِيلَـةَ الإِنْصَـافِ**

وأما بعثته ε إلى الجن, فأجمع العلماء عليه لما حكيناه قبل ودليل الإجماع ﴿**لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾ [الفرقان:1].

أجمع المفسرون على دخول الجن في هذه الآية وهو مدلول لفظها؛ بناء على أن العالمين اسم جمع لمن يعقل خاصة وهم الملائكة، والثقلان لا جمع له؛ لأن العالم اسم لما سوى الله, فلو كان جمعًا له للزم أن معنى المفرد أكثر من معنى الجمع، وهذا أحد قولين.

**والثاني:** أنه جمع شامل لذوي العلم وغيرهم.

**وقيل:** اسمُ وضِعَ لذوي العلم من الملائكة والثقلين، وإذا كان كذلك فلا يخرج عنه إلا بدليل ولم يوجد، فثبت دخولهم في اللفظ.

**وإن قيل:** الملائكة خارجون من ذلك العموم على مذهب الأكثر إنه ليس مرسلاً إليهم فتضعف دلالة العالم على بعض أفراده لاحتماله التخصيص زيادة على ما خص به، حيث ثبت استثناء الجن أيضًا فلا تدل الآية على أنه مرسل إليهم فلا يضر ذلك في الاستدلال بها على دخول الجن؛ لأن العالم المخصوص حجة عند جمهور العلماء والأصوليين مطلقًا لاستدلال الصحابة به من غير نكير.

**وقيل:** إن خص بمعين مع مبهم كاقتلوا المشركين، وقيل: إن خص بمتصل كالصفة، وقيل: غير ذلك ومحل الخلاف إن لم تقل أنه حقيقة وإلا احتج به حزمًا كما قاله ابن السبكي فتقييدنا أولاً بالجمهور بنا على أنه مجاز.

فإن قلنا حقيقة كان حجة عند الجميع ولو بطل الاستدلال, فالعمومات المخصوصة كما قيل به أيضًا لبطل الاستدلال بأكثر الأدلة لكونها مخصوصة وهو خلاف وعمل الصحابة والأئمة بعدهم، وقال تعالى: ﴿**أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ**﴾ [الأحقاف:31], فأمر بعضهم بعضًا بإجابته دليل على أنه داعٍ وهو معنى بعثته لهم إلى غير ذلك من الآيات.

وأما السنة: ففي صحيح مسلك عن أبي هريرة: «**فضلت عن الأنبياء بست**»[1]، فذكر منها «**وأرسلت إلى الخلق كافة**»[2]، فإنه يشمل الجن والإنس والملائكة أيضًا، وحمله على الإنس خاصة تخصيص بغير دليل فلا يجوز؛ لأنه تحكم والكلام فيه كالكلام في آية الفرقان فإن قلت: إن قوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾ [الأعراف: 158]، وقوله: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ**﴾ [سبأ: 28]، ظاهر في اختصاص رسالته صلى الله تعالى عليه وسلم بالإنس؛ لأن الخطاب لهم، واحتمال غير ذلك عدول عن الظاهر.

**فالجواب:** أن هذا إنما يتمشى على مذهب الدقاق والصيرفي وهو أقدم منه وأجل وابن خويز قداد من المالكية القائلون بأن مفهوم اللقب حجة والناس من قبيل اللقب عند الأصوليين.

فإن المسألة المترجمة في الأصول بمفهوم اللقب لا تختص باللقب المشعر بمدح أو ذم، بل الأعلام كلها وأسماء الأجناس كلها كذلك ما لم تكن صفة والناس اسم جنس غير صفة فلا مفهوم له فسقط السؤال فهذه الآية ليس فيها أصلاً ما يفهم منه أنه ليس رسولاً إلى غيرهم إلا على مذهب الدقاق والصيرفي من الشافعية وهو ضعيف، بل ولا يتم على مذهبه التمسك بهذا المفهوم أيضًا؛ لأن الدقاق ومن وافقه إنما يقول به، حيث لم يظهر غرض سواه في ذلك الاسم فيوافقه الدقاق وغيره على عدم اعتبار مفهوم اللقب، وحيث ظهر غرض لم يقل الدقاق بالمفهوم، بل يُحمل التخصيص على ذلك الغرض.

والغرض في الآية الشريفة التعميم في جميع الناس، وعدم اختصاص الرسالة ببعضهم، فلا يلزم نفي الرسالة عن غيرهم، لا على مذهب الدقاق، ولا على مذهب الجمهور؛ وإنما خاطب الناس فقط؛ لأنهم الذين تغلب رؤيتهم والخطاب معهم ومقصود الآية الكريمة خطاب الناس والتعميم فيهم لا النفي عن غيرهم حتى يتأتى السؤال وهذا

---

(1) رواه مسلم (371/1)، والترمذي (123/4).

(2) رواه مسلم (371/1)، والترمذي (123/4).

كله إذا قلنا أن لفظ الناس لا يشمل الجنة.

فإن قلنا أنه يشمله فواضح الاختلاف فيه مبني على الاختلاف في اشتقاق الناس هو من النوس، وهو من الحركة، أو من الأنُس وهو ضد الوحشة.

**فإذا قلنا بالأول:** أطلق على الفريقين؛ لأن الجن يتحركون كالإنس ولكن استعماله في الإنس أغلب، وحيث أطلق فالمراد به ولد آدم.

**وإذا قلنا بالثاني:** فلا يدخل الجن؛ لأنا لا نبصر الجن ولا نأنس بهم, فدخول الجن في الآية الشريفة إما ممتنع وأما قليل، فلا تحمل عليه بهذا تبين ضعف الاستدلال بها على أنه مرسل إليهم لكنها لا تدل على خلافه وهو خروج الجن عن كونه مرسلاً إليهم، بل هي ساكتة عنه فها نحن قد أتينا على تحرير هذه المسألة لما جرى ذكرها في هذا البساط، بل زاد البارزي وإلى الحيوانات، والجمادات، والحجر، والشجر، وهذا جار على أن كل موجود معه حصة من العلم هي فطرته المسبحة باستلزام وجوده لها, وهي المشار إليها بقوله تعالى: ﴿**كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ**﴾ [النور: 41].

**قال الأسيوطي:** وأنا أزيد أنه مرسل إلى نفسه.

**قال الشيخ تقي الدين السبكي:** وبهذا فإن لنا معنى حديثين كان خفيًّا عنا قوله ε: «**بعثت إلى الناس كافة**»[1], كنا نظن أنه من زمانه إلى يوم القيامة فبان أن جميع الناس أولهم وآخرهم.

**والثاني قوله** ε: «**كنت نبيًا وآدم بين الروح والجسد**»[2] كنا نظن بالعلم, فبان لنا أنه زائد على ذلك, انتهى.

فبان أنه ε مرسل إلى الثقلين إجماعًا وإلى الملائكة على الصحيح، ومن أدلة عموم بعثته للناس قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ**﴾ [سبأ: 28] لكن الاستدلال بها مبني على جواز تقديم الحال على صاحبه المجرور حرف جر غير زائد, وفيه خلاف.

وذهب إلى جوازه خلافًا لكثير من النحاة أبو علي وابن كيسان وابن برهان

(1) رواه البخاري (168/1), وأحمد (301/1).

(2) رواه الخلال في السنة (188/1), وابن أبي شيبة في المصنف (329/7).

والرضي وابن مالك حين قال: وسبق حال ما بحرف جر وابن أبو حيان ردًا على البيضاوي منعه وهو الصحيح؛ ولأجل الخلاف تارت الشبهة لبعض النصارى, فإنه حُكي أنه سأل بعض العلماء عن دليل عموم بعثته ε فذكر الآية، فقال: لا يقوم علي بها دليل؛ لأني لا أقول بتقديم الحال على صاحبها المجرور بحرف أصلي، فقال قوله ε: «**بعثت إلى الأحمر والأسود**»[1], فقال: هذا خبر آحاد، والمطلوب في هذه المسألة القطع فانقطع لقصوره.

قال بعضهم: وقد ورد في ذلك من الأحاديث ما يبلغ مجموعه التواتر القطعي وإن كانت تفاصيله آحادًا، وهذا أيضًا قصور، ففي القرآن المتواتر قطعًا ما يدل ذلك كقوله: ﴿**لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ**﴾ [الأنعام:19], ﴿♦ **لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**﴾ [الفرقان:1].

أجمع المفسرون على شمولها للثقلين ومع إجماعهم, فهو مدلول لفظها وأيضًا، فمراد ذلك النصراني نفي رسالته ε إلى أهل الكتب وهذا يبطله قوله تعالى: ﴿**وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ**﴾ [آل عمران:20]، وقوله: ﴿**قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ**﴾ [المائدة: 19].

**قلت:** وأيضًا لو استدل القاضي أبو سعيد بقوله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾ [الأعراف: 158] لبهت ذلك المجادل, وقد يستدل عليه بما لا يكاد ينكره من فعله ε مع اليهود في عصره ودعوته ρ لهم.

وفي الباب السابع والثلاثمائة من «الفتوحات» على حديث: «**لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني**»[2]**:** اعلم أنه ε نبي الأنبياء للعهد الذي أخذ على الأنبياء لسيادته عليهم ونبوته في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ**﴾ [آل عمران:81] الآية, فعمت رسالته وشريعته كل الناس، فلم يخص نبي بشيء إلا كان ذلك الشيء لسيدنا محمد ε أصاله, انتهى.

---

(1) رواه أحمد (304/3), وابن حبان في الصحيح (375/14).

(2) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (312/5).

وفي الباب العاشر من الفتوحات في قوله عليه الصلاة والسلام: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»[1] إنما كان ε سيد ولد آدم؛ لأن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نواب له ε من لدن آدم إلى آخر الرسل وهو عيسى عليه الصلاة والسلام، كما أنبأ عن ذلك حديث لو كان موسى وعيسى حيين ما وسعهما إلا اتباعي وصدق ε في ذلك, فإنه لو كان موجودًا بجسمه من لدن آدم إلى زمان وجوده لكان جميع بني آدم تحت شريعته حِسًّا، ولهذا لم يبعث نبي إلى الناس عامة إلا هو خاصة, فجميع شرائع الأنبياء هي بالحقيقة شرعه ε, انتهى.

وذكر الجلال أول كتاب «الخصائص» نقلاً عن السبكي أنه كان يقول أن سيدنا محمدًا ε نبي الأنبياء فهو كالسلطان الأعظم وجميع الأنبياء كأمراء العساكر ولو أدركه جميع الأنبياء لوجب عليهم اتباعه إذ هو مبعوث إلى جميع الخلق من لدن آدم إلى قيام الساعة، فكانت الأنبياء كلهم نوابه مدة غيبة جسمه الشريف، وكان كل نبي يبعث بطائفة من شرعه لا يتعداها, انتهى. والله شكور حليم.

وإن شئت أن تقول في معنى **[ونعتك]** أي: وأفضت عليه بالله سجال العطايا والمنح وأخذته عنه وسلخته عن شوائب الكثافات المانعة من العبودية المطلقة حتى لم تبق له من أمر نفسه شيئًا يظهره معك لا رأيًا ولا تدبيرًا ولا غير ذلك مما يناقض العبودية الكاملة، وهو من معنى اتحاد النعت بالنعت, أي: لشدة تجرده عما سواك, كأنه لا نعت له، فقوله ونعتك مدخل لجعلت أول الصلاة.

قال الحكيم الترمذي في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم:4], وهو ترك مشيئته ومراداته وتدبيره مع ربه, فهذا هو الخلق العظيم انتهى.

ومن معناه قول أرباب الحكم: **[أرح نفسك من التدبير, فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك]**, وقالوا: لا تطلب من أن يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها, فلو أراد لاستعملك من غير إخراج, وهاهنا قال الوفائي:

**وَعِلْمُـــكَ أَنَّ كُـــلَّ الأَمَـــرِ أَمّـــرِي هُـــوَ المَعْنَـــى المُسَـــمَّى باتِّحـــاَدِ**

(1) رواه ابن ماجه (1440/2).

وقال فيه الجنيد:

**وَجَــوْرِي أَنْ أَغِيــبَ عَــنِ الوُجُــودِ ... بِمَـــا يَبْـــدُوا عَلَـــيَّ مِـــنَ الشُّـــهُودِ**

وفيه تطرق من قال في سر سهوه عليه الصلاة والسلام:

**يَا سَائِلِي عَنْ رَسُولِ اللهِ كَيفَ سَهَى ... والسَّــهْوُ عَــنْ كُــلِّ قَلْــبٍ غَافِــلٍ لاَهِ**

**قَدْ غَـابَ عَنْ كُلِّ شَيءٍ سِرُّهُ فَسَهَى ... عَمَّـا سِوَى اللهِ فِـي التَّعظِـيمِ فِـي اللهِ**

وأنشدوا في مطلق العارفين:

**قَــدْ عَرَفْــتُ الإِلَــهَ لَــمْ أَرَ غَيْــرًا ... وَكَــــذَا الغَيــــرُ عِنْـــدَنَا مَمْنُـــوعُ**

**قَــدُ تَجمَّعَــت مَــا خَشَــيْتَ افْتِرَاقَــا ... فَأَنَــــا اليَــــوْمَ وَاصِــــلٌ مَجْمُــــوعُ**

وانظر تجد بهذا سيدنا موسى سأل الرؤية بقوله: ﴿**رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ**﴾ [الأعراف:143]، فقيل له: ﴿**لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الجَبَلِ**﴾ [الأعراف:143].

وهذا سيدنا محمد ε لما أصْمَتته الحيرة قيل له: ألم تر إلى ربك، وقيل: ﴿**ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**﴾ [النجم: 8-13].

**وهذا سيدنا موسى** υ **قيل فيه:** لما تجلى ربه للجبل.

وهذا سيدنا محمد لقوة جأشه واطمئنان لبه في مقام التداني، وكمال عبوديته في أدبه وصفه ربه جل عزه كيف كان حاله من التمكين بقوله: ﴿**مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى**﴾ [النجم:17] فلم يتغير حاله لما تغير عليه التجلي على أنه ما تجلى له إلا الذي كان يعلمه، وأيضًا هذا في مقابلة التلوين الذي تجلى به على الكريم υ.

وهذا سيدنا زكريا قال: ﴿**رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ**﴾ [آل عمران:40] وقالت زوجه: ﴿**يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ**﴾ [هود:72], فشاركها فيما قالت فهذا من المقامات التي لحق النساء فيها الرجال أو اشترك الرجال فيها مع النساء.

وهذا سيدنا محمد ε قال: «**آمنت بهذا أنا وأبو بكر وعمر**»[1], فأصمته الأدب والعلم بحقائق الأمور.

وهذان سيدنا موسى وسيدنا هارون-عليهما السلام- قالا عن الحق سبحانه لهما:

(1) ذكره الذهبي في معجم المحدثين (199/1).

﴿**قَالَ لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى**﴾ [طه:46], فلم يذكروا إلا ياء المتكلم وإنه معهما بالسمع والرؤية، ومع ذلك أنتج له هذا المشهد تلك الحدة التي كانت فيه حتى أخذ برأس أخيه يجره إليه، وحتى لما وكز القبطي قضى عليه.

والحقيقة المحمدية هب أنها تجلى عليها بالأسماء الذاتية لم يزايلها ذلك عن التحقق بحقائق العبودية مع أن التجليات الخاصة به ε تعطي بالخاصية الترأس والتظاهر، ومع هذا كان إذا أطلق العبد في القرآن الكريم أن لا يقع إلا عليه ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ**﴾ [الإسراء: 1]، ﴿**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ**﴾ [الكهف: 1]، ﴿**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ**﴾ [الفرقان: 1]، ﴿**وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ**﴾ [الجن: 19]، ﴿**أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى * عَبْدًا إِذَا صَلَّى**﴾ [العلق: 9: 10].

وهذا سيدنا محمد وصحبه قال له: ﴿**لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا**﴾ [التوبة: 40] فعبر باسم الجلالة على أنه علم وليس بصفة وشرك سيدنا أبا بكر معه في قوله: (نا) وانظره في قوله: ﴿**إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾ [الشعراء:62]، ومع ذلك:

**أَصَمٌّ إِذَا نُودِيتُ باسمِي وإنني إِذَا قِيلَ لِي يَا عَبْدهَا لسَمِيع**

فعظمت مننك على سيدنا محمد في حيازته أسهم العبودية الكاملة وعدم تقوله عليك شيئًا ما حتى كان من أعظم مننك عليه قولك: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ [آل عمران:128], فكنت أنت المتصرف له، ويقابلوا هذا مع قوله تعالى لعبده الصالح سيدنا سليمان υ ﴿**فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ**﴾ [ص:36].

وقطب الأكوان لما أردت أن لا يذهب له سهم من أسهم عبوديته الكاملة.

قلت: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ [ص:36]، فكان أعظم مدحه له.

**وقلت أيضًا فيه:** ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى**﴾ [النجم:3-6], فكان سيدنا محمد ε عبدًا حقيقيًّا مطلقًا حاز اسم العبودية أجمع لا كلياتها ولا جزئياتها، أما كلياتها فتسعة وتسعون سهمًا عدد أصول أسماء الله الحسنى، والسهم الموفى مائة من أسهم العبودية في مقابلة الاسم الأعظم من الأسماء لم يعطه إلا صاحب فلك القطبية وليست الكمالات الخلقية من

نبوءة أورسالة، وفاتحية، وخاتمية، وقطبية، وغوثية، وفردية، ووترية، بالإضافة إلا للحقيقة الأحمدية ففيها كانت مثبوتة جميع هذه الكمالات، ثم تدفقت عنها لأهليها لا في عالم الأرواح، ولا في عالم الأشباح بعد بروز الجسم المحمدي لعالم الشهادة.

وكذلك السهم الموفي مائة من أسهم العبودية لم يعط إلا للحقيقة المحمدية، وبذلك كانت لها الخاتمية للدوائر، قال الله Y جلاله في المتواتر: ﴿**مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّين**﴾ [الأحزاب:40], وبانتقاله عليه الصلاة والسلام للرفيق الأعلى انقطعت العبودية الكاملة من الأرض ولم يبق منها إلا رشاشات ورشمات تقاسمها أهل الدوائر، فهذه كليات أسهم العبودية.

وأما جزئياتها فلا تنحصر، كما ورد في الأسماء الإلهية: «**واسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»[1], فالعدد المذكور في الصحيحين لا ينفي الزيادة بدليل هذا الحديث الآخر والمبين عن الله تعالى ε اعلم بما هنالك، فلا جرم لما كان عبدًا مطلقًا، كما كان رسولاً مطلقًا استقلاليًا متبوعًا لا في عالم الأرواح، ولا في عالم الأشباح، كانت شئونه كلها إلاهية، فهو معنى اتحاد النعت بالنعت في الصلاة الأنموذجية، وبما أمليناه تعلم أن قول من قال وأبداه على أنه من اللطائف أن السر في ختم القرآن الكريم بالسين وابتدائه بالباء، كأن الله تعالى يقول لنبيه وحبيبه وخليله «بس» هذا القرآن الذي أتيتك, فلا تطمح إلى الزيادة، يقال عليه أنه ليس في محله؛ لأنه υ كان قادرًا بإقدار الله تعالى وما أتاه من المعرفة أن يستخرج عليه الشرائع المتقدمة وما حواه القرآن العظيم من حرف واحد من القرآن، بل من نقطة البسملة، فكيف لا يكتفي بالقرآن الحكيم، فيطمح بهمته وقابليته إلى ما وراءه، هذا من عدم العلم بالحالات المحمدية.

وانظر قضية فرض الخمسين صلاة ليلة الإسراء كيف لم يدبر مع ربه جل أمره، ولا طلب منه التخفيف حتى جاء ذلك من قبل الكليم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

---

(1) رواه أحمد (452/1), وابن حبان في الصحيح (253/3).

لأنه υ لاحظ أن جلال الربوبية يستحق أكثر من ذلك.

**لَوْ يَسْمَعُونَ كَمَا سمِعْتُ كَلاَمَهَا خَرُوا لِعِزةِ رُكَّعًا وَسُجُودًا**

ومقتضى وظائف العبودية يقتضي ويطلب أعظم من تلك التكاليف فذاك وجه تلقيه عليه الصلاة والسلام،ذلك أولاً بوجه ضاحك فكيف υ يفتات على ربه جل سلطانه ويختاره معه ويختلج في خاطره الكريم الزيادة على القرآن حتى يقال له: «بس»، هذا لم يكن ولا يليق ذلك بمن عرف أدنى أسهم الآداب مع الله تعالى، وأسهم الآداب مع الله تعالى عدد حروف القرآن الكريم من أوله إلى آخره، ولولا أن ربه جل جلاله أمره بطلب الازدياد من طلب العلم ما طلبه من عندياته؛ لقوله مرة أخرى في موطن آخر: ﴿**وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ**﴾ [طه:114], ولولا أنه فتق لسُنه المحمدية بأنواع التحاميد، وضروب التماجيد ما طلب شيئًا؛ لأنه كان مكتفيًا بعلم الله عالمًا أن ما أصابه لم يكن يخطئه، وإن ما أخطئه لم يكن ليصيبه، فاعقل على أن لفظة «بس» هذه مولدة عامية غير عربية.

قال محمد بن المعلي الأزدي في كتاب «المشاهكة في اللغة العامة» تقول لحديث يستطال «بس» وألبس: الخلط.

وعن أبي مالك ألبس: القطع، ولو قالوا المحدثة: «**بسًّا**»كان جيدًا بالغًا بمعنى المصدى أي: بس كلامك بسًّا أي: اقطعه قطعًا وأنشد:

**يُحَدِّثُنَا عَبَيد مَا لَقِينَا بِبِسِّكَ يَا عَبِيدَ مِنْ كَلاَمِ**

وفي كتاب «العين» للخليل بن أحمد: بس: بمعنى حسب.

**قال الزبيدي في استدراكه:** بس بمعنى حسب غير عربية وانظر المزهر أعجب المؤلفات الأعجوبة النوع الإنساني الحافظ الأسيوطي في النوع الحادي والعشرون في معرفة المولد، وهو ما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بألفاظهم، فقد ذكر هذه اللفظة في هذا الباب، وراجع أيضًا شفاء العليل فيما في كلام العرب من الدخيل، وكأنه اكتفى بما ذكره في الشفاء عن معاودته له في شرح «درة الغواص في أوهام الخواص»، ومع هذا كله فلا يقاوم هذا قول محشي القاموس عند قوله **[بس]** بمعنى حسب أي: هو

مسترزل, انتهى.

وقد صححها بعض أئمة اللغة.

**وفي الكشكول للبهاء العاملي ما نصه:**

ذكر بعض أئمة اللغة أن لفظة [بس] فارسية تقولها العامة وتصرفوا فيها فقالوا: بسك وبسي إلى آخر كلامه، ونقله تلميذه في تاج العروس ولم ينقل كل ما نقلناه عن المزهر صاحب التاج, انتهى.

وإذا كانت غير عربية، بل مولدة فكيف يصدر ويختم بها الكتاب العزيز الذي أعجز بحديث منه العرب العرباء، ومصاقع البلغاء، فلم تصح هذه النكتة التي أبداها هذا المبدئ لا من طريق التلويح، ولا من طريق الإشارة، فضلاً عن طريق التفسير.

وسر ختمه تعالى القرآن بالسين وابتدائه بالباء يطول ذكره، والقصد الإنجاز ما أمكن ولو أدمنت حضور مجالسنا لظفرت به وبما هو أعز من الكبريت الأحمر والله عليم حكيم.

وإن أردت زيادة بيان في تحقيق عبودية حضرة الرسول الأعظم فاستمع لما يقال: هذه الصديقية ابنة الصديق-رضي الله تعالى عنهما- لما سئلت عن خُلقه ε قالت: «**ألست تقرأ القرآن؟ قال: بلى، قالت: فإن خُلق نبي الله كان القرآن**»[1]، والحديث أخرجه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والدارمي وابن ماجه والنسائي.

**عن سعيد بن هشام قال: قلت لعائشة:** يا أم المؤمنين أنبئيني عن خُلق رسول الله ε، قالت: «**ألست تقرأ القرآن؟ قال: بلى .. إلخ**», فأشادت أولاً إلى غلط السائل؛ لأنه يفهم منه أن الأخلاق المحمدية محصورة فنبهته على أنها من أخلاق الله جل أمره الذي لا تنحصر؛ فلذلك قالت: كان خُلقه القرآن، والقرآن اللفظي الملفوظ به دال على النقوش، وهي دالة على ما في الدهر، وهو دال على المعنى القديم القائم بالذات الأقدس جل سلطانه ضرورة أن الشيء له وجودات أربع: وجود في العبادة، ووجود في

(1) رواه مسلم (513/1), وابن حبان (292/6).

الكتابة، ووجود في الدهر، ووجود في الخارج, فافهم.

**فآل قولها:** كان خُلقه القرآن إلى أنه اكتنف الشئون الإلهية واكتنفته فكان بالله، ولله، ومن الله، وإلى الله ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى**﴾ [الأنفال:17]، ﴿**مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ**﴾ [النساء: 80]، ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ**﴾ [الفتح:10]، وإذا كان خُلقه القرآن, فمن أراد أن يرى رسول الله ε عيانًا لمن لم يدرك عصر الصحابة, فلينظر القرآن الكريم من أوله إلى آخره فإنه خلقه، وقد رآه وقد تفطن لهذا الإمام السهروردي في العوارف, فقال في قول الصديقية: «كان خُلقه القرآن» قال: أرادت أن تقول كان متخلقًا بأخلاق الله فاحتشمت لوفور عقلها، وكمال أدبها، وشرح هذا يطول.

**فَعَرِّجَ إِذَا مَا شِئْتَ بِالبَانِ والحِمَى وَإِيَّاكَ أَنْ تَنْسَى فَتَذْكُر زِيُّنَا**
**سَيَكْفِيكَ مِن ذَاكَ السُّمَى إِشَارَة وَدَعْهُ مَصُونًا بِالجَمَالِ مُحَجَّبَا**

هذا وإن لعظم ما اكتنفته الذات المحمدية من تشعبات الأخلاق الإلهية, واشتملت عليه من علمنا بكل أمر يقوم به أمر العالم العلوي، والسفلي استعظم الحق جل مجده خلقه المحمدي بقوله: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم:4].

واعلم أنه تعددت مقالات الناس في وجه استعظام خلق هذا النبي العظيم.

**فقالت الطائفة الأولى:** لكونك متخلقًا بأخلاق الله تعالى، وأخلاق كلامه وهذا يومأ إليه كلام السهروردي, فقال في عوارفه في قولها ذلك رمز غامض وإيماء خفي إلى الأخلاق الربانية فاحتشمت من الحضرة الإلهية أن تقول: «كان متخلقًا بأخلاق الله تعالى» فعبرت عن المعنى بقولها: **«كان خُلقه القرآن»**[1] استحياء من سبحان الجلال وسترًا للحال بلطيف المقال، وهذا من وفور عقلها وكمال أدبها, انتهى.

**وقالت الطائف الثانية:** لكونك متأيدًا بالتأييد القدسي فلا تتأثر بافترائهم, ولا تتأذى بآذاهم إذ بالله جل أمره تصبر لا بنفسك كما قال: ﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ**﴾ [النحل: 127], ولا أحد أصبر من الله جل شأنه.

وكلمة «على» للاستعلاء, ودلت على أنه υ مستعلٍ عن الأخلاق الحميدة، ومستولٍ على الأفعال الجميلة، فلم يصل إليها مخلوق غيره حتى صارت بمنزلة

(1) رواه البخاري في الأدب المفرد (317).

الأمور الطبيعية له، ولهذا قال تعالى: ﴿**قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا**﴾ [الأنعام:90] وما أنا من المتكلفين أي: لست متكلفًا فيما يظهر لكم من أخلاقي؛ لأن المتكلف لا يدوم أمره، بل يرجع إليه الطبع وللإنسان صورة ظاهرة لها هيئة يشاهدها البهر الذي هو في الرأس، وهي من عالم الملك وهي الشكل وصورة باطنة لها سيرة تشاهدها البصيرة التي هي في القلب وهي من عالم الملكوت وهي الخُلق, فكما أن لهيئته الظاهرة حسنًا، أو قبحًا صوريًّا، باعتبار أشكالها، وأوضاعها، وألوانها، فكذلك سيرته الباطنة لها حسن، أو قبح معنوي، باعتبار شعائرها وطبائعها، ومن ذلك قسموا الخلق إلى المحمود، والمذموم تارة، وإلى الحسين والقبح تارة أخرى، وكثيرًا ما يطلق، ويراد به المحمود فقط؛ لأنه اللائق بأن يسمى خُلقًا.

**ومن هذا قوله تعالى عظيم وعليه قول الإمام الرازي:** الخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الجميلة، ونفس الإتيان بالأفعال الجميلة شيء، وسهولة الإتيان بها شيء آخر، فالحالة التي باعتبارها تحصل تلك السهولة الخلق وسمي خُلقًا لرسوخه، وثباته صار بمنزلة الخلقة التي جبل عليها الإنسان، وإن احتاج في كونه ملكة راسخة إلى اعتماد، وطول رياضة، ومجاهدة.

ولما كان -عليه الصلاة والسلام- خُلقه العظيم أعظم خُلق بواسطة كون عقله أوسع العقول بعثه الله جل أمره إلى جميع العالمين، وبهذا يعلم من قول الصديقية-رضي الله تعالى عنها وعن أبيها-: «**كان خلقه القرآن**»[1] أي: كمالات خلقه ε لا تتناهى، كما أن معاني القرآن لا تتناهي وأن التعرض لحصر جزئياتها غير مقدور للبشر، ومن ثم وسعت أخلاقه أخلاق أفراد أصناف بني آدم، بل أنواع أجناس العالم، ولذا أرسله الله سبحانه إلى العرب والعجم، والإنس والجن، وسائر الأمم، بل والملائكة والنباتات، والجمادات، بل وإلى الأنبياء والمرسلين-عليهم السلام- فإنهم من أمة سيدنا محمد عليه أفضل الصلوات وإنما التحيات كما أنبأت بذلك آية: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم**

(1) تقدم في سابقه.

**مِّنَ الشَّاهِدِينَ**﴾ [آل عمران:81].

ثم ما انطوى عليه ε من كرائم النشأة وعظائم الأخلاق لم يكن باكتساب ولا ترييض وإنما كان في أصل خلقته بالفيض الإلهي والإمداد الرحماني لم تزل إفاضاته عليه مفاضة فائضات وأنوار تجلياته، وإمداداته لم تزل عليه مشرقات طامحات، وكذا ذوات الأنبياء والرسل-عليهم السلام- ومن تفحص سيرهم علم هذا وتحققه إلى أن وصل سيدنا ε لما لا وراء ورائه لمقدورات البشر والأملاك, وكان من أجل ما أوتيه تتمنى وطأ أقدامه سكان الأفلاك .. إلخ.

وليعلم أن كمال الخُلق إنما ينشأ عن كمال العقل؛ لأنه الذي به تقتبس الفضائل وتجتنب الرذائل، والعقل لسان الروح وترجمان البصيرة، فهو جوهرة الإنس، ولكن جوهره البصيرة، والحديث المشهور: «**لما خلق الله سبحانه العقل قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، فقال: ما خلقت خلقًا أحب إليّ منك، بك آخذ وبك أعطي**»[1] موضوع, كما في اللآلئ تبعًا لابن تيمية وتبعه الزركشي، ولكن فيه وقفة! فله أصل صالح في زوائد عبد الله بن الإمام أحمد على كتاب«الزهد» لأبيه عن شيخه علي بن مسلم.

روى عنه البخاري وأبو داود والنسائي عن يسار بن حاتم وهو ممن ضعفه غير واحد كالقواريري والأزدي، ولكن احتج به الترمذي والنسائي على تفننه في الرجال وابن ماجه ووثقه ابن حبان.

وقال الديلمي: صالح الحديث، والحافظ صدوق له أوهام، وقال الحاكم: كان يسار عابد عصره، وقد أكثر عنه أحمد بن حنبل.

**قال الأسيوطي:** فالتحقيق أن هذا الحديث مرسل جيد الإسناد, وهو في معجم الطبراني في الأوسط موصول من حديث أبي أمامة، ومن إسناد أبي هريرة بإسنادين ضعيفين, انتهى. وهو كلام محقق في الفن إذ يسار مختلف في توثيقه وتضعيفه فحديثه

(1) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (213/1), وذكره العجلوني في كشف الخفا (275/1).

جيد، ومنهم من يقول حسن, فلا عبرة بقول الشامي: هذا من الأحاديث الواهية الضعيفة.

وعقل نبينا صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وصل في الكمال إلى غاية لم يصل إليها ذو عقل، ومن ثم روى أبو نعيم وابن عساكر عن وهب أنه وجد في إحدى وتسعين كتابًا أن الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدأ الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إلا كحبة رمل من بين رمال جميع الدنيا، ومما يقطع بذلك سياسته صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم للعرب الذين هم كالوحوش الشاردة النافرة النادة وصيره على طباعهم المتنافرة والمتباعدة كيف ساسهم، واحتمل جفاهم، وصبر على آذاهم، إلى أن قاتلوا دون أهاليهم، وهجروا في رضاه أوطانهم، وأحبابهم، مع أنه لم يطلع على سير الماضين، ولا تعلم من العقلاء المحدثين، وفي عوارف المعارف نقلاً عن بعضهم: اللب والعقل مائة جزء تسعة وتسعون في النبي ε وجزء في سائر المؤمنين.

**قلت:** ولا يطلع على معنى هذا إلا من علم تفاسير القرآن الكريم من أوله إلى آخره، وعلم إشاراته، وتلويحاته، وتلميحاته، وتصريحاته، وألغازه، ورموزه وعلم تشعبات خطاباته ووجوهها والمخاطبين بها، وكيفية التخاطب, واستعان على ذلك بعد إتقان هذه العلوم بالانخراط تحت مرتبة عارف كامل واصل؛ لأن ما وراء هذا لم يكشف إلا لهم، ولم ينصب على منصة الجلاء لغيرهم، وفك ما فيه من الطلاسم وانقشع عنه الغبار، فرأى ما فيه من العجائب، والعلوم، والإحاطة بما فيه صلاح العالم، والأولين، والآخرين، وكل ذلك أحاط به خيرًا سيدنا ونبينا ومولانا محمد ε، وهناك يعلم جلالته المحمدية، وما ألبسته من جلابيب الكمالات، والمزايا والخصيصات، ولهذا عبر جل جلاله عن خلقه العظيم المحمدي باسم الجنس النكرة كقوله:

**لـــهُ حاجـــبٌ عـــنْ كـــلِّ أمـــرٍ يشـــينهُ**

أي: حاجب عظيم, ولم يكتف تعالى بذلك حتى صرح بوصفه بالعظمة تأكيدًا وتحقيقًا بالضمن وتخصيصًا، وزيادة في معنى العظمة بالقصد الأول، فإن المفهوم من

التنكير مطلق العظمة ومن الصفة غايتها.

فإن قيل: هلَّا قيل حينئذٍ أعظم ، قلنا: رعاية لرتبة الأخلاق الإلهية إذ الأعظمية المطلقة الغير النسبية، إنما هي لها وعلى قدر القرب من سيدنا محمد ε على قدر التخلق بهذه الأخلاق والشيم:

| | |
|---|---|
| **وَمَنْ لمَ ْ يَكُنْ فِي عِزَّةِ الحُبِّ تَائهًا** | **بِحُبِّ الذِي يَهْوَى فَبشِّرْهُ بِالذّلِّ** |
| **عَلاَمَةُ صِدقِ الحُبِّ فِي المَرْءِ أنْ يَرَى** | **عَلَى سُنَنٍ كَانَت عَلَيْهَا الحَبائبُ** |

ولهذا قالوا: الخُلُق يتبدل بالمصاحبة والمعاشرة، كما في الحديث: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»[1].

وفي الحديث «**لا تجالسوا أهل الأهواء والبدع فإن لهم غرة كغرة الجرب**»[2].

ومن هنا كانت مصاحبة المشايخ من أكاد الأمور المحتم طلبها؛ لأن المرء على دين خليله ومع من تكن بحاله تكن؛ ولأن الإتيان بالعبادات على وجهها الشرعي سالمة من الرياء والعجب، وحب المحمدة والكبر، وسالمًا صاحبها من الحسد، والشحناء، والبغضاء، وآتيًا بالإخلاص, ويعبد الله كأنه يراه في مقام الإحسان، كل هذا لا يتمكن المكلف من معرفتها أولاً، ويرسخ في التلبس بها إلا بواسطة مرشد عالم عارف، ناصح، فيكون الإتيان بالعبادة هكذا واجبًا, وهي لا يتوصل إليها كذلك إلا بالكون، مع الصديقين «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»[3], فيصير اتخاذه واجبًا من باب ما لا يتوصل للواجب إلا به, فهو واجب وهذا أمر ضروري لمن نصح لله ولرسوله. قال تعالى: ﴿**وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ**﴾ [لقمان:15].

ومن هنا أيضًا كانت صحبة الأشرار مستقبحة مرغبًا عنها ﴿**وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة:119]، ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ**

---

(1) رواه أحمد (303/2), والحاكم في المستدرك (189/4).

(2) رواه أبو نعيم في الحلية (287/2) بنحوه.

(3) تقدم تخريجه.

**الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنعام: 68].

وخصوص السبب لا ينافي عموم الحكم ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ [يوسف: 108], فتأمل قوله: ﴿**وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾، وقال جل ذكره: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللهِ**﴾ [فصلت:33], وخصوص السبب لا ينافي عموم الحكم, فاعقل.

| **عَلَيكَ بِأَرْبَابِ الصُّدُورِ فَمَنْ غَدَا** | **مُضَافًا لأَرْبَابِ الصُّدُورِ تَصَدرَا** |
|---|---|

وتأمل ما في الصحيح من قوله جل اسمه في مطلق الذاكرين: [هم القوم لا يشقي جليسهم]، وقد كان إمامنا مالك τ يأتي محمد بن المنكدر، وكان الإمام أحمد τ ويحيى بن معين يختلفان إلى معروف الكرخي ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما.

وكان الإمام الشافعي يجلس بين يدي شيبان الراعي، كما يجلس الصبي في المكتب.

قال يحيى بن معاذ: ولي الله تعالى ريحان في الأرض فإذا شمه المريدون وصلت رائحته إلى قلوبهم فتشتاق بهم إلى ربهم سبحانه.

وقالت الطائفة الثالثة: إنما استعظم الحق جل ذكره خلق نبيه العظيم لما أنه أكشف مكارم أخلاق النبيين، والمرسلين فقد اجتمع فيه شكر سيدنا نوح، وخلة سيدنا إبراهيم، وإخلاص سيدنا موسى، وصدق وعد سيدنا إسماعيل، وصبر سيدنا يعقوب، وسيدنا أيوب، واعتذار سيدنا داود، وتواضع سيدنا سليمان، وسيدنا عيسى، وغيرها من أخلاق سائر الأنبياء عليهم السلام.

كما قال تعالى: ﴿**فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾ [الأنعام:90] إذ ليس هذا الهدى معرفة الله تعالى؛ لأن ذلك تقليد وهو غير لائق بمن يقتدر على الدليل الجملي، فضلاً عمن كان نبيًّا وآدم بين الروح والجسد.

فالقول بأن الهدى هنا التوحيد غفلة عما ينبئ عليه ولا الشرائع؛ لأن شريعته ناسخة لشرائعهم ومخالفة لها في الفروع، فلما لم يصح هذين الاحتمالين تعين المعنى في ﴿**فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾ [الأنعام:90]: أنه الاقتداء بكل منهم فيما اختص به من الخلق الكريم، وكأنه أمر بجميع جميع ما كان متفرقًا فيهم، وهذه درجة سمية المقدار لم

تتيسر لأحد من الأنبياء-عليهم الصلاة والسلام- فلا جرم وصفه الله سبحانه بكونه على خلق عظيم، كما قال بعض العارفين:

| لكُـلِّ نَبِـيٍّ فِـي الأنَـامِ فضِـيلَةٌ | وَجُمْلَتَهَـا مَجْمُوعَـة لمحَمَّـدِ |
|---|---|

ومن هاهنا احتج بعضهم لمن طلب الدليل من القرآن على أفضليته υ على جميع الخلائق بآية ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:90] على ما اخترعناه في تقريرها وهو وجه حسن.

وبذلك يظهر لك سر عدم وصف خلقه المحمدي بالكريم مع أنه المتعارف، ووصفه بأنه عظيم ونبه على سر ذلك الحليمي، فقال: لأن كرم الخلق يراد به السماحة والديانة، ولم يكن خلقه ε مقصورًا على ذلك، بل كان ε رحيمًا بالمؤمنين، رفيقًا بهم شديدًا على الكفار غليظًا عليهم، مهيبًا في صدور الأعداء، منصورًا بالرعب منهم على مسيرة شهر، فكان وصف خلقه ε بالعظيم أولى ليشمل الإنعام والانتقام.

ونقول حينئذ كان ε عظيم الرحمة، عظيم الرأفة، عظيم الإحسان، عظيم الإيثار، عظيم العطاء، عظيم المدد، عظيم النفع عظيم النصيحة، عظيم الدلالة على الله تعالى، عظيم الاحتمال, عظيم الصبر، عظيم الحلم، عظيم الوفاء، عظيم الملاطفة، عظيم التواضع، عظيم الهيبة، عظيم الحياء، عظيم الوقار، عظيم الغضب في ذات الله جل أمره، عظيم البطش، عظيم الانتقام لله سبحانه، عظيم السكينة، عظيم المحبة، عظيم الاشتياق لربه جل سلطانه، عظيم الرضا لما يبديه ربه جل جلاله في ملكه، عظيم الشكر، عظيم التبتل والانقطاع إلى مولاه لم يشاركه في التلبس الحقيقي بهذه الكمالات غيرها.

| مُنَـزَّهٌ عَـنْ شَـرِيكٍ فِـي مَحَاسِـنِهِ | فَجَـوْهَرُ الحُسْـنِ فِيـهِ غَيـرُ مُنْقَسِـمِ |
|---|---|

ولم يقصد المديح المتعارف من الحسن فقط.

وقالت الطائفة الرابعة: أن النوع الإنساني اكتنفت ذاته قوتين: قوة نظرية، وقوة عملية، ولم يتصف سيدنا ومولانا محمد بمقتضى قوته النظرية إلا بالعلم، والعرفان، والإيقان، والإحسان، ولم يفعل بمقتضى قوته العملية إلا ما فيه رضا الله تعالى من

فرض، أو واجب، أو مستحب، ولم يصدر منه حرام، أو مكروه فكان هو الملك، بل أعلى منه.

وقالت الطائفة الخامسة: قال صاحب روح البيان في «التأويلات النجمية»: كان خلقه القرآن، بل كان هو القرآن, كما قال العارف:

**أَنَـــا القُـــرْآنُ وَالسَّـــبْعُ المَثَـــانِي وَرُوحُ الـــرَّوْحِ لاَ رَوحَ الآوَانِـــي**

قال في «الكشف»: وادمج سبحانه في هذه الجملة أنه ε متخلق بأخلاق الله عز ووجل بقوله سبحانه: ﴿عَظِيمٍ﴾ [القلم:4] .

وهذا السر الروحاني له التفات إلى قولنا: «ونعتك» أي: صلِّ يا الله على سيدنا ومولانا أحمد الذي جعلت نعته متحدًا بنعتك، ويكفي من اتحاد النعت بالنعت، هذه الطائفة السادسة قول الإمام الجنيد: إنما كان على خلق عظيم لجوده بالكونين.

**لَـــهُ هِمَـــمٌ لاَ مُنْتَهَـــى لِكِبَارِهَـــا وَهِمَّتُـهُ الصُّـغْرَى أَجَـلُّ مِـنَ الـدَّهْرِ**

وكأنه يشير لتجرد سره العظيم ε بالكلية مما سوى الله تعالى فإنه لم يقف مع شيء دون الله تعالى، مع أن العالم بصدد أن يقطع الخلق عنه سبحانه، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾ [الكهف: 7], فلم يوجد من هو أحسن عملاً مثل سيدنا ومولانا وممدنا ε ، ولهذا قلنا في قول السراج الوهاج:

**وإنْ خَطَـرَتْ لِـي فِـي هَـوَاكَ إرَادَةٌ عَلَـى خَـاطِرِي سَـهْوًا قَضَـيْتُ بُرْدَتِـي**

إن هذا فيمن له بقية التفات لغير الله جل جلاله.

وأما أهل التجريد المطلق الباطني وهم الأنبياء والرسل والملائكة وورثتهم ومنهم سيدهم وممدهم وقبله مشاهدة أرواحهم ε .

فلم يركن لغير الله جل شأنه من أول نشأته حتى يحتاج إن خطر له خاطر السوي أنه يرجع لبداية غفلاته؛ لأن المراد بالردة الرجوع للبدايات لا الردة الشرعية، وإن كان خطور ما سوى الله سبحانه على قلوبهم، وهم في محل القرب أسوأ عندهم من الردة: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: 28], بل أقول أن سيدنا ε لم يغفل عن الله تعالى طرفة عين, وهو في الأصلاب النيران والأرحام المقدسات، ولم

تذق ذاته الترابية طعمًا أصلاً, وكل ما يشكل على هذا كله مجاب عنه في غير هذا الموضوع والأنبياء والرسل-عليهم السلام- حكمهم عدم غفلهم عن الله تعالى, وهم نطف في أصلاب آبائهم، والعقول تقصر عن مطلق إدراك الحقائق الجزئية, فكيف بالحقائق الكلية.

**فائدة وتنبيه وإيقاظ:** قال حضرة الشيخ الأكبر في «تلقيح الأذهان» أوتي υ جوامع الكلم؛ لأنه مبعوث لتتميم مكارم الأخلاق، كما قال υ ولذلك قال الله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم: 4], وهو عين كونه على الصراط المستقيم.

قال ε: «**إن لله ثلاثمائة وستين خلقًا من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة، قال أبو بكر** τ: **هل فيَّ منها يا رسول الله؟ قال: كلها فيك، وأحبها إلى الله سبحانه السخاء**»(1)، ثم إن هذا الاتحاد المذكور في الأنموذجية لم يقع لنبي ولا لرسول سواه ε.

**سانحة:** ولقد علم معنى اتحاد نعته ε بنعت ربه ذوقًا جبل السنة علمًا وعملاً، وزهدًا الإمام أحمد بن حنبل, فقال: من أقسم بالنبي ينعقد إيمانه وتجب الكفارة عليه بالحنث.

**أقول:** وذلك لأن الله سبحانه لما جعل طلعة نبيه طاعته ويبعثه ببعثه، وكما أمر عند النزاع في شيء أن يرد إلى الله سبحانه كذلك أمر أن يرد إلى الرسول، وكما جعل من الإيمان، الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، كذلك جعل تحكيمه فيما شجر بيننا من الإيمان، بل لا نؤمن حتى نكون كذلك، ثم لا تجدوا في أنفسنا حرجًا مما قضى وتسلموا تسليمًا، صار كأن الحلف به حلف بالله عز وجل؛لأنه ليس له υ منه شيء فما هو إلا أنوار ربانية تجسدت وصارت تسمى محمدًا بشريًا، وما أملح قول من شاهد وراء:

**رُوحٌ مِنْ النّورِ في جِسْمٍ مِنْ القَمَرِ ... كَحُلّةٍ نُسِجَتْ بالأَنْجُمِ الزهرِ**
**الأَنْوارُ مِنْ نُورِهِ فِي نُورِهِ غَرِقَتْ ... وَالَوجْهُ مِنْهُ طُلُوعُ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ**

---

(1) رواه خيثمة في حديثه (141/1).

فكذا ينبغي أن يفهم كلام الإمام أحمد والمنقول عنه في توجيه ذلك انه υ أحد ركني الشهادة؛ فلذلك صح الحلف به وانعقد.

وقد أخذ القرطبي ذلك من آية: ﴿**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ [الحجر:72], فقال: يجوز الحلف بسيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وحياته.

وقال ابن خويز منداد: استدل من جوز الحلف به ρ بأن إيمان المسلمين جرت من عصره صلى الله تعالى عليه وسلم حتى أن أهل المدينة إلى يومنا هذا إذا جاء صاحبه وقال له: احلف لي بما حواه هذا القبر, وبحق ساكن هذا القبر يعني النبي ε.

وأما المالكية: فالمشهور عندنا في المذهب في الحلف بالمعظم شرعًا كالنبي، والكعبة، والعرش، والكرسي، وحرمة الصالحين التحريم، واستظهره في التوضيح وشهره في الشامل، والكراهة وشهره الفكهاني؛ وذلك لقوله ε: «**فمن كان حالفًا فليحف بالله أو ليصمت**»[1].

ولا يستدل بحلفه تعالى؛ لأنه يحلف بما شاء ومحل الخلاف إذا كان الحالف بهذه الأشياء صادقًا، وإما إن حلف كاذبًا فلا شك في التحريم؛ لأنه كذب، والكذب محرم واستهزاء بالمحلوف به المعظم في الشرع، بل ربما كان والعياذ بالله إن كان في حق النبي ε ونحوه ذكره الحطاب-رحمه الله تعالى.

ثم ما ذكرناه من استدلال القرطبي بآية ﴿**لَعَمْرُكَ**﴾ [الحجر:72] على جواز الحلف به ε وبحياته مبني على أنه قسم به ε.

وقد ذكر عياض في «الشفا» اتفاق أهل التفسير أنه قسم من الله عز وجل بمدة حياة سيدنا محمد ε وأصله ضم العين من العمر ولمنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد، وقيل: وعيشك، وقيل: وحياتك، وهذا نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف.

قال ابن عباس-رضي الله تعالى عنهما- ما خلق الله سبحانه وتعالى, وما ذرأ وما

(1) رواه البخاري (951/2), ومسلم (1267/3).

برأ نفسًا أكرم عليه من سيدنا محمد ε، وما سمعنا الله أقسم بحياة أحد غيره، قال أبو الجوزاء: فما أقسم بحياة أحد غير سيدنا محمدε لأنه أكرم البرية عنده.

وقال في المواهب: اختلف في المخاطب في الآية على قولين:

**أحدهما**: أن الملائكة قالوا للوط لما وعظ قومه, وقال: ﴿**هَؤُلاءِ بَنَاتِي**﴾ [هود:78]، ﴿**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ [الحجر:72] أي: يتحيرون, فكيف يعقلون ويلتفون إلى نصيحتك.

**الثاني**: إن الخطاب لرسول الله ε, وإنه Y أقسم بحياته.

**قلت:** الأول وإن حكاه في الكشاف وتبعه ابن جزي مرجوع؛ لأن الخطاب بالقرآن عند الإطلاق لرسول الله ε.

وأيضًا إنما يتأتى على أضمار القول والأصل عدمه، ويترجح الثاني أيضًا بحكاية القاضي في «الشفا» الاتفاق عليه، ويؤخذ من أخذ القرطبي الآية جواز الحلف به وبحياته ε إنه الاحتمال الأصح والأرجح عنده.

وهذا وذهب أهل الكشوفات العرفانية إلى جواز القسم بكل ما وقع به الإقسام في القرآن الكريم نحو: ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى*وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى**﴾ [الليل:1، 2]، ﴿**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا*وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا**﴾ [الشمس:1، 2]، ونحو ذلك من الإقسمات الربانية وحسبك فخرًا بين يدي الأنبياء والرسل والملائكة والأولياء إذا قالوا لأي شيء قلت هذا؟ فقلت: قال أصدق القائلين, فكيف يبقى للإنسان وقفة بعد هذه الحجة في جواز الإقسام بكل ما أقسم به القرآن على أن الإقسام بتلك المقسمات في الحقيقة إنما هو لمشرفها ومن ألبسها جلاليب الدلالة عليه حتى صلحت؛ لأن يقسم بها وتعظم.

وفي الإقسام بها أنها عظيمة ويكفي من عظمتها كونها دالة على الرب العظيم الذي تشرفت الأنبياء، والرسل، والملائكة، وسائر عباد الله بخدمته، والمثول بعتبته، والموت في طلبه، وفي مرضاته فيكفي العالم من العظمة هذه العظمة، وتكفي في جواز الإقسام، ولو قلت أنه المعنى الذي من اجله وقع الإقسام بها في القرآن لصدقت

وتطريق من طرق في كل هذا سبيله أنه على حذف مضاف أي ورب الليل ورب كذا، فلغفلته عن كون العالم من شعائر الله فلا ضير في القسم به، وكان العالم جلدة المصحف, وهي تعظيم بعظم من انضافت إليه: ﴿**إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَرْدًا**﴾ [مريم:93-95].

ومعلوم أن الإضمار خلاف الأصل وأيضًا معلوم في علم التفسير، وكما في الإتقان أنه لم يقع القسم هكذا في القرآن إلا مرارًا ستة نحو: ﴿**فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ**﴾ [الذاريات:23]، ونحو ﴿**إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ**﴾ [يونس:53]، ونحو ﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الحجر:92، 93]، ونحو ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**﴾ [النساء: 65] ونحوها، أطلبها حالة التلاوة وإذا كان كذلك، ثم يقال: أن تلك الإقسامات ليست مقسوم بها وإنما المقسوم برب المضمر لزم التدافع في الكلام، وكان الخلاف بين أهل الكشوفات وبين أهل الفقه في هذه المسألة خلافًا في حال, فلو أمعن النظر في الليل وما فيه من الآيات البواهر، والنهار وما فيه من البينات الزواهر، والشمس وما فيها من المصالح القواهر، والقمر وما فيه من الإرشادات النواظر, لأيقن أنه ما ثم إلا شئون الربوبية تجلت في مرايا الكائنات وظهرت على صفحات وجنات الأثارات علمها من علمها، وكوشف بها من كوشف بها، واستترت عمن استترت, فإذا كان كذلك فالتمزوا السر الرباني المنطوي في تلك الأثارات العظام بذلك التقدير الذي قدروه.

وفي الحكم: يا عجبًا كيف يظهر الوجود في العدم، أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم؟ ومن ثم[....] [1] قهره سبحانه إذ حجبك عنه بما ليس بموجود معه.

وقال في الحِكم أيضًا: الكون كله ظلمة وإنما إناره ظهور الحق فيه، من رأى الكون ولم يشهده فيه، أو عنده، أو قبله، أو بعده، فقد أعوزه وجود الأنوار, وحجبت عنه شموس المعارف سحب الآثار.

---

(1) بياض في الأصل.

وقال أيضًا: ما حجبك من الله وجود موجود معه إذ لا شيء معه.

وقال أيضًا: لولا ظهوره في المكونات ما وقع عليها وجود إبصار.

وقال أيضًا: أظهر كل شيء؛ لأنه الباطن وطوى كل شيء؛ لأنه الظاهر.

وقال أيضًا: أباح لك أن تنظر في المكونات, وما أذن لك أن تقف مع ذوات المكونات ﴿**قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ**﴾ [يونس:101] فتح لك باب الإفهام, ولم يقل انظروا السماوات ليلاً يدلك على وجود الأجرام.

فقال أيضًا: من عرف الحق شهده في كل شيء، ومن فني به غاب عن كل شيء، ومن أحبه لم يُؤثر عليه شيء.

وقال أيضًا: كيف يحتجب الحق جل جلاله بشيء والذي يحتجب به هو فيه ظاهر وموجود حاضر.

وقال أيضًا: النعيم وإن تنوعت مظاهره إنما هو بشهوده واقترابه والعذاب, وإن تنوعت مظاهره إنما هو بشهوده واقترابه والعذاب, وإن تنوعت مظاهره إنما هو بوجود حجابه, فسبب العذاب وجود الحجاب وإتمام النعيم بالنظر إلى وجهه الكريم.

وقال: ما تجده القلوب من الهموم والأحزان, فلأجل ما منعت من وجود العيان.

وقال: الكائن في الكون ولم يفتح له ميادين الغيوب مسجون بمحيطاته ومحصور في هيكل ذاته، ومن أراد الوصول إلى هذا المعنى الذي دنونا عليه وأراد العثور عليه بالخبر, فلينخُ على ما نصف وهو.

**أما بعد** .. فإن البدايات مجلاة النهايات وأن من كانت بالله بدايته كانت إليه نهايته، والمشتغل به هو الذي أحببته وسارعت إليه، والمشتغل عنه هو المؤثر عليه، ومن أيقن أن الله يطلبه صدق الطلب إليه، ومن علم أن الأمور بيد الله انجمع بالتوكل عليه، وإنه لابد لبناء لهذا الوجود أن تنهدم دعائمه وتسلب كرائمه, فالعاقل من كان بما هو أبقى أفرح منه بما هو يفنى منذ أشرف نوره، وظهرت تباشيره فصرف عن هذه الدار مقضيًا وأعرض عنها موليًا فلم يتخذها وطنًا ولم يجعلها سكنًا، بل أنهض الهمة منها إلى الله وسار فيها مستعينًا بالله في القدوم عليه فما زالت مطية عزمها لا يقر

قرارها دائمًا تسايرها إلى أن أناخت بحضرة القدس وبساط الأنس محل المفاتحة والمواجهة والمجالسة والمحادثة والمشاهدة والمطالعة فصارت الحضرة معشش قلوبهم إليها يأوون وفيها يسكنون، فإذا نزلوا إلى سماء الحقوق، أو أرض الحظوظ فبالإذن والتمكين، والرسوم في اليقين، فلم ينزلوا إلى الحقوق بسوء الأدب والغفلة والمتعة، بل دخلوا في ذلك بالله ولله، من الله وإلى الله: ﴿**وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ**﴾ [الإسراء:80], ليكون نظري إلى حولك، وقوتك إذا أدخلتني ، واستسلامي وانقيادي إليك إذا أخرجتني ﴿**وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا**﴾ [الإسراء:80] ينصرني وينصر بي، ولا ينصر عليَّ ينصرني على شهود نفسي، ويغنيني عن دائرة حسي، هذا وصف للسلوك بالخبر ومن أراد الوصول بالقدم فليكن مع الصادقين؛ لأن ثلاثة علوم لا تؤخذ من الكتب, وإنما تتلقى من الأفواه أو الهمم والتوجهات والالتفاتات الطب من أخذه من الكتب قتل الأنام والتصوف من أخذه من الكتب مزق الإسلام وإنما يؤخذ من تربية الأكابر، والكون تحت مشارح أنظارهم وإلا بقى الإنسان مبنوذًا: ﴿**فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ**﴾ [الصافات: 145], وعلم القراء كذلك لا يؤخذ إلا من الأفواه.

وأما كتب ذلك الفن غاية مؤداها التوصيف والنعوت، وأما كيفيات النطق فموقوف على العثور على الأسانيد والأناجيد، قلت: ولقد أسهبنا بعون الله تعالى في هذا الملحظ العزيز المدرك الذي وقع التنبيه له وأجدنا غاية الإجادة في الكشف عن محياة الخمار وجلائه على منصة بياض النهار حتى وضح الصبح الذي عسعس، وهكذا كل ملاحظ العارفين ومنادات كشوفاتهم لو تمعنته ذو عارضة في التفسير والحديث والأصول والكلام وأحوال السلف الصالح, وما كانوا عليه لكان أول قائل بما قالوا، ولما استثقل شيئًا من أخبارهم، ولما استسمح طيبًا من عبير نشرهم:

**لَا يعرفُ الشوقَ إلّا منْ يُكَابدهُ ... ولَا الصبابةَ إلّا منْ يعانيهَا**

وأنشدني في بعض علماء مراكشة:

**مَا الناسُ إلّا الصالحونَ حقيقةً ... وسواهمُ متطفلٌ فِي الناسِ**

**فائدة:** المواضع التي عهد فيها الحلف من حضرة النبوة ثمانون موضعًا رجع

وانعطاف, ومن هاهنا كلت ألسن مصاقع البلغاء عن مدحه ε بعد أن تولى الله سبحانه الثناء عليه بنفسه المقدسة, وهاهنا يستروح بقول ابن الخطيب- رحمه الله تعالى:

**يـا مصـطفَى مِـنْ قبـلِ نشـأةِ آدمَ والكـونُ لـمْ تفـتحْ لـهُ أغـلاقُ**
**أيـرومُ مخلـوقٌ ثنـاءكَ بعـدمَا أثنَـى علَـى أخلاقـكَ الخـلّاقُ**

ومن شعر ابن الفارض لمن لامه على عدم مدحه لجنابه ε:

**أرَى كـلَّ مـدحٍ فِـي النبـيّ مقصـرًا وإنْ بـالغَ المثنِـي عليـهِ وأكثـرَا**
**إذَا اللهُ أثنَـى بالـذِي هـوَ أهلـهُ عليـهِ فمَـا مقـدارُ مَـا يمـدحُ الـورَى**

وقول السائل له: لم تمدح أي: ظاهرًا, وإلا كل أمداحه وتغزلاته لم تخرج عن الحضرتين للإلهية والحمدية، كذا قال غير واحد ولا يصح؛ لأنه القائل: [**أرى كل مدح**] أي: بكل لسن الكائنات وبلابل مراتب النواطق من أهل الأرضين والسماوات فلا يصح قولهم، ومنهم الهيثمي في شرح الهمزية وشارح المواهب، أي ظاهرًا بما يتعين على كل مكلف أن يعتقد أن كمالات نبينا ε لا تحصى, وأن أحواله وصفاته وشمائله لا تستقصي, وأن خصائصه ومعجزاته لا تجتمع قط في مخلوق, وأن حقه على الكمل فضلاً عن غيرهم أعظم الحقوق, وأنه لا يقوم ببعض ذلك إلا من بذل وسعه في إجلاله وتوقيره وإعظامه واستحلاء مناقبه ومآثره وحكمه وأحكامه.

**قـلْ مَـا تشـاءُ فأنـتَ فيـهِ مصـدقُ الحـبّ يقضِـي والمحاسـنُ تشـهدُ**

وإن المادحين لجنابه العلي والواصفين لكماله الجلي لم يصلوا إلى أن قلَّ من كثر لا أحد لنهايته وغيض من فيض لا وصول إلى غايته, وفي بردة المديح:

**فـإنَّ فضـلَ الرسـولِ لـيسَ لـهُ حـدٌ فيعـربُ عنـهُ نـاطقٌ بضـمِ**

ثم يليه:

**دعْ مَـا ادعتـهُ النصـارَى فِيمَـا بيـنهمْ واحكمْ بمَـا شئتَ مـدحًا فيـهِ واحتكمْ**
**فمبلـغُ العلـمِ فيـهِ أنـهُ بشـرٌ وأنـهُ خيـرُ خلـقِ اللهِ كلهـمْ**
**فـاقَ النبييـنَ فِـي خَلـقٍ وفِـي خُلـقٍ ولـمْ يـدانُوه فِـي علـمٍ ولَا كـرمْ**

فهم مقصرون عما هنالك، قاصرون عن أداء كل ما تعين من ذلك كيف, وأي الكتاب مفصحة عن علاه بما يبهر العقول ومصرحه من كل صفاته بما لا يستطاع إليه الوصول، وقد قيل:

**مــاذَا عسَــى الشــعراءُ اليــومَ تمدحــهُ      مــنْ بعــدِ مَــا مــدحتْ حــم تنزيــل**

فعلم من ذلك أنه لو بلغ الأولون والآخرون في إحصاء مناقبه لعجزوا عن استقصاء ما حباه به مولاه الكريم من مواهبه، ولكان الملم بساحل بحرها مقصرًا عن حصر بعض فخرها، ولقد صح لمحبيه أن ينشدوا فيه:

**وعلَــى تفــننِ واصــفيهِ بوصــفهِ      يفنَــى الزمــانُ وفيــهِ مَــا لــمْ يوصــف**

وإنه لحقيق قول القائل:

**فمَــا بلغــتْ كــفَّ أثــرِي متنــاولاً      مــنَ المجــدِ إلَّا والــذِي قــالَ أطــولُ**
**ولَا بلــغَ الممــدونَ فِــي القــولِ مدحــهُ      ولــوْ حــذقَوا إلّا الــذِي فيــهِ أفضــلُ**

ولأبي الخطيب:

**مــدحتكَ آيــاتُ الكتــابِ فمَــا عسَــى      يثنِــي علَــى عليــاكَ نظــمُ مــديحِي**
**وإذَا كتــابُ اللهِ أثنَــى مفصــحًا      كــانَ القصــورُ قصــارَى كــلِّ فصــيحِ**

**وقال البدر الزركشي:** وبهذا لم يتعاطى فحول الشعراء المتقدمين كأبي تمام والبحتري وابن الرومي مدحه ε وكان مدحه عندهم من أصعب ما يحاولونه, فإن المعاني وإن جلت دون مرتبته والأوصاف, وإن كلمت دون موصفه، وكل غلو في حقه تقصير, فيضيق على البليغ النطاق, فلا يبلغ إلا قِلاً من كثر.

ولقد قيل في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى**﴾ [النجم: 18].

**تذنيب:** قال الخروبي: حقيقة المصطفى ε سر لطيف من أسرار الحق تعالى لا يطلع عليه في الدارين سوى الرب جل جلاله ولا يكشفه أحد غيره لا نبي مرسل ولا ملك مقرب أو حقيقة أحمديته من السر المكنون والأمر المصون الذي انفرد به الحق تعالى وما أدرك الموقنون منه إلا ظاهر صورته المحمدية وهو الذي عبر عنه أو يس القريني τ بالظل، وقال لأصحاب المصطفى ε ورضي عنهم: ما رأيتم منه إلا ظله فقالوا: ولا ابن أبي قحافة؟ قال: ولها أين أبي قحافة.

فما أدرك الناس من حقيقة أمره وخفي سره إلى على قدر عقولهم البشرية فما ظهر من ذلك هو نعمة عليهم ليعظموا قدره ويعرفوا حقه وما خفي عليهم من أمره هو رحمة من الله تعالى بهم إلا ظهر لهم مع عدم قيامهم بالحقوق, لكان فتنة والله تعالى

أرسله رحمة للعالمين، فكانت النعمة فيما ظهر والرحمة فيما استتر, فلولا أن الله تعالى ستر جمال صورته كما قيل بالهيبة والوقار وأعمى عنه آخرين لما استطاع أحد النظر إليه بهذه الأبصار الدنيوية الضعيفة انتهى.

فالخلق عاجزون عن إدراك جماله وعقله وجاهه وعلومه وعبوديته وخوفه ورجائه وزهده وتواضعه وشفقته ورحمته وجوده.

قال أهل المعارف-رضي الله تعالى عنهم-: أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم كنخلة اجتمع فيها قوة الخلق أصلها في الأرض وفرعها في السماء وهي مثمرة من أرضها إلى منتهى فرعها, وكل واحد من الخلق قوته منها على حسب قوته ونهاية طاقته ورأسها متمنع عن الجميع؛ لامتناع وصول البشر إلى السماء.

وفي الحديث الشريف: «**لا يعرفني حقيقة غير ربي**»[1], وذلك رحمة بالعباد كما تقدم, وفي حمزية العلامة ابن زكرى:

**كنهكَ الأحمدِي سرٌّ ممنونٌ عنْ علاهُ تقاصرَ العلماءُ**

وقال أيضًا في أخرها:

**قِصَرُ القولِ بالجنابِ رفيعُ منْ يطاولهُ أعجزتهُ السماءُ**

وقد حكى القرطبي المفسر في كتاب الصلاة عن بعضهم أنه قال: لم يظهر لنا تمام حسنه ε رفقًا من الله تعالى بنا؛ لأنه لو ظهر حسنه لما طاقت أعيينا رؤيته ε, ولعجزنا عن ذلك, ولقد أحسن البوصيري، حيث قال:

**أعيَي الورَى فهمُ معنًا فليسَ يرَى للقربِ والبعدِ فيهِ غيرَ منفحمِ**
**كالشمسِ تظهرُ للعينينِ منْ بعدِ وتكلُ الطرفَ منْ أممِ**

وينبني على هذا أي كونه υ سرًّا من أسرار الله تعالى مبان:

المبنى الأول: أنه ε كان لا يظهر له ظل, وقد ذكر ابن سبع في «شفاء الصدور», ونقله القاضي عياض في شفائه أيضًا: «**أنه لا ظل لشخص الشريف**

(1) لم أقف على من خرجه, وقد ذكره السادة الصوفية في كتبهم مثل الشيخ كنون في فتح الأقفال (ص151), بتحقيقنا, ونحوه: «لا يعرف قدري أحد سوى ربي».

**لشمس ولا لقمر»**[1] رواه الترمذي الحكيم عن ذكوان أن أبي صالح السمان الزياتي المدني أو ابن عمر المدني أو لعائشة وكل منهما ثقه من التابعين فهو مرسل، ولكن رواه ابن المبارك وابن الجوزي عن ابن عباس:

«**لم يكن للنبي ε ظل ولم يقم مع الشمس إلا غلب ضووؤه ضوء الشمس ولم يقم معه سراجًا إلا غلب ضووؤه ضوء السراج**» [2].

فإن قلت: هذا ظاهر في ذاته عليه أفضل ρ معلوم أنه كان عليها ملبوس وهو ليس نورًا فله ظل, وقد يقال: أن ملبوسه وإن كان بالنظر لنفسه كثيفًا لكن بملابسة ذاته التي هي نور صار ذلك الملبوس بواسطة نورها نورًا, فلا يظهر له ظل قاله الشمس الحنفي، وإن كان ذلك له وجوه أُخر في باب المدح:

**الأول**: حفظ ظله الذي هو مثال صورته في القدر على الامتداد على الأرض إجلالاً له.

**الثاني**: ولأن الظل المرتسم معرض للارتسام على الأماكن القذرة ولوطء المادين عليه.

**معجزة ومنقبة:** كان لسان الحضرة يقول: لما لم ترض يا حبيبي أن يرتفع ظل يدك على اسمك حين الكتابة في الطروس حتى جعلتك أميًّا لم أرض أن أجعل لشخصك ظلاً يقع على ممر الناس, ويقع على الأماكن القذرة إجلالاً لك.

**الثالث**: فإن الظل ملزوم للظلمة في الجهلة بالنسبة أي النور إذ هو حجاب له وهو ε النور المنير فلا تظهر فيه ظلمة.

**الرابع**: أن الشمس والقمر منه ظهرا وعنه نشأ, فلا يستران به إذ المظهر للشيء يمتنع أن يكون ساترًا لما أظهره, ولا يقال كيف يتأتى هذا مع أنه ε بشر كما نطق به القرآن؛ لأنا نقول ليست بشريته كبشرية غيره, فهو بشر ليس كالبشر، كما أن

---

(1) ذكره القاضي عياض في الشفا (ص368).

(2) لم أقف عليه.

الياقوت حجر ليس كالحجر، كما قاله أبو الحسن الشاذلي τ, وهو مع بشريته نور لذلك سمي نورًا أشار له العلامة في «شرح الهمزية », وأشار لذلك من قال:

**محمـــــــدٌ بشـــــــرٌ لَا كالبشـــــــرِ        بـــلْ هـــوَ كاليـــاقوتِ بـــينَ الحجـــرِ**

وبعد ابن زكرى في الشفاء: أنه لا ظل لشخصه الشريف في شمس ولا قمر وعلله بقوله: لأنه ε كان نورًا.

قال العلامة ابن قبروس في حاشيته عليه هذه المقالة منسوبة لابن سبع, وعلله بقوله: لأنه كان نورًا، وفي هذه العبارة بحث؛ لأنه عليه ε بشر، كما نطق به القرآن بقوله: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ**﴾ [الكهف:110], وإنما تصحيح هذه العبارة أن يقال أن مراده: أن له نورًا يغلب نور الشمس والقمر, فلهذا لم يظهر له ظلٌّ؛ لاختلاط النورين, فهو ذات النور, وهل هذا خاص به دون غيره من الأنبياء؟ الظاهر أنه كذلك، وإن كان لكل نور، انتهى.

قال الحافظ سيدي أحمد المغربي بعد نقله وتأمل قوله, وفي هذه العبارة بحث، هل يسلم من الاعتراض فإن للنظر فيه مجالاً، انتهى.

قال ابن زكرى في شرح همزتيه: وجه النظر فيه أن بشريته ε ليس كبشرية غيره، فهو بشر ليس كالبشر، كما أن الياقوت حجر ليس كالحجر، كما قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي τ فهو مع بشريته نور، وكذلك سمي نورًا فما ذكره ابن سبع صحيح، وكذا ما ذكره، وإن نوره يغلب نور الشمس والقمر صحيح، ثم زاده إيضاحًا نحو ما قدمناه قبل، والله عليم حكيم.

قالوا: فكان ε لا يأتي شيئًا من أحوال البشرية إلا تأنيسًا لأمته وتشريعًا لهم لا أنه محتاج إلى ذلك وقد لوح لهذا المعنى سيدنا عمر بن الخطاب τ بقوله: والله يا رسول الله ما أكلت ولا شربت ولا نكحت إلا لنا.

**والحاصل** أنه υ داخل جنس البشر وخارج عنهم باعتبارين مختلفين.

**لـــهُ جمـــعَ اللهُ المعـــانِي بأســـرهَا        فظـــاهرهُ نـــورٌ وباطنـــهُ قـــدسُ**

المبنى الثاني: لغلبة الأنوار السبحانية ε ومطالعة المحاضرات الأسمائية

ومعاهدات الحضائر العظموتية وتواتر استرسال التجليات الصفاتية والخوض في تيار ناموس الفيوضات الإحسانية ومكافحة المراسلات الرحمانية، كانت ذاته المحمدية قدسية، وأسراره عرشية ومنازلاته لوحية، وموارده كرسية، وتطلباته فرشية، وأنتج من ذلك كمالات وخصيصات ومزايا ومعجزات، ومنها طهارة جميع فضلاته، بل النطفة التي صور منها واستثناءها الأناجيد من الفضلاء من الخلاف في طهارة المني، وقالوا: لا خلاف في طهارة نطفته وبهذا جزم البغوي وغيره، واختاره كثير من متأخري الشافعية وصححة السبكي والبارزي والزركشي وابن الرفعة والبلقيني والقاياتي.

قال الرملي: وهذا المعتمد خلافًا لما صححه الرافعي وتبعه النووي أن حكمها منه كغيره، وحمل الأخبار الواردة في ذلك على التداوي ورد بحديث: «**لن يجعل الله شفاء أمتي فيما حرم عليها**»[1] وحمل تنزيهه ε منها على الاستحباب ومزيد النظافة.

وبما قاله السبكي ومن وافقة, قال أبو حنيفة كما قال العيني, وقطع به ابن العربي من المالكية.

وفي «الشفاء» قال قوم بطهارة الحدثين منه ε وهو قول بعض أصحاب الشافعي، وحكى القولين عن العلماء ابن سابق المالكي[2].

وقال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر: قد تكاثرت الأدلة على طهارة فضلاته ε.

وعد الأئمة ذلك من خصوصياته، وفي مطالع المسرات عند اسمه ε الطيب: أنهم استثنوا النطفة التي صور منها ε من الخلاف في طهارة المني، فقالوا: لا خلاف في طهارته، انتهى.

وفيه أيضًا عند قوله: [وصلى الله على من طاب منه البخار] عن أبي عثمان العقباني أسنه لما اختلف العلماء في طهارة المني استثنى أسودهم النطفة التي صور

(1) ذكره القرطبي في التفسير (231/2), والمناوي في فيض القدير (216/2) بلفظ لم بدلا من لن..

(2)هو بحر بن نصير بن سابق الخولاني.

الله منها ذاته ε وأخرجوها من الخلاف، انتهى.

قال: وقيل بطهارة النطف التي صور منها جميع آبائه الكرام إلى آدم υ, واخرج ذلك من الخلاف لم يبعد ويكون عمود نسبه, فهو كما قال: بشره كالبشر فهو مثلهم من نطفته وليس مثلهم في ذلك, فإنه من ماء طيب طاهر لم ينجس ولم يندس قط وإلى ذلك يشير وصف أصلاب آبائه ε بالطيب والطهارة والكرم والله أعلم.

وفي شرح خاتمة المحققين بالدِّيار المصرية أبي عبد الله محمد بن محمد بن الأمير لـ«مجموعه» ما نصه في «شرح دلائل الخيرات» للفاسي عند الكلام في شرح اسمه ε الطيب: أن المني الذي خلق منه طاهر بلا خلاف، واستظهر طهارة جميع ما كون منه أصله أيضًا عند قوله: طاب منه البخار في الأواخر، وسكت عنه في حواشيه على الشرح المذكور كغيره.

**قلت**: وقد روي أنه كان يتبرك ببوله ε بالشرب والإدهان ونحوه.

وروى ابن حبان في الضعفاء عن ابن عباس قال: حَجَمَ النبي ε غلامًا لبعض قريش, فلما فرغ من حجامته أخذ الدم, فذهب به من وراء الحائط فنظر يمينًا وشمالاً, فلم ير أحدًا فحسا دمه حتى فرغ، ثم أقبل فنظر في وجهه، فقال: ويحك ما صنعت؟ فقلت: غيبته من وراء الحائط أي غسته في جوفي من وراء الحائط فليس كذبًا.

قال ابن عيينة: قلت يا رسول الله نفست على دمك أن أهرقه في الأرض فهو في بطني، فقال: اذهب فقد أحرزت نفسك من النار. نفست: في «القاموس» نفس كفرح ضن[1].

وأخرج البيهقي وأبو سعيد بن منصور في «سننه» من طريق عمر بن الشائب بن أبي راشد البصري: أنه بلغه أن مالكًا والد أبي سعيد الخدري: لما جُرح النبي ε, أي وجهه يوم أحد مص جرحه حتى أنقاه ولاح أبيض، فقال: «مجه»، فقال: والله لا أمجه أبدًا, ثم أزدرده أي: ابتلعه، فقال النبي ε: «**من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل**

(1) في القاموس (120/2), [نفس].

**الجنة, فلينظر إلى هذا, فاستشهد أي: يومئذ بأحد»**[1].

وفي رواية سعيد بن منصور وأيضًا إنه υ قال: «**من أسره أن ينظر إلى رجل خالط دمي دمه فلينظر إلى مالك بن سنان»**[2] .

وأخرجه أيضًا الطبراني في «الأوسط» من وجه آخر عن أبي سعيد الخدري.

قال الحافظ الأسيوطي في «المناهل», وليس في سنده من أجمع على ضعفه، وأخرج البزار والطبراني والحاكم والبيهقي وأبو نعيم في «الحلية» من حديث عامر بن عبد الله بن الزبير الأسدي عن أبيه كما في «المواهب» وغيرها.

**قلنا**: وأبو يعلي كما في «الخصائص الكبرى»، والحكيم الترمذي كما في «جمع الجوامع»، وابن عساكر كما في «مسند سلمان», ورجاله ثقات: احتجم رسول الله ε, فأعطاني الدم بعد فراغه من الحجامة وقال: «**اذهب يا عبد الله فغيبه»**[3].

وفي رواية «**اذهب بهذا الدم فواده حيث لا يراه أحد, فذهبت فشربته فأتيته** ε **فقال**: **ما صنعت؟ قلت**: **غيبته، قال**: **لعلك شربته؟ وفي رواية قلت**: **جعلته في أخفى مكان ظننت أنه خفي عن الناس، قال:لعلك شربته؟ قلت**: **شربته، قال: ويل لك من الناس وويل للناس منك»**[4].

وقد ورد عند الدارقطني من حديث أسماء بنت أبي بكر نحو وفيه: ولا تمسك النار، قال في «مناهل الصفا» سند الطبراني جيد، وفي الجمع في مسند سلمان رجاله ثقات.

وفي «الجوهر المكنون في ذكر القبائل والبطون» أنه أي ابن الزبير لما شرب دمه ε تضرع أي فاح فمه مسكًا وبقيت رائحته موجودة في فمه إلى أن صلب أي بعد

---

(1) رواه البخاري (506/2), ومسلم (44/1).

(2) رواه الحاكم في المستدرك (649/3).

(3) رواه البزار في مسنده (169/6), والروياني في مسنده (443/1), وابن عساكر في تاريخ دمشق (164/28) بنحوه.

(4) رواه الحاكم في المستدرك (638/3), وأبو نعيم في الحلية (330/1) بلفظ فأهرقه بدلا من فواده.

قتله سنة ثلاث وسبعين كانت خلافته تسع سنين τ.

وأخرج الحسن بن سفيان في مسنده, وهو كبير والحاكم والدار قطني والطبراني وأبو نعيم وأبو يعلي من حديث أبي مالك النخعي الواسطي عن الأسود بن قيس عن نبيج العنزي عن أم أيمن قالت: قام رسول الله ε من الليل إلى فخارة في جانب البيت فبال فيها فقمت من الليل وأنا عطشانة فشربت ما فيها وأنا لا أشعر, فلما أصبح ε قال لي: «**يا أم أيمن قومي فأهريقي ما في الفخارة، فقلت قد والله شربت ما فيها، قال: فضحك رسول الله** ε **حتى** بدت **نواجزه، ثم قال: ألا والله لا تتجعين بطنك أبدًا**»[1] نبيج بضم النون وموحدة ومهملة ومصغر بن عبد الله العنزي بفتح المهملة والنون، ثم زاي نسبة إلى عنزة بن أسد أبي عمر الكوفي مقبول من الطبقة الوسطى من التابعين عطشانة كذا في كتب السير، قيل: المعروف لغة عطش فهذا سماعي على خلاف القياس كألفاظ جاءت على فعلان وفعلانه فيصرف فعلان؛ لأن شرط منع صرفه وجود فعلي أو فقد فعلانه.

قال الحافظ أبو العلاء العراقي الحسيني: قلت: الصواب وجدته في «مختصر المستدرك» للذهبي وبالله التوفيق.

أقول في القاموس: أن عطشانة لغة في عطش فراجعه (يبجعن) بالباء الموحدة والجيم، كذا قال السيوطي في المناهل وراجع المجد.

وعن ابن جريج قال: «**أخبرت أن النبي** ε **كان يبول في قدح من عيدان، ثم يوضع تحت سريره فجاء فإذا القدح ليس فيه شيء، فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم أم حبيبة جاءت معها من أرض الحبشة: أين البول الذي كان في القدح؟ قالت: شربته، قال: صحة يا أم يوسف. فما مرضت قط حتى كان مرضها الذي ماتت فيه**»[2].

أخرجه عن الرزاق في مصنفه عن ابن جريج أخبرت ... الخ، وأبو داود

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك (70/4), والطبراني في الكبير (89/25).

(2) رواه ابن حبان في الصحيح (274/4), والطبراني في الكبير (189/24) بنحوه.

متصلاً عن ابن جريج عن حكيمة عن أمها أميمة بنت رقيقة جريج أولاهما مضمومة الأموي مولاهم المكي توفى بعد أن جاوز التسعين، وقيل: مائة ولم يثبت، عيدان بفتح المهملة جمع عيدانه بالهاء قاله المجد وغيره وجوز التلمساني كسر العين وإسكان التحتية ومهملة مفتوحة وهذا لطوال من النخل، صححه بكسر الصاد أي جعله الله صحة أي سبب لها وفيه انه يستحب أن يقال للشارب صحة ويقاس عليه الأكل وحكيمة وأميمة ورقيقة كل منهن على وزن فعيلة.

**تنبيهات**: صحح ابن دحية أنهما قصتان وقعتا لامرأتين إحداهما أم أيمن، والثانية بركة أم يوسف وزَعِمْ أن إحداهما أميمة وهم؛ لأنها رواية فقط كما علمت مما أسلفناه.

قال في المواهب: وقد وضح أن بركة أم يوسف غير بركة أم أيمن وهو الذي ذهب إليه السراج البلقيني أي خلافًا لدعوى ابن السبكي حسبما نقله عنه في الإصابة: أن بركة خادمة أم حبيبة كانت تكنى أيضًا أم أيمن، فالقصتان لها وراجع الإضافة في كل منها تستفيد.

الثاني في هذا إيماء إلى أن أجساد الأنبياء ومنهم جسد ممدهم وسيدهم مولانا محمد ε لم تكون أصولهم مما كونت منه أصول غيرهم.

أخرج البيهقي قال: أخبرنا أبو الحسن بن بشران أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، قال حدثنا زيد بن إسماعيل الصائغ، قال حدثنا حسين بن علوان عن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة قالت: كان رسول الله ε إذا دخل الغائط دخلت في أثره فلا أرى شيئًا إلا إني كنت أشمُ رائحة الطيب فذكرت ذلك له, فقال: «**يا عائشة أما علمت أن أجسادنا تنبت على أرواح أهل الجنة, وما خرج منها ابتلعته الأرض**»(1)، وإن كان البيهقي لما أخرجه قال: إنه من موضوعات الحسين بن علوان, ولا ينبغي ذكره إلا لبيان أنه موضوع، ففي الأحاديث الصحيحة والمشهورة في معجزاته كفاية عن كذب

---

(1) رواه البيهقي في دلائل النبوة (212/6), والخطيب في التاريخ (62/8), وذكره الذهبي في الميزان (299/2), وابن حجر في لسان الميزان (300/2) بنحوه.

ابن علوان, انتهى.

**قلت**: وسبق البيهقي بتخريجه ابن حبان في الضعفاء في آخر ترجمة حسين المذكور بعدما قال حسين بن علوان عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة كذاب, انتهى.

وقال يحيى بن معين، وقال ابن المديني: ضعيف جدًا، وقال أبو حاتم والنسائي والدار قطني متروك الحديث ولم يخرج له واحد من الستة.

**أقول**: ومع هذا فلا ينبغي الجزم بوضعه لن له طرقًا غير طريق ابن علوان, فادعاؤه مع وجودها ممنوع.

قال الدار قطني في الأفراد: حدثنا محمد بن سليمان الباهلي أنبأنا محمد بن حسان الأحدق أنبأنا عبدة بن سليمان عن هشام .. الخ، وفيه: «**أما علمت أن الله أمر الأرض أن تبتلع ما يخرج من الأنبياء**»[1] .

رجال إسناده ثقات, أما محمد بن سليمان الباهلي, فقال الدارقطني: كان من الثقات, ومحمد بن حسان بغدادي ثقة صالح, وعبدة الكوفي من رجال الصحيح.

ولهذا قال الحافظ السيوطي في المناهل والخصائص: هذا سند ثابت, وهو أقوى طرق الحديث, انتهى.

فزالت تهمة ابن علوان بمتابعة عبدة، وكذا تابعة أرطأة بن قيس الأسدي أخرجه أبو بكر الشافعي, وله طريقة أخرى ضعيفة عند ابن سعد في «الطبقات»: أنبأنا إسماعيل بن أبان الوراق أنبأنا عنبسة بن عبد الرحمن القشيري عن محمد بن زاذان عن أم سعد عن عائشة[2], انتهى.

إسماعيل بن أبان كان يتشيع قاله في «الميزان» [3].

وعنبسه: قال ابن حبان: صاحب أشياء مقلوبة، وقال لا أصل له، قال ابن معين:

(1) رواه ابن سعد في الطبقات (171/1), والطبراني في الأوسط (21/8).

(2) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (359/2).

(3) قال الحافظ: أبو إسحاق الكوفي شيعي. لسان الميزان (193/3), والميزان (212/1).

ليس بشيء وقال غيره: متروك[1].

ومحمد بن زاذان: ضعيف في الحديث، قال البخاري: لا يكتب حديثه، وفي التقريب متروك[2].

**قلت**: وبه تعلم ما في قول ابن عبد الباقي في «شرح المواهب»: رجاله ثقات إلا ابن زاذان، فقول البيهقي ومن تبعه أنه موضوع محمول على أنه لم يطلع على هذه الطرق إذ يتعذر معها دعوى الوضع, فلو شاء أن يجعله من قبيل الحسن، بل والصحيح لفعل, وقد أسلفنا عن الحافظ الأسيوطي أن إسناده تالف, ولفظه ثابت شاملة للصحيح, والحَسَن كما تقرر في المصطلح.

**التنبيه الثالث**: مجموع من قيل أنه شرب دم المصطفى ε ستة: [سيدنا مالك بن سنان والد أبي سعيد الخذري رضي الله تعالى عنهما], فإنه امتص الدم من وجنتيه الشريفتين، ثم ازدرده فقال له: «**أتشرب الدم؟ فقال: نعم يا رسول الله، فقال** ε: **من مسَّ دمي دمه لم تصبه النار**»[3].

وسيدنا علي υ ذكره الرافعي في الشرح الكبير، قال ابن الملقن: ولم أجده في كتب الحديث.

وسيدنا ابن الزبير، قال في «مزيل الخفا» أخرجه البزار والحاكم والبيهقي، والطبراني وسنده جيد وراجع ما تقدم.

وسيدنا أبو طيبة الحجام اسمه دينار، وقيل أنه قد عاش أبو طيبة مائة وأربعة سنة قاله في «مزيل الخفا» في مبحث نظافة جسم المصطفى υ.

وسيدنا سالم بن أبي الحجاج قال له المصطفى ε: لا تعد, فإن الدم كله حرام, قاله في مزيل الخفا، وقال الشهاب عقبه على ما فيه.

وسيدنا سفينة مولى المصطفى ε.

---

(1) قال الآجري في السؤالات: ضعيف (ص 210): وانظر: لسان الميزان (270/2).

(2) انظر: لسان الميزان (397/3).,

(3) ذكره ابن هشام في السيرة (29/4).

**التنبيه الرابع**: وأما من شرب بوله الشريف فأم أيمن واسمها بركة، وأم يوسف، وبركة الحبشية التي قدمت مع أم حبيبة من الحبشة نبه عليه بناني في شرح الاكتفاء.

**التنبيه الخامس**: قال الزركشي: ينبغي طرد الطهارة في فضلات سائر الأنبياء أي من ابتداء إيجادهم إلى انتهائهم كثبوت العصمة لهم من الصغر قبل النبوة على التحقيق وفضلاتهم طاهرة ولو بالنسبة لهم؛ لأن الطهارة متى ثبتت لشيء عمت، واستنجاؤهم تشريع ونظافة، نبه عليه الأمير ونازع الزركشي في هذا التعميم الجورجي، ولكن يؤيده حديث: «**إن الله تعالى أمر الأرض أن تبتلع ما يخرج من الأنبياء**»[1], مع حديث: «**إن أجسادهم تنبت على أرواح أهل الجنة**»[2], وقد تقدما بأسانيدهما.

وفي آداب الخلاء من شرح التتائي للرسالة: فضلاته ε, وفضلات غيره من الأنبياء طاهرة, انتهى منه.

**التنبيه السادس**: مرجع هذه الأمور بالنسبة للناس اعتقاد الشرف والتعظيم فقط، قاله في ضوء الشموع على شرح المجموع، وفي حاشية أخرى على المجموع أيضًا ثمرة هذا الاعتقاد.

وقد أنكر المقري في قواعده كثرة الكلام في مثل هذا مما لم يمكن تجدده، ولا يتوقف عليه حكم يتجدد, انتهى.

**قلت**: ولا يخفى ما فيه من رائحة الجفاء مع ما فيه من التفقه على الشارع، وقد أقر من شربوا بوله الكريم ودمه الشريف، والتقرير سنة كما علم في الأصول، وليت شعري: أي حكم أعظم من أن شهد المعصوم لمن شربوه أنهم أحرزوا أنفسهم من النار فكان لهم بمنزلة المكفرات التي تكفر ما تقدم وما تأخر من الذنوب الصغار والكبار.

أليس الإخبار بأن صلاة التسبيح من المكفرات أيضًا لا يتحدد بها حكم، فشرك

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) تقدم تخريجه.

الشارع صلوات الله وسلامه عليه شارب دمه وبوله مع من يصلي صلاة التسبيح في التكفير للذنوب ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [النجم:4], وإنا لله من عثرات اللسان خصوصًا في بساط هذا المقام المحمدي، اللهم إنا نعوذ بك من الفتن، ما ظهر منها وما بطن يا رباه، يا مولاه، يا مغيث من عصاه.

حفيظة من الاحتراق بالنار: عن محمد بن إبراهيم التتائي المصري قال: من معجزاته ρ أن من كتب هذه الأمور العشرة ووضعها فى بيت لم يحترق ومن كتبها وطرحها على النار خمدت.

**الأولى**: ما وقع ظله الشريف على الأرض قط.

**الثانية**: ما ظهر بوله ε قط.

**الثالثة**: لم يقع عليه الذباب قط.

**قلنا**: وأشار الشهاب في النسيم إلى أن سر تجرد الاسم الشريف المحمدي من النقط الإشارة إلى عدم وقوع الذباب على الذات المحمدية وهي نكتة تُشم ولا تحك.

وإلا من الأسرار في ذلك أن أهل سر الحرف لما قسموا الحروف إلى أقسامها المتقدمة أولاً ذكروا من الأقسام حروف السَّعد، وحروف النَّحس، والحروف السعدية عندهم هي المجردة من النقط بخلاف المنقوطة، ثم النحس إما أصغر وهو ذات النقطة الواحدة، وإما أوسط وهي ذوات النقطتين، وإما أكبر وهي ذوات النقط الثلاث، ويكفي من تجرد الاسم الشريف من النقطة الإشارة به إلى مقتضيات مطالع الشهور في عالم البطون، والظهور، والأغوار، والنجود، وقد ظهر مقتضى ذلك، حيث كان وجود الحضرة المحمدية آمنة, ورحمة عامة شاملة لأهل المراتب الثلاثة السابقون وأهل اليمين، وكل من هذين أولى بما صيره في حيز القبول والإشعار الديني، وأما أهل الشمال ففيهم قال القرآن: ﴿**وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ**﴾ [الأنفال: 33]، وهذا كلام هو حر بالنسبة لكلام الشهاب.

**الرابعة**: لم يحتلم قط.

**الخامسة**: لم يتثاءب قط.

**السادسة**: لم تهرب منه دابة ركبها قط، قلنا واستصعاب البراق عند إرادة ركوبه ليلة الإسراء لأسرار منها تبهه وإعجابه حيث استخلصته العناية الربانية لحمل

عروسة الحضرات والتشرف بخدمة سيد أهل الأرضين والسماوات دون غيره من الحيوانات.

**السابعة**: وُلد مختونًا.

**الثامنة**: تنام عينه ولا ينام قلبه.

**التاسعة**: ينظر من ورائه كما ينظر من أمامه.

**العاشرة**: كان إذا جلس بين قوم كانت كتفاه أعلى منهم.

المبنى الثالث: أنه-عليه الصلاة والسلام- كان أهيب الموجودات.

قال الراوي: من رآه بديهة هابه أي أجله، وخافه، وعظمه لما ألبسه الحق سبحانه وتعالى من جلابيب هيبته، وتوجه بسبحات خلافته، والقلب إذا امتلأ بذلك حلة النور ونزلت عليه السكينة، وصار مغناطيسًا يجلب بهيبته العوالم، وتخشع له الأرواح إذا رأته وتهرع إليه الأسرار إذا سمعته وتفطر منه القلوب إذا فاجأتها أنواره.

**قلت**: ولو أن رجلاً أعطى قوة ألف عابد، وألف زاهد، وألف عالم، وألف شجاع وبادهه -عليه الصلاة والسلام- بصورته البشرية لانحلت تراكيبه وانقضت عرى جسمه، ويكاد أن يلتحق بالعدم لولا أن روحه الشريفة ماسكة للأرواح، ولعل هذا السر الخفي في انفضاض الصحابة إلى اللهم والتجارة وتركه ρ يخطب إبقاء على نفوسهم الكريمة حتى يبلغوننا ما أبلغهم من الشرائع والأحكام؛ ولعل هذا في أصاغر الصحابة الكرم الذين لا يثبتون لصدمة التجليات، وأما أكابر الصحابة, فكانوا يثبتوا لما لهم من القوة، وفي هذا من إعلاء كعب الصحابة الكرام، وشفوف مكانتهم ما لا تتطاول إليه الأعناق، ومن هاهنا تجد الأكابر-رضي الله تعالى عنهم- دائمًا مرضى، وليسوا بمرضى، وطالما تجد الناس في برد شديد في عنفوانهم وهم يتصببون عرقًا، وفي البردة للإمام البوصيري- رحمه الله تعالى:

**كأنــــهُ وهـــوَ فـــردٌ فِـــي جلالتـــهِ فِـي عسـكرٍ حـينَ تلقـاهُ وفِـي حشـمِ**

وهكذا الشأن في أولياء الله تعالى من امتلاء قلوبهم من محبته سبحانه وإجلاله

وعظمته، وفي الحديث الشريف: «**خيار أمتي الذين إذا رأوا ذُكر الله** Y»[1] أي: لما تعلوهم من الهيبة والجلالة لانفراد قلوبهم بربهم، وأنسهم به، ولو شاهدتهم يمرون على أقوام يتميزون من الغيظ عليهم دائمًا وإذا فاجئوهم لم يسعهم إلا التطارح بين أيديهم كيف ما كانوا كل ذلك من الإرث المحمدي.

قال أهل المشاهدات: ولم تظهر للخلق كمال مهابته وجلالته رحمة من الله تعالى بخلقه، ولو ظهر لهم ذلك لتلاشوا واضمحلوا، ولم يقدروا على التلقي منه ومع عدم ظهور كمال جلاله كان يحدث أصحابه ويؤنسهم ويأخذ معهم في تدبير أمورهم ويذكر معهم الدنيا والطعام، ويمازحهم أحيانًا، ولا يقول إلا حقًّا ويذكرون شيئًا بحضرته من أمور الجاهلية فينصت ويضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون، ولا يزجرهم إلا عن حرام، وكل ذلك رفقًا بهم، وقد جاء إليه رجل فقام بين يديه فأخذته رعدة شديدة ومهابة, فقال له: «**هون عليك وإني لست بملك ولا جبار، وإنما أنا ابن امرأة تأكل القَديد بمكة**»[2], فنطق الرجل بحاجته لما سكن روعه.

وأخرج الإمام أحمد والحاكم، وصححه والترمذي، وابن نافع، وابن ماجه والطبراني، والبيهقي وغيرهم بسندٍ على شرط الشيخين أن عبد الله بن سلام قال: لما قدم مولانا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم المدينة انجفل[3] الناس إليه, فكنت

---

(1) رواه البزار في مسنده (158/7).

(2) رواه الترمذي (2409), وابن ماجه (1101/2), وأحمد (22668), والحاكم (65/10), والطبراني في الكبير (440/18), (151), وفي الأوسط (146/12), والبيهقي في الشعب (364/7), وأبو نعيم في معرفة الصحابة (3703), بتحقيقنا-دار الوطن-.

(3) قال الحافظ: في فتح الباري (241/11): قَالَ الْعِمَاد بْن كَثِير: ظَاهِر هَذَا السِّيَاق يَعْنِي سِيَاق أَحْمَد لِحَدِيثِ عَبْد اللَّه بْن سَلَام وَلَفْظه: «لَمَّا قَدِمَ رَسُول الله ρ الْمَدِينَة اِنْجَفَلَ النَّاس لِقُدُومِهِ فَكُنْت فِيمَنْ اِنْجَفَلَ» أَنَّهُ اِجْتَمَعَ بِهِ لَمَّا قَدِمَ قُبَاء، وَظَاهِر حَدِيث أَنَس أَنَّهُ اِجْتَمَعَ بِهِ بَعْد أَنْ نَزَلَ بِدَارِ أَبِي أَيُّوب، قَالَ: فَيُحْمَل عَلَى أَنَّهُ أُجْتَمَعَ بِهِ مَرَّتَيْنِ. قُلْت: لَيْسَ فِي الْأَوَّل تَعْيِين قُبَاء، فَالظَّاهِر الِاتِّحَاد وَحَمْل الْمَدِينَة هُنَا عَلَى دَاخِلهَا.

قَوْله: (اِنْجَفَلَ النَّاس) قَالَ السُّيُوطِيُّ: أَيْ ذَهَبُوا مُسْرِعِينَ نَحْوه فِي الصِّحَاح اِنْجَفَلَ الْقَوْم أَيْ: اِنْقَلَبُوا كُلّهمْ وَمَضَوْا.

ممن انجفل إليه, فجئته لأنظر إليه، فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذَّاب.

وأخرج أصحاب السنن والترمذي والحاكم، وصححه, وابن سعد عن أبي رمثة رفاعة التيمي أتيت النبي ρ ومعي ابن لي فأريته, فلما رأيته. قلت: هذا نبي الله! [(1)].

وهاهنا سؤال وهو ما السر في عدم الافتتان بسيد الأكوان، وعدم الذهول برؤيته عند مكافحة طلعة من سعد بوجوه الزمان، والمكان، ويحتج لإسرائه الكيوان، ووقوع الافتتان بالجمال اليوسفي حتى وصف الله سبحانه حال النسوة اللاتي رأينه بقوله: ﴿**فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ**﴾ [يوسف:31] أي: أعظمته ودهشن عند رؤية ذلك الحسن الرائع، والجمال الفائق حتى أكبرنه أي حضن والهاء للسكت, أي: ليوسف من شدة الشبق على حذف اللام، والشبق شدة شهوة الضراب, والمرأة إذا احتلمت واشتدت شهوتها سال دم حيضها, من أكبرت المرأة إذا حاضت لأنها تدخل في الكبر بالحيض, وكأن أبو الطيب أخذ من هذا التعبير قوله:

**خَـفْ اللهَ واشـترِ ذَا الجمـالِ ببرقـعِ فإنْ لحُتَ حَاضَتْ فِي الخدورِ العواتقِ**

وحتى قيل في معنى: ﴿**فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ**﴾ [يوسف:31] أمنين قال الكميت:

**ولمـذَا رأتـهُ الخيـلُ مـنْ رأسٍ شـأهِقٍ صَـهِلنَّ وأمْنَـينَّ المنَـى المـدْفَقَا**

وكل هذا مسند انظر الدر المنثور، وعندي أنه يحتمل وجهًا آخر وهو أنهن إنما أكبرنه؛ لأنهن رأين عليه نور النبوة وسيما الرسالة وآثار الخضوع والاحتشام، وشاهدن منه مهابة النبوة.

النبوة وهيئة الملكية وهي عدم الالتفات إلى مطعوم والمنكوح، وعدم الاعتداد بهن، وكان الجمال العظيم مقرونًا بتلك الهيبة، والهيئة، فتعجبن من تلك الحالة فلا جرم أكبرنه، وعظمنه، ووقع الرعب والمهابة منه في قلوبهن، واستظهر أولوية هذا الوجه في مفاتيح الغيب، ثم قال تعالى: ﴿**وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ**﴾ [يوسف:31] لدهشتهن مما هالهن

(1) رواه الترمذي في الشمائل (44)- بتحقيقنا- وأبو داود (4208), (4495), والنسائي (53/8), وفي الكبرى (7036), وأحمد في المسند (163/4), وابن سعد في الطبقات الكبرى (427/1).

وخامرهن من مخالجة أشعة ذلك الجمال الإلهي الظاهر في مرآة وجهه، والمدهوش لا يدرك ما يفعل، وهن يحسبن أنهن يقطعن الأترج, ولم يجدن الألم من فرط الدهشة بيوسف، ثم قال تعالى: ﴿**وَقُلْنَ حَاشَ للهِ مَا هَذَا بَشَرًا**﴾ [يوسف:31] (حاشا) كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء، تقول أساء القوم حاشا زيد، وهي حروف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة، فمعنى حاش لله براءة الله وتنزيه الله، وهي قراءة ابن مسعود، ﴿**مَا هَذَا بَشَرًا**﴾ عملت (ما) هنا عمل ليس وهي اللغة القدمى الحجازية وبها ورد القرآن ومنه ﴿**مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ**﴾ [المجادلة آية:2]، ومن قرأ على سليقته من بني تميم قرأ (بشر) بالرفع، ﴿**إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾ [يوسف:31] أي: على ربه كما في تفسير أبي الليث وهو من باب قصر القلب لقلبه حكم السامعين، حيث اعتقدوا أنه بشر لا ملك، وقصرنه على الملكية مع علمهن أنه بشر، ومع هذا إنما أوتي الجمال اليوسفي الشطر من الجمال المحمدي، فكان وقوع الافتتان به أجدر وحصول الهيام والتبتل به أمكن وأولى.

**قلت:** إنما لم يقع الافتتان بالجمال المحمدي مع أنه أعطى الحسن كله لسرين جليلين عظيمين:

**الأول**: له التفتات لسر التشريع.

**الثاني**: له مرجع إلى التفاضل بين أرباب المشاهدات.

**السر الأول**: لو ظهر حسنه المطلق،كما ظهر حسن سيدنا يوسف υ لضاع السر في البعثة وهو التبليغ، والإنذار، والمخالطة، والمداخلة، والمداومة حتى تتجدد عليهم الكمالات والوقائع الإلهية، والحوادث الرسالية, فينقشع ما بقلوبهم من تخالج الظنون والريب وافتحاش التشكيكات والأوهام والخيالات الطبيعية المانعة لهم من إشراق شمس النبوة على سطوح قلوبهم وإشعار عقولهم ألَّا صلاح للعالم إلا بأنوار النبوءات, ولولا نور النبوة لكان الناس بمنزلة البهائم والوحوش الشاردة, إذ لا تعقل عن الله تعالى الأوامر والنواهي لولا المبلغ والرسول الهادي فبنور الرسالة تهتدي الخلائق وببزوغ أهلتها تتحقق الحقائق وتنكشف الطرائق بخلاف ما لو بدا لهم ذلك الجمال لأدهشم، وأذهلهم، وأبهتهم، وهالهم ولآثروا بالقطع القلوب على الأيدي، وقال

رشق قول المحبوبة الكبرى- رضي الله تعالى عنهما- وعن أبيها وأخيها وأهل بيتها:

**وَصَــحْبُ زُلَيْخَــا لَــوْ رَأيْــنَ جَبِينَــهُ لآثَـرْنَ بِـالقَطْعِ القُلـوبِ عَلَـى الأَيْـدِي**

وفي هذا أيضًا لم ترسل الملائكة رسلاً إلى الناس؛ لأنهم على صورة هائلة لا تطيقها القوى البشرية، وانظر جواب الحق جل أمره لأهل الأرجاف لما طعنوا في إرسال الرسل منهم ﴿**فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ * أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ * سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الكَذَّابُ الأَشِرُ**﴾ [القمر: 24: 25: 26]، ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللهُ لأَنزَلَ مَلائِكَةً**﴾ [المؤمنون:24], فأجابهم الحق جل جلاله بقوله: ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ**﴾ [الأنعام:9]، كأنه يقول: لو نزلت الأملاك إلى الأرض لما أطاقتهم القوى ولانزعجت منهم ولما حصل القصد بالعبث, وإن كنتم لم تحيطوا خبرًا بذلك، ولنقلناهم من القوى الملكية إلى القوى البشرية حتى يحصل القصد من البعث وهو قوله: ﴿**وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ**﴾ [الأنعام:9].

فلما رأى جل سلطانه الأمر يفضي إلى آخر صير آخره أولاً وأقر لهم رسلاً من جنس المرسل إليهم فبان من جواب القرآن أن أهل الأرجاف غاية ما فعلوا إن اقتاتوا على ربهم مع أنه بلاءهم بما يرجعوا إليه آخر، فليس في الإمكان أبدع مما كان.

**الجواب الثاني**: أن الله جل جلاله وعز كبريائه وتقدس مجده أراد إظهار شفوف أصحاب سيدنا ومولانا محمد ε وψ وإعلاء كعبهم في الرسوخ والتمكين، وأنهم كانوا من الله تعالى على حالة عظيمة في الفتح، والكشف، والمعاينة، والتمكين، وثبوت الأقدام عند بدء صدمات التجلي، والولد سر أبيه، فكان الصحابة الكرام مظهر رسول الله في تمكينه, إذ هو مرآة الله الكبرى, وطور التجليات الإحسانية, ومظهر التجلي الأعظم، فصرت إذا أصابتهم سهام تكسرت النصال على النصال، وأي فتح أعظم من مشاهدة الذات المحمدية بالبصر، بل وتكرر النظر إليها وتجدده ومراجعتها، ومكالمتها والسفر معها والصلاة خلفها الآنات الزمانية، والوقوف الدهرية، ومن وقعت له الرؤية اليقظية من أكابر أهل الفتح من هذه الأمة المحمدية ضرب بحديثهم الطبل، وأشير إليهم بالبنان، فليت شعري ما يحصل لمطلق الصحابة من شفوف الرقية

وإعلاء أدراج مجاهداتهم وارتقاء سرادقات مكاناتهم عند ربهم جل سلطانه ويرحم الله تعالى.

عبد الله بن المبارك لما سئل عن التفاضل بين سيدنا معاوية τ وبين عمر بن العزيز τ، فقال: للغبار الذي يخرج من أنف فرس معاوية خير من كذا، وكذا من عمر بن عبد العزيز وهل أدرك عمر بن عبد العزيز أن يقول ربنا, ولك الحمد خلقه عليه الصلاة والسلام في الصلاة لما يقول سيدنا ε: سمع الله لمن حمده.

**مَـا لِمُوسَـىَ وَلاَ لِعِيسَـى حَوَارِيُـونَ فِـي مِـثْلِهِم وَلاَ نُقَبَـاءُ**
**أَوْ خَصُّوا فِـي الـوَغَى نُفُوسَ مُلُـوكٍ حَارَبُوهَـا أسـلابهَا أَغْـلاَءُ**
**أَغْنِيَـاءُ نَزَاهَـةٍ فَقَـرَاءُ عُلَمَـاءُ أئِمْـةُ أَمَـرَاءُ**
**رَضْـيَ اللهُ عَـنْهُمُ وَرَضُـوا عَنْـهُ فَـأنّى يَخصُّـوا إلَـيْهم خَطّـاءُ**
**جَـاءَ قَـوْمٌ مِـنْ بَعْـدِ قَـوْمٍ بِحَـقٍّ وَعَلَـى المَـنْهَجَ الحَنيفِـي جَـاءُوا**

فأبان هذا الجواب الثاني قوة الصحابة الكرام في الثبات عند لمعان فواتح التجليات، فكما كان سيدنا ε مظهر التمكين والرسوخ لما رجع من الإسراء لم يتبرقع ولم يتطليس, ولا لما رآه أحد مات مكانه لقوة عظمة ما يباده الرائي.

وقال فيه العالم جل أمره: ﴿**إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى*مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى**﴾ [النجم:16، 17], بخلاف الكليم لما وقع له التجلي الصفاتي صعق واندك من أجل ذلك التجلي الجبل، لكن لاح لي حالة التلاوة أنه لم يقع له ذلك الدك، وذلك الصعق إلا تلك المرة، وانظر صدور رسالته لما قفل من مدين وآنس من جانب الطور نارًا قال لأهله: ﴿**امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا**﴾ [طه:10]، ﴿**إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ * يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ * وَأَلْقِ عَصَاكَ**﴾ [النمل:7-10].

وهذا أول رسالته، كوفح بالخطاب من الحق بدون برزخية لجبريل، كما هو نص القرآن المجيد, فلم يقع له مظهر تلوين هاهنا، وإن كان أصحابنا ما عرجوا عليه ولا نبهوا على سره, فكانت الحضرة الموسوية مظهر التلوين في بعض مكابدها، وكان

أصحاب سيدنا يوسف υ مظاهر التلوين، وكان سيدنا محمد ε عليه مظهر التمكين، وكان أصحابه الكرام مظاهر التمكين أيضًا, أي: في بعض الوقائع فمع من تكن بحالة تكن، وما أفلح إلا بصحبة من أفلح مع أنهم كما قال بلبل الحضرة:

| | |
|---|---|
| **ومَا عَثَرَتْ عَلَى عَيْنٌ تروي وَلَمْ** | **يَدَعْ لِي رَسمًا فِي الهَوَى إلاّ عَينَ البُخْل** |
| **وَكَيْف أرجْى وَصْلَ مَنْ لَوْ تَصَوَّرْتَ** | **حماهَا المُنىَ وَهْمَا لَضَاقَتُ بِهَا السُّبُل** |
| **وَفرغَتُ قلَبْي مِنْ وُجُودِي مخَلِصًا** | **لَعَلّي فِي شُغْلِي بِهَا مَعَهَا أَخَل** |

وانظر السر في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ**﴾ [الأحزاب:37] أي: أنعم الله عليه بمعرفته، وأنعمت عليه بصحبتك أي: صيرته لذلك أهلاً، فإنه تعالى قابل إنعامه على زيد, وهو لا يحصى, فليس أهل السماوات والأرض بإنعامه عليه، الصلاة والسلام عليه.

وفي هذا من الشفوف بالمكانة المحمدية والجلالة المحمودية ما لا يفي به لسان ولا بنان وفيه، وهذا المقصود إعلاء رتبة الصحابة, وأنها لا تضاهي ولا تدرك ولا يلحق شاؤها, ولا يبلغ مداها إذ جعل تعالى إنعام الرسول عليهم بصيرورتهم أصحاب ما جعل في إنعامه هو تعالى عليهم من يوم خلقوا إلى ما لا يتناهى على أن الإنعامات الإلهية لو لم يكن منها إلا المشي تحت القباب المحمدية لكانت نعمة وما أُدرِيك ماهية وكيف لا وجُلّ خطابات القرآن الكريم بسبب وقائعهم وحوادثهم تتنزل اللهم بحقهم وجاههم أفرج عنا وعن المسلمين كل غمة، وضيق، وكرب، وخصوصًا هذه الطائفة الكتانية، يا من أظهر الجميل، وستر القبيح على أن أدنى ما في تلك المقابلة أن جميع الأنعام الصادرة درة من الربوبية على تكاثرها كلها على يد الواسطة العظمى ε تخرج:

| | |
|---|---|
| **مَنْ أَرْسَل الرَّحْمَن أَوْ يُرْسِل** | **مِنْ رَحْمَةٍ تَصْعَدُ أَوْ تَنْزِلُ** |
| **فِي مَلَكُوت اللهِ أَوْ مَلْكِهِ** | **نَبِيه المُختَار المُرسّلُ** |
| **وَاسِطَةَ فِيهَا وَأَصلٌ لَهَا** | **يَعْلَم هَذا كُلَّ مَنْ يَعْقِلُ** |

**المبنى الرابع**: إنما كان له- عليه الصلاة والسلام- هذا من أثر الوسع النوري الذي لم تطقه الأرض ولا السماء ووسعه قلب عبده المؤمن، كما قال تعالى:

«**ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن**»[1]، وهذا الوسع يكشف عنه النقاب الأقوال المذكورة في التفسير في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ**﴾ [الأحزاب:72], فإني أعرف أن صاحب «زهر الأكم» ألم فيها بنحو أربعين قولاً.

وفي الأقوال أن المراد بالأمانة تجلياته تعالى بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، وعرضها عليهن وإبائهن وحملها الإنسان، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً**﴾ [الأحزاب:72] تقليل للحمل مشارًا به إلى قوة استعداده، وقوله سبحانه: «ليعذب» تعليل للعرض على معنى «عرضنا» ذلك لتظهر تجلياتنا الجلالية والجمالية، ويشير إلى هذا قول المحقي الطيبي في حواشي الكشاف: إن الله تعالى خلق الخلق؛ ليكونوا مظاهر أسمائه الحسنى وصفاته العليا، فحامل معنى الكبرياء والعظمة السماوات والأرض والجبال من حيث كونها عاجزة عن حمل سائر الصفات لعدم استعدادها لقبولها؛ ولذلك ﴿**فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ**﴾ [الأحزاب:72]؛ لقوة استعداده واقتداره لكونه ظلومًا جهولاً، فاختص لذلك من بين سائر المخلوقات بقبول تجلي القهارية، والثوابية، والمغفرة وشاركها بقبول تجلي الرحمة، وله النصيب الأوفر منها لقوة استعداده، واقتداره، ولا يخفى أنه من مشارب أهل الإشارات رضي الله تعالى عنهما.

ومن ذلك قول الشيخ الأكبر-قدس سره- الأطهر كما في «بلغة الغواص»: الأمانة التى عرضت على السماوات والأرض, فأبين أن يحملنها هي السعة لمعرفة الله تعالى, فلم يوجد في السماوات والأرض قبول لما قبله الإنسان بهذا التأليف الصوري إذ الإنسان ثمرة العالم فهو يرى نفسه في العالم، ويرى ربه سبحانه بالعالم الذي هو نفسه، إذ الإنسان مقابل بما انطوى فيه للعالم؛ فلذلك اتسع لما لم يسعه العالم؛ ولذلك خصه سبحانه بالسعة حيث أخبر جل شانه أنه لم يسعه سماواته ولا أرضه ووسعه قلب المؤمن من نوع الإنسان, انتهى.

---

(1) رواه الديلمي في الفردوس (174/3).

وكأنه أراد بكونه وسع الحق سبحانه كونه مظهرًا جامعًا للأسماء والصفات.

قلت: وينبغي أن تعلم أن للقلب عندهم، كما قال الصدر القونوي: إطلاقين, وبه يزداد ما نقلناه انكشافًا وإيضاحًا.

**الأول**: إطلاقه على اللحم الصنوبري الشكل المعروف عند الخاصة والعامة.

**الثاني**: إطلاقه على الحقيقة الجامعة بين الأوصاف والشئون الربانية, وبين الخصائص والأحوال الكونية الروحانية منها، والطبيعية, وهي تنشأ من بين الهيئة الاجتماعية الواقعة بين الصفات والحقائق الإلهية والكونية، وما يشتمل عليه هذا الإطلاق من الأخلاق والصفات اللازمة وما يتولد من بينهما بعد الارتياض والتزكية، وظهور ذلك فما ذكر ظهور السواد بين القفص والزاح والماء، وهذا هو القلب الذي أخبر الله سبحانه على لسان نبيه ع بقوله: «**ما وسعني أرضي ولا سمائي, ووسعني قلب عبدي المؤمن**»[1] التقي، النقي، الوادع, وهو محل نظر الحق سبحانه ومنصة تجليه ومهبط أمره.

واللحم الصنوبري أصغر من حيث صورته أن يكون محل سره جل سلطانه فضلاً عن أن يسع المعرفة الإلهية وعلى ما قالوا يدعي أن تسمية ذلك الصنوبري الشكل بالقلب على سبيل المجاز باعتبار تسمية الصفة والحامل باسم الموصوف والمحمول, فافهم.

**أما بعد** .. والقول الفصل في الآية الكريمة ما أودعه الشيخ إسماعيل حقي في «روحه»[2] والقصد منه آخره وهو أي: الأمانة على ثلاث مراتب.

**المرتبة الأولى**: أنها التكاليف الشرعية والأمور الدينية المرعية؛ ولذا سُميت أمانة لأنها لازمة الوجود، كما أن الأمانة لازمة الأداء وتلك الأمانة هي العقل أولاً, فإن به يحصل تعلم كل ما يكون طوق البشر تعلمه، وفعل ما في طوقهم فعله من

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) أي: في روح البيان (174/3).

الجميل، وبه فضل الإنسان على كثير من الخلائق، ثم التوحيد والإيمان باليوم الآخر والصلاة والزكاة والحج والجهاد وصدق الحديث، وحفظ اللسان من الفضول، وحفظ الودائع، وأشدها كتم الأسرار وقضاء الدين، والعدالة في المكيال والميزان، والغسل من الجنابة، والنية في الأعمال، والطهارة في الصلاة، وتحسين الصلاة في الخلوة والصبر على البلاء، والشكر له على النعماء والوفاء بالعهود، والقيام بالحدود، وحفظ الفرج الذي هو أول ما خلق الله سبحانه من الإنسان، وقال له: هذه أمانة استودعتكها والأذن والعين واليد والرجل وحروف التهجي، كما نقله الراغب في «المفردات» وترك الخيانة في قليل وكثير لمؤمن ومعاهد وغير ذلك مما أمر به الشارع، وواجبه وهي بعينها المواثيق والعهود التي أخذت من الأرواح في عالمها ووضعت أمانة في الجوهر الجمادي صورة المسمى بالحجر الأسود لسيادته بين الجواهر وألقمه الحق تلك المواثيق وهو أمين لتلك الأمانة.

**والمرتبة الثانية**: أنها المحبة والعشق والانجذاب الإلهي التي هي ثمرة الأمانة الأولى ونتيجتها وبها فضل الإنسان على الملائكة، إذ الملائكة وإن حصلت لهم المحبة في الجملة لكن محبتهم ليست مبنية على المحن والبلايا، والتكاليف الشاقة التي تعطي الترقي إذ ليس الترقي إلا للإنسان, انتهى.

**قلت**: بل للملائكة الترقي ولولا ذلك لما قبلوا تعليم الأسماء لما علموها من قبل المظهر الآدمي صفى الله صلى الله تعالى عليه وسلم.

**والمرتبة الثالثة**: أنها الفيض الإلهي بلا واسطة ولهذا سماه بالأمانة؛ لأنه من صفات الحق تعالى فلا يتملكه أحد، وهذا الفيض إنما يحصل بالخروج عن الحجب الوجودية المشار إليها بالظلومية والجهولية وذلك بالفناء والبقاء المصطلح عليهما عند القوم -رضي الله تعالى عنهما - وهذه المرتبة نتيجة المرتبة الثالثة وغايتها بأن العشق من قام المحبة الصفائية, وهذا الفيض والفناء من مقام المحبوبية الذاتية، فالمرتبة الأولى للعوام، والثانية للخواص، والثالثة لأخص الخواص، والأولى طريق، والثاني وهي طريق الثالثة ولم يجد سر الأمانة إلا من أتى البيت من الباب, وكل وجه ذكره

المفسرون في معنى الآية حق؛ لكن لما كان في المرتبة الأولى كان طرفًا ووعاء للأمانة ولبه ما في المرتبة الثانية, ولب اللب ما في المرتبة الثالثة، ومن الله تعالى الهداية إلى هذه المراتب والعناية في الوصول إلى جميع المطالب.

ثم إن اختصاص الإنس بالعشق وقبول الفيض؛ لأن نسبته من المخلوقات كنسبة القلب مع الشخص, فالعالم شخص وقلبه الإنسي، فكما أن عرض الروح عام على الشخص الإنساني وقبوله وحمله مخصوص بالقلب بلا واسطة، ثم من القلب بواسطة العروق الممتدة يصل عكس الروح إلى جميع الأعضاء فتكون متحركًا به، كذلك عرض العشق والفيض الإلهي عام لاحتياج الموجودات إلى الفيض وقبوله وحمله خاص بالإنسان ومن يصل إلى سائر المخلوقات ملكها وملكوتها, فإما إلى كونها وهو ظاهر الكون أعني الدنيا, فيصل الفيض إليه بواسطة صورة الإنسان من صنائعه وحرفه التي بها العالم معمور ومزين.

وأما إلى ملكوتها وهو مركز باطن الكون أعني الآخرة فيصل الفيض إليها بواسطة روح الإنسان وهو أول شيء تعلقت به القدرة، فيتعلق الفيض الإلهي من أمركن أولاً بالروح الإنساني، ثم يفيض منه إلى عالم الملكوت فظاهر العالم وباطنه معمور بالإنسان وباطنه هو سر الخلافة المخصوصة بالإنسان، ولم كان القصد من جود سيدنا آدم υ وجود الإنسان الكامل, فمد الأواخر والأوائل سيدنا محمد ε صار وجود سيدنا آدم بمنزلة المقدمة، والفذلكة لوجود الحقيقة المحمدية، صار الإنسان الذي هو روح العالم روحه هو الحقيقة المحمدية، كما قلنا في فرج هذه الصلاة روح العالم وآدم لآدم ونقطة باء كتب الغيوبات أويقال: المراد بالإنسان الذي هو مصدر الفيض على العالم هو الإنسان الكامل وأما المراد بالإنسان في الآية الكريمة الجنس، بيد أنا إن ذهبنا إلى ما ذهب إليه المجد الشيرازي صاحب القاموس تبعًا لبعض المفسرين من أن الوصف بالظلومية والجهولية، إنما يليق بمن خان في الأمانة وقصر عن حقها, فلا يضرنا حمل الإنسان على بعض الأفراد؛ لأن الذم إنما جاء من جهة الخائنين لا بمن يتحملها ويقبلها, فمعنى حملها الإنسان أي: خانها والإنسان الكافر والمنافق من قولك فلان حامل الأمانة ومحتمل لها، فمعنى أنه لا يؤديها إلى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها بجعل الأمانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها، كما يقال ركبته الديون.

ونحا لنحو هذا صاحب «روح البيان»[1] فقال ما نصه:

وقال أهل الحقيقة: هما صفتا مدح أي: في حق مؤدى الأمانة, فإن الإنسان ظلم نفسه فحمل الأمانة؛ لأنه وضع شيئًا في غير موضعه, فأفنى نفسه وأزال حجبها الوجودية وهي المعروفة بالأنانية، وجهل ربه, فإنه في أول الأمر يحب هذه البهيمية التي تأكل وتشرب وتنكح وتحمل الذكورية والأنثوية التي اشترك فيهما جميع الحيوانات، وما يدري أن هذه الصورة الحيوانية قشر له لب هو روحه وروحه أيضًا قشر وله لب هو محبوب الحق الذي قال: يحبهم وهو محب الحق الذي قال: «يحبونه» فإذا عبر عن قشر حبي نيته الظلمانية, ووصل إلى لب روحانية النورانية, ثم علم أن هذا اللب النوراني أيضًا قشر, فإن النبي ε قال: «**إن لله سبعين حجابًا من نور**»[2]، فعبَّر عن القشر الروحاني أيضًا, ووصل إلى لُبّه الذي هو محبوب الحق ومحبه, فقد عرف نفسه وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه جل أمره بتوحيد لا شرك فيه بأنواعه الخفية.

وأيضًا أن الجهول هو العالم؛ لأن نهاية العلم هو الاعتراف بالجهل في باب المعرفة والعجز عن درك الإدراك إدراك. فلو لم يكن للإنسان قوة هذه الظلومية والجهولية لما حمل الأمانة وبهذا الاعتبار صح تعليل الحمل بها, فافهم.

**لطيفة**: نقل فى «عرائس البيان في حقائق القرآن» عن الإمام الجنيد τ أنه قال: إن لذة عرض الحمل على سيدنا آدم υ أنسته أثقال الحمل فلم يشعر بها يترتب عليه انتهى.

**فريدة**: إياك أيها السامع أن تجد في قابليتك سماع جميع الأكاذيب، والأخبار الواهية، والتراهات المحدث بها أحد الكذابين، ولا تبحث عنها ولا عن ما يتنشأ عن إشاعتها ولو سفك الدماء، أو هتك الأعراض، أو إراقة ماء الوجوه ولا تكثرت، فإذا سمعت شيئًا من المعارف الإلهية والمواهب اللدنية العرفانية توقفت وجاءك الورع

---

(1) في (154/11).

(2) رواه الطبراني في الأوسط (278/6), وأبو الشيخ في العظمة (677/2) بنحوه.

المنكوس وحاولت الذَّبّ عن الشريعة المطهرة.

قال في «عرائس البيان» الذي مبنى حاشية أبي زيد الفاسي على الجلالين على كلامه: القرآن عبارة وإشارة ولطائف وحقائق, فالعبارة للسمع والإشارة للعقل واللطائف للمشاهدات والحقائق للاستسلام.

وقال جعفر الصادق: يقرأ القرآن على تسعة أوجه الحق والحقيقة والتحقيق والحقائق والعقود والعهود وقطع العلائق وإجلال المعبود.

وقال أيضًا: أنزل القرآن على سبعة أنواع على التعريف والتكليف والتعطيف والتشريف والتأليف والتكفيف لم نزل بأمر ونهي ووعد ووعيد ورخص وتأسيس وتمحيص، ثم نزل داعيًا وواعيًا وشاهدًا وحافظًا وشافيًا ودافعًا ونافعًا, انتهى الحديث منه بلفظه.

**فريدة:** وإيقاظ هذا الذي أبحر بنا الكلام من أجله وهو «**ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن**»[1] ذكره في «الإحياء» بزيادة «اللين الفؤاد»، قال الحافظ العراقي في تخريجه: لم أر له أصلاً انتهى[2].

وقال ابن تيمية: هو مذكور في الإسرائيليات, وليس له إسناد معروف عن النبي ε ومعناه: وسع قلبه الإيمان ومحبته ومعرفته، وإلا فمن قال إن الله يحل في قلوب الناس فهو أكفر من النصارى الذين خصوا ذلك بالمسيح وحده.

قال السخاوي كأنه أشار بما في الإسرائيليات إلى ما أخرجه أحمد في «الزهد» عن وهب ابن منبه قال: إن الله تعالى فتح السماوات لحزقيل حتى نظر إلى العرش, فقال حزقيل: سبحانك ما أعظمك يا رب, فقال الله: «**إن السماوات والأرض ضعفن عن أن يسعني ووسعني قلب عبدي المؤمن الوادع اللين**»[3].

وقال ابن الزركشي: سمعت بعض العلماء يقول: حديث «ما وسعني» باطل من

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) انظر: تخريج الإحياء للعراقي (231/6).

(3) ذكره العجلوني في كشف الخفا (255/2).

وضع الملاحدة، زاد الزركشي وأكثر ما يرويه المتكلم على رؤوس العوام علي بن وفا لمقاصد يقصدها ويقول عند الوجد والرقص طوفوا ببيت ربكم.

قال الحافظ أبو الفيض مرتضى الحسيني الزبيدي الواسطي الحنفي: وهذا من الزركشي تحامل على الصوفية الذين هم من خواص الخلق الله تعالى, ويعني بالمتكلم المذكور القطب أبا الحسين عليّ بن وفا الشاذلي-قدس الله سره- جد السادات الوفائية, وناهيك به من جلاله وقدر قد خصه الله بالفيوضات والكشوفات ما لو فتح للزركشي عن قلبه لرأي جلية الحق وتحققت له الحقائق؛ ولكنه محجوب بما تلقفه من مشايخه مجبول على رتبة التقليد, وإن كان هو على علم من ربه, وما كنت أرى له أن يتكلم بما قال، ثم ذكر أبو الفيض ما أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» وقد تقدم.

وما أخرجه الطبراني عن أبي عتبة الخولاني ورفعه:

«**إن لله تعالى آنية من أهل الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها إليه ألينها وأرقها**»[1].

وقال الزركشي فيه: بقية بن الوليد مدلس؛ لكن صرح بالتحديث, انتهى.

وقال عقبة ما نصه:

وهذا القدر يكفي الصوفي ولا يعترض عليه إذا عزاه إلى حضرة الرسالة، والإنصاف من أوصاف المؤمنين ولا اعتراض إلى قول القطب عند الوجد [طوفوا ببيت ربكم], فإن القلب بيت الرب وليس يعني به هذه القطعة الصنوبرية، بل اللطيفة النورانية تأمل انتهى بلفظه.

**قلت**: وما ضر ابن الزركشي لو التمس العذر لهذا السيد الجليل بمجرد كونه من آل البيت النبوي الأطهر فكيف بعمله, فكيف بولايته ومآثره المنتشرة، وما أرى أبا نواس إلا أن الله تعالى تجاوز عنه لما لِيم على تركه مدح مولانا على الرضا ابن مولانا موسى الكاظم ابن مولانا جعفر الصادق ابن مولانا محمد الباقر ابن مولانا زين

---

(1) رواه الطبراني في الشاميين (19/2), وذكره المناوي في فيض القدير (402/4).

العابدين ابن مولانا الحسين ابن سيدنا ومولانا على بن أبي طالب- رضي الله تعالى عنهما- ونفعنا بمحبتهم.

**قِيلَ لِي أَنْتَ أَحْسَنُ النّاسِ طَرًا فِي فُنُونٍ مِنَ المَدِيحِ النّزِيهِ**
**لَكَ مِنْ جَيّدَ القَرِيضِ مَدِيحٌ يَثْمُرُ الدُّرِ فِي يَدِي تَجْتَنَبْهِ**
**فَعَلَى فِي تَرَكْتُ مَدحَ ابن موسَى والخِصَالُ التِي تَجْمَعْنَا فِيهِ**
**قَلْتُ لاَ أَسْتَطِيعُ مَدْحَ إِمَامٍ كَانَ جِبْرِيلُ خَادِمٌ لأبِيهِ**

قال في «درر الأصداف»: حكى أن بعض الوعاظ أطنب في مدح آل البيت الشريف وذكر فضائلهم حتى كادت الشمس أن تغرب فالتفت إلى الشمس، وقال مخاطبًا لها:

**لاَ تَغْرُبِي يَا شَمْسُ حَتى يَنقضِي مَدْحِي لآلِ محمدٍ وَلِنَسْلِهِ**
**وَأَثْنِى عَنَانَكَ إِنْ أَرَدْتِ ثَنَاءَهُ أَنَسِيتَ إذ ذَاكَ الوُقُوف لأجلِهِ**
**إِنْ كَانَ لِلمْولَى وُقُوفَكِ فَلْيَكُنْ هَذَا الوُقُوفُ لِفَرْعِهِ وَلِنَجْلِهِ**

فطلعت الشمس وحصل في ذلك المجلس أنس كبير وسرور عظيم, انتهى.

والواعظ المذكور هو أبو المظفر الشهير بالواعظ كذا سماه العلامة ابن عبد الباقي في شرح المواهب وغيره, راجع أوائل الجزء الخامس منه.

وللإمام الشافعي:

**آل النبيّ زَرِيعتِي وَهُمْ إِلَيهِ وَسِيلَتِي**
**أَرْجُو بِهِم أعطِي غَدًا بِيَدِ اليَمِينِ صَحِيفتِي**

وما أحسن ما أورده الشيخ الأكبر في «الفتوحات»[1]:

**فَلاَ تَعْدِلْ بِأهْلِ البَيْتِ خُلْقًا فَأَهْلُ البَيْتِ هُمْ أَهْلُ السّيادَة**
**فَبِعقْتِهِم مِنَ الإنْسَان خُسر حقيقِي وحُبُهُم عِبَادَة**

وقال آخر:

**هُم القومُ مَنْ أَصْفَاهَم الودَّ مُخْلصًا تمسكَ فِي أَخْرَاهُ بالسَّبَبِ الأَقْوَى**
**هُمُ القومُ فَاقُوا العَالَمين مَنَاقِبا مَحَاسنُهم تجلّي أَثَارَهَمَ تُروَى**
**مُوَالاتهمْ فَرَضٌ وَحُبُّهُم هُدًى وَطَاعَتُهُم وُدٌّ وَوُدُّهُم تقْوَى**

(1) في (331/6).

وأشار الكميت لآية: ﴿**قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى**﴾ [الشورى:23] بقوله:

**وَجَــدْنَا لَكُــم فِــي آلِ آيــةً    تَأولَهــا مِنّــا تَقِــي وَمُعْــرَبِ**

ولله تعالى در السيد عمر الهاشمي أحد المتأخرين حيث يقول:

**بأيــةٍ آيــةٍ يَــأتي يَزْيــدُ    غُــدَاةَ صَــحَائِفِ الأَعْمَــالِ تُتْلَــى**

وقام رسول رب العرش يتلو وقد صمت جميع الخلق قل لا وأنا أقول: قول الشافعي الشافي الحي:

**يَـا رَاكِبًـا قِـفْ بِالمُحْصَـبِ مِـن مِنَـى    وَاهْتِـفْ بِسَـاكِنَ خِيْفَهَـا والنّـاهِضِ**
**سِحْرًا إِذَا فَـاضَ الحجِـيجُ إِلـى مِنَـى    فَيْضًــا كَمُلْـتَطِمِ الفُـرَاتِ الفَـائِضِ**
**إِنْ كَــانَ رَفضًــا حُــبَّ آلِ محمــدٍ    فَلْيَشْــهَدِ الــثَّقَلاَن أَنّــي رَافِــضُ**

**لطيفة**: حكى الإمام أبو بكر الهيثمي في الكتاب الذي صنفه في الإمام الشافعي أن الإمام قيل له: إن أناسًا علي يصبرون على سماع منقبة أو فضيلة تذكر لأهل البيت, فإذا رأوا أحدًا يذكر شيئًا من ذلك قالوا: تجاوزوا عن هذا, فهو رافضي فأنشد في ذلك:

**إِذَا فِــي مَجْلِــسٍ ذَكَــرُوا عَلِيًّــا    وَسَــبْطِيْنِ وَفَاطِمَــةَ الزَّكِيَّــةَ**
**يُقَــالُ تَجَــاوَزَا يَــا قَــوْمَ هَــذَا    فَهَــا مِــنَ حَــدِيثِ الرَّافِضِــيَّةِ**
**فَـرَات إِلــى المُهَـيْمِنِ مِــنْ أنَــاسٍ    يَــرَوْنَ الــرَّفْضَ حُــبَّ الفَاطِمِيَّــةِ**

وبالحماة أقول كما قال ابن السكاك:

**أَنَــا جَــارُكُم يَــا آلَ البيــتِ مُحَمَّــد    وَعَلــي الكِــرَامِ إِجَــازَة الأَضْــيَافِ**

**تتمة**: لعظم حقوق آل البيت النبوي عن لي أن أختم هذا البساط بقصيدة أبي فِراس في سيدنا علي بن الحسين ψ الملقب بزين العابدين, وقصدي بها مدح فروع الشجرة المحمدية أينما حلوا وخيموا بمعمور الأرض حسبما اقتضت الحكمة الربانية تشريدهم في الأرض ليكونوا أمانًا لأهلها، فأن أهل البيت أمان لأهل الأرض، كما أن النجوم أمان لأهل السماء، وذلك إن هشام بن عبد الملك حج في حياة أبيه, فطاف بالبيت وجهد أن يستلم الحجر الأسود فلم يصل إليه لكثرة الزحام فنصب له منبر إلى جانب زمزم في الحطيم وجلس ينظر إليه الناس وحوله جماعة من أهل الشام فبينما هم

كذلك، إذا أقبل زين العابدين علي بن الحسين -رضي الله تعالى عنهما- يريد الطواف, فلما انتهى إلى الحجر الأسود تنحى الناس له حتى استلم الحجر الأسود، فقال رجل من أهل الشام: من هذا الذي قد هابه الناس هذه المهابة فتنحوا يمينًا وشمالاً؟ فقال هشام: لا أعرفه مخافة أن يرغب فيه أهل الشام، وكان الفرزدق حاضرًا فقال للشامي: أنا أعرفه فقال: من هو يا أبا فِراس فقال:

**هـذَا الـذِي تعـرفُ البطحـاءُ وطأتـهُ ... والبيـتُ يعرفـهُ والحـلُّ والحـرم**
**هـذَا ابـنُ خيـرِ عبـادَ اللهِ كلهـمْ ... هـذَا التقـيُّ النقـيُّ الطـاهرُ العلـم**
**إذَا رأتهـمْ قـريشُ قـالَ قائلهَـا ... إلَـى مكـارمَ هـذَا ينتهِـي الكـرم**
**ينمِـي إلَـى ذروةِ العزّ التِـي قصـرتْ ... عـنْ نيلهَـا عـربَ الإسـلامِ والعجـم**
**يكـادُ يمسـكهُ عرفـانُ راحتِـي ... ركـنُ الحطـيمِ إذَا مَـا جـاءَ يسـتلم**
**يقضِـي حيـاءً أوْ يقضِـي مـنْ مهابتـهُ ... فمَـا يكلـمُ إلّا حـينَ يبتسـم**
**مِـنْ جـدهُ دانٍ فضـلُ الأنبيـاءِ لـهُ ... وفضـلُ أمتـهِ دانـتْ لـهُ الأمـم**
**ينشـقُ نـورُ الهـدَى مـنْ نـورِ غرتـهِ ... كالشـمسِ ينجـابُ عـنْ إشـراقهَا الظلـم**
**مشـتقة مـنْ رسـولِ اللهِ بعثـهُ ... طابـتْ عناصـرهُ والشـيمُ والخـيم**
**هـذَا ابـنُ فاطمـةَ إنْ كنـتَ جاهلـهُ ... بجـدهِ أنبيـاءُ اللهِ قـدْ ختـم**
**الله فَضَّـلَه قـدمًا وشـرفهُ ... جـرَى بـذلكَ لـهُ فِـي لوحـهِ القلـم**
**ولـيسَ قَوْلـكَ مـنْ هـذَا بضـائرِه ... العـربُ تعـرفُ مـنْ أنكـرتِ العجـم**
**كلتَـا يديـهِ غيـاث عـمَّ نفعهمَـا ... يسـتو كافـان ولَا يعروهمَـا العـدم**
**سـهلُ الخليفـةِ لَا تخشَـى بـوادرهُ ... يُزَيّنـهُ اثنـان حسـنُ الخلـقِ والكـرم**
**حمـالُ أثقـالِ أقـوامُ إذَا قـدحُوا ... خلـوا الشـمائلِ تحلـوا عنـدهُ نعـم**
**مَـا قـالَ لَا قـطّ إلّا فِـي تشـهدهُ ... لـولَا التشـهدُ كانـتْ لاءُه نعـم**
**لَا يخلـفُ الوعـدَ ميمـونُ نقيبتُـه ... رحـبُ الفنـاءِ أريـبُ حـينَ يعتـرم**
**عـمَّ البريـةِ بالإحسـانِ فانفصـلتْ ... عنـهُ القتـادةُ والإمـلاقُ والعـدم**
**مـنْ معشـرِ حـبهمْ ديـنُ وبغضـهمْ ... كفـرُ وقـربهمْ منجّـي ومعتصـم**
**إنْ عُـدَّ أهـلُ التقَـى كـانُوا أئمـتهمْ ... أوْ قيلَ مِنْ خيرِ أهلِ الأرضِ قيلَ هم**
**لَا يسـتطيعُ جـوادُ بُعـد غـايتهمْ ... ولَا يـدانيهُم قـوم وإنْ كرمُـوا**
**هـمْ الغيـوثُ إذَا مَـا أزمـة أزمـتْ ... والأسدُ أشدُّ الشرَى والبأسُ محتدم**
**لَا يـنقصُ العسـرَ بسـطًا مـنْ أكفهـم ... سـيان ذلـكَ إنْ أشـرُوا وإنْ عـدموا**
**يسـتدفعُ السـوءَ والبلـوَى يحـبهم ... ويسـتزادُ بـهِ الإحسـانُ والـنعم**
**مقـدمٌ بعـدَ ذكـرِ اللهِ ذكـرهم ... فِـي كـلِّ بـدَا ومختـومٌ بـهِ الكلـم**
**يـأبَى لهـمْ أنْ يحـلَّ الـذمُّ سـاحتهم ... خـيم كـريم وأيـدَ بالنـدَى عصـم**
**أيُّ الخلائـقِ ليْسَـتْ فـي رقـابهم ... لأوليـةِ هـذَا أولـهُ نعـم**

مَــنْ يَعْـرِفُ اللهَ يعــرفُ أولويـــة ذَا والـدينُ مِـنُ بيـتِ هـذَا نالــهُ الأمــم

فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب ثم أخذ الفرزدق وسجنه بعسفان فبلغ ذلك علي بن حسين τ, فبعث إليه بأربعة آلاف درهم فردها الفرزدق وكتب إليه إنما مدحتك بما أنت له أهل فرده عليه علي τ وكتب أن خذها وتعاون بها على دهرك, فإنا أهل بيت إذا وهبنا شيء لا نستعيده فقبلها منه.

وفي رواية فبعث إليه باثني عشر ألف درهم، وفي رواية بعشرة آلاف درهم، وقال: اعذرنا يا أبا فراس فلو كان عندنا أكثر من هذا لوصلناك به، فينبغي لكل محب لآل البيت النبوي الأطهر أن يحفظ هذه القصيدة لما اشتملت عليه من مدحهم الشريف -رضي الله تعالى عن جميعهم- وقد انكشف لك من مؤدي قولنا في الصلاة المحمدية: الذي جعلت اسمه متحدًا باسمك نعتك، إن المعنى الجملي منها يا الله صلي على الحقيقة المحمدية محل نظرن من خلقك التي بلغت من الخطوة والمكانة عندك أن رفعت لها ذكرها فلم تذكر في موطن شريف إلا وذكرت معك وهو الأول له معنى جعلت اسمه متحدًا باسمك، وأما [ونعتك] أي: وجعلت يا الله نعته متحدًا بنعتك، وطرقنا من احتمالين، والثاني منهما أن المعنى أنك يا الله تجليت على حبيبك الأعظم وصفيك الأكرم بأنواع التجليات إلى أن فهم عنك المرادات المتجلية في الأكوان وفقه السر المراد من تحرك المتحرك وسكون الساكن, فحصل على مقام الرضا، فكل شيء أبدته التقادير الإلهية وأحكمته التدابير القهرية، فلم يركن للنعماء ولا جزع من الدواء ولا انقبض من وقوع غير الملائم للطبع.

وإذا قال قطب أهل الكمال: «وزج بي في بحار الأحدية وأنشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة، حتى لا أرى، ولا أسمع، ولا أجد، ولا أحسن إلا بها، ثم قال: وانصرني بك لك، وأيدني بك بك، واجمع بيني وبينك».

وحل بيني وبين غيرك الله، الله، الله وكرر الاسم المفرد ثلاث مرات, إشارة إلى العثور على مقامات الفناء الثلاث عند العارفين وهي الفناء في الأفعال وإليه الإشارة بالاسم أولاً، والفناء في الصفات وهو المشار إليه بالاسم ثانيًا، والفناء في حضرة الذات, وهو المشار إليه بالاسم ثالثًا.

**فليت شعري**: ما يقول قطب سائر لأهل الكمال سيدنا محمد ε وكون العبد لا مراد له مع سيده ولا تدبير ولا اختيار هو المعنى الحقيقي الذي يطلق عليه الصوفية الاتحاد كما قال ابن وفا:

**وَعِلْمُــكَ أَنَّ كُــلَّ الأمــرِ أَمَــرِي هَــوَ المُعْنَــى المُسَــمَّى بِاتِّحــاَدِ**

ولا تعني الصوفية بالاتحاد ما يستنكف عنه كل متدين وتقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، وقد أقمنا الدلائل والبراهين على بطلان ما ينسب إلى الصوفية من دعواهم الاتحاد، وأنهم براء من ذلك في تأليف لنا مسمى بـ«**البحر المسجور فيمن أنكر فضل الله بالمأثور**»[1]، وإلى كون العبد لا تدبير له ولا اختيار مع الله سبحانه في أمر من الأمور، بل يتلقى سائر المهالك بوجه ضاحك هو المعنون عنه هنا بالاتحاد.

وفي «أخلاق النبوة» عن سيدنا أنس τ: خدمت النبي ε عشر سنين والذي بعثه بالحق ما قال في شيء قط كرهه لم فعلته, ولا لامني أحد من أهله إلا قال:

«**دعوه إنما كان هذا بكتاب**»[2] .

**قلت**: وإنما كان لا يعتبه ρ؛ لأنه كان يرى الأفعال كلها صادرة من عين القدرة فكان لا يجد ما ينكر أي: من الأمور التي ليس فيها انتهاك الحرم الإلهية، وأما تلك فكان يغضب غضبًا لم يقم لغضبه شيء.

وروى أبو الشيخ في كتاب «الأخلاق» من حديث له فيه: «ولا أمرني بأمر فتوانيت منه فعاتبني عليه, فإن عاتبني عليه أحد من أهله».

قال: «**دعوه فلو قدر شيء كان**»[3] ، وفي هذا أن عدم معاتبته-عليه الصلاة والسلام- ليس لحسن أدب سيدنا أنس ووسع أخلاقه فقط، لب لما قدمناه أو يقتضي أن سيدنا أنسًا كان يصدر منه موجب العتب ولكن لأجل هذه المشاهدة كان لا يعاتبه, فالتعليل المعلوم في عدم الإنكار مصادم للتقليدات المحمدية.

---

(1) طبع بدار الكتب العلمية-بيروت-.

(2) رواه أحمد (231/3), وابن سعد في الطبقات (17/7) بنحوه.

(3) ذكره ابن رجب في جامع العلوم والحكم (148/1) بنحوه.

وروى الخرائطي في «مكارم الأخلاق» من حديث: «**دعوه فإن لو قدر شيء لكان**»[1], وانظر هذا فهو صريح فيما قدمنا.

وعند الدار قطني في «الأفراد» وأبي نعيم في «الحلية» «**لو قضى كان أو قدر كان**»[2]، وعلى هذا الخُلق درج السلف الصالح أجمع والراسخون في العلم, فيحق على كل من قال: ربي الله أن يتبعهم في الرضا بالقدر ولا ينازع الله تعالى فيما يندبه من الأحكام في ملكه فإن رضانا عن الله تعالى إنما يظهر في الأمور القهرية من مُر القدر وشره، وإما حلوه وخيره فرضانا عن الله تعالى فيهما ليس إلا لملائمة ذلك للطبع لا غير، فلم تطهر العبودية إلا في تلقينا مُر القدر وشره بالوجه الذي نتلقى به خير القدر وحلوه.

قال عمر بن عبد العزيز-رحمه الله تعالى-: أصبحت مما بقى له سرور إلا في مواقع القدر.

وقال أبو عبد الرحمن النباجي: من عباد الله خلق يستحيون من الصبر، يتلقون مواقع أقداره بالرضا تلفقًا.

وروى أبو نعيم في «الحلية» من طرق أبي الحكم، أو الحكم عن أبي وائل عن عبد الله ابن مسعود τ: ما أحد من الناس اليوم إلا ويتمنى؛ ولأن ألحس جمرة أحرقت ما أحرقت وأبقت ما أبقت أحب إليَّ من أن أقول لشيء كان ليته لم يكن أو شيء لم يكن ليته كان.

وروى الإمام أحمد في «الزهد»: أن رجلاً نظر إلى قرحة في رجل محمد بن واسع البصري, فقال: إني لأرحمك من هذه القرحة، فقال: إني لأشكرها منذ خرجت إذ لم تخرج في عيني، وزاد أبو نعيم في «الحلية» حيث لم يجعلها في حديقتي، ولا على طرف لساني، ولا على طرف ذكري، قال: فهانت عليَّ قرحته.

قال في «الإحياء»: وروى أن آدم υ كان بعض أولاده يصعدون على بدنه

---

(1) اللفظ في مكارم الأخلاق [قضى] (63).

(2) رواه أبو نعيم في الحلية (179/6).

وينزلون يجعل أحدهم رجله على أضلاعه كهيئة الدرج فيصعد على رأسه، ثم ينزل على أضلاعه كذلك وهو كطرق على الأرض لا ينطق ولا يرفع رأسه، فقال له بعض أولاده: يا أبت أما ترى ما يصنع هذا بك؟ لو تهينه عن هذا، فقال: يا بني إني رأيت ما لم تروا، وعلمت ما لم تعلموا، إني تحركت حركة واحدة, فأهبطت من دار الكرامة إلى دار الهوان، ومن دار النعيم إلى دار الشقاء، فأخاف أن أتحرك حركة أخرى فيصيبني ما لا أعلم.

**قلت**: ونحوه في «القوت» وفي الأخبار السالفة أن نبيًا من الأنبياء شكا إلى الله عز وجل الجوع، والفقر، والقمل عشر سنين فما أجيب إلى ما أراد، ثم أوحى الله إليه: «كما تشكوا هذا كان بدؤك عندي في أم الكتاب قبل أن أخلق السماوات والأرض وهكذا سبق لك مني، وهكذا قضيت عليك قبل أن أخلق الدنيا، أفتريد أن أعيد الدنيا من أجلك، أم تريد أن أبدل ما قدرت عليك فيكون ما تحب فوق ما أحب، ويكون ما تريد فوق ما أريد، وعزتي وجلالي إن تلجلج في صدرك هذا مرة أخرى لأمحونك» من ديوان النبوة، أورده في «الإحياء» وسلفه فيه صاحب القوت وسكت عنه كما نقله صاحب «إسعاد الراغبين».

ويروى في بعض الأخبار أن الله تعالى أوحى إلى داود υ:

«**يا داود تريد وأريد، وإنما يكون ما أريد**»[1] أورده فيهما.

وعن ابن عباس: «**أول ما يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله تعالى على كل حال**»[2].

وقال عمر بن العزيز: لقد أصبحت وما بقى لي سرور إلا في مواضع القدر، وقيل له: وما تشتهي؟ فقال: ما يقضي الله تعالى.

وقال ميمون بن مهران الخزرجي-رحمه الله تعالى-: من لم يرض بالقضاء ليس

(1) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (215/4).

(2) رواه الرافعي في التدوين (371/3) بنحوه.

لحمقه دواء.

وقال الفيضل بن عياض-رحمه الله تعالى-: إن لم تصلح على تقدير الله تعالى لم تصلح على تقدير نفسك.

وقال عبد العزيز بن أبي رواد: ليس الشأن في أكل خبز الشعير والخل ولا في لبس الصوف والشعر ولكن الشأن في الرضا عن الله Y.

وروى في الإسراء: أن عابدًا عبد الله Y دهرًا طويلاً فأُروى في المنام فلانة الداعية رفيقتك في الجنة, فسأل عنها إلى أن وجدها فاستضافها ثلاثة أيام لينظر عملها, فكان يبيت قائمًا وتبيت نائمة، ويظل صائمًا وتظل مفطرة، فقال: أما لك عمل إلا ما رأيت، فقالت: هو والله ما رأيت لا أعرف غيره فلم يزل يقول تذكري حتى قالت: خصيلة واحدة هي في أن كنت في شدة لم أتمن أن أكون في رخاء، وإن كنت في مرض لم أتمن أن أكون في صحة، وإن كنت في الشمس لم أتمن أن أكون في الظل فوضع العابد يده على رأسه, وقال: أهذه خصيلة هذه والله خصلة عظيمة يعجز عنها العباد. أسنده أبو نعيم في الحلية.

وعن بعض السلف: إن الله تعالى إذا قضى أمر من السماء قضاء أحب من أهل الأرض أن يرضوا بقضائه.

وقال أبو الدرداء: ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر أسنده في الحلية أيضًا.

وقال عمر τ: «**ما أُبالي على أية حال أصبحت أو أمسيت من شدة أو رخاء**»(1) رواه ابن عينية عن ابن السوداء عن أبي مجلز.

وقال جعفر بن سليمان الضبعي البغوي الصدوق الزاهد: قال سفيان الثوري: كنت يومًا عند رابعة العدوية، فقل: اللهم ارض عنا، فقال: أما تستحي أن تسأله الرضا، وأنت عنه غير راض، فقال: استغفر الله تعالى، قالت: إذا كان سرورهن

---

(1) رواه ابن المبارك في الزهد (143/1), وأحمد في العلل (447/1) بنحوه.

بالمصيبة كسروره بالنعمة. أورده في «الإحياء» [1] ومتبوعه «القوت» [2].

وروى أبو نعيم في «الحلية» عن الفضيل بن عياض قال: إذا استوى عنده المنع والعطاء فقد رضي عنه الله تعالى[3].

وقال أحمد بن الحَواري: قال لي أبو سليمان الداراني: إن الله Y من كرمه قد رضي عن عبيده بما رضي العبيد من مواليهم.

**قلت**: وكيف ذلك؟ قال: أليس مراد العبد من الخلق أن يرضي عنه مولاه؟ قال: فإن محبة الله من عبيده أن يرضوا عنه.

وقال سهل التستري: حظ العبد من اليقين على قدر حظهم من الرضا, وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله Y.

وأخرج الطبراني من حديث ابن مسعود دفعه: «**إن الله** Y **بحكمه وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل السقم والحزن في الشك والسخط في القوت**»[4] رواه ابن عطية عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا, وإن أردت زيادة بسط في هذا البساط فلتسمع لما يُلقى إليك من التبيان الممزوج سره بالمعقول والمنقول والمعارف الإلهية وكل مسألة خلت مبانيها من هذه العلوم الثلاثة, فالغالب عليها دخول الخلل كما قرر المناطقة في الحد أن يكون مطردًا منعكسًا وإلا وقع فيه الإدخال والإخراج مما ليس بمقصوده، كذلك هنا كل مسألة علمية لم تراع فيها هذه العلوم الثلاثة, فهي بتراء غير ما يشتبه على أحكام وترصيف؛ ولذلك عقد صاحب المرشد أن حوزته على هذه العلوم الثلاثة, فمن أخل بركن منها فقد أخل بركن من أركان الدين؛ ولذلك قال والدين ذي الثلاث، وكذا قال الشارح لما أوضح معالم الإيمان والإسلام والإحسان الذي هو مدلول التصوف سمى الكل دينًا, فقال: «**جاء جبريل يعلمكم أمر**

---

(1) في (137/3).

(2) في (431/1).

(3) في الحلية (368/4).

(4) رواه الطبراني في الكبير (215/10), وأبو نعيم في الحلية (130/7).

**دينكم فمن لم يحكم التصوف فقد أخل بشطر دينه كالشطرين الأخريين، فنجد أقوى عراك والله يتولى هداك»**.

---

**بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الهوى**

اعلم بَصَّرك الله تعالى أن من قال: ليس فيما يخالف الهوى وأنواع البلايا إلا الصبر, فأما الرضا فلا يتصور, فإنما إلى من ناحية إنكار المحبة، فأما إذا ثبت تصور المحبة لله تعالى واستغراق الهم به فلا يخفى أن الحب يورث الرضا، بأفعال الحبيب ويكون ذلك من وجهين:

**أحدهما**: أن يبطل الإحساس بالألم على المؤلم ولا يحس وتصيبه جراحه ولا يدرك ألمها، ومثاله الرجل المحارب, فإنه في حال غضبه أوفي حال خوفه قد تصيبه جراحه, وهو لا يحس بها حتى إذا رأى الدم استدل به على الجراحة، بل الذي يغدوا في شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدميه ولا يحس بألم ذلك لشغل قلبه، بل الذي يحجم أو يحلق رأسه بحديدة كآلة يتألم به فإن كان مشغول القلب بِهَم من مهماته فرغ المزين وهو لا يشعر به.

وكذلك إذا صار القلب مستغرقًا بأمر من الأمور مستوفى به لم يدرك ما عداه, فكذلك العاشق المستغرق والهم بمشاهدة معشوقه، أو يحبه قد يصيبه ما كان يتألم به أو يتألم به لولا عشقه، ثم لا يدرك همه وألمه لفرط استيلاء الحب على قله هذا إذا أصابه من غير حبيبه, فكيف إذا أصابه من حبيب ومشغل القلب بالحب العظيم, فإن الحب يتصور أيضًا تضاعفه في القوة كما يتضور تضاعف الألم كما يقوى حب الصور الجميلة المدركة بحاسة البصر، فكذا تقوى حب الصور الجميلة الباطنة المدركة بنور البصيرة، وجمال حضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال، فمن ينكشف له شيء منه يبهره بحيث يدهش ويغشى عليه بما يجري عليه فقد روي أن امرأة فتح الموصلي عثرت فانقلع ظفرها فضحكت فقيل لها: أما تجدي الوجع فقالت: إن لذة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه.

وكان سهل-رحمه الله تعالى- يعالج غيره منها ولا يعالج نفسه, فقيل لي في ذلك, فقال: يا دوست أي: يا مبارك ضرب الحبيب لا يُوجع.

وأما الوجه الثاني: فهو أن يحس به ويدرك ألمه ولكن يكون راضيًا به، راغبًا

فيه، مريدًا له، أعني بعقله, وإن كان كارهًا له بطبعه كالذي يلتمس من العضاد العضد ومن الحجام الحجامة، فإنه يدرك ألم ذلك إلا أنه راض به وراغب فيه ومتقلد من العضاد به منه بفعله، فهذا حال الراضي بما يجري عليه من الألم، وكذلك كل من يسافر في طلب الربح يدرك مشقة السفر، ولكن حبه لثمرة سفره طيب عنده مشقة السفر وجعله راضيًا بها ومهما أصابته بلية من الله تعالى، وكان له يقين, فإن ثوابه الذي أُدخر له فوق ما فاته رضي به ورغب فيه وأحبه وشكر الله عليه، هذا إذا كان يلاحظ الثواب والإحسان الذي يجازي به عليه، ويجوز أن يقلب الحب بحيث يكون حظه الحب في مراد محبوبه ورضاه لا لمعنى آخر وراءه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوبًا عنده ومطلوبًا، وكل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق، وقد تواصفها المتواصفون من المحبين والعشاق في نظمهم ونثرهم ولا معنى له إلا ملاحظة جمال الصورة الظاهرة بالبصر, فإن نظر إلى الجمال, فما هو إلا جلد ولحم ودم مشحون بالأقذار والأخباث بدايته نطفة مذرة، ونهايته جيفة قذرة، وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة وإن نظر إلى المدرك للجمال فهي العين الخسيسة التي تغلط فيما ترى كثير، افترى الصغير كبيرًا، والكبير صغيرًا، والبعيد قريبًا، والقبيح جميلاً، فإذا تصور استيلاء هذا الحب, فمن أني يستحيل ذلك في حب الجمال الأولي الأبدي الذي لا منتهى لكماله المدرك بعين البصيرة التي يعتريها الغلط ولا يدرون بها الموت، لب تبقى عند الموت حية عند الله فرحة برزق الله مستفيدة بالموت مزيد تنبه واستكشاف، فهذا أمر واضح لا يلتبس من حيث النظر بعين الاعتبار ويشهد لذلك الوجود وحكايات أحوال المحبين وأحوالهم.

فقد قال شقيق البلخي: من يرى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها، وقال الجنيد-رحمه الله تعالى-: سألت سريًا السقطي هل يجد المحب ألم البلاء؟ قال: لا، قلت: ولو ضرب بالسيف؟ قال: نعم، وإن ضرب بالسيف سبعين ضربة على ضربة.

وقال بعضهم: أحببت كل شيء لحبه حتى لو أحب النار لأحببت دخول النار، وهذا مقام الراضي المحب، كما قال ابن خفيف: الرضا سكون القلب إلى أحكامه وموافقة القلب بما رضى واختار وأنشد صاحب «مصارع العشاق» لسمنون:

ولــوْ قــالَ طــافِي النــارَ اعلــمْ أنــهُ    رضـيَ لـكَ أوْ مـدنٍ لنَـا مـنْ وصـالكَ
لقــدمتْ رجلِــي نحوهَــا فوطأتهَــا    ســــرورًا لأنّــــي خطـــرتُ ببالـــكَ

وقال بشر الحافي: مررت برجل, وقد ضرب ألف سوط في شرقية بغداد ولم يتكلم ثم حمل إلى الحبس فتتبعه فقلت له: لم شربت؟ فقال: لأني عاشق، فقال له: ولم سكت؟ فقال: لأن معشوقي كان حذائي ينظر إلي, فقلت: ولو نظرت إلى المعشوق الأكبر، قال: فزعق زعقة خر ميتًا.

وهذا كان لا زال لم يشرب من أبحر المشاهدات, فلما تجلى له ما لا عهد له به لم يطق فمات، وقال يحيى بن معاذ الرازي: إذا نظر أهل الجنة إلى الله تعالى ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة النظر إلى الله تعالى ثمانمائة سنة لا ترجع إليهم, فما ظنك بقلوب وقعت بين جماله وجلاله، إذا لاحظت جلاله هابت، وإذا لاحظت جماله هامت.

وقال بشر: قصدت عبادان قرية في جزيرة قرب البصرة في بدايتي فإذا برجل أعمى مجذوم وقد صرع والنمل يأكل لحمه فرفعت رأسه فوضعته في حجري وأنا أردد الكلام فلما أفاق قال: من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي لو قطعني في الحب إربًا، إربًا ما ازددت له إليَّ حبًّا، قال بشر: فما رأيت بعد ذلك نقمة بين عبد وبين رب فاستنكرتها.

وقال أبو عمر محمد بن الأشعث: إن أهل مصر مكثوا أربعة أشهر لم يكن لهم غذاء إلا النظر في وجه يوسف الصديق υ كانوا إذا جاعوا نظروا إلى وجهه فشغلهم جماله عن الإحساس بألم الجوع بل في القرآن ما هو أبلغ من ذلك, وهو قطع النسوة أيديهن لاستهتارهن بملاحظة جماله حتى دهشن، وما أحسن بذلك أورده في الإحياء، وأقول أبو عمر المذكور اتهمه تلميذه ابن عدي كما في ديوان الذهبي بخلاف محمد بن الأشعث الكندي فتابعي ثقة، وراجع تواريخ الرجال، وقال سعيد بن يحيى: رأيت بالبصرة في «حان» عطا بن مسلم شابًا وفي يده حديدة وهو ينادي بأعلى صوته والناس حوله وهو يقول:

يَــوْمُ الفِــرَاقِ مِــنُ القِيَامَــة أَطْــولُ    وَالمَــوتُ مِــنَ أَلَــمِ التَّفَــرُقِ أجَمْــلُ
قَــالُوا الرَّحِيــلَ فَقُلْــتُ لَسْــتُ بِرَاحــلٍ    لَكِــــن مُهْجَتِــــي التِــــي تَتَرَحَّــــلُ

ثم بقر بالمدية بطنه وخرَّ ميتًا، فسألت عنه وعن أمره،فقيل لي: إنه كان يهوديًا فتى لبعض الملوك حجب عنه يومًا واحدًا، رواه أبو محمد السراج في كتاب «مصارع العشاق».

ويروى في بعض الأخبار أن يونس قال لجبريل-عليهما السلام: دلني على أعبد أهل الأرض فدله على رجل قطع الجذام يديه ورجليه وذهب ببصره فسمعه وهو يقول: إلهي متعتني بها ما شئت أنت، وسلبتني ما شئت أنت، وأبقيت لي فيك الأمل يا بر يا واصل.

ويروى عن عبد الله بن عمر-رضي الله تعالى عنهما- أنه اشتكى له ابن فاشتدَّ وجده عليه حتى قال بعض القوم: لقد خشينا على هذا الشيخ إن حدث بهذا الغلام حدث، فمات الغلام بخرج ابن عمر في جنازته وما رجل أشد سرورًا منه, فقيل له في ذلك, فقال: إنما كان حزني رحمة له فلما وقع أمر الله تعالى رضينا به.

قال مسروق: ويكفي العاقل في عدم الاعتراض على أحكام الله تعالى وأن يبديه في الكون جهله بعواقب الأمور والحوادث والنوازل، فهذا مسروف بن الأجدع الكوفي يقال: كان رجل بالبادية له كلب، وحمار، وديك فالديك يوقظهم للصلاة، والحمار ينقلون عليه الماء ويحمل لهم خباءهم، والكلب يحرسهم، فجاء الثعلب فأخذ الديك فحزنوا له، وكان الرجل صالحًا فقال لهم: عسى أن يكون خيرًا، ثم جاء ذهب فخرق بطن الحمار فقتله فحزنوا عليه فقال الرجل: عسى أن يكون خيرًا، ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال: عسى أن يكون خيرًا، ثم أصبحوا ذات يوم, فنظروا فإذا قد سبى من حولهم وبقوا هم، قال: وإنما أخذ أولئك لما كان عندهم من أصوات الكلاب، والحمير، والديكة فكانت الخيرة لهؤلاء في هلاك الحيوانات كما قدره الله تعالى، وحسبك من قصور عقل الخلق عما تبديه الأقدار الإلهية.

وإن منازعتها لربها قولاً وحالاً إنما هو لاستيلاء الغفلات على القلب وعدم اندباغ أديم القلب بماء العلوم النابعة وقصوره عن درك مدارك سر القدر والاطلاع عليه من خواص الحضرة المحمدية، وكمل ورثتها ما أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب

«الرضا» عن سعيد بن المسيب, قال لقمان لابنه: يا بني بك أمر رضيته، أو كرهته إلا جعلت في الضمير منك أن ذلك خير لك, فخرج على حمار وابنه على حمار وتزودوا للقاء نبي قد بعث فسارا أيامًا وقد استقبلتها مغارة, فسار فيها ما شاء الله تعالى حتى ظهر وقد تعالى النهار واشتد الحر ونفذ الزاد واستبطأ حمارهما, فنزلا فجعلا يشتدان على سوقهما فبينما هم كذلك إذ نظر لقمان أمامه, فإذا هو بسواد ودخان, فقال في نفسه: السواد الشجر، والدخان العمران فبينما هما كذلك إذ وطأ ابن لقمان على عظم فأتى على الطريق فخر مغشيًا عليه فوثب إليه لقمان وضمه إلى صدره وقال لعلي: هذا خير لي وقد نفذ الطعام، والماء وبقيت أنا وأنت في هذا المكان, فإن رحلت وتركتني ذهبت بهم وغم وإن أقمت معي متنا جميعًا, فقال يا بني: أما بكائي فرقة الوالدين, وأما ما قلت فكيف يكون هذا خير لي فلعل ما صرفه عنك أعظم مما ابتليت به، ولعل ما ابتليت به أيسر مما صرفه عنك، ثم نظر أمامه فلم ير ذلك الدخان والسواد وإذا شخص أقبل على فرس أبلق عليه ثياب بيض حتى إذا قرب منه توارى عنه، ثم صاح: أنت لقمان؟ فقال: نعم، قال: وما قال لك ابنك؟ قال من أنت؟ قال: أنا جبريل أمرني ربي أن أخسف هذه المدينة وأخبرت أنكما تريدانها, فدعوت ربي أن يحبسكما بما شاء فحبسكما بما ابتلى به ابنك ولولا ذلك لخسف بك معهم، ثم مسح جبريل يده على قدم الغلام واستوى قائمًا ورحل بهما إلى موضعهما كما يرحل الطير، فإذن من عرف الله تعالى رضى على كل حال[1].

وروى في الإسرائيليات أن عيسى υ مر برجل أعمى أبرص مقعد مضروب الجبين يعالج وقد تناثرت لحمه من الجذام وهو يقول:الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرًا من خلقه، فقال له سيدنا عيسى: يا هذا أي شيء من البلاء أراه مصروفًا عنك؟ فقال: يا روح الله أنا خير ممن لم يجعل الله تعالى في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته، فقال له: صدقت هات يدك، فناوله يده، فإذا هو أحسن الناس وجهًا، وأفضلهم هيئة قد أذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى وتعبد معه.

---

(1) انظر: الإحياء (439/3).

وقطع عروة بن الزبير رجله من أكلة خرجت بها ثم قال: الحمد لله الذي أخذ مني واحدة لإن كنت أخذت لقد أبقيت وإن كنت ابتليت فقد عافيت، ثم لم يدع ورده من القراءة تلك الليلة، وكان وِرْدَهُ ربع القرآن كل يوم نظرًا من المصحف ويقوم به الليل، ولعظم هذا المقام وشفوفه وتعسير التخلق به لكل أحد.

قال أبو سليمان الداراني: قد نلت من كل مقام حال إلا الرضا، فما لي منه الآن أمثال الريح، وعلى ذلك لو أدخل الخلائق كلهم في الجنة، وأدخلني النار كنت بذلك راضيًا أورده في الإحياء كالقوت.

**قلت**: ولقد صدق ابن أبي داود كما تقدم: ليس التصوف بأكل الشعير ولبس الخشن والصيام والقيام، وإنما هو الرضا عن الله تعالى مما يُبديه من الأحكام.

**فَمَا ثَمَّ إلا مَا أَرَادَ فَاطْرَحْ هُمُومَكَ وانْشَرَح**
**واتْرك شَوَاغِلَكَ التِي شَغَلْت فُؤَادَكَ تَسْتَرِح**

وانظر عظم قدر الصحابة ومكانتهم من العلم بالله تعالى وبالنبي ε فإنهم لم يركنوا إلى الأسباب واشتغلوا بالمسبب عن المسببات، فهذا عمران بن حصين قد استسقى بطنه فبقى ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم ولا يقعد وقد نقب له في سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته فدخل عليه مطرف وأخاه العلاء فجعلا يبكي لما يرى من حاله فقال: لِمَ تبكيا؟ قال: لأني أراك على هذه الحالة العظيم، قال: لا تبك فإن أحبه إلى الله تعالى أحبه إليّ، ثم قال: أحدثك شيئًا لعل الله ينفعك به واكتم عليّ حتى أموت فإن الملائكة تزورني فآنس بها وتسلم عليّ فاسمع تسليمها فأعلمهما سيدنا عمران أن هذا البلاء ليس بعقوبة إذ هو سبب هذه النعمة الجسيمة, وهي زيارة الملائكة له وتسليمهم عليه, فآثر تسليمهم على استعمال الأدوية والأسباب, فمن شاهد هذا في بلائه كيف لا يكون راضيًا عن الله تعالى فيما واجهه به فهذه عدة من الملاحظ في استجلاب الرضا عن الله تعالى فيما يبديه في أكوانه، وإلا فهي كثيرة لا تنحصر بحسب المراتب والمقامات، والمنازلات، والأمر العمومي الذي أنيط به التكليف، ولا يعذر فيه مكلف هو العلم بأن الله تعالى أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين، وخير الفاصلين، فما قدر على عبد حادثة من الحوادث، إلا وهي إما كفارة لذنب خاص لا

يكفره إلى ذلك النوع من البلاء، كما أن كل طاعة من الطاعات تكفر ذنبًا خاصًا، وهكذا كما يعلمه أهل الحقائق وليس المحل محل بسط ذلك، وإما سبب لنيل مكنة إلهية لا ينالها بحسب الحكمة إلا بذلك النوع، وإما يزوره أقوام بقصد العيادة فينسحب عليهم ذي الكرم الإلهي المبسوط كنفه على ساحة المريض, فإن في صحيح مسلم: «**عبدي مرضت ولم تعدني قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي الفلاني مرض ولو عدته لوجدتني عنده**»[1], فأراد الله جل سلطانه بما كتبه على نفسه من الرحمة أن يرحم الخلائق فعدد أوجه صرف الرحمات الإحاطية إليهم والعبيد لا حيطة لهم بتشعب مصارفها ووجوهها، فضافوا ذرعًا من تحمل ما يواجهون به، وهذا لهم عذر في الجملة مع الله تعالى، حيث لم يطلعهم على عواقب الأمور.

وأيضًا كان الإنسان خلق هلوعًا إذا مسه الشر جزوعًا، وإن كان ليس لهم عذر من جهة إناطة التكاليف بهم وأنى لهم أن يعلموا أن الله تعالى لا يفعل إلا ما اقتضته حكمته التي يعلمها هو وإن كنا جاهليه بأوائل مراتبها فكيف بأواسطها، فكيف بمنتهاها وإن لهم مائة ألف مسلك كلها تدلهم على عدم الإفتيات على الله تعالى وعدم الاختيار، فكم صرح في القرآن بالنهي صراحة عن ذلك ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾ [الأحزاب:36]، ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ**﴾ [الحجرات:1] والتدبير والإفتيات من التقدم بين يدي الله والرسول، وإلا لو لم يتقدم لما اختار إلا ما اختاره الله له، وكم لوح، وكم كني عن أهل التدابير، كيف لم تنجح مقاصدهم ولم تنجح مطالبهم، فهؤلاء بنو إسرائيل كان ينزل عليهم المن والسلوى، فإذا بهم رفعوا رءوسهم ولم يكتفوا بما قضاه الله تعالى ورسولهم وافتاتوا وقالوا يا موسى: ﴿**فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بَالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ**﴾ [البقرة:61].

فظاهر التفسير ما علم وسر الاعتبار أنهم لما اختاروا مع الله تعالى ورفعوا

(1) رواه مسلم (1990/4), والبخاري في الأدب المفرد (182/1).

رؤوسهم قبل إمامهم مع أن الإمام إنما جعل ليؤتم به فكان ينبغي لهم الائتساء به ولما لم يفعلوا قال لسان الاعتبار: ﴿**اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ**﴾ [البقرة:61]، وقال: ﴿**أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى**﴾، وهو نظركم واختياركم ﴿**بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ**﴾, وهو اختيار الله تعالى لكم وتدبيره لكم، فهكذا تلويحات القرآن، وتعريضاته، وكناياته.

وقد عنَّ لي لما وصلت لهذا الموطن أن نذكرها هاهنا مسألة إلهية مناسبة لم نتكلم فيه تكون كالأقنوم الجامع لفهم ما في داخل القرآن الحكيم من كل آية اقتضاها تجلي العدل وهي أكثر أي: القرآن لما أن القرآن على أضرب ثلاثة: أحكام، وتوحيد، وأقاصيص، وهذا الثالث أغلب أي: القرآن، وإن قيل: إن آيات القرآن العظيم ستة آلاف آية وستمائة وستة وستين، ألف منها أمر، وألف منها نهي، وألف منها وعد، وألف منها وعيد، وألف قصص وإخبار، وألف عبر وأمثال وخمسمائة تبين الحلال والحرام, ومائة تبين الناسخ والمنسوخ, وستة وستون دعاء استغفار ومع ذلك يفهم هذه المسألة وما انطوت عليه تعلم جلية الأمر في ذلك, والمسألة هي أن تقول أن السر في تقديم سورة البقرة على سائر السور القرآنية الكريمة في التلاوة ما تضمنته من قضية سيدنا آدم صفى الله سيدنا محمد وعليه أفضل الصلاة والسلام مع ملائكة الله-عليهم السلام- في شبه اعتراضهم على الحق جل أمره، وعدم قبول ذلك منهم ومقابلتهم بالجلاليات بقولهم: ﴿**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ**﴾ [البقرة:30].

فاستكشفوا جلال الربوبية عن سر استخلاف من تصدر عنه هذه الفعالات, وترك من جلبوا على العصمة الدائمة, وهم هم ومعه كونهم إنما استكشفوا عن الحال, واستفهموا عن السر الرباني المراد من هذا الخليفة مع أنه بصدد هذه الفعالات ولم ينكروا على جلال الربوبية حاشاهم- عليهم السلام- من ذلك لتعديل الحق جل سلطانه لهم وتبريزهم في الصدارة بقوله: ﴿**لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنبياء:27], وإن ذكر ذلك أهل التفسير وكادوا أن يطبقوا عليه, وهو مصادم للاستدلال القرآني من كونهم لا يسبقونه بالقول عاملهم الحق سبحانه وتعالى معاملة من أنكر عليه, فأفاض على ذلك الخليفة من العلوم، والمعارف، والأسرار ما أقامت به

عليهم الحجة والسلطنة, وأنه أولى بالخلافة منهم ولم يعطهم هم ذلك الطابع الذي تستحق من أجله الخلافة, وهي العلم الكامل مع أنهم يسبحوا بحمده ويقدسوا له، وانظر امتحان الحق جل أمره لهم ﴿**أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [البقرة:31] أي: إنكم تسبحوا بحمدي، فهل سبحتموني بهذه الأسماء أيضًا، فلما لم يجدوا عندهم ذلك اللواء المعقود للخليفة المتوج بالأسماء الإلهية زادوا إقرارًا لمولانا بوسع العلم الإحاطي وتنصلوا وقالوا: ﴿**قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ**﴾ [البقرة:32: 33] وهو المذكور في القرآن ﴿**وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ**﴾ استبطانهم أنهم أحقاء بالخلافة، فانظر الأحوال الجلالية التي قوبلوا بها مع أنهم ليسوا بمعترضين على الأفعال الإلهية ولا مشككين ولا مفتاتين, وإنما استكشفوا عن جلية الحال لما أنبهم عليهم من خفي أمر هذا الخليفة.

وأيضًا: إن بادئ الرأي يعطي أن هذا المجهول خليفة ذا ثلاث قوى عليها موارد أمره، شهورية وغضبية تؤديان به إلى الفساد وسفك الدماء، وعقلية تدعوه إلى المعرفة والطاعة ونظروا إليها مفردة، وقالوا: ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار هاتين القوتين لا تقتضي الحكمة إيجاده فضلاً عن استخلافه.

وأما اعتبار القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع منها سليمًا عن معارضة تلك المفاسد مع أن من نظر لفضيلة كل واحدة من القوتين إذا صارت مهذبة مريضة مطواعة للعقل متمرنة على الخبر كالعفة بالنسبة للقوى الشهوية والشجاعة ومجاهدة الهوى والإنصاف بالنسبة للقوة الغضبية لوجدت خلافته في محلها فأفاد التركيب, أي: تركيب هذه القوى ما قصر عنه الآحاد كالإحاطة بالجزئيات, واستنباط الصناعات, واستخراج منافع الكائنات من القوة إلى الفعل الذي هو المقصد من الاستخلاف وإليه أشار تعالى بقوله إجمالاً: ﴿**إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:30], وكانت الحكمة الحقيقة بلسان الاعتبار في وقوع هذا من الملائكة هو تعليم الله سبحانه لنا الاستسلام لقهره والدخول تحت مجاري أقداره والانقياد لما تبديه أحكامه وأن لا يستكشف سبحانه عما يبديه لإيهام ذلك التوقف عن قبول من القدر وسره، وذلك مخل بكمال

الإيمان فضلاً عن الاعتراض عليه وإذا لم يقبل مطلق الاستكشاف من مثل المعصومين المجبولين على محبة الحق والتبتل إليه، فما بالك بالاعتراض مع الغفلة عن ليس في الإمكان أبدع مما كان, فكيف بالاسترسال في ذلك المهيع، فكيف بعدم عده ذنبًا، فكيف بالإصرار عليه وعدم تجديد التوبة منه، ومن بعض هذا ينشأ الران المانع من ذوق لذاذات العبادات؛ ولذلك ورد أول من يرفع الخشوع ورؤية النبي ε, وكان في هاهنا السر في ابتداء القرآن بسورة البقرة لاشتمالها على هذه المقاولات والمفاوضات والمنازلات وذكر ما أجيبوا به وما فجعوا به، وبقى ذلك يتلي المحارب والصوامع والمتعبدات مدة بقاء الدهر.

وانظر جلالة فظاعة الاعتراض على الحق أن عامل مولانا سبحانه الملائكة كأنه لم يحفظ عنهم إلا الاعتراض لأجل ذلك أجيبوا بما أجيبوا به من أشباه القوارع مع أنهم لم يعترضوا، فكأن هذه القضية ما وقعت إلا لأمثال هذه الحكم والسياسات الإلهية والتلميحات الربانية والتأديبات الرحمانية والتنبيهات العطوفية حتى تزجر وتكف عن الاعتراض على الله تعالى, فكان ذكرها في القرآن الكريم من باب هي شكوى إليك وهي اقتضاء.

وأيضًا: إنما ابتدؤها القرآن العظيم؛ لأنه مملوء بالأقاصيص وكلها حكاية المثلاث والصوادم التي صودم بها أهل العناد، فربما يختلج بوهم من لم يتأدب بآداب الشريعة المحمدية أن الله تعالى كان ينبغي له هديهم أجمعين حتى لا تحق عليهم كلمة العذاب فبادك مولانا أيها الإنسان وكلنا ذلك الإنسان بهذه القضية الآدمية مع الملائكة حتى تشتغل بما به أمرت، ولا تكن من أهل الإفتيات والمنازعة فتكون من الذين لهم معيشة ضنكًا، ومن الذين يسلك بهم عذابًا صعدًا لقوله تعالى: ﴿**وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا**﴾ [الجن:17]، وقوله: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا**﴾ [طه:124] وليس الذكر قاصرًا على اللسان.

**قلت**: ولأجل كونه ليس مقصورًا على اللسان حذف مولانا جل ثناؤه المفعول في قوله: تذكروا، بعد قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا**﴾

[الأعراف: 201], ولم يعين تعالى المذكور ما هو أخوف العقاب في الآخرة, وتعجيله في الدنيا أو قطع الآلاء والنعم، أو تذكروا العهود والمواثيق التي أخذت عليهم أو تذكروا من أعمالهم على سيدهم وممدهم الحضرة المحمدية كل بكرة وعشيًا, أو تذكروا أن هؤلاء لم يقطع عليهم نعماءه, فكيف يقطعوا ما أمرهم به أو تذكروا كون الأشياء كلها عالمة حية دراكة للأشياء، فهي بصدد الشهادة لهم أو عليهم, أو تذكروا خجلهم يوم يقوم الناس لرب العالمين، أو تذكروا أن يتأسى بهم لما أن الشرد دساس أو تذكروا مخافة الحجاب.

**يَـــا رَب إنْ عَـــذّبْتَ كُـــلَّ مُصَـــابٍ فَـــلاَ تُعَـــذِّبْني بِـــذُلِّ الحِجَـــابِ**

أو تذكروا ربما يكون ذلك آخر ذنب, فيكون المكلف فارق الدنيا على الذنب، وهذا النوع من أحد وجوه إعجاز القرآن الكريم, ولولا خوف السآمة لذكرنا لك من أطايب مسائل هذا الفن ما ينسيك لذاذات الأجسام, فانكشف لك سر تقديم سورة البقرة على غيرها من السور، فإن قلت: إن هذا لا يتم وما قواه إلا غفلة فطالما ذكرت تلك القضية في السور.

**قلت**: إنك إنما سميت إنسانًا لكونك ناسٍ, فلما قام بك وصف النسيان تُعُوهدت المرة بعد المرة حتى لا توكل إلى نفسك, وكان ينبغي أن تكتفي بالرمزة الأولى فضلاً عن هذه التشريحات التي هي أوفى من التصريحات.

وأما من اشتق اسمهم من الإنس, فلم ينسوا شبيهات ربهم جل ثناؤه وتقدس مجده وتعالى جده حتى يحتاجوا التعداد, وجوه التذكير, فافهم.

ولهذا كان لكل واحد من الأقطاب سورة في القرآن، فهذا هجيره سورة البقرة، وهذا سورته والضحى، وهذا آل عمران، وهذا سورته ألم نشرح، وهذا سورته سورة تبارك الذي بيده الملك, وهذا سورته سورة يس، وكذا عندنا أقطاب الآيات؛ فهذا قطب آيته آية الكرسي، وهذا قطب آيته آية الحرص، وهذا قطب آيته آخر سورة الحشر، وهذا قطب آيته: ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾ [يونس:26]، وهذا قطب آيته: ﴿**إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ**﴾ [الأنعام:36]، وهذا قطب آيته: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ**﴾ [فاطر:28].

وشرح هؤلاء ومراتبهم وأحوالهم وبداياتهم، وأواسطهم، ونهاياتهم تحتاج إلى إسهاب طويل، وهو التطويل الذي عليه التعويل، ولكن حسبنا الله ونعم الوكيل، ولنختم هذا الموضع بمكفر للذنوب, وهو من الأدوار الخضرية, وأقرها صاحب فلك الرسالة ρ: «**اللهم إني أستغفرك لما تبت إليك منه، ثم عدت فيه، وأستغفرك لما أعطيتك من نفسي، ثم لم أوفي لك به، وأستغفرك للنعم التي أنعمت بها عليَّ فتقويت بها على معصيتك، أستغفرك لكل خير أردت به وجهك, فخالطني فيه ما ليس لك، اللهم لا تخزني فإنك بي عالم، ولا تعذبني, فإنك عليَّ قادر**» أخرجه الديلمي.

ولقد ذكرنا أسرارًا آخر غير هذه في ابتداء القرآن بسورة البقرة مما كتبناه على كتاب «الفصوص» للشيخ الأكبر في الفص الآدمي, فها نحن قد أتينا وصف أقوام خرجوا عن التدبير مع الله تعالى بتأديبه الذي أدبهم, وبتعليمه الذي علمهم, ففسخت الأنوار غرائم تدبيرهم ودكت المعارف والأسرار جبال اختياراتهم.

**لَـوْ أَبْصَـرْتْ عَيْنَـاكَ يَـومَ تَزَلْـزَل أَرْضُ النّفُـوسِ وَدَكَّـتُ الأَجْبَـالُ**
**لَرَأيْـتَ شَـمْسَ الحَـقِّ يَلْمَـعُ نُورهَـا عِنْـد التَزَلْـزُلِ والرجَّـالُ رَجَـالُ**

فنزلوا منزل الرضا وحمد منهم سراهم ووجدوا غب سراهم إلا أن منهم من استغاث بالله, واستصرخ به خشية أن يشغلهم حلاوة الرضا, فيميلوا إليها بمساكنة أو يحتموا إليها بمراكنة.

قال الشيخ أبو الحسن τ**:** كنت في بداية أمري أدبر ما أصنع من الطاعات، وأنواع الموافقات, فتارة أقول ألزم البراري والقفار.

وتارة أقول: أرجع إلى المدائن والديار لصحبة العلماء والأخيار فوُصف لي، ولي من أولياء الله تعالى بأرض المغرب بجبل هنالك, فطلعت إليه فوصلت إليه ليلاً, فكرهت أن أدخل عليه حينئذٍ فسمعته يقول: اللهم إن قومًا سألوك أن تسخر لهم خلقك, فأعطيتهم ذلك فرضوا منك بذلك، اللهم, وإني أسألك اعوجاج الخلق علي, حتى لا يكون ملجئي إلا إليك.

**فقلت:** يا نفس انظري من أي بحر يغترف هذا الشيخ، فأقمت حتى إذا كان الصباح دخلت عليه فسلمت عليه، ثم قلت: يا سيدي كيف حالك؟ فقال: أشكو إلى الله

من برد الرضا، والتسليم، كما تشكو أنت من حر التدبير والاختيار، فقلت: يا سيدي أما شكواي من حر الدبير والاختيار فقد ذقته وأنا الآن فيه، وأما شكواك من برد الرضا والتسليم فلم أفهمه، فقال: أخاف أن تشغلني حلاوتهما عن الله تعالى، فقلت: يا سيدي سمعتك البارحة تقول: اللهم إنا أقومًا ... إلخ ما تقدم فتبسم وقال: يا بني عوض ما تقول سخر لي خلقك، قل: يا رب كن لي أترى إذا كانوا لك أيغنوك بشيء، فما هذا الجبن, انتهى.

والولي الموصوف به هو قطب الأقطاب الإمام مولانا عبد السلام بن مشيش، وما كان ينبغي لهم عدم تسميته فإنه نقل القضية في التنوير وسكت عن التعيين ولعله سكت لما نقل عن أبي الحسن من قوله: أما قبل اليوم فكنت أغترف من بحره، واليوم اغترف من عشرة أبحر، خمسة سماوية، وخمسة أرضية، أما الأرضية فحضرة النبوة وحضرة الخلفاء الأربع، وأما السماوية فجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل والروح.

وقد يتفق للمخصوص الكرامات الطاهرة وبقايا التدبير كامنة فيه، فالكرامة الكاملة الحقيقة إنما هي ترك التدبير مع الله والتفويض لحكمه.

**وقد قال أبو الحسن الشاذلي:** إنما هي كرامتان جامعتان محيطتان كرامة الإيمان لمزيد الإيقان، وشهود العيان، وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ولجانبة الدعاوى والمخادعة فمن أعطيهما، ثم يشتاق إلى غيرهما. فهو عبد مغتر كذاب، أو ذو خطأ بالعلم والعمل، فالصواب بمن أُكرم بشهود الملك على نعت الرضا, فجعل يشتاق إلى سياسة الدواب وخلع الرضا، وكل كرامة لا يصخبها الرضا من الله تعالى، وعن الله تعالى فصاحبها مستدرج مغرور أو ناقص هالك مثبور.

وإذا كانت الكرامة لا تكون كرامة حتى يصحبها رضا الله تعالى، ومن لازم الرضا عن الله تعالى ترك التدبير معه وإسقاط الاختيار بين يديه.

قال الشيخ أبو الحسن: ولن يصل الولي إلى الله تعالى, ومعه تدبير من تدبيراته واختيار من اختياراته.

وكان الشيخ أبو العباس المرسي يقول: ولن يصل العبد إلى الله تعالى حتى تنقطع عنه شهوة الوصول, فإذا أردت الإشراف والتنوير, فعليك بإسقاط التدبير, واسلك إلى الله تعالى كما سلكوا تدرك ما أدركوا وألق عصاك, فهذا جانب الوادي.

**أيَاَ صَاح هَذَا اركبْ قدْ سارَ مسرعًا ... ونحنُ قعودُ مَا الذِي أنتَ صانعُ**
**أترضَى بأنْ تبقَى المخلفَ بعدهمْ ... صريعُ الأمانِي والغرامِ ينازعُ**
**وهذَا لسانُ الكونِ ينطقُ جهرةً ... بأنَّ جميعَ الكائناتِ قواطعُ**
**وأنهُ لَا يرَى وجهَ السبيلِ سوَى امرؤٌ ... دقَى بالسوَى لمْ تختدعهُ المطامعُ**
**ومنْ أبصرَ الأشياءَ والحقَّ قبلهَا ... فغيبَ مصنوعًا لمنْ هوَ صانعُ**
**فؤادهُ أنوارٌ لمنْ كانَ ذاهبًا ... وتحقيقُ أسرارٍ لمنْ هوَ راجعُ**
**فقمْ وانظرْ الأكوانَ والنورُ عمهَا ... ففجرُ التوانِي نحوكَ اليومُ طالعُ**
**وكنْ عبدهُ وألقِ القيادَ لحكمهِ ... وإياكَ تدبيرًا ممَا هوَ قامعُ**
**أتحكمُ تدبيرًا وغيركَ حاكمٌ ... أأنتَ لأحكامِ الإلهِ تنازعُ**
**فمحْو الإرادةِ وكلِّ مشيئةٍ ... هوَ الغرضُ الأقصَى فهلْ أنتَ سامعُ**
**كذلكَ سارَ الأولونَ فأدركُوا ... علِى أثرهمْ فليسرِي منْ هوَ تابعُ**
**علَى نفسكَ فليبكِ منْ كانَ طالبًا ... ومَا لمعتْ ممنْ تحبُّ لوامعُ**
**علَى نفسكَ فليبكِ منْ كانَ باكيًا ... أيذهبُ وقتٌ وهوَ باللهوِ ضائعُ**

ولما وصلنا إلى هاهنا اقتضى تنقيح البساط ذكر مسائل مست إليها الحاجة, فنقول:

مسألة استبان من هذا الذي أسهبنا في تبيانه وأطلنا في تفصيله وافتنانه أن من شأن من دبغ أديمه بماء حياة العلم بالله وفتح له كوات إلى عوالم القدس إلى أن أخذته عنه، واستفززته عما هو مغمور فيه من الحجب والغفلان، وأشهدته الحضرات التي تقدم نصبها على جلاء الشهود وتأتي آخر لا يفتات على ربه جل سلطانه فيما يبديه في الأكوان، ولا يختار للعالم غير الحالة التي تجلى بها ربها لها في عالم الحدثان، ويرى أن كل تجلٍ وقع به التجلي في العوالم ليس في الإمكان أبدع مما كان, ولا أحسن بالعالم ولا أوفق له.

وللعالم من ذلك التجلي الذي وقع أصواره في عين تلك الحادثة بالنظر للحكمة لا للتعلق الصلاحي للقدرة؛ لأن الله تعالى أمره لا يعزب عن مثقال ذرة في السماوات ولا

في الأرض من الأولين والآخرين، فالعالم كله معلوم لمولانا ومشهود له, فكان العالم كله عنده ليس إلا كالذات الواحدة ما ظهرت شأن من الشئون الإلهية في الأكوان إلا وعليها مبنى العالم كله واستقامته مسألة من أعجب الوقائع الإلهية في كون كل ما ظهر في الوجود فليس أبدع منه، إنك تجد أمورًا وقعت صدر ابتداء هذه الدولة الآدمية مثلاً وعليها ينصلح نظام آخر العالم أو وسطه، وهذا بحر متلاطم الأمواج يحتاج إلى سفن العلوم اللدنية فيها يسبح هذه البحر، مع أن تلك الواقعة التي ظهرت هي بظاهرها لو تفحصها من يدعي العارضة في المعارف والعلوم لاستعجمها ولتلكأ عند رؤيتها تعبيره، وسبب ذلك جهل الخلائق بعواقب الأمور ومالها وصيرورتها، والحال أن تلك الواقعة التي ظهرت في العالم.

**وقال العلماء، والحكماء، والمدبرون:** يا ترى كيف كانت وظهرت ويترتب عليها كذا وينبني عليها من المفاسد مثلاً، وكان ينبغي أن يؤتي غير هذا الشأن في الظهور لو كوشفوا بمآل ذلك الشأن الإلهي الذي برز واطلعوا على جليَّة أمره، والحكمة في صدوره لقالت الخلائق بلسان واحد ما كان ينبغي أن يبرز غير هذا الشأن، ولقامت لله جل ثناؤه عليهم الحجة حالة ظهور ذلك الشأن قبل أن تأتي يوم القيامة ويكشف لهم عن سر القدر المتحكم في الأشياء، وهناك يتلى عليهم ﴿**قُلْ فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ**﴾ [الأنعام: 149]: هؤلاء الذين يقال لهم ذلك قوم كان يدبروا في الدنيا إذا ظهرت التدابير الإلهية من لوح الغيوبات, وقالوا: كيف ولِمَ ولو كان كذا.

وأما أهل الكشوفات الذين كوشفوا بالأمور وتحققوا جليات الوقائع الإلهية بعدما رضوا عن الله تعالى في مُر القدر وشره، كما رضوا وابتهجوا عنه في حلوه وخيره، وبعدما لم يبق لهم مُر ولا شر، وبعد أن غابوا عن كل شيء دون مولاهم, ورأوا أن العقلات وبقايا الفضلات التي لم تخرجها.

أما الرياضات على أيدي الأكابر وأما الخطفات بواسطة توجهات أهل الهمم والتفاتاتهم هي العائقة لهم عن عزم الاطلاع على سر الحادث في الملك.

**مسألة**: إن ما حملنا عليه كلام الإمام أبي حامد في قول: «**ليس في الإمكان**

**أبدع مما كان**»، وأنه يتكلم على كل واقعة وقعت في العالم تفهم لها حقيقة مصادمة للحكمة مما نظل نعترضه على ربنا في إبداءاته الشئون في الملك، ويقول: إنه ليس في الإمكان أبدع منها أي: لا يمكن لجميع العقلاء، والعلماء، والحذاق، والمهندسين أن يبرزوا شأنًا آخر عليه نظام العالم دون ذلكم الشأن الذي برز هو ما صرح به في كتبه، كما ستسمع نصوصها، وأقرب كتبه لدى الناس الإحياء في كتاب التوكل, فإنه ثمة ذكر هذه الجملة، وبرؤيتك سوابقها ولواحقها تعلم صدق ما أفصحنا عنه، ولم يقصد الإمام أبو حامد الكلام على صورة هذا العالم خاصة ولا قصد الكلام على التعلق الصلاحي للقدرة، وإنه لا يمكن وجود أبدع منه حتى يأتي الوهم الذي توهمه معترضوا هذه المقالة وفوقوا السهام لحجة الإسلام وحالة، كما قال أبو عبد الله الفخار المالقي:

**بأيّ حسامٍ أمْ بأيّ سنانِ ... أنازلُ ذاكَ القرنَ حينَ دعانِي**
**إلّا أنَّ درعِي نثرةٌ تبعيةٌ ... وسيفِي صدٌّ وإنْ هزرتُ يمانِي**
**ومَا قصباتُ السبقِ إلّا دهمِي ... إذَا الخيلُ جالتْ فِي مجالِ دهانِ**
**ومَا يزدهينِي قولُ كلِّ مموهٍ ... وليسَ لهُ بالمعضلاتِ يدانِ**
**ويزعمُ أنِّي فِي البيانِ مقصرٌ ... ويأتِي بنانِي واقتدارُ لسانِي**
**وإنِّي لناهضٌ بكلِّ عظيمةٍ ... يضيقُ عليهَا درعَ كلِّ جنانِ**

ومرمى مقصده من وراء ذلك المرمى وما جاء الناس التوقف في هذه المقالة إلا من هذا الحمل، فإنهم لما حملوها على العالم, وأنه لا يمكن وجود أبدع منه ظنوا أنه تكلم على التعلق الصلاحي للقدوة, فأوهم ذلك العجز لها ومع مصادقته لما يعرفه أصاغر الولدان في علم الكلام، وأن العالم من قسم الممكن الذي يصح ووده وعدمه قبل تعلق القدرة والإرادة بإيجاده، والقدرة والإرادة يتعلقان بجميع الممكنات، ولمصادقته لنصوص القرآن الكريم في قوله: ﴿**إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ*وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ**﴾ [فاطر:16: 17]، ولقوله: ﴿**وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [البقرة: 284], والقدر تتعلق بالممكن وهذا منه، ولقوله تعالى: ﴿**إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [التوبة: 39] مع أنك إذا سمعت النصوص التي نذكرها عن صاحب المقالة في كتبه خصوصًا في الموضع الذي ذكر هذه المقالة فيه في الإحياء تجده لم يختلج بوهمه هذا الحمل ولا

خطر بذهنه حتى فرقت إليه السهام.

**ولوْ كانَ هذَا موضعُ العتبِ لاشتفَى فــؤادِي ولكـــنْ للعتـــابِ مواضــــع**

ويا للعجب هذا زمان والناس يخوضون في هذه المقالة كأنهم لم يمكنهم مراجعة الحياء حتى يفهموا ما أشرنا إليه وعلياه لا يحتاج فيها لشاهد وتقريري المعلوم ضرب من الجهل، ويجلب نصوصه في كتبه تعلم ذلك، أما الأحياء فنصها في كتاب التوكل بعد ذكر أبحر من دقائق التوحيد تحار فيه الفطناء أن الله Y لو خلق الخلق كلهم على عقل أعقلهم وعلم أعلمهم، وخلق لهم من العلم ما تحتمله نفوسهم وأفاض عليهم من الحكمة ما لا منتهى لوصفها، ثم زاد مثل عدد جميعهم علمًا وحكمة وعقلاً، ثم كشف لهم عن عواقب الأمور وأطلعهم على أسرار الملكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطلعوا به على الخير، والشر، والنفع، والضر، ثم أمرهم أن يدبروا الملك، والملكوت بما أعطوا من العلوم، والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون، والتظاهر عليه أن يزداد مما دبر الله سبحانه الخلق به في الدنيا، والآخرة جناح بعوضة، ولا أن ينقص منها جناح بعوضة، ولا أن يرفع منها ذرة، ولا أن يخفض منها ذرة، ولا أن يدفع مرضًا، أو عيبًا، أو نقصًا، أو فقرًا، أو ضرًّا عمن بلى له، ولا أن يزيد صحة، أو كمالاً، أو غنى، أو نفعًا عمن أنعم به عليه، بل كل ما خلقه الله سبحانه من السماوات والأرض إذا أرجعوا فيها البصر، وطولوا فيها النظر ما رأوا فيها النظر رأوا فيها من تفاوت ولا فطور وكل ما قسم الله سبحانه بين عباده من رزق وأجل، وسرور، وخزن، وعجز، وقدرة، وإيمان، وكفر، وطاعة، ومعصية فكله عدل محض لا جور فيه، وحق صرف لا ظلم فيه، بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وفوق ما ينبغي ونحو هذا السياق كله في القوت الذي ينسج على طرزه الإمام أبو حامد وفي كل منهما يقال:

**لَا يدركُ الواصفُ المطرِي خصائصهُ وإنْ يكُن سـابقًا فِـي كـلِّ مَـا وصـفَ**

وعلل هذا بقوله؛ لأنه أجراه على ترتيب المعقول وبمعاني المصرف والمعتاد من الأمور بالأسباب العقلية، والأواسط المشهورة على معيار ما طبع المعقول فيه وجبل المعقول عليه، ثم غيب في ذلك العواقب، وحجب السرائر، وأخفى المثاوب،

فغاب بغيبها حسن التدبير وجميل التقدير، فجهل أكثر الناس الحكم واحتجوا بظواهر الرسم ونسوا سوابق القسم ﴿**وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ العَالِمُونَ**﴾ [العنكبوت:43]، ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ**﴾ [الروم: 22].

وهذه شهادة للمتوكلين وهي مقامات النبيين, انتهى.

**ثم قال في الإحياء:** أثر ما تقدم وليس في الإمكان أصلاً أحسن منه ولا أتم ولا أكمل، ثم قال: بل كل فقر وضرر في الدنيا فهو نقصان من الدنيا، وزيادة من الآخرة وكل نقص في الآخرة بالإضافة إلى شخص فهو نعيم بالإضافة إلى غيره، إذ لولا الليل لما عرف قدر النهار، ولولا المرض لما تنعم الأصحاء بالصحة، ولولا النار لما عرف أهل الجنة قدر النعمة، فهذا قد لوحظ فيه من حيث الحكمة التي يجب الإيمان بها، فهذا بعض أسراره كونه أبدع.

وكما أن فداء أرواح الإنسان بأرواح البهائم وتسليطهم على ذبحها ليس بظلم، بل تقديم الكامل على الناقص عين العدل، فكذلك تفخيم النعم على سكان الجنة بتعظيم العقوبة على أهل النيران وفداء أهل الإيمان بأهل الكفر عين العدل، كما ورد في الخبر: «**أنه يقال للمسلم: هذا الكافر فداؤك من النار**»[1].

وما لم يخلق الناقص لا يعرف الكامل, ولولا البهائم لما ظهر شرف الإنسان، فإن الكمال، والنقص يظهر بالإضافة, فمقتضى الجود والحكمة خلق الكامل والناقص جميعًا.

وكما أن قطع اليد إذا تآكلت إبقاء على الروح عدل؛ لأنه فداء كامل بناقص، فكذلك الأمر في التفاوت الذي بين الخلق في القسمة في الدنيا والآخرة من الغنى، والفقر وحسن الصورة وقبحها، والصحة والمرض، والتوفيق والخذلان, والإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، فكل ذلك عدل لا جور فيه وحق لا لعب فيه, انتهى[2].

---

(1) رواه ابن ماجه (1434/2), وأحمد (402/4).

(2) انظر: إحياء علوم الدين (353/3).

فها أنت ترى كيف لم يتكلم الإمام أبو حامد على العالم, وأنه لا أبدع منه حتى يلزمه نسبة العجز إلى ربنا العظيم جل أمره في أنه لا يوجد أبدع منه بكل تكلم على كل جزئية جزئية، فذة ظهرت في الوجود وأنها ليس يمكن لآحاد الموجودات على اختلاف طبقاتهم أن يأتوا بجزئية أبدع منها لعجزهم عن مائة ألف علم، ومائة ألف ألف ألف ألف عام، وضعف أضعاف ذلك من العلوم مضروبة في نفسها التي يدبروا بها شيئًا من الأشياء ولو بنات الإنسان؛ ولذلك تمدح جل أمره بقوله: ﴿**بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ**﴾ [القيامة:4], فهو مع صغره في الذات أشكل شيء وأصعبه في النشأ وإذا تمدح رب العالمين جل أمره بقدرته على الأشكل، والأغمض، والأصعب، فالأيسر والأسهل أهون عليه.

وفي هذا القدر نفسه تعجيز للموجودات، فإذا كان أصغر شيء في البنية الإنسانية قصرت عقول الخلائق عما يحتاجه في تدبير نشأته، فكيف بمن هو فوقه، فكيف بالأصابع من اليد الواحدة، فكيف بأصابع اليدين، فكيف بأصابع الرجلين، فكيف بالعينين، فكيف بالأذنين، فكيف باللسان، فكيف بالذات الواحدة، فكيف بما يحتاج إليه مما فيه سعادتها أو شقاوتها وبم تنقلب سعادتها شقاوة، وبم تنقل شقاوتها سعادة: «**إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ...** إلخ»[1].

هذا شخص واحد فكيف بأهل قرية واحدة، فكيف بأهل بلدة، فكيف بأهل إقليم، فكيف بمعمور الأرض، فكيف بأهل الأرض السفلى، فكيف بالثانية إلى السابعة، فكيف بما فوق الأرض إلى السماء، فكيف بأهل السماء الأولى، فكيف بالثانية إلى السابعة، فكيف بأهل الكرسي والعرش، هذا في غدوة واحدة، فكيف بها مع الروحة، فكيف بدوام الدنيا والأولين والآخرين ومع قصور عقول الخلائق عن هذا تجدهم يظنوا في منازعة المقدورات والافتياتات المتراسلة على ربهم بأنه كان ينبغي كذا ولم يكن كذا؛ لكان الأوفق والأليق أن يكون مع فلان فلانًا, وهلم جرا إلى الحوادث.

فأيّا هذه تشعبات أحوال الأكوان واختلافها وتشاجرها يشير أبو حامد بقوله:

---

(**1**) رواه البخاري (1212/3), وأحمد (414/1).

ليس في الإمكان أبدع مما كان، فكل ما ظهر في الوجود من هذه الاختلافات من الأمراض والبلايا، والفقر، أو المعاصي، أو الطاعات، أو علو هذا، أو انخفاض هذا، أو سفر هذا، أو موت هذا فكل ذلك عين الحكمة الربانية التي عليها صلاح العالم، وإن كانت به وجوه في باب الترهيب عنه فله وجوه في باب الأبدعية من حيث اقتضاه ترتيب الملك.

ومن معنى هذا قول المتكلمين: يجب الرضا بالقضاء لا بالمقضي ولم يرد الإمكان من جهة القدرة حتى تأتي الاعتراضات التي أبدرها في الرد عليه، فإن مسلمًا لا يختلج بوهمه التكلم على صلاحية القدرة بقوله: «ليس في الإمكان أبدع مما كان».

وأزيدك بيانًا في نفي احتمال أنه تكلم من حيث صلاحية القدرة ما في جواهر القرآن لأبي حامد ما نصه: لا يكفي الإيمان بالتوحيد في إثارة حالة التوكل حتى ينضاف إليه الإيمان بالرحمة، والجود، والحكمة إذ به يحصل الثقة بالوكيل الحق وهو أن تعتقد جزمًا أو ينكشف لك بالبصيرة أن الله تعالى لو خلق الخلائق كلهم على عقل أعقلهم، بل على أكمل ما يتصور أن يكون عليه حال العقل، ثم زادهم أضعاف ذلك علمًا وحكمة، ثم كشف لهم عن عواقب الأمور وأطلعهم على أسرار الملكوت, ولطائف الحكمة، ودقائق الخير والشر، ثم أمرهم أن يدبروا الملك والملكوت، لما دبروه بأحسن ما هو عليه، ولم يمكنهم أن يزيدوا ولا ينقصوا منه جناح بعوضة ولم يستصوبوا ألبتة دفع مرض، وعيب، ونقص، وفقر، وضر، وجهل، وكفر لا أن يغيروا قسمة الله سبحانه من رزق وأجل وقدرة وعجز وطاعة ومعصية، بل شاهدوا جميع ذلك عدلاً محضًا لا جور فيه وحقًّا صدقًا لا نقص فيه، واستقامة تامة لا قصور فيها ولا تفاوت، بل كان ما يرون نقصًا يرتبط به كمال آخر أعظم منه لا يتوصل إلى ذلك النفع إلا به وعلموا قطعًا أن الله تعالى حكيم جواد رحيم، لم يبخل على الخلق أصلاً وهذا بحر زاخر المعرفة يحرك أمواجه سر القدر الذي منع من ذكره المكاشفون وتحير فيه الأكثرون ولا يعقله إلا العالمون ولا يدرون في تأويله إلا الراسخون، هذا نصه بحروفه ونحو هذا للكمال أبي بكر محمد بن إسحاق الشافعي في كتابه «مقاصد الإحياء», فذكر نحو ما تقدم عن «القوت» و«الإحياء» و«جواهر القرآن».

**وزاد ما نصه:** فلو شاء الله تعالى لقطع الأسباب عن المسببات والمسببات عن الأسباب ولأوجد العالم على هيئة أخرى ولو شاء لخلقهم كلهم سعداء أو كلهم أشقياء، ولو شاء لخلق المسعد مشقيًا والمشقي مسعدًا إلا أن الإرادة خصصت هذا التخصيص, والله فعال لما يريد.

وإنما أوجدت الخلق القدرة فعل ما خصصه الإرادة جرت المقادير في الأزل واستمرت في الأبد وجفت الأقلام بما قضى على الأنام, فلم يتقدم أحد منهم قدر أنملة، ولم يتأخر إلا بمقادير سابقة وكتابة لاحقة ولو تهيأت أسباب السعادة كلها للأشقياء لما سعدوا ولو تهيأت أسباب الشقاوة كلها للسعداء لما شقوا، ﴿**وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ**﴾ [الرعد:11]، ﴿**وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ**﴾ [يونس:107]، بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطئك لم يكن ليصيبك انتهى.

وفيه تفصيل لما أجمله أبو حامد من قبل صلاحية القدرة وسعتها لغير ما ذكر, وهو تأويل للبس في الإمكان أبدع مما كان, فأشار إلى أن الإرادة خصصت هذا التخصيص.

وقال الإمام أبو العباس الإقليش في كتاب «الأنباء في شرح الصفات والأسماء» بعد كلام: وأما الاختياري فوجوده في الوقت الذي وجدوا على الهيئة التي وجدت, وكان في الإمكان أن يوجد قبله وبعده وعلى هيئة أخرى، إلا أن الإرادة خصصه هذا التخصيص، والله تعالى اختار هذا التخصيص, فكان فعله واقعًا بقدرته, وإرادته واختياره, وليس لفاعل سواه استبداد في إيراده وإصداره, انتهى.

وهي إحدى وجوه إبدعيته، والقول الفصل في هذا الباب الكاشف عن محيا ليس في الإمكان أبدع مما كان النقاب ما ذكره الإمام أبو حامد في المقصد الأسني في شرح اسمه العدل، ومعناه العادل هو الذي يصدر منه فعل العدل المضاد للظلم والجور، ولن يعرف العادل من لم يعرف عدله، ولا يعرف عدله من لم يعرف فعله.

فمن أراد أن يفهم هذا الوصف فينبغي أن يحيط علمًا بأفعال الله تعالى من ملكوت السماوات إلى منتهى الثرى حتى إذا لم ير في خلق الرحمن من تفاوت، ثم رجع فما رأى من فطور، ثم رجع كرة أخرى, فانقلب إليه البصر خاسئًا وهو حسير، قد بهره جمال حضرة الربوبية وحيرة اعتدالها وانتظامها, فحينئذٍ يعلق بفهمه شيء من معاني عدل الله تعالى، وقد خلق أقسام الموجودات جسمانيها وروحانيها كاملها وناقصها وأعطى كل شيء خلقه، وهو بذلك جواد ورتبه في موضعه اللائق به, وهو بذلك عدل.

فمن الأجسام العظام في العالم الأرض، والماء، والهواء، والسماوات، والكواكب، وقد خلقها ورتبها فوضع الأرض في أسفل، وجعل الماء فوقها، والهواء فوق الماء، والسماوات فوق الهواء، لو عكس الترتيب لزال ذلك النظام، ولعل شرح وجه استحقاق هذا الترتيب في العدل والنظام مما يصعب على أكثر الأفهام, فلتنـزل إلى درجة أخرى, ونقول لينظر الإنسان إلى بدنه, فإنه مركب من أعضاء مختلفة.

كما أن بدن العالم مركب من أجسام مختلفة, وقد خلق الإنسان من أعضاء مختلفة مثل اليد، والرجل، والعين، والأنف، والأذن, فهو بخلق هذه الأعضاء جواد وبوضعها مواضعها الخاصة عدل؛ لأنه وضع العين في أولى الموضع بها من البدء إذ لو خلقها على القفا، أو على الرجل، أو على اليد، أو على قمة الرأس لم يخف ما يتطرق إليها من النقصان والتعرض للآفة.

وكذلك خلق اليدين وعلقهما من المنكبين ولو علقهما من الرأس، أو من الركبتين لم يخف ما يتولد منه من الخلل، وكذلك وضع جميع الحواس على الرأس, فإنها جواسيس لتكون مشرفة على جميع البدن, ولو وضعها على الرجل لاختل نظامها, وشرح ذلك في كل عضو يطول.

**قال:** وكما أن الأنف خلق على وسط الوجه ولو خلق على الجبهة أو على الخد لتردد النظر فوائده، ولربما تقوى على إدراكه إن كنت من قوم رشت عليهم رشاشات من أودية ﴿**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ المُوقِنِينَ**﴾

[الأنعام:75].

**وقال في بيان حظ العبد من هذا الاسم العدل:** ويكون الإيمان به قطع الإنكار والاعتراض ظاهرًا، وباطنًا، وتمامه ألا ينسب شيئًا إلى الدهر، ولا ينسب شيئًا من الأشياء إلى الملك ولا يتعرض عليه بما أجرى به العادة فجرت مستمرة بحكمة وتقديره إلى حين يطويها وينقصها، بل يعلم أن ذلك كله أسباب مسخرة وأنها رتبت وتوجهت بأقصى وجه العدل, انتهى.

فهو جل أمره من حيث دبر الأمور حكم، ومن حيث أوجدها جواد، ومن حيث رتبها مصور، ومن حيث وضع كل شيء موضعه عادل، ومن حيث لم يترك فيها دقائق الرفق لطيف، ولن يعرف حقيقة هذه الأسماء, ثم لم يعرف حقيقة هذه الأفعال، ولقد أبدع أيضًا الإمام أبو حامد في شرح هذه الجملة وإن لم يقصد هو مشرحها في شرحه أسماء الله الحسنى عند اسمه تعالى المصور فقال: وأما اسم المصور, فهو له سبحانه من حيث رتب صور الأشياء أحسن ترتيب وصورها أحسن تصوير، وهذا من أوصاف الفعل، فلا يعلم حقيقته إلا من يعلم صورة العالم على الجملة، ثم على التفصيل, فإن العالم كله في حكم شخص واحد مركب من أعضاء متعاونة على غرض مطلوب منه وإنما أعضاؤه وأجزاؤه السماوات والكواكب والأرضون وما بينهما من الماء والهواء وغيرهما، وقد رتب أجزاؤه ترتيبًا محكمًا، والتصوير موجود في كل جزء من أجزاء العالم، وإن صغر حتى في النملة والذرة، بل في كل عضو من أعضاء النملة، بل الكلام يطول في شرح صورة العين التي هي أصغر عضو في الحيوان, ومن لم يعرف طبقات العدد، وعددها، وهيئتها، وشكلها، ومقاديرها وألوانها ووجه الحكم فيها فلن يعرف قصورها إلا بالرسم الجملي, انتهى.

**فليت شعري** مع هذا الإيضاح البين والكشف الواضح كيف افترى في قبول هذه المقالة من توقف في قبولها ولكن ما وهمهم عن فهم مغزاها إلا من أخذها وحدها مع عدم ملاحظة السوابق واللواحق من كم الإمام في كتبه ومع الغفلة عن جلاله القائل, فإن المحكم في فهم كلام كل أحد جلاله قائله؛ ولذلك قال شيخ الشيوخ العالم الرباني سيدي عبد القادر الفاسي كما نقله عند الرحالة أبو سالم في «الرحلة» لما تكلم على

تبرئة ابن تيمية مما نسب إليه قال: والعجب ممن يترك صريح لفظه بنفي التشبيه والتجسيم, ويأخذه بلازم قوله الذي لا يقول به ولا يُسلم لزومه لقوله، وعلى كل حال, فهو كما قال كثير من المشايخ في الشيخ محيي الدين، وكثيرًا ما سمعته من شيخنا العلامة سيدي عبد القادر الفاسي τ يقول: محكم كلامه يقضي على متشابهه، ومطلقه يرد إلى مقيده، ومجمله إلى مبينه، ومبهمه إلى صريحه، كما هو شأن كل كلام ظهرت عدالة صاحبه انتهى.

وكذلك هنا العجب ممن يذهل عن جلالة الرجل ويحكم في سائر كتبه كلمة واحدة عساها أن يكون لها من محتملات المعاني أكثر مما لذلك المجادل من الواهيات المموهات.

وقد قال ابن السبكي في «الطبقات»: و«الإحياء» من الكتب التي ينبغي للمسلمين الاعتناء بها وإشاعتها ليهتدي بها كثير من الخلق، وقل ما ينظر فيه ناظر إلا وتيقظ له في الحال.

**وقال:** ولو لم يكن للناس في الكتب التي صنفها أهل العلم إلا «الإحياء» لكفاهم وأنا لا أعرف له نظيرًا في الكتب التي صنفها الفقهاء الجامعون في تصانيفهم بين النقل، والنظر، والفكر، والأثر.

وفي «الطبقات السبكية**»:** أن أبا الحسن على بن حرزهم خرج على أصحابه يومًا ومعه كتاب، فقال: أتعرفونه؟ قال: هذا «الإحياء», وكان الشيخ المذكور يطعن في الغزالي وينهي عن قراءة «الإحياء» فكشف لهم عن جسمه, فإذا هو مضروب بالسياط، وقال: أتاني الغزالي في النوم ودعاني إلى حضرة الرسول ε, فلما وقفنا بين يديه، قال: يا رسول الله هذا يزعم أني أقول عليك ما لم تقل فأمر بضربي فضربت, انتهى.

وأنت خبير أن كانت الأجولة في علم التاريخ أن ابن حرزهم هذا خرج على يده المؤن من الشيوخ، وكان من حسناته أبو مدين البجائي الأصل الذي يعبر عنه الشيخ الأكبر في كتابه «الفتوحات» و«المسامرات» و«مواقع النجوم» بشيخ الجماعة.

وقد ذكر مربي العارفين الشيخ الأكبر في «الفتوحات» أنه كان يقرأ «الإحياء» تجاه الكعبة ومعلوم في التاريخ قضية النسخ التي حرقت من الإحياء بمراكش وبفاس وبقرطبة فلما بلغه ذلك دعا على دولة لمتون وهم الذين خططوا مراكش ولم يكن في ملكهم صدع, وكان لا زال في عنفوان شبابه فطاق عليها طائف من ربك بدعوته ﴿**فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ**﴾ [القلم:20]، ﴿**كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [يونس:24: 25].

مسألة في نبذة أحاديث وآثار مناسبة لما تقدم عن أبي حامد وشاهده له وهو أن كل شيء وقع في العالم, فهو أبدع في نفسه وبالنسبة لما تختاره الكائنات من بروز غير ذلك الشيء وما تختاره الكائنات بحسب ما يظهر لها هو المنفي بليس في الإمكان أبدع مما كان لا بالنسبة إلى صلاحية القدرة ولو بالنسبة لذلك الفعل نفسه فهي صالحة؛ لأن توجد أبدع من ذلك الشيء وأبدع، وأبدع، وأرشق، وأملح.

روى البخاري في التاريخ من حديث أنس: «**عجبًا للمؤمن إن الله تعالى لم يقض له قضاء إلا خيرًا له**»[1].

وروى أبو نعيم في الحلية وابن أبي الدنيا في كتاب «الأولياء» من حديث أنس: «يقول الله تعالى من أهان لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة وأنا أغضب لأوليائي كما يغضب الليث الجرد»[2], وفيه:«وإن من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة, فأكفه عنه أن لا يدخل عجب فيفسده ذلك، وإن من عبادي لمن لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي لمن لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا السقم ولو

---

(**1**) رواه أبو يعلى في مسنده (220/7).

(2) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (232/2).

أصححته لأفسده ذلك، إني أدبر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم إني عليم خبير»[1].

وأخرج الطبراني من حديث ابن عباس يقول الله عز وجل: «**ربما سألني وليي المؤمن الغني فأصرفه من الغنى إلى الفقر، ولو صرفته إلى الغنى لكان شرًا له، وربما سألني وليي المؤمن الفقر فأصرفه إلى الغنى، ولو صرفته إلى الفقر لكان شرًا له**»[2].

وروى الديلمي في مسنده «الفردوس» من حديث أبي هريرة: «**قال موسى: يا رب أعطيت الدنيا أعداءك، ومنعتها أولياءك فما الحكمة في ذلك؟ فأوحى الله تعالى إليه: أعطيتها أعدائي ليتمرغوا، ومنعتها أوليائي ليتضرعوا**»[3].

وروى أبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث كليب الجهني:

«**قال الله جل جلاله: لولا أن الذنب خير لعبدي المؤمن من العجب ما خليت بين عبدي المؤمن وبين الذنب**»[4].

وروى الديلمي من حديث أبي هريرة: «**لولا أن المؤمن يعجب بعمله لعصم من الذنب حتى لا يهم به ولكن الذنب خير له من العجب**»[5].

وروى ابن جرير في التفسير عن ابن عباس: «**ارض عن الله بما قدر وإن كان خلاف هواك، فإنه ثبت ففي كتاب الله، قلت: يا رسول الله فأين؟ قال: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾**» [البقرة: 216]» [6].

فهذه الأحاديث كلها شاهدة للإبدعية المذكورة في كلام الغزالي أعني باعتبار

---

(1) ذكره القرطبي في التفسير (28/16).

(2) رواه الطبراني في الكبير (145/12).

(3) رواه الديلمي في الفردوس (425/3).

(4) رواه الديلمي في الفردوس (175/3).

(5) رواه الديلمي في الفردوس (355/3) بنحوه.

(6) رواه الطبري في التفسير (346/2).

كل حادثة ظهرت, فهي لو كشف للناس الغطاء لوجدوها عين الحكمة والمصلحة.

ولما وقعت قضية التتار وهي من أشأم واقعات الدهر وأشنع حوادثه بحسب بادي الرأي وفضت منها الأبكار وعلقت المصاحف على رؤوس الكلاب، وامتلأ بحر العراق بالكتب الإسلامية حتى صار وجه البحر مشًا تدوسه الخيل بأرجلها, فتلجلج في خاطر بعض الأكابر البحث عن سر هذه الوقعة وتسلط الأعادي على الأحباب وأمثال هذه الإهانات والتبجحات لأهل الإسلام, فأنشده هاتف:

**دعْ الاعتــــراضَ فمـــا الأمـــرُ لـــكْ ... ولَا الحكـــمُ فِـــي حركـــاتِ الفلـــك**
**ولَا تســــألْ واللهِ فِـــــي حكمِـــــه ... فَمَـــنْ خَـــاْضَ لجـــةِ بحـــرٍ هلـــك**

فلمثل هذا يشير أبو حامد بقوله ليس في الإمكان أبدع مما كان.

**وفي هذا الباب ما في الطبقات السبكية قال:** سمعت الشيخ عليًّا الهجام المكشوف الرأس يقول: مرَّ أبو العباس المرسي بالقاهرة في غلاء فرق على الناس وتمنى لو كان معه ما يؤثرهم به فأحس بثقل في جيبه فأدخل يده, فأخرج دراهم جملة ودفعها للخباز وفرق الخبز على الفقراء، فلما انصرف ناداه الخباز هي زيوف, فتفكر في نفسه أن رقته اعتراض, فاستغفر فوجدها الخباز جيدة، وجاء إلى ابن دقيق العيد وحكى له الحكاية، فقال له ابن دقيق العيد: يا أستاذ أنتم إذار رققتم على أحد تزندقتم ونحن إذا لم نرق على الناس تزندقنا.

فانكشف من جليات ما أوضحناه حقيقة ما بيناه وفصلناه أن كلام أبي حامد باعتبار المصالح والحكم الربانية التي بنى عليها العالم فإنه لم يبرز شيء في العالم عبثًا، ولا باطلاً، ولا ليست له حكمة ومصلحة، بل كل شيء في محله، قال الله العظيم: ﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ [ص: 27].

وحكم من يقدح في ترتيب المسببات على أسبابها والمعلولات على عللها والمشروطات على شرائطها بحكم العادة التي أجراها الحق سبحانه في الملك حكم من يقول أن ذلك خلق باطلاً ضرورة ما ذكره أهل التفسير أن كل آية.

وروي في الكفار تجر ذيلها على العصاة.

**مسألة:** وأزيدك استيناسًا ما طفحت به لسن التفسير وأدمجت به لسن أهل العلم، فهذا القاضي البيضاوي قال عند قوله تعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُون**﴾ [البقرة: 216]: فيه دليل على أن الأحكام تتبع المصالح الراجحة وإن لم يعرف عينها, وهذا الطيبي في هذه الآية نقل عن الزجاج أنه قال: معنى كراهتهم القتال إنه من جنس غلظة عليهم ومشقته لا أن المؤمن يكره فرض الله؛ لأنه تعالى لا يفعل إلا ما فيه الحكمة والصلاح.

**وهذا البيضاوي قال عند قوله تعالى:**﴿**وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾ [البقرة: 163]، وقوله: ﴿**الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾ [البقرة:163], كالحجة على الوحدانية, فإنه لما كان مولى النعم كلها أصولها وفروعها وما سواه أما نعمة أو منهم عليه لم يستحق العبادة أحد غيره.

**قال السعد:** فإن قيل الكفر والمعصية وسائر القبائح ليست بنعمة ولا منعم عليها، قلنا: هي كلها من حيث القابلية والفاعلية, وما يرجع إلى الوجود والسببية نعمة ومرجع الشر والقبح إلى القدم.

**وهذا هو السعد في حواشي الكشاف قال عند قوله تعالى:** ﴿**أُوْلَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا**﴾ [البقرة:202]: من للتبعيض بمعنى أنهم لا تعطونا إلا البعض مما طلبوا وهذا القدر الذي استوجبوه في الدنيا نظرًا إلى المصالح في الآخرة، ونظرًا إلى الاستحقاق إذ الصانع حكيم لا يفعل ما ليس بمصلحة ولا يعطي ما ليس بمستحق.

**وهذا التقي السبكي في تفسيره قال عند قوله تعالى:** ﴿**حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ**﴾ [القمر:5] أي: تامة بلغت النهاية في كل ما يوصف به.

**وهذا الزجاج قال في قوله تعالى:** ﴿**آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا**﴾ [النساء:11] معنى الكلام: أنه قد فرض الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم, فتضعون الأموال على غير حكمة ولهذا تبعه بقوله: ﴿**إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾ [النساء:11] أي: عليم بما يصلح لخلقه، **[حكيم]** فيما

فرض، وهذا ابن عطية في الآية الكريمة قال: هذا تعرض للحكم في ذلك وتأنيس للعرب الذين كانوا يورثون على غير هذه الصفة.

**وهذا أبو حيان في التفسير قال:** بيَّن تعالى أن قسمته هي القسمة التي اختارها وشرعها وأن الآباء والأبناء شرع في ميراثهم ما شرع لا تدري أيهم أقرب نفعًا، بل علم ذلك منوط بعلم الله وحكمته, فالذي شرعه هو الحق لا ما يخطر بعقولنا, فإذا كان علم ذلك عازبًا عنا, فلا تخوض فيما لا تعلمه إذ هي أوضاع من الشارع لا نعلم عللها ولا ندركها، بل يجب فيها التسليم لله ورسوله وجميع المقدورات الشرعية في كونها لا تعقل عللها مثل قسمة المواريث سواء وهؤلاء المفسرون حكوا في معنى قوله تعالى: ﴿**وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم**﴾ [النساء:26] قولين الثاني: أنه في بيان ما لكم في المصلحة لأن الشرائع وإن كانت مختلفة في نفسها متفقة في باب المصالح ولهذا ختم الآية بقوله تعالى: ﴿**وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ [النساء:26] أي: عليم بوجوه المصالح حكيم بوضع الأشياء مواضعها بحسب الحكمة والإتقان, انتهى(1).

وهذا القول المحكم عن المفسرين يؤيد منا تقرر أن الشيء قد يشرع في وقت ويكون إذ ذاك أبدع من خلافه لحكمة تقتضيه، ثم يشرع في وقت بعده خلافه ويكون هذا الخلاف أبدع في هذا الوقت من المشروع لما اقتضاه من الحكمة وليكن منا اقتصار على هذا القدر, فإن فيه الشفاء للمستبصر والمقنع للمستهدي وإن أردت زيادة في أن الحوادث التي تبرز في الملك تجري على قانون العدل، والحكم الإلهية، فراجع الفخر عند قوله: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾ [البقرة:31] والمفسرين عند قوله تعالى: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾ [المائدة:48], والنور في شرح المهذب في باب آداب العلم وطريقه في نفي الحسد وتفسير أبي حيان عند قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة:28].

وصاحب القوت في مقام الرضا مما ذكره أئمة له تناسب كبير بهذا الموضوع وعلقات جيدة بهذا المأخذ, فلم يزد الإمام أبو حامد نغمة في طنبور العويل على ما

(1) انظر: البحر المحيط (53/4).

ذكره أهل السنة.

وطرقت سمعك نصوصهم ووقعت لك الإحالة على ما ضاق عنه الوقت, فإن اعترضت عليه فدونك هذه الجماعة فأصدمها معه والمصيبة إذا عمت هانت وإن سلمت لهم تفصيلهم فبقلم أيديه كتبوا وبرجله مشوا؛ لأنه كان في القرن الخامس وعلمه أشبه بلعوم السلف المشهود لهم بالخيرية أو علوم من علومهم، ولم ينازع في أنه المجدد المبعوث في ذلك القرن.

وانظر أرجوزة الحافظ الأسيوطي وغيره في المجددين، فها أنت ترى أن مقام حجة الإسلام يتحاشى من أن ينسب لمولانا جلت قدرته وجوب الأصلح كما ألزمه له إبراهيم بن عمر بن حسين البقاعي الشافعي أحد تلامذة الحافظ ابن حجر, فقد صنف ثلاث رسائل في الرد عليه:

**إحداها:** «المقصد العالي في ترجمة الإمام الغزالي» مدحه في أوله وأطال، ثم تعرض للرد عليه في هذه المسألة.

**والثانية:** «تهديم الأركان ممن ليس في الإمكان أبدع مما كان».

**والثالثة:** دلالة البرهان على أن في الإمكان أبدع مما كان.

**قلت:**

**وقـــلْ هـــذهِ الرســـائلُ أبعـــد[1] وتحامـــلَ علَـــى الإمـــامِ بمَـــا لـــيسَ**

هو من مقصوده ولا حام حماة، وإنما دائرة المعاني عند العارفين أوسع من دائرة الألفاظ والصدر أفسح من الكتب المؤلفات, فتعصب عليه وتحامل وأزدي بمقار الرجل مما ستعلم نقضه عروة عروة من نصرة الإمام السبكي في الطبقات له ومناقشته مع الإمام أبي عبد الله المازدني والإمام أبي الوليد الطرطوشي, فلقد أنصف الإمام السبكي واتخذوا عند الله عهدًا، كما ستعلم النقل في ذلك عن الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي في فتاويه الحديثية من أن البقاعي هذا كان له ولوع بالطعن في

---

( **1** ) كلمة غامضة صـ213.

العارفين؛ ولذلك لم ينتفع بمؤلفاته, ولم تظهر وناهيك بالقضايا الثلاث المذكورة في القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه التي جرت بين أبي العباس الخضر υ، وبين الكليم صلوات الله عليه, فإن فيها أقمع زاجر وأزجر قامع من يقف مع ظواهر الوقائع يقطع النظر عن كون سيدنا موسى نبي الله ورسوله ولا يلتمس وجوه المحامل للناس، وفيها أيضًا عدم المسارعة إلى التخطئة والمبادرة إلى التجهيل, فربما عاد ذلك على المعترض, وهو لا يشعر وما من عالم إلا وله غور وله في بعض ما يأتي احتجاب ﴿**أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ**﴾ [الكهف:79] بعد قوله: ﴿**أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا**﴾ [الكهف:71].

﴿**وَأَمَّا الغُلامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا**﴾ [الكهف:80: 81]، بعد قول الكليم: ﴿**أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا**﴾ [الكهف:74] .. إلخ القضية.

وظاهر القرآن الكريم أن إنكارات الحضرة الموسوية-عليها السلام- على الحضرة الخضرية لم تقبل بدليل تصويب الفعلات الخضرية أو لا بلى عبدنا الخضر أعلم منك وبقوله: ﴿**قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**﴾ [الكهف:66: 67]، وبقوله: ﴿ **أَلَمْ أَقُلْ لك إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا**﴾ [الكهف: 72] إلى أن قال أولاً، وثانيًا، وثالثًا إلى أن قال آخرًا: ﴿**وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي**﴾ [الكهف:82], ولعمري أن هذه القضية لم تذكر في القرآن أيضًا عبثًا، ومن وجوه ذكرها التماس المحامل والمخارج الحسنة، وانتخاب وجوه التأويلات للأكابر؛ ولذلك نصر الله تعالى العلم بالتأويل على الراسخين في العلم إلا التفسير في قوله: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ**﴾ [آل عمران:7] على قراءة ابن عباس-رضي الله تعالى عنهما- والصديقية وغيرهما من الصحب الكرام, فلم يقل تعالى: «**وما يعلم تفسيره إلا الله**», فلا تظهر ثمرة علم العالم إلا بقوة عارضته في التماس أحاسن الوجوه للمسلمين وأما التخطئة والرد فكل الناس يحسنها، ولذلك قال السلف الصالح: التمس لأخيك سبعين عذرًا.

واشتهرت في المتأخرين أنها من مقالات الشيخ زكريا الأنصاري، وكان ينبغي هنا ذكر كلام ذكره الإمام الفخر في التفسير الكبير في سر ذكر المتشابهات في القرآن الكريم لمناسبته بهذا الموطن مع أنه يقال أولاً لما كان القصد منه الهداية ألا يؤتى بها, ولكن أخرناه لمحل آخر لمناسبات تهتدي إليها بعد إن شاء الله.

وقد نقله في الإتقان أيضًا ونحوه في سنن المهتدين للإمام المواق والله عليم حكيم.

فحاشا الإمام أبو حامد τ أن يُوجب على الله تعالى, فعل الأصلح.

وممن سبق البقاعي الاعتراض أيضًا ابن العربي المعافري تلميذ الغزالي كما ذكره في العواصم والقواصم ومريده أخذه القرطبي في «شرح أسماء الله الحسنى» وممن تلاه في الرد أبو عبد الله المازري، والإمام أبو الوليد الطرطوشي ومن المعترضين أبو العباس الناصر بن المنير الإسكندري سمى رسالته الضياء المتلألئ في تعقب الإحياء للغزالي.

ومنهم ابن الصلاح ويوسف الدمشقي وابن الجوزي وابن قيم الجوزية والحافظ الذهبي، وممن جاء بعد هذه الطبقة الزركشي في تذكرته، وكنت أردت أن أجرد هؤلاء الذين اعترضوا على أبي حامد، ونذكر ما قاله المترجمون لهم في تراجمهم، ثم تذكرت **«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»**(1), فأغضيت الجفون على القذى، وأجريت الذيول على الأذى ولكن انظر الفتاوى الحديثية لابن حجر وما ذكر في البقاعي حتى تعلم جلية ما آل أمره إليه بسبب تنكسه على أهل الله تعالى(2).

---

(1) رواه الترمذي (558/4), وأحمد (201/1).

(2) قال الحصكفي: وأما قولك: وما أنكرت على من عنيته وحدي، بل تقدمني إلى مثل ذلك أئمة الهدى, وهم مشايخي ابن حجر، والقاياتي إلى آخره. وابن حجر تقول فيه الآن أنه من مشايخك وبالأمس كنت تقول فيه ما تقول بحضرة أُناس منهم عالمك ابن قريبة المحلي، وإذا ذكر عليك في ذلك واستفهم منك عن ذلك استفهامًا إنكاريًا، وقال وليك ابن قريبة: حاشا لله, ومن قال إنكم قلتم هذا الكلام؟

**قلت**: أي أقول: الله يقطع يد الشيخ أبي الحسن الحرالي, قطع الله لسانك إن كنت قلته.

=

وأما ابن العربي المعافري فاختلف مدركه مع مدرك أبي حامد, فإن أبا حامد زاد بالكشوفات زيادة على الفقه والأثر فمعه مزيد إيقان وعيان وليس من وظيف من شنشنته هكذا أن يعترض على من هو أرقى منه سيما ومعلوم ما له من الكلام في الأئمة والاختبارات المخالفة لهم والطامة الكبرى كلامه في سبط رسول الله ε وريحانته في الجنة وغصن دوحه النبوة سيدنا الحسين τ وقوله فيه أنه مثل بسيف جده وهي كلمة من الطوام وقاه الله سبحانه مغبتها ولا أكثرت باعتذار ابن خلدون عنه في المجلد الرابع من التاريخ، وكذا إفتاؤه بقتل من أنكر لبس اللون الأحمر وغير هذا.

وانظر فتح القدير للمناوي فلكم ذكر لهذه من أشباه، وأما كلام الإمامين أبي عبد الله المازري وأبي الوليد الطرطوشي فقد كفاك مؤنتها الإمام السبكي في الطبقات ولعله يسمح الوقت بذكره هنا وسبب الاختلاف بين الصوفية وغيرهم اختلاف المدرك.

وانظر ابن خلدون في المقدمة في علم التصوف, فلقد أنصف بين الفريقين

=

وقد نقل عنك أنك سببته وأنكرت عليه وفعلت ذلك في مجالس عديدة، ومما يضاف إلى ذلك تغليطك الشيخ الإمام العلّامة علاء الدين القلقشندي -رحمه الله تعالى- وافتربت عليه ونسبته لما لم يقع فيه،ولا يلزم التأويل من نقله لشيء أن يكون قابلًا به في نفس الأمر، وكذلك للشيخ جلال الدين المحلي في هذه المسألة، وكذلك قولك في حق شيخ الإسلام البلقيني الذي قلته، وهو مضبوط عليك محفوظ، وله وقت فخف الله في نفسك وارجع وإلا قصمت.

أقسم بالله أنك مقصم قريبًا إن لم ترجع عن هذا الفجور على أن القول المنسوب إليك في حق ابن حجر يشهد به قومٌ لهم عدالة بحيث لا يردهم حاكم شرعي، بل هم مقبولون عند كل أحد من الحكام، ولئن تحركت فها أقوام ناصبون لك بالدعوى عليك وإقامة التعزير اللائق بك فتحفظ، فإني والله لك ناصح ولئن كان لك عقل فأنت ترى حطي عليك شفقة بك، وافعل ما يقتضيه رأيك الناقص ثم إنك تقول فسلِّم أنت لهؤلاء إن كنت مسلمًا, فإنهم أئمة الهدى، وعنهم أخذنا العلم هنا أنت مجنون تسوق الناس كلهم مساقًا واحدًا، وتخاطب كل أحد بما تحكم به عليه في نفسك من غير تحقق به، ولا مراقبة خوف من قبله خشية أن يكون وليًا لله تعالى عالمًا صالحًا فيمقتك الله بسببه، كأنك تظن أنك تخاطب ابن قريبة المحلي، والله إني لأشم فيك رائحة المقت تقول له: إن كنت مسلمًا وتزدريه إلى هذا المحل من الازدراء، وهو رجل آتاه الله من لدنه علمًا وخصّصه بالقرب منه والقربة لديه، هكذا أراه ولا أزكي على الله أحدًا. وانظر: «ترياق الأفاعي في الرد على الخارج البقاعي» بتحقيقنا-طبع دار الآثار الإسلامية-سريلانكا.

وحصر كلامهم مع الصوفية في أربعة أوجه, وانفصل على أن مدرك الصوفية فيه أقوى، وأما الذهبي فلقد تكلم فيه ابن السبكي في «الطبقات الكبرى»(1) فقال: وهو وإن كان شيخنا إلا أنه أكثر من التعصب على أهل السنة، ونقل كلامه في الطبقات أبو سالم في «الرحلة»(2)، وكذا رأيته له في «معيد النعم ومبيد النقم» في مواضع حتى قال: ولو لم تخلق جهنم لخلقت لمن أجله وأطال في شأنه.

وأما الزركشي وابن الصلاح فيكفي في عدم كونهما حجة عليه اختلاف مدركه ومدركها اوختلاف مثاره ومثارهما، فإن الشريعة كما في صدر اليواقيت الشعرانية لها دائرتان دائرة سفلي، ودائرة عليا والدائرة العليا لأهل البصائر والكشوفات، وراجع أوائل «اليواقيت» في الفصول التي قدم بين يدي نجواه، فإذا أحطت خبرًا بما أملينا قبل مفصلاً، ومبينًا، ومشروحًا، ومكشوفًا، ومجلوًا للأفهام والذهان مؤيدًا بالكتاب والسنة، وعيون الأمة المبرزين في الكلام المرجوع إليهم عند اصطكاك الأنظار والآراء علمت أن هؤلاء لم تفتح لهم مغاليق هذه القولة.

فقالوا: ما قالوا وهم مقابلون بمثلهم أو بأكثر منهم، فمن نصروها وكشف لهم عنها فأوضحوها، كما تسمع ذلك فيما يذكر بعد، واعتراضهم عليه من الحكم الربانية أيضًا ليظهر تفوق هذا على هذا في العلم والإدراك ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ**﴾ [الأنعام:165]، وقال تعالى: ﴿**لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**﴾ [الأنفال:42], ولنعلم أن الذين علمهم جمع بين الفقه والحديث والتصوف، أكمل وأرقى ممن لم يجمع لهم بين ذلك؛ فلذلك انحصروا على أن هؤلاء المعترضين وقفوا على زيادة شنعاء بعد ذكر مقالة: «**ليس في الإمكان أبدع مما كان**»، وقد رأيت تلك الزيادة في «الإحياء» فتكلموا به على الجميع بما كان ينبغي لهم أن يتكلموا به على المجموع فوجدوها من الكلم العقم ففوقوا إليه السهام, وتلك الزيادة قطعًا مدسوسة عليه وإن كانت في نسخ الإحياء، ومما يدلك على أنها مدسوسة أنها ليست في القوت لأبي طالب الذي ينسج على منوال أبي

(1) في (24/4).

(2) أي الرحلة الحجازية العياشية.

حامد، بل سلخه كله في الإحياء، ولو شاء أن يخرج القوت كله من الإحياء لأخرجه, وما هو بأول رجل دست عليه المقالات الشنعاء إلى أن حق الله الحق.

وانظر أوائل الطبقات الشعرانية في ذكر العلماء والمشايخ الذين دست عليهم وزورت من أجلهم المقالات، وكذا اليواقيت، وكذا «المنن» و«الميزان» أيضًا، وكذا منن السيوطي الذي على نحوها نحى الشعراني، بل انظر تراجم الرجال في بطون التواريخ.

وقد نبه على الدس البقاعي في رسالته الأولى وجوزه واعتمده التقي السبكي واستحسنه ولده التاج.

**وقد قال القاضي أبو بكر الباقلاني في كتاب «الاقتصاد»:** أن وجود مسألة في كتاب أو في ألف كتاب منسوبة للإمام لا يدل على أنه قالها حتى تنقل عنه نقلاً متواترًا.

**قلت:** وفيما قالوه من الدس في الجميع نظر؛ لأن مبني كلامهم على أن الدس وقع حتى **في** [ليس في الإمكان أبدع مما كان] مع تلك الزيادة، وهذا لا يصح ولو قلنا بهذا, لأمكن أن نقول أن الإحياء كلها ليست له؛ لأن تلك الزيادة مؤسسة على ما يتعارفه العارفون أهل البصائر القدسية، وقد أزلنا عنها ما نقشع من الغبار في وجه قبولها على أن ما قاله الباقلاني لا يصح أيضًا, فإنه يؤدي إلى الطعن في جل مؤلفات الإسلام وينبغي الوقوف بها وبما فيها، وهذا لا قائل به، ويلزم أيضًا مع عدم صحة هذه المقالة نفسها عن الباقلاني سيما وقد أجاب عنها نفسه في كتاب «الإملاء والدس» الذي جوزه العبد الفقير مؤلف هذه الرسالة, إنما هو في زيادة ذكروها على ليس في الإمكان أبدع مما كان, وهي المنافية للقواعد الشرعية، ولذلك حكمنا عليها بالدس, فافهم لا تكن إمّعة.

**لطيفة:** قال ابن السبكي في «الطبقات» في ترجمة أبي جعفر احمد بن صالح من الطبقة الأولى من أصحاب الشافعي ما نصه: ننبهك هنا على قاعدة عظيمة في الجرح والتعديل ضرورية نافعة لا تراها في شيء من كتب الأصول.

**قلت:** وقد انتقيت من كلامه في هذه المسألة ما يدل على المقصود منه، قال: فإنك إذا سمعت أن الجرح مقدم على التعديل ورأيت الجرح والتعديل في الإنسان

وكنت غرًا بالأمور وقدمًا مقتصرًا على منقول الأصول حسبت أن العمل على جرحه فإياك ثم إياك والحسبان، بل الصواب أن من ثبتت إمامته وعدالته وكثر مادحوه ومزكوه وندر جارحوه، وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه من تعصب مذهبي أو غيره، فلا يلتفت إلى الجرح فيه ويعمل فيه بالعدالة وإلا لو فتحنا هذا الباب وأخذنا بتقديم الجرح على إطلاقه لما سلم لنا أحد من الأئمة إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون وهلك فيه هالكون.

وقد أشار لذلك ابن عبد البر في كتاب «العلم», واستدل أن السلف تكلم بعضهم في بعض بكلام منه ما حمل عليه التعصب والحسد ومنه ما دعا إليه التأويل، واختلاف الاجتهاد، كما لا يلزم المقول فيه ما قال القائل فيه، وقد حمل بعضهم على بعض بالسيف تأويلاً واجتهادًا.

**قال:** ومما نقم به على يحيى بن معين وعيب به كلامه في الشافعي, وهو لا يعرف الشافعي ولا يعرف ما قاله الشافعي ومن جهل شيئًا عاداه، وكلام ابن أبي ذيب وإبراهيم بن سعد وعبد العزيز بن أبي سلمة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ومحمد ابن إسحاق وابن أبي يحيى وابن أبي الزناد في مالك بن أنس, وعابوا عليه أشياء وقد برأه الله، عما قالوا وما مثل من تكلم في مالك والشافعي ونظائرهما إلا كما قال الأعشى:

**كنـــاطحِ صـــخرةً يومًـــا ليوُهِنهِـــا فلـمْ يَضْـرهَا وأوهَـى قَرْنُـه الوعِـلُ**

أو كما قال الحسن بن حميد:

**يـــا نـــاطحَ الجبـــلِ العـــالِي ليكلمـــهُ أشفقَ علَى الرأسِ لَا تشفقْ علَى الجبلِ**

ولقد أحسن أبو العتاهية حيث يقول:

**ومَنْ ذَا الذِي ينجُو منَ النـاسِ سالمًا وللنّـــاسِ قَـــالَ بِـــالْظِنُونِ وقيـــلَ**

وقيل لابن المبارك فلانٌ يتكلم في أبي حنيفة فأنشد:

**حَسَـــدوُكَ لمَّـــا رأوا فضَّـــلكَ اللـــــ ـــهُ بِمَـــا فَضِّـــلتْ بِـــهِ النُجَبَـــاءُ**

وقيل لأبي عاصم النبيل فلان يتكلم في أبي حنيفة فقال: هو كما قال نصيب: **[سَلِمْت وهلْ حيُ مِنَ الناسِ سَاْلمُ].**

**وقال أبو الأسود الدؤلي:**

**حسدوا الفتىْ إذْ لَمْ يَنَالُوا سعيهُ     فالقومُ أعداءُ لهُ وخصومُ**

هذا كله كلام ابن عبد البر، وفصل الخطاب فيه أن الجارح لا يقبل منه الجرح وإن فسره في حق من غليت عليه طاعته على معاصيه، ومادحوه، على ذامِّيه، ومزكوه على جارحيه إذا كانت هنالك قرينة يشهد العقل أن ذلك من تعصب مذهبي أو منافسة دنيوية، كما يكون بين النظراء, فلا يلتفت إلى كلام ابن أبي ذؤيب في مالك وابن معين في الشافعي والنسائي في أحمد بن صالح؛ لأن هؤلاء مشهورون صار الجارح لهم, كالآتي بخبر غريب لو صح لتوفرت الدواعي على نقله, فكان القاطع قائمًا على كذبه فيما قاله.

ومما ينبغي أن يتفقد عند الجرح حال العقائد واختلافها بالنسبة إلى الجارح والمجروح، فربما خالف الجارح المجروح في العقيدة فجرحه لذلك، وقد وقع هذا لكثير من الأئمة جرحوا بناء على معتقدهم وهم المخطئون والمجروح مصيب، وإلى هذا أشار ابن دقيق العيد في «الاقتراح» وقال: إعراض المسلمين حفرة من حفر النار وقف على شفيرها طائفتان المحدثون، والحكام, انتهى.

**ثم قال ابن السبكي في الطبقات:** ومما ينبغي أن يتفقد عند الجرح أيضًا حال الجارح في الخبرة بمدلولات الألفاظ ولا سيما العرفية التي تختلف باختلاف عرف الناس, ويعتبر أيضًا حاله في العلم بالأحكام الشرعية فرب جاهل ظن الحلال حرامًا فيجرح به.

ومن هاهنا أوجب الفقهاء التفسير ليتضح الحال.

**قال صاحب البحر:** حكى أن رجلاً جرح رجلاً وقال: أنه طين سطحه بطين استخرج من حوض السبيل.

**قال ابن السبكي:** ومما ينبغي تفقده الخلاف الواقع بين كثير من الصوفية وأصحاب الحديث فقد أوجب كلام بعضهم في بعض كما تكلم بعضهم في بعض في حق الحارث المحاسبي وغيره.

وهذا في الحقيقة داخل في قسم مخالفة العقائد، والطامة الكبرى إنما هي في العقائد المثيرة للتعصب نعم، وفي المنافسات الدنيوية على حطام الدنيا، وهذا في

المتأخرين اكثر منه في المتقديمن .. الخ كلامه النفيس فارجع إلى تمامه تزيد عقلاً إلى عقل، وعلمًا إلى علم وتفهم معنى **«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»**[1]**.**

ولأجل ما قلناه انتصر لأبي حامد ناصرون وحمى حوزته أئمة مهتدون, فمنهم الشيخ الأكبر وارث علوم النبيين والمرسلين-قدس سره الأطهر- في الفتوحات في غير ما موطن، وفي «الفصوص»، وفي كتاب «الشريعة»، وفي كتاب «مواقع النجوم»، ونقله عنه الشعراني في «الأجوبة المرضية عن السادات الصوفية» ونحوه له في «الجواهر الدرر في علوم الشيخ الأكبر» وسلمه.

**قلت:** إلا أن جواب الشيخ الأكبر عنه يؤخذ على سبيل التأويل لا على سبيل الشرح، وشرحها على المعنى الذي دندن عليه أبو حامد هو ما ذكرناه.

والحامل للشيخ الأكبر أن عدد محاملها أنه جعلها من قبيل الاتساع عند علماء البديع وهو إبراز لفظ صالح لعدة معانٍ ومثلوا له بفواتح السور وحسبك من اتساعها بلوغ الأقاويل فيها إلى نيف وأربعين قولاً، وقد ذكرها في مفاتيح الغيب ومن يده أخذها الإتقان, ولا زال كل من فسر وغلب عليه فن من الفنون يتكلم فيها بما لاح له والقرآن الكريم لا تنقطع عجائبه ولا تشبع منه العلماء على أن الشيخ الأكبر الذي كان يقول:

**تركنْـا البحـارَ الزاخـراتِ وراءنَـا فَمَنْ أيْنَ يـدرِي النـاسُ أينَ توجَهنَـا**

كيف يُوزن عليه بأنه قال كذا وعارضه في محل آخر فإن الرجل صاحب التجلي الحاضر قد عكف قلبه على وصيد الحضرات الطامة وعتبات المهامة الفيح الخاصة دون العامة.

وقد نقل الأمير وبعض حواشي الاستعارة السمرقندية في مبحث الحمدلة أنشدوا للشيخ الأكبر:

**نسـبونِي إلـىَ ابـنِ حـزمٍ وإنّـي لَسْـتُ مِمـنْ يقـولُ قـالَ ابـنُ حـزمِ**
**لَا ولَا غيـرهُ فـإنَّ مقْـامِي قَـاْلَ نَـصُ الكتَـابِ ذلـكَ لعمـي**
**أوْ يقـولُ الرسـولُ أوْ أجمـعُ الخلـقِ علَـى مَـا أقـولُ ذلـكَ حكمِـي**

---

(1) رواه الترمذي (558/4), وأحمد (201/1).

فإذا علمت هذا علمت سقوط ما قاله سيدي أحمد بن مبارك في مناقشة الحاتمي وقد استصوب كلام الحاتمي في هذا الحمل الذي حمل عليه كلام أبي حامد الشيرازي في «شرح حكمة الإشراق» للسهروردي وممن انتصر لأبي حامد ابن القريسيني[1] نقل البدر الزركشي في تذكرته أنه رأى له جزءًا أفرده في الكلام على هذه العقيدة.

**ومنهم الزركشي قال الحافظ الأسيوطي:** بلغني أنه تكلم عليها في تذكرته فطلبته حتى وقفت عليه، واعتراض سيدي أحمد بن مبارك عليه مرجوع بعدم العثور على ملحظ الغزالي.

وقد قدمنا عن أبي حامد أنه لا يفهم مؤدى ذلك إلا من كشف له عن العالم علوية وسفلية, وعلم أفعال الله تعالى في خلقه وأنى لكل أحدٍ بالعثور على هذا المنحى.

وقد نقل المناوي في الطبقات عن القطب اليافعي عن بعض العلماء الجامعين بين علم الظاهر والباطن أنه قال: لو كان نبي بعد النبي ε لكان الغزالي[2].

ومعلوم ما في الطبقات السبكية من رؤية الشاذلي النبي ε في النوم, وهو يباهي سيدنا موسى، وسيدنا عيسى -عليهما السلام- بالإمام الغزالي، وقال: أفي أمتكما مثل هذا قالا: لا ونقلها غير واحد، وممن نقلها الكمال الدميري في حياة الحيوان وشارح التثبيت[3].

ومنهم الشيخ عبد الكريم الجيلي صاحب الإنسان وجوابه نحى فيه نحو الشيخ الأكبر، وقد بسط نحو ذلك في الباب الثاني والسبعين وثلاثمائة من الفتوحات، إلا أن

---

(1) هكذا بالأصل.

(2) انظر: الكواكب الدرية (446), في ترجمة الحجة (بتحقيقنا), وقال بعدها: قال العارف ابن عربي τ: كان الغزالي من رؤساء الطريقة وساداتهم، وكان يرى المناسبة ويقول بها، فرأى في بيت المقدس حمامة وغرابًا لصق أحدهما بالآخر وأنس به ولم يستوحش منه، فقال: اجتماعهما لمناسبة، فأشار إليهما بيده فدرجا فإذا بكل منهما عرج.

(3) وكذلك المناوي في الطبقات الكبرى (446) بقوله: قال العارف الشاذلي τ: رأيت المصطفى ρ في المنام باهي عيسى وموسى، عليهما السلام، بالغزالي τ, وقال: هل في أمتكما مثله؟ قالا: لا. وشهد له العارف المرسي τ بالصديقية العظمى.

اعتراض سيدي أحمد بن مبارك عليهما يقال فيه مثل ما تقدم, فإن أمثال الأكابر لا يلتزمون أن يتكلموا على اللفظ الواحد بمعنى واحد.

وقد رأيت في الرقائق والحقائق للمقري الجد للحافظ أحمد المقري أنه دخل على بعض المشايخ, فقال: كيف أصبحت, فأنشد لي:

**أصبحتُ ألطفُ مِنْ مرِّ النسيمِ سرَى عَلَى الرياضِ يَكَادُ الوهمُ يوهمنِي**
**مِنْ كَلِ مَعنَى لطيفٍ احتسِي قدحًا وكُلُّ نَاطِقةٍ فِي الكونِ تُطْرِبُنِي**

على أني رأيت في بعض الكتب المطولات أن أبا إسحاق الشيرازي كان يلتزم أنه مهما سئل عن مسألة ألا يجيب عنها بخمسين جوابًا في المجلس لسعة العارضة وقوة الحافظة وعمق الإدراك.

**ومنهم**: الشريف المحدث أنور أبو الحسن على بن عبد الله الحسني السمهودي الشافعي, فإنه صنف رسالة سماها: «إيضاح البيان لمن أراد الحجة على ليس في الإمكان أبدع»[1] مما كان ناقض بها رسالة ابن المنير الإسكندري.

**ومنهم:** الشيخ زكريا الأنصاري, وهو ممن جمع له بين الفقه والتصوف.

**ومنهم:** الحافظ أعجوبة النوع الإنساني المبارك له في عمره الأسيوطي فقد ألف كتابًا سماه: «تشييد الأركان من ليس في الإمكان أبدع مما كان»[2] ردَّ بها على البقاعي[3] ولقد أوفى فيها واستوفى وأطاب[4].

**ومنهم:** البرهان إبراهيم بن أبي شريف المقدسي وهو أخو الكمال وأصغر منه سنًّا وعاش بعده زمنًا طويلاً.

---

(1) هو الشيخ علي بن عفيف الدين عبد الله بن أحمد بن علي بن محمد نور الدين أبو الحسن السمهودي الشافعي, الحسني نزيل المدينة المنورة المفتي بها ولد سنة 844 وتوفي سنة 911 هـ.

(2) انظر: هدية العارفين (279/1).

(3) وكتابه الزائف: «تهديم الأركان ...», وقد اطلعت عليه مخطوطًا فلم أر فيه إلا غوغاء لا أصل لها.

(4) وللمرتضى الزبيدي: لقطة العجلان في ليس في الإمكان أبدع مما كان, [أبجد العلوم (12/3)], ولابن البيطار عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم: «ساطع البرهان في ليس في الإمكان أبدع مما كان», هدية العارفين (300/1).

**ومنهم:** أبو المواهب التونسي.

**ومنهم:** أبو البقاء.

**ومنهم:** الإمام الرباني العارف أبو العباس سيدي أحمد زروق, فقد أجاب عنها في شرح القواعد للحجة.

وبعد هذا كله بعدما أوضحناه قبل تعلم أن ما انفصل عنه سيدي أحمد بن مبارك محض تجويزات عقلية، والكشوفات والمعارف الربانية والفيوضات الإحسانية من وراء ذلك, وهو الذي نقر عليه منا القلم ويقر بطنه للحاضر والبادي.

قال اللمطي[1]: فالحاصل أن ما نسب إليه، إن كان دليله الظلم المناقض للعدل فقد نفاه في مواضع من كتاب الإحياء، وإن كان دليله البخل فقد نفاه في كتاب الاقتصاد، وإن كان دليله أنه يخالف الحكمة فقد أبطله في الإحياء، وفي الاقتصاد، وإن كان دليله لاستحسان العقلي ومراعاة الصلاح والأصلح فقد أبطله فيهما، وفي القسطاس وإن كان دليله الاستحسان المتفق عليه الذي عول السمهودي فقد أبطلناه، وإن كان دليله ما سبق في اعلم والمشيئة فقد ذكرنا أنه مصادرة على المطلوب، وإن كان دليله أن الناقص لا يصدر عنه إلا الكامل فقد بينا بطلانه, انتهى.

وقد فهم من كلامه أن المسألة باطلة من سائر وجوهها وليس لها موضع عند أهل العلم تحمل عليه وأنه محكوم عليها بالفساد, وهو أمر عجيب.

**قال في شرح الإحياء:** فلو فتحت له كوة إلى عالم الملكوت لشاهد ما شاهده الصالحون ويكشف له من أسراره ما كشف للعارفين فقد فهموا قوله تعالى:**﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾** [الحجر: 21], وعقلوا قول المبلغ ε إن الله سبحانه كره لكم البيان كل البيان فحقيقة بيان البيان محرم عند ذوي الإيقان ومقام الصالحين يقصر عن مشاهدة المشاهدين, وقد سُمع مولانا رسول الله ε يقول: **«اللهم أرنا الدنيا كما تراها، فقال: لا تقل هكذا فإن الله تعال لا يرى الدنيا كما تراها**

---

(1) هو سيدي أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي الفقيه المالكي المدرس بفاس توفي سنة 1156 ست وخمسين ومائة وألف, له من التآليف: إنارة الإفهام بسماع ما قيل في دلالة العام - من كتب الزيتونة بتونس - تفسير آية: (وهو معكم أينما كنتم). الذهب الأبريز من كلام سيدي عبد العزيز. رد التسديد في مسألة التقليد. شرح المحلى على جمع الجوامع. كشف اللبس عن مسائل الخمس.

**ولكن قل: اللهم أرني الدنيا كما يراها الصالح من عبادك فالصالحون في الفرقان آمنون والشهداء عند ربهم والله غالب على أمره ولا حول ولا قوة إلا بالله»**[1].

ولا يشك هو ولا نحن ولا من له نصيب من الإيمان أن الإمام أبا حامد من أكابر أهل الباطن، وهذه المقالة قد نصبت إليه واعتاص في فهمها من لم يكشف له على الحضرات الإلهية، فالأولى التسليم له إذ ليس أهل الظاهر حجة على أهل الباطن في شيء إلا وهم عليه حجة في مثله والإيمان باطن وظاهر والعلم محكم ومتشابه؛ ولأن أهل الباطن أبعد عن الهوى وأقرب إلى التوفيق ووافق لإصابة الحقيقة لزهدهم في الدنيا ولضعف شاهد غلبة النفس والهوى عليهم.

**وكان أبو سليمان الداراني يقول:** إذا لاحظت الأشياء من فوق وجدت لها طعمًا آخر.

**وقال بعض العارفين:** إذا رأيت الأشياء كلها كشيء واحد من معدن واحد بعين واحدة رأيت ما لم تر قبل, وسمعت ما لم تسمع وفهمت ما لم تفهم الخلق.

**وقال بعضهم:** لا ترى عجبًا حتى لا ترى عجبًا فإذا لم تر عجبًا رأيت العجب.

وقد أفدناك في هذه المسألة بما لا أظنه تعثر عليه إلا بعد سنوات في الخلوات وقد وضعناه لك على طرق التمام وهو كلام قذف به لسان القلم، وأملاه فيض الروح, فمن أراد أن يجعل هذا المحل رسالة مستقلة ويجردها, فليفعل وليسميها.

**عنوانُ البيانِ والعيانِ الشاهدُ ليسَ فِي الإمكانِ أبدعُ ممَا كانَ**

**تتميم:** ربما يؤخذ مما تقدم في الحط على دوام السجود بالقلب لله تعالى والسكون تحت مجاري الأقدار أن العبد لو كان في حالة غير مرضات شرعًا ينبغي له أن يسكن عندها وأن لا يطلب الخروج منها لا في نفسه ولا في العالم مع ضميمة قول أرباب الحكم، لا تطلب منه أن يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها, فلو أراد

(1) رواه ابن غزوان الضبي في الدعاء (ص159).

لاستعملك من غير إخراج ومع أن الرضا بالقضا على العموم واجب.

**قلت:** هذا ليس بمراد ولا يمكن لمن له أدنى مسكة من المعارف الإلهية أن يقول بهذا أو لا يرضاه لما يؤذن من عدم الغيرة الدينية التي كانت من أخص أخلاق النبوة, ففيها كان لا ينتصر لنفسه ما لم تنتهك حرمة من حرمات الله, فإذا انتهكت حرمة من حرمات الله غضب غضبًا لم يقم لغضبه شيء.

ولما خرق سيدنا الخضر υ السفينة غضب لله تعالى سيدنا موسى υ, فأخذ برجله ليرمي به في البحر فقال له الفتى: أليس قد وعدته بالصبر فسكن وكانت تلك عادته مهما انتهكت عنده حرمات الله تعالى إلا ويقوم شعره حتى يخرق ثيابه ويخرج من تحت طاقيته.

وانظر غيرة سيدنا إبراهيم υ حتى قال: ﴿**وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا**﴾ [الأنبياء:57]، وقال تعالى في وصف جلية حاله: ﴿**فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ**﴾ [الصافات:93], وهكذا عبيد الله المخلصون يقومون لله شهداء بالقسط ويستحضروا ﴿**وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾ [المائدة:8]؛ ولذلك قال الشيخ عبد الرازق العثماني.

**وإنْ أقامكَ عظيمُ المنةِ ... فِي عملٍ موافقٌ للسنةِ**
**فخلوْ مقامكَ الذِي يليقُ بكَ ... فلَا ترمِ خروجهُ بشهوتكَ**
**لوْ شاءَ ربنَا العظيمُ المالكُ ... ومَنْ لهُ التصريفُ فِي الممالكِ**
**لكنُت فِي المطلوبِ مِنْ غيرِ طالبٍ ... فارضَ بحكمِ اللهِ والزمْ الأدبَ**
**وإنْ أقامكَ هواءُ الطبعِ ... فِي عملٍ مخالفٍ للشرعِ**
**فبادرْ الخروجَ لَا تماطلُ ... واقطعْ بسيفِ الغرمِ كلّ حائلِ**

وأيضًا الواجب إنما هو الرضا بالقضاء الذي هو التعلق التنجيزي للإرادة عند الأكثر لا المقضي الذي هو المتعلق.

**ومعنى الرضا:** بالقضاء ترك المنازعة والاعتراض، واعتقاد ثبوت الحكمة، والعدل، والصواب، وعدم الظلم وهذا لا يستلزم وجود الرضا بالمقضي, ولا ينافي وجوب السعي في الانتقال عنه إذا كان مذمومًا شرعًا، على أنه إنما يؤمر بالرضا بما

وقع من التعلق في الماضي، وأما المستقبل فمحجوب؛ فلذا تحب المبادرة إلى الخروج عما يكرهه الشرع فيه والتلبس بما يرضاه.

**فإن قلت:** وما الفرق بين القضاء الذي يجب الرضا به, والمقضي الذي لا يجب الرضا به؟

**قلنا**: أجيب عن ذلك بضرب مثل, وهو أن الطبيب الماهر إذا دبر لك دواء مُرًّا بشيعًا، ثم ذقته, فإن استبشعت الدواء من حيث مرارته صدقك إذا سلمت له حسن تدبيره ونظره, وإن سفهت تدبيره ونظره بطش بك وقلب عليك تسفيهك, فكذا القضاء تدبير الله تعالى لعباده راجع لوصفه والمقضي ما دبره مما يتصف به العبد, فإن رضيت بوصف الرب أي: اعتقدت أنه موافق للحكمة والصواب لا يضرك ألا ترضى بوصف العبد الذي هو مدبر واقع عليه التدبير لا نفس التدبير وأما ما أجيب به أيضًا من اختلاف الاعتبار، وأن الشيء الواحد يكرهه العبد من حيث هو هو، أي: من حيث ذاته ويرضى به من حيث كونه مقضيًا فبعيد، ولقائل أن يقول لا بعد فيه، بل هو من تتمة الجواب الأول تأمله.

والظاهر أنه لا يكلف بمحبته والرضا به، بل لا تجوز ولو من حيث كونه مقضيًا, فرضى الله تعالى ومحبته على وفق الأمر لا الإرادة قال تعالى: ﴿**إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ**﴾ [الزمر:7]، ﴿**وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ**﴾ [البقرة:205]، ﴿**لاَ يُحِبُّ اللهُ الجَهْرَ بِالسُّوءِ**﴾ [النساء:148]، ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ**﴾ [الأعراف:28].

ولما كان الأمر عامًا لمن شاء له الهداية ومن شاء له الإضلال صار أعم من الهداية والتوفيق كما قال: ﴿**وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [يونس: 25], ثم إن هذا الجواب المذكور أعني [التقييض] عن إلزام أن الرضا بالقضاء واجب مع أن الكفر والفسوق من القضاء والرضا بالكفر والفسوق كفر وفسق، إن الكفر مقضي لا قضاء؛لأنه متعلق القضاء, فلا يكون نفس القضاء فنحن نرضى بالقضاء لا بالمقضي.

**أجاب به:** عن الإشكال حجة الإسلام الغزالي والإمام استصوبه جماعة من الصوفية كصاحب العوارف والمولى الروحي إلا أنه زيفه جماعة منهم الطوسي في نقده للمحصل, وخدش في ذلك التزييف بعض الفضلاء بما يطول ذكره والقصد [أسلم] ثم إن بما قررناه في هذه المباحث يتخرج الجواب عن سؤال الحائر الضليل الذي ذكره في المعيار وهو:

**أياعلماءَ الدينِ دمِي دينكُم ... تحيرَّ دلوهُ بأوضح حجتِي**
**إذَا مَا قضَى ولِيُّ بكفرِي بزعمكُم ... ولمْ يرضهِ منّي فمَا وجهُ حيلتِي**
**قضَى بضلالِي ثمَّ قالَ ارضَى بالقضَا ... فهلْ أنَا راضٍ بالذِي فيهِ شقوتِي**
**دعانِي وسدْ البابَ دونِي فهلْ إلَى ... دخولِي سبيلٌ بينُوا لِي قضيتِي**
**إذَا شاءَ ربِّي الكفرَ فهيَ مشيئته ... فهلْ أنَا عاصٍ باتباعِ المشيئةِ**
**وهلْ لِي اختيارٌ أنْ أخالفَ حكمهُ ... فباللهِ فاشفُوا بالبراهينِ علتِي**

والأستاذ أبي سعيد بن لُبّ عن هذه الأبيات جوابان نقلهما الونشريسي في «جامع المعيار» أحدهما فيه نيف وثلاثون بيتًا والآخر هو قوله:

**قضَى اللهُ كفرَ الكافرينَ ولمْ يكنْ ... ليرضاهُ تكليفًا لدَى كلِّ ملةِ**
**فهيَ خلقهُ عمَّا أرادَ وقوعهُ ... وإنفادهُ والملكُ أبلغَ حجتِي**
**فترضَى قضاءَ الربِّ حكمًا وإنمَا ... كراهتنَا مصروفةٌ للخطيئتِي**
**دعَا الكلُّ تكليفًا ووفقَ بعضهمْ ... فخضْ بتوفيقِ وعمْ بدعوتِي**
**فتعصَى إذَا لمْ تنتهجْ طرقَ شرعهِ ... وإنْ كنتَ تمشِي فِي اتباعِ المشيئتِي**
**فلَا ترضَى فعلاً قدْ نهَى عنهُ شرعهُ ... وسلمْ لتدبيرِي وحكمَ مشيئتِي**
**إليكَ اختيارُ الكسبِ واللهُ خلقَ ... مريدٌ لتدبيرِي لهُ فِي الخليقتِي**
**ومَنْ لمْ يردهُ اللهُ ليسَ بكائنٍ ... تعالَى وجلَّ اللهُ ربُّ البريةِ**
**فهذَا جوابٌ عنْ سؤالِي الجاهلِ ... جهولٌ ينادِي وهوَ أعمَى البصيرةِ**
**أيَاعلماءَ الدينِ دمِي دينكمْ ... تحيَّر دلوهُ فأوضحْ حجتِي**

**قال الأستاذ أبو سعيد:** فالبيت الأول والثاني أي: الدالان على أن الله تعالى قضى بالكفر وإرادة، ثم عاقب عليه في ملكه مأخوذان من قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكُوا**﴾ [الأنعام:107]، ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ**﴾ [الأنعام:112], ﴿**فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [الأنعام:149].

والدليل على أنه نهى خلقه عما أراد وقوعه قوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى**﴾

[الإسراء:32]، مع قوله: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا**﴾ [النور:2].

والدليل على قوله: «والملك أبلغ حجتي», وقوله تعالى: ﴿**قُلْ فَلِلَّهِ الحُجَّةُ البَالِغَةُ**﴾ [الأنعام:149], والمراد بها الملك كما وقع في حديث مسلم أن عمران بن حصين سأل أبا الأسود عما قضى على الكافرين من كفرهم, أفلا يكون ظلمًا، فأجابه أبو الأسود بأن كل شيء خلق الله وملك يده ﴿**لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾ [الأنبياء:23]، فقال له عمران: أحسنت وإنما أردت أن أجرب عقلك.

**والثالث:** من قوله: ﴿**وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [يونس: 25].

**والرابع:** أي: دليل عصيان من لم يتبع الشرع قوله تعالى: ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ**﴾ [النور:63]، ولم يقل عن إرادته، بل قال: ﴿**مَن يَشَأِ اللهُ يُضْلِلْهُ**﴾ [الأنعام:39]، وقال: ﴿**مَن يُضْلِلِ اللهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ [الأعراف:186].

**والخامس:** من قوله: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْه**﴾ [آل عمران:85]، مع قوله: ﴿**وَاللهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِه**﴾ [الرعد:41].

**والسادس:** من قوله تعالى: ﴿**وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الصافات: 96]، فنسب العمل إلينا للكسب الذي لنا وبين أنه مخلوق لا حقيقة.

**والسابع:** من قوله تعالى: ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ**﴾ [الإنسان:30]، ﴿**إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ**﴾ [النحل:37]، ﴿**إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ**﴾ [القصص: 56], انتهى. بتنقيح وتهذيب وتوشيح.

نقل في المعيار جوابًا آخر عن أبي الحسن القروي وهو:

**صدَقْت قضَى الربُّ الحكيمُ بكلِّ مَا ... يكونُ ومَا قدْ كانَ وفقَ المشيئتِي**
**وهـذَا إذَا حققتـهُ متـأملاً ... فليسَ بسدِّ البابِ منْ دونَ دعوتِي**
**فأنتَ كمنْ لَا يأكلُ الدهرَ قائلاً ... أموتُ بجوعٍ إذَا قضَى لِي بجوعتِي**

**المأخذ الأول:** أن الإرادة الأزلية على وفق العلم لا على وفق الإرادة خلافًا

للمعتزلة، حيث جعلوا الإرادة تابعة للأمر أي: على وفقه وللصلاح والأصلح، فعندنا إيمان أبي جهل مثلاً مأمور به وغير مراد إذ لو أراد الله سبحانه لوقع وعندهم مأمور به ومراد، وعندنا كفره مراد غير مأمور به،وعندهم ليس بمراد ولا مأمور به, فلزم أن يقع في ملكه ما لا يريد.

**ومنه حكاية:** ذكر أن القاضي عبد الجبار الهمداني دخل على الصاحب بن عباد وعنده الأستاذ أبو إسحاق الإسفرائيني, فلما رأى الأستاذ قال: سبحان من تنزه عن الفحشاء ففهم الأستاذ أنه يريد عن إرادتها وخلقها، وأنها كلمة حق أريد بها باطل، فقال له الأستاذ: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يريد, فالتفت عبد الجبار وعلم أنه فهم عنه، فقال: أيريد ربنا أن يُعصى، فقال الأستاذ: أفيُعصى ربنا قهرًا؟ قال: أرأيت إن منعني الهدى وقضى علي بالردى أأحسن إليّ أم أساء؟ قال: عن منعك ما هو لك, فقد أساء وإن منعك ما هو لك فيختص برحمته من يشاء، فانصرف الحاضرون يقولون: ليس والله عن هذا جواب ويذكر أن هذه المباحثة وقعت بين رجل والحسين بن علي, فانصرف الرجل وهو يقول: ﴿**اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ [الأنعام: 124].

**المأخذ الثاني:** إن للعبد نسبة كسبية هي مناط الثواب والعقاب, وهي المحل المتوجه عليه التكليف، ومن أجله خلقت النار لا ما شاع على ألسنة من لم يستحكموا مقام الخوف ولم تستحكم عظمة الله في قلوبهم, فتبعوا الجبرية وغابرًا عن النسبة الكسبية وقالوا: إن العبد مجبور وفي ذلك هدم لسائر أسوار الشريعة المطهرة وقدح في سر بعثة الرسل-عليهم السلام- إذا كان العبد لا نسبة له ولا مدخلية له في الفعل, فما سر بعثتهم وصدق المعصوم ε: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة من الشر ما يلقي لها بالاً, فيهوى بها في نار جهنم سبعين خريفًا**»[1]؛ ولأجل هذا المختار عندي في تعريف العارف أنه الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعه، وخلاف هذا ليس بعارف.

فالعارف هو العالم بمواطن المشتبهات التي بين الحلال والحرام ويعرف للمشتبهات أزيد من ثلاث مائة مثال، ويعمل بها ويتأسف على من لم يعلمها ويعمل بها

(1) رواه الطبراني في الكبير (369/1), وأبو نعيم في الحلية (187/8).

ولكن صدق ε: وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فضلاً عن أن يعملوا بها؛ ولأجل هذا كانت طريقة الصبر التي مشى عليها الإمام أبو حامد عندي أسلم من طريقة الشكر وأجمع وأنجى من بعض الرجبيين؛ لأن طريقة الشكر إذا لم يتدارك صاحبها بمربي عالم بالشريعة وأسرارها وبواطنها, فالغالب عليها عدم التمشية على طريقة الورع مع أن الورع ملاك الدين؛ ولذلك أذن ε بعض أهل الكشف بأن يصدر رسائله بكلمتين.

**الأولى:** رأس العقل مخافة الله Y.

**والثانية:** ملاك الدين الورع: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ [الأعراف:26].

**المأخذ الثالث:** عدم جواز الاحتجاج بالقدر وعدم قبول دعوى مدعيه، وأما احتجاج صفي الله سيدنا آدم υ بالقدر, وقيل من احتجاجه فيما ورد في الصحيح: «**احتج آدم موسى فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال آدم: يا موسى اصطفاك الله وخط لك بيده أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة, فحج آدم موسى ثلاثًا**»[1]. وأخرجه أيضًا مالك وأحمد وابن أبي شيبة ومسلم والترمذي أبو عوانة وابن خزيمة والبزار وعبد الرازق وغيرهم.

**فأقول في الجواب عنه:** إذا علم أنه نبي الله ورسوله ε, فاستشكال احتجاجه به مغالطة ومصادرة في هذا البساط مع أنه معصوم, وعليه فلا يحتاج للجواب عنه والذي صدر من صفي الله سيدنا آدم υ من مقاومة ابنه سيدنا موسى υ، فالحجة واحتجاجه عليه إنما هو جرى على ما علم من السياسات الإلهية في تهويل ما يصدر من الأكابر، وإن كان تافهًا تأديبًا للأصاغر, وقمعًا لهم عن تقحم الموارد النبيبة, وفتحًا لكيفية الرجوع إلى الله تعالى بعد الشهود والانقطاع عنه, فاستهول ذلك سيدنا موسى.

**أيضًا زيادة في تلك الواقعة حتى يقول كل من سمعها:** إذا كان أصل الشجرة

(1) رواه البخاري (2439/6), ومسلم (2042/4).

الإنسانية الجسمية هال أمر ما صدر منه فيا ترى ما يصدر من أمثالنا من الكبائر بل الصغائر أيضا كبائر نظرًا لعظمة من يُعصى، كما ذهب إمام الحرمين والأستاذ والتقي السبكي, فيكون هذا أزجر عنها أي: من وجوه الدلالة على الله تعالى العمومية هذا النوع إذ الناس معادن, فكل يؤثر فيه ما لا يؤثر في غيره؛ فلذلك عدد القرآن وجوه الدلالة على الله وشعب وكيفية التبليغات ونعو وجوه المعجزات من كونها آفاقية ونفسية باعتبار قوابل الناس وطباعهم واختلاف أمزجتهم, فما صدر من أبينا آدم υ إنما هو عصيان صوري اقتضاه ما يترتب عليه من صلاح شئون الملك، بل أصل التكاليف الشرعية الذي عليه مدار الإسعاد الديني والدنيوي تلك الأكلة من الشجرة ولما لم يقع الإفصاح عن ذلك على عادة مخاطبة الجمهور أمور عمومية لوح إليه بتلويحات.

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا**﴾ [طه: 115] أي: في مخالفتنا تعلم ذلك فإذا علمت ما كشفنا عنه النقاب في الباب اطلعت على ما لم تكن اطلعت عليه قبل وزدت مع أنبياء الله تعالى ورسله, وفهمت أسرار القرآن وكناياته وتعريضاته.

ولا يخافك أن هذا الجواب أدخل في المطامح الشرعية والعنايات الإلهية مما أجيب به في المقام وهو جوابان:

**الأول:** للعارف ابن عبَّاد في الرسائل ونحوه لليوسي على الكبرى والقسطلاني على البخاري في كتاب التوحيد أن الذي لا يقبل الاحتجاج بالقدر هو ما كان فيه انتصار للنفس الملزوم لاستحلاء المعاصي، وأما من ليس هكذا من الاحتجاج به فيقبل وعليه حمل احتجاج صفي الله ρ.

**الجواب الثاني:** للقرطبي وابن عبد البر والباجي وابن العربي بأن سيدنا آدم إنما غلبه بالحجة لأجل توبته لا للاحتجاج بالقدر، ولقد أصاب أبو حفص في حواشي الكبرى، حيث رده بأنهم ألغوا الاحتجاج بالقدر المذكور في الحديث ونظروا للتوبة الغير المذكورة فيه مع أن الاحتجاج بالقدر مقبول مما صدر منه في غير وقت التكليف، كما أنه مقبول مع التوبة.

وهاهنا أسرار يطول شرحها يخرجنا ذكرها عن الموضوع وكل هذه المباحث أمور ضرورية اقتضاها ما كان بسببه من تحقيق «**أليس في الإمكان أبدع مما كان**», وتحقيق مقام الرضا عن الله تعالى، وبما أمليناه قبل، وقبل، وقبل تعلم ما في تسليم سيدي محمد الراهوني عند قول خليل في باب الشهادة وإدامة شطرنج إلى آخر بكلام سيدي أحمد بن مبارك في مسألة «ليس في الإمكان أبدع مما كان».

وليكن هذا آخر الجزء الأول من هذا الشرح الكريم, ونسأل من بيده ملكوت كل شيء أن ييسر تمام الآخر يا كائنًا قبل كل شيء، ويا كائنًا بعد كل شيء اكفنا وأحبابنا.